اللهجة المصرية

بين التراث و المعاصرة

د. عطية سليمان



هذا الكتاب:

يتناول تاريخ اللغة العربية فى مصر منذ الفتح العربى، مع التركيز على العصر الفاطمى، وهو دراسة لهجية خاصة باللهجة التى تشكلت من لغات عدة، وهى: العربية الفاتحة، والقبطية المصرية، ولغات أخرى تميزت بخصائص صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية خاصة بها، ميزتها عن اللهجات العربية فى الأمصار المختلفة؛ ولهذا يعد هذا الكتاب دراسة تأريخية للعربية فى مصر منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى.



تصميم الغلاف: عزيزة أبو العلا



ISBN# 9789779105819



الهيئة المصرية العامة للكتاب

اللهجة المصرية
بين التراث والمعاصرة

د. عطية سليمان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٦

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج على

اسم الكتاب : اللهجة المصرية
بين التراث والمعاصرة
تأليف : د. عطية سليمان

الإخراج الفنى : عمر حماد على

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

سليمان، عطية.
اللهجة المصرية بين التراث والمعاصرة/ تأليف:
عطية سليمان. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ٢٠١٥.
٤٦٤ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٩ ٠٥٨١ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ اللهجة المصرية.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٥٦٥/ ٢٠١٥
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 0581 - 9
ديوى ٤١٧,٩٦٢

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)

(سورة العلق، الآيات ١ ـ ٥)

يتحدث المتكلم باللسان العربى بين عامة الناس وخاصتهم، ثم يتجه إلى ما كُتب باللغة العربية، فيجد كثيرًا من التباين بين ما يقرأ وما ينطق وهذا الاختلاف هو الفرق بين العامية والفصحى، ولهذا شغل تفكير الباحث ذلك التباين، فحاول البحث عن تلك الأسباب التى أدت إلى هذا التباين. وقد اخترت بيئة معينة من بيئات العربية. وفترة محددة من تاريخها. فكانت البيئة المصرية. وكانت الحياة الفاطمية، لأنها الفترة التى استقرت فيها العربية، وتم انتصارها تمامًا على القبطية، ثم اتجهت إلى مصادر اللهجة العامية فى مصر فى ذلك العصر، للتعرف على عامية مصر الفاطمية، وبحمد الله توصلت إلى كثير من البرديات العربية الخاصة بذلك العصر، وكثير من كتب الآباء البطاركة. وكتب المؤرخين، وكتب الأدب العامى، كل هذا كون لنا مصادر البحث الغنية بالخصائص اللهجية للعامية المصرية الفاطمية.

وجاء تكوين البحث من أربعة أبواب وتمهيد وخاتمة:

١ ـ التمهيد: ويبحث فى معنى اللهجة، وتاريخ اللغة فى مصر قبل الفتح العربى، وبعده، ومصادر البحث.

٢ ـ الباب الأول: الأصوات: وجعلته فى دراسة هذه اللهجة بجميع خصائصها وبحثت الظواهر المتطورة فى الأصوات وهو فى سبعة فصول.

٣ ـ الباب الثانى ـ المفردات: : وجعلته لدراسة المفردات، وما يتعلق بها، وبحثت فيه طبيعتها واشتقاقها، وتاريخها المعجمى، والرسم، وما يصيبه من تصحيف وتحريف.

٤ ـ الباب الثالث ـ الدلالة: وجعلته فى ثلاثة فصول ـ فصل عن تطور دلالة الكلمات، وفصل عن تطوير دلالة العبارة، وفصل عن دور المجاز فى تطور دلالة ذلك العصر.

٥ ـ الباب الرابع ـ التراكيب: وجعلته فى دراسة تراكيب اللغة فى هذا العصر وبناء الجملة وبعض الأساليب، وظاهرة الإعراب وخصائصها فى هذه اللغة.

٦ ـ الخاتمة: وفيها أعرض نتائج البحث وما توصلت إليه من حقائق.

وبعد أرجو من الله أن يوفقنى إلى سواء السبيل وأن يكلل عملنا هذا بالنجاح والتوفيق إنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور/ عطية سليمان

كلية الآداب ـ جامعة السويس

٢٠١٤/٧/١

تمهيد

اللهجة المصرية فى العصر الفاطمى

اللهجة: فى الاصطلاح العلمى الحديث هى مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة،وبيئة اللهجة هى جزء من بيئة أوسع، وأشمل تعم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعًا فى مجموعة من الظواهر اللغوية، التى تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من أحاديث، فهمًا يتوقف على قدر الرابطة التى تربط بين هذه اللهجات.

وتلك البيئة الشاملة التى تتألف من عدة لهجات، هى التى اصطلح على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هى العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات(1).

وتتميز كل لهجة بصفات تجعلها تختلف عن اللهجة الأخرى، وهذه الصفات تكاد تنحصر فى الأصوات وطبيعتها، وكيفية صدورها،فالذى يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتى: "... ولكن لا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة فى الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفى معظم الأسس التى تخضع لها بنية الكلمات، وفوق هذا وذاك فى تركيب الجمل(2).

---

(1) فى اللهجات العربية: د إبراهيم أنيس. ط٤/. مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٧٣م. ص١٦.

(2) المرجع السابق ١٧، ١٨.

اللهجة المصرية:

ومن بين هذه اللهجات العربية "اللهجة المصرية" وهذه اللهجة ذات خصائص لغوية مختلفة استرعت انتباهي؛ فحاولت دراستها، والتعرف على تلك الخصائص اللغوية لهذه اللهجة، ولكى تكون الدراسة أكثر دقة فى نتائجها: اخترت فترة تاريخية محددة وهى "العصر الفاطمى" التى حكم فيها الفاطميون مصر التى تبدأ من عام ٣٥٨ إلى عام ٥٦٦ للهجرة.

وقد حاولتُ استخدام المنهج التاريخى اللغوى الذى يستمد معطياته من علم اللغة التاريخى، ولكى ندرس هذه اللهجة فى ذلك العصر وتلك البيئة لابد أن نعرف تاريخ الحياة اللغوية لهذه البيئة قبل دخول الفاتح العربى، وبعد ذلك، نتعرف على الصراع اللغوى بين لغة الفاتح العربى "العربية" وبين لغة المصريين أصحاب البيئة "القبطية" وانتصار العربية على اللغات الموجودة قبل الفتح، وخصائص اللغة المنتصرة الجديدة.

اللغة المصرية قبل الفتح:

مرت اللغة المصرية بمراحل عديدة من الصراع مع لغات أخرى، ولم يكن لها الخيرة من أمرها فى هذه المراحل اللغوية المختلفة، بل كانت فى كل هذا خاضعة لظروف محتليها من الشعوب المختلفة من يونان، ورومان، وفرس، وإلى جانب لغتها المصرية، أو القبطية التى يتحدث بها السكان الأصليون مرت أيضًا بمراحل تطور مختلفة.

أما عن مراحل تطور اللغة المصرية نفسها، فيقول الدكتور/ مراد كامل: "مرت اللغة المصرية بخمس مراحل":

(أ) **اللغة المصرية القديمة:** وهى لغة الأسر من الأولى إلى الثانية، منذ قرابة سنة ٣٤٠٠ ق. م إلى سنة ٢٤٠٠ ق. م.

(ب) **اللغة المصرية المتوسطة:** وهى لغة الآداب من الأسرة التاسعة إلى الأسرة الثانية عشرة، منذ قرابة سنة ٢٤٠٠ ق. م إلى سنة ١٣٥٠ ق. م وصارت لغة الأهلين نحو ثلثى هذه الحقبة.

(ج) اللغة المصرية الحديثة: وهى لغة الأهلين من الأسرة الثامنة عشرة إلى الرابعة والعشرين، أى منذ قرابة سنة ١٥٨٠ إلى سنة ٧١ ق. م.

(د) الديموطيقية: وهى المستخدمة فى الكتب والوثائق من سنة ٧٠٠ إلى سنة ٧ ق. م.

(هـ) القبطية: وهى اللغة المصرية القديمة فى صورتها الأخيرة، من مراحل تطورها[1].

ثم ظلت اللغة المصرية القديمة فى مراحلها المختلفة لغة الكتابة، والتخاطب فى مصر حتى قيام دولة البطالمة فأصبحت اليونانية لغة البلاد الرسمية، وبمضى الزمن أخذ كثير من المصريين يتعلمونها، ويستخدمونها فى وثائقهم وخطاباتهم حتى ولو كانوا، يجهلونها، ولا جدال فى أن اللغة المصرية كانت لا تزال تُستخدم فى الكتابة الدينية، والتخاطب فضلاً عن تحرير العقود والرسائل"[2].

اللغة القبطية:

ومع ظهور اللغة اليونانية فى البيئة المصرية كلغة رسمية، ظل الشعب متمسكًا بلغته الديموطقية، وبدأ تدوين هذه اللغة بحروف يونانية، وقبل كل ذلك كان المصريون يكتبون بالأحرف الموجودة الآن على الآثار القديمة كالبرانى، والأبنية، والأعمدة، والأحجار، والقبور، والتوابيت، والأبواب الحجرية، أو الخشبية، والآنية الحجرية، أو الرخامية، وغيره. مما يوجد بكثرة فى أرض مصر، وخصوصًا الصعيد الأعلى، وتلك الحروف فيها كثير من صور الطيور والبهائم، والوحوش، والهوام، والناس، وأعضاء الجسم، وغير ذلك، وقد اهتدوا إلى قراءة ذلك اللسان الفرعونى وسمى الهيروكليفى[3]... ولما تغلب الإسكندر اليونانى على مصر قبل

(١) حضارة مصر فى العصر القبطى: د. مراد كامل/ طبعة دار العلم العربى. ١٩٦٨م، ص ٦٣.

(٢) المرجع السابق ٦٤.

(٣) الأساس المتين: عبد المسيح المسعود. بمطبعة عين شمس ببطريكخانة الأقباط بالقاهرة سنة ١٦٠٤الشهداء. ص٨٩.

المسيح بأكثر من ٣٠٠ سنة، وصارت تحت ملكه، وملك خلفائه إلى أن تغلب عليهم الرومانيون قبل المسيح بنحو ٣٠ سنة إلى أن استفتحها عمرو بن العاص بعد الستمائة سنة للمسيح، فصارت تحت ملك العرب، ففى مدة اليونان استعملت الحروف اليونانية عندنا الآن بدلاً من المصرية القديمة لخفتها مع كثير من الكلمات اليونانية، بل بعض الأماكن من الديار المصرية كالإسكندرية كانت تتكلم باليونانية كحالة العربية عندنا الآن وكذلك استعمل بعض القطع كمفردات الشماس والشعب فى القداس وكقداسى القديس باسيليوس والقديس أغريفوريوس الموجودين عندنا بالرومى.وكبعض الألحان المرتلة فى التسبيح أو غيرها[1].

وقد أدى استخدام الحروف اليونانية فى وضع الأبجدية القبطية إلى تنظيم هذه اللغة المصرية الدارجة لرفعها إلى مصاف اللغات الأدبية وأدى ذلك إلى أن ظهرت اللغة القبطية بآدابها منذ أواسط القرن الثالث الميلادى[2].

إذن كانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية، واللغة القبطية التى نتجت من الديموطيقية، هى اللغة الدارجة التى ارتفعت إلى درجة اللغة الأدبية، وحدث بينها وبين اليونانية كثير من التبادل اللغوى، كما ذكر ذلك القس عبد المسيح المسعودى.

وكما يقول الدكتور مراد كامل "وانتهى الأمر بأن استطاع شخص أو جملة أشخاص استحداث ما نسميه بالخط القبطى وكتبوا لغتهم بحروف يونانية وأضافوا إلى اليونانية سبعة أحرف أخذوها من الخط الديموطيقى تعبيراً عن أصوات ليس لها مقابل فى اللغة اليونانية وهذه الأحرف السبعة شاى (ش)، وفاى (ف)، وخاى (خ) وهورى (هـ) (وجنجا (ج) وتشيما (تش) وتى (ت) [3].

---

(١) الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين ص ٩٠، ٩١.

(٢) حضارة مصر فى العصر القبطى ٦٥.

(٣) المرجع السابق ص ٦٧.

اللهجات القبطية:

المعروف أن اللغة المصرية القديمة كانت تضم لهجات شتى ولازالت هذه واضحة فى البيئة المصرية إلى الآن، وقد قسم العلماء اللهجات القبطية إلى قسمين هما:

(أ) لهجات مصر السفلى.

(ب) لهجات مصر العليا (الصعيدية الفيومية ـ الأخمينية)[١].

ويجعلها عبد المسيح المسعودى ثلاث لهجات قائلاً "واعلم أنه كان فى اللغة القبطية ثلاثة فروع لا تفرق بعضها عن بعض كثيرًا، فالأول القبطى الصعيدى وكان مستعملاً فى الصعيد، والثانى القبطى البحرى، وكان مستعملاً فى بلاد البحيرة والثالث القبطى البشمورى وكان مستعملاً فى بلاد البشمور الذين لا يعلم جيدًا أين كان محل سكناهم فالصعيدى والبشمورى تركا بالكلية والبحرى بقى مستعملاً عندنا إلى الآن فى الكنائس والصلوات فى كل أرض مصر بدلاً من الثلاثة فروع المذكورة[٢].

قبيل الفتح العربى:

وقبل الحديث عن الفتح العربى، ودخول العربية فى مصر وصراعها مع القبطية نطرح سؤالاً هو هل كانت اللغة العربية مستخدمة فى مصر قبل الفتح؟ يقول الدكتور أحمد مختار عمر "إن العربية كانت تتكلم فى مصر قبل الإسلام بين أبناء الجاليات العربية، وعلى ألسنة التجار العرب. وأن تبادلا حدث بين اللغتين المصرية أدى إلى ترك آثار من كلا الجانبين على الآخر، ولكن دون أن تفقد أيًا منها شخصيتها[٣].

---

(١) حضارة مصر الفرعونية ٦٨.

(٢) الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين، ٩١، ٩٢.

(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر: د. أحمد مختار عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م، ص ١٥.

وقد استدل على رأيه هذا بحديث المؤرخين عن الخطوط التجارية البرية والبحرية بين مصر والجزيرة العربية، وأهمية غزة كميناء تجارى فى ذلك الوقت، حيث كان التجار العرب يقدمون إليها لبيع ما عندهم من حاصلات اليمن وجنوب الجزيرة العربية، وشراء ما يلزمهم مما يرد على هذه المدينة فى البحر من حاصلات اليونان وإيطاليا ومصر وغيرها ثم يأتى بدليل آخر هو هجرة القبائل العربية لمصر بغرض الاستيطان والاستقرار مثل هجرة قبائل كهلانية من عرب الجنوب واستقرارهم فى الشمال الشرقى لمصر وهجرة قبائل من طيء، واستقرارهم فى إقليم الشرقية، وقبيلة بلى وبطون من خزاعة.. وغيرها"، ثم يوضح نتائج هذا التبادل التجارى والهجرات البشرية وأثرها على اللغة المصرية، والعربية حيث أحدث ذلك الاحتكاك بينهما قدرًا ما من التبادل اللغوى بينهم ثم يقول الدكتور مختار (وقد كان نفوذ اللغة المصرية على اللغة العربية كبيرًا من ناحية المفردات فهناك كلمات مصرية كثيرة دخلت اللغة العربية وأصبحت ينظر إليها على أنها من اللغة الأدبية النموذجية[1].

ولكن لابد لنا من وقفة مع الدكتور أحمد مختار عمر، فنقول له نعم حدث احتكاك بين العربية والمصرية فى صورة القبائل المهاجرة من الجزيرة، ولكن هذا الاحتكاك لم يكن ذا خطر كبير قبل الفتح؛ فقد كانت هذه القبائل المهاجرة المنغلقة على نفسها فى داخل مصر، حيث واجهوا قومًا أكثر منهم حضارة وتقدمًا كما أن مكانتهم لدى ذوى السلطان فى مصر لم تكن ذات بال، فقد منحهم الإمبراطور الرومانى حينذاك إقطاعية (تنيس) صان الحجر وهى منطقة منعزلة بعيدة عن التقدم الحضارى الموجود بالعاصمة مصر فكانت إقامتهم فى تلك المنطقة وليس بجوار عاصمة البلاد ومن هنا كان هذا الاحتكاك قليل الخطر بسيط التأثير، نعم كان للمصرية نفوذ على العربية فى هذا الاحتكاك اللغوى قبل الفتح، وهذا أمر طبيعى فهى الأكثر حضارة وتقدمًا وهى أيضًا لا تزال لغة عامة الشعب ولم تكن للعربية فى هذا الوقت أى سلطان أو نفوذ فى

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٥.

تلك البلاد ليساندها ويساعدها على الانتشار حتى السلطان الدينى لم يكن بعث بعد.

ثم إن هذا التبادل اللغوى الذى يتحدث عنه الدكتور أحمد مختار ركز فيه على جانب واحد هو جانب المفردات، ثم أتى بالأدلة عليه، وهذا فى حد ذاته دليل على قلة هذا التأثير فإن التأثير اللغوى فى نظر علم اللغة ما يمس اللغة بجوانبها الصوتية والتركيبية والبنائية والدلالية، وليس تبادل الألفاظ فحسب فإن هذا التبادل فى المفردات أمر طبيعى يحدث بين أى لغتين متجاورتين حدث بينهما احتكاك لغوى نتيجة لطبيعة الجوار.

ومن هنا يمكننا أن نقول: إنه قد حدث احتكاك لغوى بين العربية والمصرية القديمة فى مصر قبل الفتح ولكن ليس بالدرجة التى تجعلنا نقول: إن العربية كانت تتكلم فى مصر قبل الفتح العربى. ولا بالدرجة التى تجعلنا نقول: إن تبادلا حدث بين اللغة المصرية وبين اللغة العربية بل هو مجرد كلمات انتقلت من لغة إلى لغة أخرى نتيجة لاحتكاك لغوى بينهما فرضته طبيعة الجوار والتعامل التجارى بينهما.

هذا هو حال العربية فى مصر قبل الفتح، وكذلك قبل الفتح كانت اليونانية هى اللغة الرسمية وبجوارها السريانية لغة للأدب، بل إن الآداب اليونانية والسريانية كان لهما وجود فى حياة اللغة فى مصر يقول الدكتور محمد كامل حسين: "بجانب هذه الآداب اليونانية فى مصر كان بمصر آداب سريانية إذ كان لنهضة الفرس فى القرن السابع الميلادى وغزوهم لبلاد الشام أثر فى ازدياد ذخيرة الإسكندرية وزيادة الآداب السريانية بها فقد هاجر كثير من علماء السريان إلى مصر حين نشروا آدابهم ونقلوا إلى مصر كتبهم وتعاليمهم... ونقلت هذه الآداب السريانية إلى الأديرة لاسيما فى دير السريان بوادى النطرون كما كانت تدرس علوم الطب فى القرنين السادس والسابع باللغة السريانية[1] وقد وجد فى جزيرة الفيلة كثيرًا من النصوص السريانية مثل نص "قصة أحيقار"[2]

(١) فى الأدب المصرى الإسلامى: د محمد كامل حسين، دار الكتب المصرية. القاهرة ص ٣٠، ٣١.
(٢) فى قواعد الساميات: د رمضان عبد التواب ص ٢٥٨.

الفتح العربي لمصر:

فتح العرب مصرفى سنة ٢٠ من الهجرة على يد القائد عمرو بن العاص وكان هذا الفتح والنصر هو إنشاء لميادين جديدة من الصراع اللغوى بين العربية والمجتمع اللغوى الجديد، فالمناخ اللغوى الذى تعيشه مصر فى تلك الآونة هو مزيج من عدة لغات ـ كما ذكر آنفًا ـ

تم هذا الصراع على مراحل هى:

المرحلة الأولى "الحذر":

كانت المرحلة الأولى تتمثل فى فترة حكم عمر بن الخطاب، وهى ما يمكن أن نسميها "بمرحلة الحذر" فقد حرص عمر على بقاء شعبه بعيدًا عن الاحتكاك اللغوى مع لغات الأمصار المفتوحة ليبقى محافظًا على اللغة العربية، يقول يوهان فك "إن السياسة الواسعة الأفق التى امتاز بها الخليفة الثانى، عمر العبقرى المؤسس الحقيقى للدولة الإسلامية الكبرى... قامت بقسط لا يستهان به لتوحيد اللغة وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعًا. كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال، فلكى يحفظ عمر شعبه العربى من التلاشى فى جماهير الشعوب المغلوبة التى تفوقهم بكثرة العدد؛ حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع فى الأقاليم الجديدة، وأن يتخذوها لهم وطنًا ومقامًا كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبرى فى البلدان المفتوحة، ما عدا سورية التى كانت استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام عن طريق القبائل العربية التى هاجرت إليها، فأسكنهم فى معسكرات من الخيام كانت نواة للمدن العظمى فى العالم الإسلامى التى أنشئت فى بضع عشرات من السنين كالبصرة والكوفة والفسطاط وغيرها وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر فى جوار قريب[1].

المرحلة الثانية: "الاحتكاك والمعاملات"

ولكن مثل هذا الحذر بين شعبين فى بيئة واحدة بينهما احتكاك دائم لم يكن

---

(١) العربية: يوهان فك. تر/ د رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٠م، ص١٩.

ليستمر طويلاً فقد أدت ظروف الحياة وطبيعتها إلى الاحتكاك اللغوى بين المصريين والعرب وحدوث تأثير متبادل بين الطرفين، ويقول الدكتور محمد كامل حسين "بعد الفتح العربى كانت اللغة العربية فى أول الأمر حيز محدود فى مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار إلى أن يختلطوا بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم ثم أدخلت بعض الاصطلاحات العربية فى الدواوين فاضطر المصريون إلى أن يعرفوا لغة العرب تقربًا إليهم وتحقيقًا لمصالحهم.. كما كان لانتشار الدين الإسلامى فى مصر أثر كبير فى نشر اللغة العربية بين المصريين إذ اضطر من أسلم منهم إلى أن يتعلم العربية حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم وأحاديث الرسول"(١).

ثم تأتى عملية أخرى كان لها الدور فى نشر اللغة العربية وتدعيم جانبها حتى مع غير المسلمين تلك هى "عملية تعريب الدواوين فى عهد عبد الملك بن مروان فقد أصبح لزامًا أن تتم الحسابات والمكاتبات باللغة العربية وكان على طلاب الوظائف فى الديوان أن يجيدوا هذه اللغة، وقد فتح العرب باب الخدمة فى الدولة لكل السكان على اختلاف أديانهم ونحلهم غير أن اللغة العربية وسيلتهم لهذه الخدمة(٢).

دور القبائل العربية فى نشر اللغة:

وكمل النصر للغة العربية عندما نزح كثير من العرب الرحل من البادية وانخرطوا فى غمار حياة الاستقرار بالمدن الغنية المفتوحة يقول الدكتور أحمد شلبى ".... ومما ساعد على انتشار اللغة العربية بمصر وفود القبائل العربية التى هاجرت إليها وامتزجت بسكانها، فقد استقبلت مصر فى مطلع عهدها بالإسلام كثيرًا من عرب الجنوب كما استقبلت إبان خلافة هشام بن عبد الملك وفودًا كثيرة من قبيلة قيس، وقد نزل هؤلاء فى منطقة بلبيس وما حولها

(١) فى الأدب المصرى الإسلامى: ٣٠-٣١.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبى، مكتبة النهضة المصرية. ط٦/ ١٩٧٣م القاهرة: ج٥، ص/ ٤٩.

بمحافظة الشرقية وفى القرن الثالث هاجرت إلى مصر وفود من ربيعة واستقرت بالصعيد[1]. ومن أهم القبائل التى اختلطت بالفسطاط وأقامت بها "مهرة، تجيب، لخم وغسان وغافق وكان مع عمرو جماعة العتقاء وهم أخلاط من القبائل عرفوا بالصعاليك كانوا يقطعون الطريق أيام النبى ﷺ فبعث فى طلبهم وأتى بهم أسرى فأعتقهم وكان من بينهم كثير من طوائف الأزد... وهناك قبائل مختلفة من قريش والأنصار وخزاعة مزينة وأشجع وجهينة وثقيف و دوس وليث عرفوا فى مصر باسم أهل الراية[2].

هذه بعض من تلك القبائل التى وفدت إلى مصر بعد الفتح، بل إن الدكتور عبد الله خورشيد البرى ألف كتابًا فى القبائل العربية فى مصر ذكر أسماءها وأماكن سكانها وإقامتها فى مصر، لقد تم امتزاج العرب بالمصريين على نطاق واسع عقب سقوط الأمويين وفى خلال عهد المعتصم ـ كما ذكرنا آنفًا ـ ونزل العرب ميدان الزراعة والصناعة والتجارة ومن هذا الطريق وكذلك عن طريق التزاوج اندمج هؤلاء بأولئك. وأصبح عسيرًا بعد فترة أن تفرق بين السكان الأصليين وبين الوافدين على مصر وسوريا من العرب[3].

سيادة العربية فى مصر:

ونتيجة لتعريب الدواوين وشيوع استخدام العربية فى المكاتبات الرسمية كان تعريب اللغة الرسمية أسرع من اللغة العامية؛ فقد تأخر انتشارها بين الجماهير فالمقريزى يقرر أن المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨) عندما زار مصر كان يمشى والتراجمة بين يديه، ومن الواضح أن انتشار العربية الفصحى سبق ذلك بكثير وبدأت الدواوين تدون بهذه اللغة منذ آخر عهد عبد الملك (٦٥ ـ ٨٦)، ثم انتشر بعد ذلك فكتب بها الرسائل، ثم أصبحت لغة التأليف والتصنيف والأدب وعلى العموم فإن من الطبيعى أن سير الفصحى كان سريعًا أما العامية فكان سيرها بطيئًا، وكانت

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى ٥/ ٤٩.

(٢) البرديات العربية فى مصر: دراسة لغوية، رسالة دكتوراه، د. عبد العزيز الدالى جامعة القاهرة كلية الآداب، ص/ ١٥٣.

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى ٥/ ٥٠.

مصر أسبق من سوريا فى القضاء على لغتها المحلية، أما سوريا فقد عاشت اللغات المحلية بها عهودًا أطول[1].

ولهذا فقد استمر التحول من القبطية إلى العربية زمنًا طويلاً من الصراع خاصة فى اللسان العامى، يقول الدكتور عبد العزيز الدالى "وظل الأقباط على لغتهم مدة من الزمان امتدت فى صعيد مصر ستة قرون بعد الفتح العربى على حين انتشرت العربية وسادت فى الوجه البحرى وفى مراكز الإقامة والحكم بخاصة قبل نهاية القرن الأول الهجرى، وعلى ألسنة المحتكمين بالعرب من المصريين الذين ارتبطت مصالحهم بالعرب الحاكمين ثم المالكين للأرض التى كان يعمل فيها المصريون أو أولئك المصريون الذين احتاج العرب إلى أن يعملوا معهم بالخدمة والمشاركة والجوار ثم بالمعاشرة ومختلف النواحى اللازمة للإقامة والحياة[2] فقد انتشر العرب فى مصر وأفادوا من زرعها ونعموا بخيرها وكانوا لا يزرعون وإنما يزرع لهم القبط[3].

ونتيجة لهذا الصراع الذى انتهى بغلبة العربية على القبطية واليونانية وغيرها من لغات مصر؛ فتكونت للغة العربية ثلاثة أنواع أولها الفصحى وثانيها لغة الحديث اليومى ولغة ثالثة هى بين عربية ميسرة لا تكمل فصاحتها ولا تتسم بلغة الحديث اليومى وإلى حد كبير وذلك لأن العرب والمستعربين كانوا يسمعون بين العامة لغة ويقرءون ويكتبون لغة لها قواعدها ولها صيغها وتراكيبها ونحوها المعين ثم هم يكتبون لغة بين هذه وتلك، وحين يكتب العربى أو المستعرب تبدو فى كتاباته مدى ثقافته اللغوية.... [4]. وقد حاولنا أن ندرس فى هذا البحث لغة الحديث اليومى التى أشار إليها الدكتور عبد العزيز الدالى ـ آنفًا ـ وهذا البحث يتناول لغة غير مكتوبة ولهذا كانت مصادره تحتاج إلى جهد كبير فى الوصول إليها، والتعرف على تلك اللغة من خلالها.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى ٥/ ٥٠، ٥١.

(٢) البرديات العربية فى مصر ١٥٤.

(٣) حضارة مصر فى العصر القبطى ٦٩.

(٤) البرديات العربية فى مصر، ١٣٨.

مصادر العامية المصرية فى العصر الفاطمى:

ويُعْنى هذا البحث بدراسة اللهجة المصرية، أو اللغة العربية فى مصر وحدد فترة تاريخية معينة وهى حكم الدولة الفاطمية، وذلك لما رأيناه من ثراء هذه الفترة بكثرة الجماعات اللغوية والحركة الثقافية والنهضة الحضارية وانهيار اللغات الأخرى أمام الزحف العربى فى مصر، وقد كان هدف البحث هو الدراسة الوصفية للهجة المصرية التى يتكلمها المصريون فى ذلك العصر وليس اللغة الفصحى، بل لغة الحديث اليومى كما ذكرنا آنفًا وكانت مشكلة البحث هى المصادر التى نتعرف من خلالها على تلك اللغة غير المكتوبة.

أولاً: البرديات العربية:

ولعل المصادر التى تناولت تاريخ مصر من عصر الفتح والقرون التالية له، لم تصور ملامح الحياة المصرية بالصدق الذى تصوره به أوراق البردى العربية ولو أن المؤرخين وعلماء اللغة والعلماء على تباين تخصصاتهم طالعوا النصوص البردية لما أعوزهم مصدر أصدق ولا وثائق أكثر أصالة من هذه النصوص فى تصوير هذا المجتمع بكل خصائصه،

ولعل السمة الغالبة على هذه النصوص والتى تؤكد صدق الملامح المصرية فى تلك المدة، وانطباع الصورة الحقيقية للمجتمع المصرى؛ هى أن هذه النصوص كانت سجلات للمعاملات بين أفراد الشعب بعضهم البعض أو بين الحكام وبين أفراد الشعب وجماعاته على اختلاف أنواعهم وتباين ثقافات الكاتبين وإلمامهم باللغة العربية، وبين أفراد الشعب شكايات أو ظلامات أو التماسات تعبر عن أحوالهم وعن أسلوب قولهم وعن حصيلة ألفاظهم اللغوية[1].

يقول الدكتور مراد كامل عن البرديات العربية "إن دراسة البرديات العربية تعبر عن الحياة المصرية منذ الفتح العربى حتى منتصف القرن الرابع الهجرى

---

(١) البرديات العربية فى مصر ١٥٥.

(أواخر القرن العاشر الميلادى)، بما فيها من المعاملات، وبما تدل عليه من تقاليد فتظهر ما كان عليه عامة الناس.

إن النصوص التى كتبها عامة الناس سواء من القبط أو من العرب كتبوها فى أكثر الأحيان بالألفاظ والتراكيب التى كانوا يستخدمونها فى عصرهم وهى لذلك تكشف عن مرحلة مهمة فى تاريخ اللغة العربية فى مصر فى القرون الأولى من الفتح العربى وتدل لغة البرديات على مدى اختلاط العرب بالأقباط والأثر اللغوى الذى خلفوه فى مصر كما تدل على تأثُّر الأقباط بالعربية تأثُّرًا لم يكن سريعًا[1]. ولهذا نستطيع القول أن أقدم نصوص للعامية المصرية هى النصوص التى كُتبت على أوراق البردى العربية ومن التقاط هذه الملامح من بيئات البرديات التى قرئت يمكن القول أن العامية المصرية كانت سوية الشكل منذ القرن الثالث الهجرى[2].

ثانيًا: كتب الآباء البطاركة:

إلى جانب أوراق البردى هناك كتب الآباء البطاركة التى كتبها البطاركة بقلم عربى، ولكنهم ليسوا مجيدين للعربية بل يتحدثون بالعامية ولهذا كانت كتاباتهم صورة أخرى للعامية المصرية إلى جانب أوراق البردى فبعد انتصار العربية على القبطية وسيادتها فى البيئة المصرية لم يجد الآباء البطاركة مفرًا من التأليف فى الديانة المسيحية باللغة العربية، وترجمة كتب من سبقهم بالقبطية إلى العربية لكى يفهمها عامة القبط بمصر يقول الدكتور محمد كامل حسين "واضطر المصريون إلى أن يحذقوا العربية فلم يمض إلا وقت يسير حتى رأينا البطاركة يؤلفون كتبهم بالعربية مثل ابن البطريق رئيس الكنيسة فى الإسكندرية فى القرن العاشر الميلادى صاحب نظم الجوهر فى التاريخ العام وسويرس بن المقفع صاحب سيرة الآباء البطاركة وغيرها[3].

---

(١) حضارة مصر فى العصر القبطى، ٧٠.

(٢) البرديات العربية فى مصر ١٥٥.

(٣) حضارة مصر فى العصر القبطى، ٧٠.

ثالثًا: كتب التاريخ والأدب:

والمصدر الثالث للدارجة أو العامية المصرية هى كتب التاريخ التى كتبها مؤرخو تلك الفترة بلغة أشبه ما تكون بالعامية المصرية؛ فلم يراع الكاتبون الدقة البالغة فى كتاباتهم، فجاءت كتاباتهم تحوى بعضًا بل كثيرًا من الآثار العامية فى لغتهم من عبارات وتراكيب ودلالات، مثل كتاب تاريخ مصر للمسبحى الذى أكمله وبالاسم نفسه ابن ميسر وكتاب أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر وغيرها .

رابعا كتب الأدب العامى:

والمصدر الأخير وهو كتب الأدب الشعبى وهو ذلك اللون من الأدب الذى حاول أصحابه أن يقتربوا به إلى العامة مثل كتاب أخبار سيبويه المصرى لابن زولاق، وكتاب المكافأة لابن الداية، وكتاب منامات الوهرانى وغيرها من كتب الأدب الشعبى.

كل هذه المصادر شكلت لنا صورة واضحة لما كانت عليه عامية ذلك العصر، ونحاول من خلال هذا البحث تصوير اللهجة المصرية فى هذا العصر.

الباب الأول

الأصوات

يناقش هذا الباب الفصول التالية:

مقدمة

- الفصل الأول: التغيرات التاريخية
- الفصل الثانى: التطور التركيبى
- الفصل الثالث: السهولة والتيسير
- الفصل الرابع: الأصوات اللينة
- الفصل الخامس: المقطع الصوتى
- الفصل السادس: النبر
- الفصل السابع: التطور المرحلى
- الفصل الثامن: الخصائص الصوتية للهجة المصرية

مقدمة

إن الغرض من الدراسة هى الدراسة التاريخية الوصفية للغة العصر الفاطمى فى مصر، ولقد جمعت بين المنهجين الوصفى والتاريخى لأن "اللغويات التاريخية تهتم بدراسة تطورات اللغة فى العصور المختلفة أما اللغويات الوصفية فإنها تهتم بدراسة اللغة كما يستخدمها الناس فى حقبة زمنية معينة، وغالبًا ما تنصب هذه الدراسة على الوقت الحالى، وإن كان بعض العلماء قد أجروا محاولات لدراسة وصفية فى زمن معين فى الماضى[1].

وكان هذا البحث من النوع الوصفى التاريخى الذى يبحث فى مدة زمنية معينة تمثل حقبة تاريخية فى حياة اللغة فى مصر، ملتزمًا بالمنهج الوصفى الذى يبحث فى لغة هؤلاء القوم كما ينطقونها.

ودراسة اللغة تاريخيًا تقوم على عنصر أساسى هو الذى يدفع الباحثين إلى دراسة اللغات فى الماضى، وهو إيمانهم بالتطور اللغوى، فلولا هذا التطور لما نقب باحث فى كتب التاريخ يبحث عن لغة العصور الماضية من خلال لغة الكتاب السابقين، فقد أصبح من المؤكد لدى الباحثين أن اللغة كائن حى تخضع لما يخضع له الكائن الحى فى نشأته ونموه وتطوره وهى ظاهرة اجتماعية تحيا فى أحضانه، وتستمد كيانها منه ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، وهى تتطور بتطور هذا المجتمع فترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه[2].

---

(١) لغات البشر: ماريوباى، تر/صلاح الدين العربى،مطبعة العالم العربى، ب. ت ص ٧٣.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى: د. رمضان عبد التواب، القاهرة١٩٨٢م ص٣٠.

ولهذا فاللغة شأنها فى ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور المطرد فى مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها[1] ويقول الدكتور عبد الرحمن أيوب "وتتضمن فكرة التطور عند المحدثين New Gram-marians عددًا من المظاهر هى (١) التطور الصوتى (٢) المحاكاة (٣) Analogy القرض (٤) عمليات ثانوية مثل الابتكار وامتزاج الصيغ وانقسامها والانقراض[2].

فالتطور اللغوى يشمل مجالات اللغة المختلفة من أصوات وقواعد ومتن ودلالة وهذا أمر طبيعى فعملية النمو للكائن الحى صحيح البنية لابد أن تشمل كل أعضائه، وكذلك اللغة فإذا كان التطور يحدث فى الصوت فلا بد أن يحدث كذلك تطور آخر فى باقى فروع اللغة ليس فى التو واللحظة، ولكن على المدى البعيد، وبطريقة لا يدركها إلا علماء اللغة والقائمون عليها.

والصوت، وهو أصغر وحدة فى البناء اللغوى للغة، ومن وحداته تتكون الكلمات والجمل والعبارات والتراكيب فلا بد من ملاحظة كل تغير فى هذا العنصر المهم فى اللغة. وهذه التغيرات تخضع لما يعرف بالقانون الصوتى:

"القانون الصوتى":

هو القاعدة التى تفسر بها أكثر التغيرات الصوتية والعلاقات القائمة بين الكلمات المتطورة من مرحلة إلى أخرى، ولهذا يقول فندريس: "جرت العادة فى علم اللغة أن يطلق على التغيرات الصوتية التى تطرأ على اللغة اسم القوانين الصوتية، والقوانين الصوتية تعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة فى وسط اجتماعى معين[3].

ويضع ماريوباى مبدأ عامًا للتغيرات اللغوية، فيقول: "مبدأ عام تخضع له التغيرات اللغوية، سرعان ما يتبناه بعض العلماء المبرزين من أمثال بروجمان

---

(١) للغة والمجتمع: د على عبد الواحد وافى ،دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م ص ٧٨.

(٢) اللغة والتطور: د عبد الرحمن أيوب،معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م ص ٧١

(٣) اللغة: فندريس، تر/ عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص الأنجلو ١٩٥٠م ١٣، ١٤.

واستوف. وهذا المبدأ العام باختصار هو أن كل تغيرات فى صوتيات اللغة تخضع فى تطورها لقوانين معينة لا استثناء لها[1].

وقد أشار برجشتراسر إلى معرفة القدماء لهذه القوانين فقال: "القوانين الصوتية وهذه التغيرات كلها مما سماها قدماء العرب أصولاً مطردة، ونحن نسميه (قوانين صوتية)[2] ولكن مع إيماننا الشديد بوجود القانون الصوتى وعمله فى اللغة الذى لا يمكن أن يُنكر نجد قومًا معارضين لهذا القول يقول ماريو "وقد عارض كثير من اللغويين المعروفين قانون التغيرات الصوتى منذ نشأته، وبعد عشرات السنين من ظهوره.. ويتلخص رأى النحويين المحدثين كما يسمون أنفسهم فى أن التغيرات الصوتية ظاهرة فردية متقلبة تخضع لتأثير اللهجات المحلية التى تتعدد فى أغلب الأحيان بتعدد المتحدثين بها، والعوامل التى تسبق نشأة اللغة وتعقبها.. وأن بعض العلماء ينكرون وجود اتجاهات أو قوانين للتغيرات الصوتية ويفضلون الاعتقاد بأن التغيرات تحدث فى اللغة عن طريق المصادفة المحضة"[3].

وإن كان هؤلاء يرون أن التطور الصوتى يأتى من قبيل المصادفة البحتة ولا يصح أن تكون لها قوانين، فإنىِّ أوافقهم فى الشطر الأول من قولهم، فالتغيرات الصوتية تأتى حقًا بمحض المصادفة" لذلك لا يمكن أن نعرف مقدمًا كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك. لأنه يوجد دائمًا فى تطور الأصوات عدد يكثر أو يقل من العوامل غير المنظورة التى تنتج أثرها[4] ولكن إذا تكررت هذه التغيرات وتماثلت فلابد أن يكون هذا التكرار والتماثل خاضعًا لقانون صوتى يحكم هذا التكرار للظواهر الصوتية المتماثلة.

ومن هؤلاء الرافضين لوجود القانون الصوتى الدكتور أحمد مختار عمر حيث يقول: "وقد مر على اللغويين حين من الدهر اعتبروا فيه تغيرات أصوات اللغة نتيجة قوانين صارمة سموها القوانين الصوتية Phonetic Laws وتبعًا لهذه

---

(١) لغات البشر ٣٨.

(٢) التطور النحوى برجشتراسر، تر/ د. رمضان عبد التواب الخانجى ١٩٨٢م ص ٢٦.

(٣) لغات البشر: ٤٠، ٤١.

(٤) دراسات الصوت اللغوى: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٢/ القاهرة ١٩٨١م ٣١٧.

النظرة فإن الفونيم الواحد فى سياق صوتى معين فى لغة معينة لابد أن يلحقه نفس التغيير فى كل كلمات اللغة المعينة ولا استثناء لهذا إلا ما يحدث نتيجة القياس Analogy "وحتى من يقبل الآن مصطلح القوانين الصوتية يشترط عدم مقارنتها بالقوانين الطبيعية أو الكيميائية، بل يعتبرها قوانين من صنع البشر شبيهة بالقوانين السياسية والاجتماعية ثم يعرض علينا رأيه هو فى الظواهر الصوتية "وكيف يسميها يقول "ولكن اللغويين الآن يتحدثون فى صورة أكثر تواضعًا واعتدالاً حين يضعون الأمر فى صورة اتجاهات صوتية Phonetic Ten-dencies وليس فى صورة قوانين صوتية، فهناك اتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية هذه الاتجاهات تسرى على أغلب الحالات، فى حين أن كلمات معينة لأسباب متعددة تنجو من تأثير الاتجاهات المتحدث عنها أو تقاومها[1].

وقد لخص هذه القضية وهذا الجدال ماريوباى قائلاً "ومن المصطلحات المستعملة (القانون الصوتى Law Sound وهو يستعمل مع النظرية القائلة بأنه إذا حدث لأى تغيير صوتى أن صار فعّالاً فى منطقة معينة وزمن معين، فإنه يتوقع له أن يكون تأثيره عامًا، إلا إذا تدخلت عوامل أخرى أجنبية أما المعارضون لهذه النظرية فيؤسسون اعتراضهم على وجود تطورات متباينة فى كلمات كان يجب على أساس هذه النظرية أن تكون متماثلة، وهم لذلك يفضلون استعمال المصطلح "التغير الصوتى Sound Change ولكن المنادين بالنظرية الأولى يرددون قائلين بأنه فى مثل هذه الأحوال هناك عوامل معينة أدت إلى هذا التباين، مثل التأثيرات التعليمية أو الاقتراض الأجنبى، أو اللهجى أو القياس[2].

والحق أن التطورات الصوتية تختلف عن القوانين الطبيعية والتغيرات الكيميائية فى جانب مهم، وهو جانب الثبات، بمعنى أن القانون الصوتى قد يتغير بفعل قانون آخر أو يظهر فى اللغة قانون جديد يكون له فاعلية فى اللغة أكثر من سابقه، أو يدفع بسابقه إلى مرحلة جديدة من التطور؛ أمّا القوانين الطبيعية

---

(١) دراسات الصوت اللغوى: ٣١٧.

(٢) أسس علم اللغة: ماريوباى، تر/ د. أحمد مختار عمر. عالم الكتب. ط٢/. ١٩٨٣م القاهرة، ص ١٤٠.

والكيميائية إنما هى صفات ثابتة دائمة وخصائص غير متطورة لتلك الظواهر الطبيعية أو الكيميائية. ومن هنا جاء رأى المحايدين الذين يرون الأمر بوضوح فيذكرون أن التغيرات الصوتية التى تسمى عندهم بالقانون الصوتى لا ترقى إلى درجة القانون الطبيعى أو الكيميائى ولكنه فى مبدأ الأمر ومنتهاه (قانون) أى أنه تجميع لتغيرات صوتية متماثلة تمامًا ترقى من درجة القاعدة العامة إلى قانون أكيد صحيح، ولهذا لا يمكننا أن ننكر وجوده أو أن نوقف عمله. بقطع النظر عن لغات لا يعمل فيها هذا القانون ولغات أخرى ينطبق عليها هذا القانون تمامًا.

فيقول ماريوباى "ولعل الطريقة الوحيدة المناسبة لمواجهة هذه المشكلة هى التسليم بأن القوانين اللغوية لا يمكن أن ترقى بأى حال من الأحوال لمستوى الدقة العلمية الذى بلغته قوانين الطبيعة والكيمياء[1].. وعلى الرغم من وجود استثناءات لقوانين التغيرات الصوتية فإنها فى الغالب الأعم يمكن تطبيقها بشرط ألا يحاول الإنسان مقارنتها بالقوانين الطبيعية أو الكيماوية، بل يعتبرها قوانين من صنع البشر شبيهة بالقوانين السياسة والاجتماعية (إذ إن اللغة تعتبر نشاطًا إنسانيًا وليس عملاً حسيًا بحتًا) عندئذ يمكننا القول بأن غالبية الكلمات فى اللغة تخضع لهذا القانون مثلها فى ذلك مثل القانون الوضعى الذى يطبقه غالبية المواطنين ويخالفه البعض[2].

ويقول فندريس مؤكدًا ذلك "إن القوانين الصوتية لا تشبه حتى قوانين الطبيعة والكيمياء فالذى جمع بين حالين متتابعين فى لغة واحدة، إنما هو رباط تخلقه وليس رباطًا طبيعيًا، لذلك لا يمكن أن تعرف مقدمًا كيف يتطور هذا الصوت أو ذاك، لأنه يوجد دائمًا فى تطور الأصوات عدد يكثر أو يقل من العوامل غير المنظورة التى تنتج أثرها[3].

ثم يأتى الدكتور رمضان عبد التواب فيعطى القضية حكمها النهائى والدقيق فى قوله "ومن أجل ذلك كله يجب أن يؤخذ مصطلح (القانون الصوتى) بمعناه

---

(١) لغات البشر ٤٢.

(٢) لغات البشر ٤٠.

(٣) اللغة ٧٢.

الواسع لا بمعناه الدقيق كما فى ميادين العلوم الطبيعية، والكيميائية وما شابهها من العلوم[١] فالقانون الصوتى يجب أن ينظر إليه على أنه تجميع لتغيرات صوتية متشابهة تمامًا عممت إلى أن وصلت إلى درجة القانون. ولكن ليس بمعناه الدقيق أى بكل خصائص القانون الطبيعى أو الكيميائى. ولهذا "فهناك لغات تنطبق عليها قوانين التغيرات الصوتية بشكل يقرب من الدقة. كما أن هناك لغات أخرى يستحيل تقريبًا صياغة قوانين محددة للتغيرات الصوتية فيها[٢].

ولكن مع هذا يجب أن نؤكد حقيقة لغوية مهمة وهى أن هذا القانون الصوتى ليس من اللازم أن تخضع له كل الظواهر الصوتية "فهناك انقلابات صوتية لا تخضع للقوانين التى أشرحها هنا، بل تخضع لما يسمى بالعادة اللغوية لمنطقة ما Substrata ... وإن كان برجشتراسر يعلل ذلك بذوق العصر قائلاً وعلة أخرى هى ذوق العصر مثل ذلك فى اللغة العربية أن بعض أهل القاهرة كان استخشن نطق القاف واستغلظه فأبدله بالهمزة، وهذه العادة سادت بين أهل القاهرة الخاصة ثم العامة ثم سرت منها إلى بعض المدن الكبيرة كدمشق[٣].

وهناك انقلابات صوتية أخرى ليس إلا نتيجة لأخطاء السمع... إذ قد يخطئ الشخص البالغ فى السمع ويخلط بين بعض الأصوات بأصوات أخرى قريبة منها فى المخرج.... وإلى هذا السبب وهو الخطأ يرجع فى نظرى معظم أمثلة ما يسمى فى اللغة العربية مجالات "تعاقب الأصوات"[٤] ويوضح فندريس الشذوذ فى القانون الصوتى فيقول "وحالات الاستثناء" من التغيرات الصوتية أمر لا يستطيع تجنبه، ونحن نعرف منها عدة أمثلة كان سببها فى غالب الأحيان أن كلمات دخلت اللغة بعد ما توقف تأثير القوانين التى كانت تستلزم تعديلها فتلك مسألة استعارة ولها تاريخها فى ميدان الألفاظ المستعارة أى أنها ترجع إلى تأثيرات خارجية. "كثير منها أيضًا يرجع إلى تلك التأثيرات الداخلية التى

---

(١) التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه: د. رمضان عبد التواب الخانجى،ط١ ١٩٨٣م ص١٤.

(٢) لغات البشر ٤١.

(٣) التطور النحوى ٢٨.

(٤) لحن العامة والتطور اللغوى: د. رمضان عبد التواب،القاهرة. ١٩٦٧م ص ٣٦.

تتلخص فيما يسمونه القياس Analogy وينحصر القياس فى أن التغيير الذى يفرضه القانون الصوتى على كلمة من الكلمات قد يتوقف أو يعدل تحت تأثير كلمات أخرى من اللغة[١].

خصائص القوانين الصوتية:

يذكر لنا خصائص هذه القوانين الدكتور رمضان عبد التواب قائلاً:

١ - إنه غير شعورى، بمعنى أنه تلقائى غير متعمد ولا دخل فيه لإرادة الإنسانية.

٢ - إنه غير فردى وهذا عكس الاعتقاد القديم بأن جميع الظواهر الاجتماعية فردية المنشأ وتصبح اجتماعية عن طريق التقليد...

٣ - إنه يسير ببطء وتدرج فتطور الأصوات لا يحدث فجأة بين يوم وليلة وإنما يظهر أثره بعد أجيال.

٤ - إنه محدد بمكان معين فمعظم ظواهر التطور الصوتى يقتصر أثرها على بيئة معينة.

٥ - إنه محدد بزمان معين وهذا يعنى أنه قد ينتهى أثره بعد فترة من الزمن.

٦ - إنه مطرد .فالتطور الذى يصيب صوتًا من الأصوات يسرى على هذا الصوت فى جميع أحواله ويظهر أثره فى جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد الذين يوجدون فى هذه البيئة[٢].

يشير فندريس إلى إحدى فوائد القانون الصوتى التى تمس هذا البحث فيقول "بواسطة القوانين الصوتية يمكننا أن نصوغ فى بعض عبارات تاريخ الأصوات فى لغة من اللغات أو نكشف عن سر التغيرات التى أصابتها. وإذا عرفت من اللغة كلمة يبرر القانون صيغتها عرفت مقدمًا صيغة جميع الكلمات الأخرى التى تقع تحت طائلة هذا القانون وإذا كان هناك لهجتان صادرتان عن

---

(١) اللغة ٧٩.

(٢) التطور اللغوى ١٥ ـ ١٧.

لغة واحدة تبعًا لقوانين خاصة، فإن مظهرهما الصوتى يستعين بمعرفة هذه القوانين[1].

وبهذا يمكن استخدام القانون الصوتى لتفسير كثير من التغيرات الصوتية فى اللغة موضوع البحث أعنى العصر الفاطمى.

---

(١) اللغة ٧٩.

الفصل الأول

التغيرات التاريخية

لقد أصاب اللغة العربية فى العصر الفاطمى كثير من التغيرات التاريخية والتركيبية التى أثرت على اللغة أكبر التأثير، وقد ظهر هذا بوضوح فى اللغة بجميع مستوياتها، مما لاحظته، عند دراسة لغة هذا العصر موضوع البحث.

وفى البدء نعرف أن التغيرات الصوتية عامة تنقسم إلى قسمين كبيرين أولهما: التغيرات التاريخية، وثانيهما: التغيرات التركيبية "ونعنى بالتغيرات التاريخية تلك التغيرات التى تحدث من التحول فى النظام الصوتى للغة بحيث يصير الصوت اللغوى، فى جميع سياقاته صوتًا آخرا[1].

هذا العمل أطلق عليه ماريوباى مصطلح "إبدال الساكن consonant shift أو sound shift أو Lautverschi ebung وهو مصطلح يستخدم فى فقه اللغة الجرمانية ليشير إلى حلقتين متتابعتين من الإبدال، مثال ذلك: هنا جذر مفترض لكلمة هندية أوربية d-nt فى اللاتينية dentem، وفى اليونانية odont وفى السنسكريتية donta صار أولا t-nth (فى الأنجلوسكسونية tonth وفى الانجليزية المتأخرة tooth) ثم تغير ثانيا إلى صورة تظهر فى الألمانية، وأخذت شكل z-nd التى كانت فى الألمانية القديمة zand ثم صارت أخيرا فى الألمانية الحديثة zohn.[2]

(١) التطور اللغوى ١٧.

(٢) أسس علم اللغة ١٥٠.

وهى التى أطلق عليها برجشتراسر التغير الاتفاقى للأصوات حيث يقول "فمن التغيرات الاتفاقية للحروف ما ينقلب فيه صفة واحدة للحروف نحو كلمة "نزع" يقابلها فى العبرية `nasa بالسين. فنرى من ذلك أن أصل الزاى سين مهموسة. صارت مجهورة، وكلمة سلب التى هى فى العبرية salap بالفاء الناشئة عن الباء حسب قوانين الأصوات السائدة فى اللغة العبرية فصارت الياء باء فى العربية ومثلها كلمة بذر وهى فى العبريةPazar [1].

ثم يعرض لنا أمثلة كثيرة للتغير الاتفاقى للأصوات بين العربية السامية من أكادية وعبرية ليؤكد وجود تلك التغيرات فى الأصوات حتى إنه يثبت وجودها بين أصوات العربية نفسها ثم يتحدث عن تبادل مجموعة أصوات فى العربية تعرف بحروف (منلر) وهذه الأصوات الغالب على نطقها كلها الصوت الناشئ عن اهتزاز الأوتار الصوتية فى الحنجرة لهذا السبب كثيرًا ما يستبدل بعضها من بعض أو تقدم أو تؤخر[2].

ويتحدث ماريوباى عن التطور التاريخى للأصوات فيقول "ومن الناحية التاريخية يوجد... عديد من الحالات التى تم فيها اندماج صوتين، معًا أدى إلى إعادة التوزيع الفونيمى وحتى من الناحية الوصفية، وبالنظر إلى فترة زمنية واحدة يتم هذا ففى أمريكا يميل بعض المتكلمين إلى نطق الـ t والـ d الواقعتين بين علتين فى wodding wtting بين بين، فيلتقيان فى نقطة يصعب على السامع أن يميز بينهما إذا نطقتا معزولتين، وهنا يأتى فى العادة دور السياق لينقذ السامع من الاضطراب ويساعد على توصيل الرسالة بصورة صحيحة[3].

وهذا العمل الذى يحدث غالبًا بين الأصوات المتجانسة أو المتقاربة من حيث المخرج أو الصفات قد أورد لنا أمثلة على حدوثها فى العربية الدكتور رمضان عبد التواب عند حديثه عن التغيرات الصوتية التاريخية، مثل تطور الباء المهموسة (p) فى اللغة السامية الأم إلى (فاء) فى اللغات السامية الجنوبية وهى

---

(١) التطور النحوى ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) التطور اللغوى ١٨، ١٩.

(٣) أسس علم اللغة.

العربية والحبشية، وقد بقى الأصل كما هو فى اللغات السامية الشمالية، ويعد صوت الجيم فى العربية مثالاً طيبًا للتغيرات التاريخية فى الأصوات.. فمن التغيرات التاريخية لهذا الصوت، انحلاله إلى أحد عنصريه المكونين له فى اللهجات العربية الحديثة، إذ ينطبق كالدال فى صعيد مصر، فنرى أهالى مدينة (جرجا) مثلاً يسمون مدينتهم (دردا) كما يقولون (دمل وداموسة) فى جمل وجاموسة غير ذلك، المكون الثانى للجيم وهو الشين (شمل) فسمعه جيد فى نطق الشوام هذا الصوت، وهو ما نسميه (بالجيم الشامية)[1].

ثم تحدث عن باقى التغيرات التاريخية لهذا الصوت، كذلك صوت القاف فهو يقول عنه" وصوت (القاف) كذلك من الأصوات التى عانت كثيرًا من التغيرات التاريخية فى العربية فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ينطق برفع مؤخرة اللسان، والتصاقها باللهاة لكى ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ثم يزول السد فجأة.... [2].

وقد أشار الدكتور عبد العزيز مطر إلى وجود هذا النوع من التأثير بين الأصوات المتقاربة فى المخرج فقال "من الظواهر اللغوية المقررة عند اللغويين القدماء والمحدثين، وقوع الإبدال بين الأصوات المتقاربة مخرجًا أو صفة، وهو تطور طبيعى فى أصوات كل لغة وهو فى العربية كثير مشهور على حد قول ابن فارس "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون: مدحه، ومدهه وفرس ورفل ورفن وهو كثير مشهور قد ألف فيه العلماء، وفى كتب لحن العامة كثير من الكلمات التى نبه المؤلفون على خطئها، عند التحقيق يتبين أن ثمة صلة صوتية طبيعية بين الكلمة الأصلية وبديلتها الملحونة، وأن القوانين الصوتية تجيز ما حدث فيها من تطور نتيجة لقرب المخرج، أو الاشتراك فى الصفة[3].

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى جهود الدكتور إبراهيم أنيس فى هذا الباب فقد جعل للتطور التاريخى للأصوات فصلاً مستقلاً من كتابه الأصوات

---

(١) التطور اللغوى ١٨، ١٩.

(٢) التطور اللغوى ٢١.

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٢٦٩، ٢٧٠.

اللغوية ناقش فيه الظاهرة، وأتى فيه بنتائج طيبة، يقول الدكتور أنيس "اتضح لنا فيما سبق أن القاف والطاء كما وصفت لنا كتب القراءات قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى النطق الحديث الشائع بين قرائنا الآن فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال وأصبحنا الآن لا نفرق بين الدال والضاد إلا فى الإطباق كما أن كلاً من القاف والطاء القديمتين فقد أصبحتا مهموستين فى نطقنا الحديث بعد أن كانتا مجهورتين وهذا النوع من التطور التاريخى الذى قد يعرض للأصوات اللغوية، من التطور التاريخى حتى صارت إلى النطق الحديث فى لغة الكلام الآن... قد تطورت الجيم العربية الفصيحة إلى الجيم القاهرية الخالية من التعطيش.. والظاء العربية ينطق بها أحيانًا ضادًا وأحيانًا زايًا مطبقة.. ولا بأس من ذكر بعض الأمثلة التى رواها النحاة وأصحاب المعاجم:

أمغرت الشاة	= أنغرت	رفل	= رفن
أصيلالا	= أصيلانا	اضطجع	= الطجع
عصيكا	= عصيت	استخذ	= اتخذ...

فإذا أضيف إلى هذا ما رواه القدماء عن عنعنة تميم وقطعة طيء وكشكشة أسد وشنشنة اليمن.. رأينا الأمر أكبر من أن نتعرض له بالتفصيل وأولى به بحث خاص فى اللهجات العربية القديمة، ليتضح لنا أمور ثلاثة:

١ ـ الصوت الأصلى وما تطور إليه.

٢ ـ الأصوات التى ترجع اختلاف النطق بها لاختلاف البيئات وليس بينها أصل أو فرع.

٣ ـ الكلمات التى تشابهت أصواتها لمجرد المصادفة ولا علاقة بينها.

الناحية الاشتقاقية[1]:

وقد لاحظنا كثيرا من التغيرات الصوتية التاريخية التى استخدمت على

---

(١) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ط/ ٦الأنجلو، القاهرة،١٩٨١م ص ٢٠٧، ٢٠٨، ١٠٩، ١٠١ بتصرف.

المستويين العامى والفصيح، فقد وردت هذه التغيرات فى بعض البرديات العربية التى جاءت على ألسنة العامة، وكذلك فى بعض كتب المؤرخين فى ذلك العصر، وكتب الآباء البطاركة، وأقباط هذا العصر، وهذه التغيرات الصوتية غالبًا ما تحدث بين الأصوات متقاربة المخرج كالذى يحدث بين الأصوات الأسنانية والأصوات الأسنانية اللثوية أو بين الأصوات الحلقية والأصوات الحنجرية، أو بين الأصوات الشفوية والأصوات الشفوية الأسنانية.

أولاً: الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية:

وهى الثاء والذال والظاء، وقد اصطلح القدماء على تسمية هذه الأصوات باللثوية، فقد عدها الخليل بن أحمد أصواتًا لثوية وقال:" لأن مبدأها من اللثة وكذلك ابن يعيش فالذال: صوت رخو مجهور مرقق، وهو نظير التاء والثاء صوت رخو مهموس مرقق ولا فرق بين الذال والثاء إلا أن الثاء صوت مهموس لا يتحرك معه الوتران الصوتيان فالذال إذًا صوت مجهور نظيره المهموس وهو الثاء.

أما الظاء: فإنها نظير الذال المفخم أى أنه صوت رخو مجهور مفخم ينطق بالطريقة نفسها التى ينطق بها الذال مع فارق واحد، وهو أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق مع الظاء ولا ترتفع مع الذال[1].

هذه هى الأصوات الأسنانية، وصفاتها، ونقاط تشابهها بعضها مع بعض.

أمّا الأصوات الأسنانية اللثوية:

فهى الصاد والدال والطاء والزاى والتاء والسين والضاد.

أما الدال: فإنها صوت شديد مجهور مرقق، ينطبق بأن تلتصق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا، التصاقًا يمنع مرور الهواء ورفع الطبق ليسد التجويف الأنفى، مع ذبذبة الأوتار الصوتية، وبقاء مؤخرة اللسان فى وضع أفقى، ثم يزال السد بانخفاض مقدمة اللسان، فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج.

---

(١) المدخل إلى علم اللغة: رمضان عبد التواب، ط/ ١ الخانجى القاهرة ١٩٨٢م، ص٤٤، ٥٤.

أما الضاد: فإنها حسب نطقنا لها الآن، تعد المقابل المفخم للدال، أى أنها صوت شديد مجهور مفخم ينطق بنفس الطريقة، التى ينطق بها الدال، مع فارق واحد، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق فى النطق بصوت الضاد، وعلى هذا فالضاد العربية هى المقابل المطبق للدال.

أما التاء: فهى نظير الدال المهموس، أى أنها صوت شديد مهموس مرقق ينطق بنفس الطريقة التى يتم بها نطق صوت الدال، مع فارق واحد، وهو عدم إعمال الأوتار الصوتية فى التاء وتركها تهتز وتتذبذب مع صوت الدال.

أما الطاء: فهى كما ينطق بها اليوم، تقابل التاء فى الترقيق والتفخيم، أى أنها صوت شديد مفخم، ولا فرق بينهما إلا فى أن مؤخرة اللسان ترتفع نحو الطبق عند نطق الطاء، ولا ترتفع نحوه فى نطق التاء.

وأما الزاى: فهى صوت رخو مجهور مرقق، يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا مع رفع الطبق اتجاه الحائط الخلفى للحلق، فيسد المجرى الأنفى، ويتم كل هذا مع وجدود ذبذبة فى الأوتار الصوتية.

أما السين: فإنها نظير الزاى المهموس، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق، لا يفترق عن الزاى فى نطقه، إلا فى أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاى ولا تهتز معه.

أما الصاد: فإنها نظير السين المفخم. وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس، ينطق كما ينطق السين، مع فارق واحد، هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق[1].

هذه الأصوات الأسنانية اللثوية والأصوات الأسنانية التى يحدثنا عنها يحدث بينها تبادل وتداخل فى لغة العامة فى العصر الفاطمى.

إن الشىء الذى يحدث بكثرة على ألسنة العامة فى مصر فى العصر الفاطمى ويمتد إلى العامية المعاصرة، ويعد تغيرًا تاريخيًا حيث يدخل إلى هذه الأصوات

(١) المدخل إلى علم اللغة ٤٦، ٤٧.

فى كل الاستخدامات اللغوية؛ هو تحول الأصوات الأسنانية إلى الأصوات القريبة منها فى المخرج وهى الأصوات الأسنانية اللثوية فى كل كلام العامة فى مصر قديما وحديثا، ويعلل هذا بقانون السهولة والتيسير، الذى يفسر هذا بكسل اللسان عن الوصول إلى خارج الأسنان، عند النطق بها فيميل بذلك إلى تحول هذه الأصوات إلى أخرى قريبة لها فى المخرج.

هذا على مستوى بيئة لغوية واحدة من بيئات اللغة العربية المختلفة وهى البيئة المصرية مما يعنى أنها فى بيئات أخرى غير مصر كانت تنطق هذه الأصوات كما تنطق فى العربية تمامًا، وهذا يؤكد ما قلناه من قبل من أن القانون الصوتى مرتبط ببيئة معينة وزمان معين، فهو ليس عاما فى كل البيئات اللغوية ففى اللهجة العمانية المعاصرة لاحظت تحول الضاد إلى ظاء، فيقولون فى مثل: مضر ?مظر، ويقولون فى الصلاة: ولا الظالين، أى ولا الضالين. فأين عمل قانون السهولة والتيسير، الذى يفسر تحول الأصوات الأسنانية فى العامية المصرية إلى أصوات أسنانية لثوية؟! بل إننا نجد فى العامية المصرية الفاطمية أمثلة تخالف هذا القانون كما سنرى فيما سنذكره من حالات التحول الصوتى، هذا يعنى عدم شمول القانون على كل الكلمات التى بها.

هذا قول فى سبب اختفاء الأصوات الأسنانية فى عربية مصر قديمًا وحديثًا، ولكن هنا قول آخر، وهو أن هذا الأمر يرجع إلى عدم وجود الأصوات الأسنانية فى اللغة القبطية التى كان يتكلمها المصريون قبل الفتح، وهذا يتضح من مراجعة كتب اللغة القبطية ومعاجمها، فقد رجعت إلى معجم "مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية لاقلوديوس لبيب" وكذلك كتاب "الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين لعبد المسيح المسعودى "فلم أجد سوى صوت "ثيطا" الذى يشبه الثاء العربية ويشبه فى الإنجليزية صوت " "th" وقد وجدت فى كتاب اللهجة العامية وجذورها المصرية لمؤلفه سامح مقار قوله بهامش ص ١٩٤ عن هذا الصوت "وجدت فى بعض كلمات الدولة الوسطى مستبدلة بالتاء"[1] وهذا

---

(١) اللهجة العامية وجذورها المصرية: سامح مقار، مكتبة مدبولى القاهرة ٢٠٠٥م، ص١٩٤.

يعنى تخلص العامية المصرية القديمة من هذا الصوت بتحويله تاء كما يحدث فى العامية المعاصرة.

وهذا الأمر يوضح بدقة لماذا تهرب العامية المصرية من هذه الأصوات، فتحولها إلى أصوات أخرى وهذا ما أعنيه بالمذاق الخاص بالعربية المصرية فى جانب الأصوات، فهنا هروب من تلك الأصوات لعدم تكيف الجهاز الصوتى للمصريين مع هذه الأصوات، وبالتالى عدم القدرة على نطقها،لأنها أصوات دخيلة على أصواتهم القبطية، ومثل ذلك قلب القاف همزة لهذا السبب.

وقد يحدث العكس، وهو تحول الأصوات الأسنانية اللثوية إلى أصوات أسنانية، فهذا يدخل ضمن مرحلة التحول من القبطية إلى العربية وما يعتريها من تخبط أحيانا وتحذلق فى أحيان أخرى، فالكاتب غير العربى يكتب كيفما تيسر له بأقرب الأصوات إلى سمعه وفهمه وعلمه بقواعد الكتابة العربية، وهو فى ذلك لم يزل حديث عهد بالعربية، فلما استقرت قواعد الكتابة لدى عامة المصريين بدءوا فى الانقسام إلى جماعات مختلفة: منهم من يكتب العربية الفصيحة ومنهم من يكتب كما ينطق، ومنهم من يحاول الجمع بينهما ومنهم من يتخبط ويتحذلق محاولاً الجمع بينهما فى كتابته، وهو ما يفسر لنا ما نراه فى البردية الواحدة أحيانا من تخبط فى الكتابة بالجمع بين صورتين للكلمة الواحدة.

وإليك أمثلة فى العامية الفاطمية للتحول الصوتى التاريخى:

١ ـ الضاد تبدل بالظاء أو بالدال:

تتشابه كل من الدال والضاد ولهذا فيمكن أن تحل محل الضاد" فهى لا تختلف عن الدال فى شىء سوى أن الضاد أحد أصوات الأطباق، فعند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذًا شكلاً مقعرًا، كما يرجع إلى الوراء قليلاً[١].

---

(١) الأصوات اللغوية: ٤٨.

وقد ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال قوله "ولا يخدع أسقف أورشليم لغيره من الأساقفة.... بل يكونوا فى كل شىء خاظعين للرووسا[1] أى لا يخضع، يخدع قلب الضاد فصارت دالاً.

أما الظاء فقد تخلط بالضاد لما بينهما من تشابه فكل منها صوت مجهور مفخم مخرجهما متقارب، ولهذا يحدث بينهما تبادل. كما ورد فى المثال السابق من المجموع الصفوى قوله "بل يكونوا فى كل شىء خاظعين للرووسا أى خاضعين فأبدلت الظاء مكان الضاد، وكقوله أيضًا "وقد يفسد فى الحال الحاظر أى الحاضر.

وكما ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح الأرمنى قوله "واستمر على طغيانه وتمسك بظلالة شيطانه"[2] وقوله هذا بظلالة، أى بضلالة وأيضًا قوله "فأنت ظال عن المؤمنين أى ضال فصارت ظال. وقوله "ما كان عليه من الظلالة والكفر[3] أى الضلالة وفى منامات الوهرانى ورد قوله "إذا أخذه النافظ البلغى[4] أى النافض وفى البرديات العربية ورد قوله "١١ ـ بأمره ومحظره وعبد الجبار[5] أى بأمره ومحضره فأبدلت الضاد بالظاء فصارت محظره ثم سقطت نقطة الظاء من الكاتب فصارت محطره وفى التعليق على البردية ورد قوله "١١ـ كلمة" وبمحطره "كتب خطأ، وصحتها" وبمحضره.

الضاد (محضره)، ظاء (محظره)

يؤكد التشابه الحادث بين الضاد والظاء الدكتور إبراهيم أنيس قائلاً: ولا يزال العراقيون حتى الآن، وبعض البدو ينطقون بنوع من الضاد يشبه إلى حد ما

---

(١) المجموع الصفوى: لابن العسال، معهد الدراسات القبطية بالقاهرة، ب. ت.

(٢) تاريخ أبى صلح: لأبى صالح الأرمنى، ط/المطبعة المدرسية المسيحية، فى أوكسفرد ١٨٩٤م ص ١٤، ١٥، ١٣٧.

(٣) المنامات الوهرانى:محمد بن محمد بن محرز الوهرانى، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، ١٩٦٨م القاهرة ص ٢٩.

(٤) البرديات العربية: Arabic papyri محفوظة بدار الكتب المصرية،السفر الثانى ص ١٠٨ بردية ٩٨.

(٥) الأصوات اللغوية ٤٩، ٥٠.

الظاء، كما يشبه إلى حد كبير ذلك الوصف الذى روى لنا عن الضاد القديمة"[1] وهناك مثال أخير على ذلك هو "ويرشم أعظاهم" أى أعضاءهم.

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس: إن الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالى الأقطار التى فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية فى شبه الجزيرة"[2] وهذا القول يشمل مصر أيضًا، وهو يؤكد ماقلته من قبل من عدم وجود بعض الأصوات العربية فى القبطية جعلهم يبدلونها بأصوات أخرى،ومن بينها الضاد فهى لا توجد أيضا فى اللغة القبطية، ولهذا يبدلونها دالاً أو ظاءً، فتصبح الظاء الأسنانية أخف وطأة على ألسنتهم من الضاد فهى عصية عليهم كما قال د. إبراهيم أنيس.

٢ ـ إبدال الطاء مكان الدال:

والطاء تتشابه مع التاء فى كل شىء غير أن الطاء أحد أصوات الإطباق فالطاء كما ينطق بها الآن صوت شديد مهموس يتكون كما يتكون التاء، غير أن وضع اللسان مع الطاء يختلف عن وضعه مع التاء، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلاً مقعرًا منطبقًا على الحنك الأعلى ويرجع إلى الوراء قليلاً"

وقد أبدلت الدال مكان الطاء فى قول ابن العسال "ومن قيل المعمورية من الهرادقة"[3] أى الهراطقة، الهرادقة.

وعن إبدال الطاء يقول الدكتور عبد العزيز مطر[4] الطاء الدال: "الطاء المهجورة ـ كما وصفها القدماء ـ مقاربة للدال فى المخرج والشدة والجهد ولا فرق بينهما إلا أن الطاء صوت مطبق نظيره المنفتح هو الدال كما يدل قول سيبويه[5]

(١) الأصوات اللغوية: ٤٩.

(٢) المرجع السابق: ٥٠.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٤) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط ١٩٨١، ٢م القاهرة، ص ٢٧٦.

(٥) الكتاب: لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجى القاهرة، ط ١٩٨٨، ٣م، ص ٢/ ٤٠٦.

لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس فى شىء من موضعها غيرها، وروى عن إبدال الطاء والدال قول الأصمعى: يقال لما اطمأن من الأرض وهطة،وهى لغة فى: وهدة ومَطَّ حاجبيه ومدهما"[1] والمعروف أن الهراطقة معناها البدعة والشيعة يقول طوبيا العنيسى الهراطقة يونانى airesis معناها بدعة وشيعة[2] وهذه الطاء أصلها تاء فى اللاتينية "الطرق والهرطوقى المنشق عن عقيدة ما Heretic [3] وترجمت فى العربية طاء ثم دال فى المصرية.

٣ ـ إبدال السين مكان الصاد وإبدال الصاد مكان السين:

إذا كانت السين هى نظير الزاى المهموس لأنها صوت رخو مهموس مرقق فإن الصاد هو نظير السين المفخم فهو صوت رخو مهموس وكل من السين والصاد صوت أسنانى لثوى أى ذات مخرج واحد، ومن هنا كان الخلط بينهما.

فقد ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح قوله "ويقربون لهم العصل الطرى وفريك السبيل[4] أى العسل الطرى، العصل الطرى، ففى القاموس "العسل محركة حباب الماء إذا جر ى ولعاب النحل أو طل خفى يقع على الزهر وغيره فيلتقطه النحل[5] وهذا دليل على الخلط بين الصاد والسين.

كذلك ورد فى قول ابن ميسر فى أخبار مصر" ونهب دوره واسطبلاته[6] فجعل الأصطبل بالسين والوارد فى هذه الكلمة بالصاد وفى المصباح المنير ورد قوله "الأصطبل للدواب معروف عربى وقيل معرب وهمزته أصل لأن الزيادة لا تلحق بنات الأربع من أولها إلا إذا جرت على أفعالها والجمع اصطبلات[7] وفى

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ٢٧٦.

(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية: طوبيا العنيسى، دار العرب القاهرة ١٩٦٤م، ص ٧٥.

(٣) المورد ٤٢٣.

(٤) تاريخ الشيخ أبى صلح ١٣٦.

(٥) القاموس المحيط: الفيروزآبادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ص٤/ ١٥.

(٦) اخبار مصر: لابن ميسر، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى ١٩١٩م، ص٥٥.

(٧) المصباح المنير: لأحمد بن على المقرى، دار المعارف المصرية ١٩٧٧م ص ١٦.

القاموس "الأصطبل كحردجل موقف الدواب شامية"[1] والشىء الغريب أنه ذكرها فى موضع آخر من تاريخه بالصاد لا بالسين عندما قال "ومن الخيل التى فى اصطبلاته"[2].

وقد حدث خلط آخر فى كتاب تاريخ الشيخ أبى صلح فى قوله "وذكر أنه كان منها طريق إلى جزيرة قبرس.. أسقف قبرس[3] والمعروف أن جزيرة قبرص بالصاد لا بالسين أى أبدلت السنين مكان الصاد، وأيضًا ورد قوله "وهى قريبة من سجن يوسف السديق ابن يعقوب[4] أى الصديق، وقد ورد فى قوله المسبحى "وفساد الدقيق وأخلاطه بالطفل المصحون[5] والحصن كما فى القاموس هى: "صحن والتصحن السؤال والصحن جوف الحافر العس العظيم وسط الدار... والصحنة بالضم جوبة تتجاب فى الجرة وناقة صحون كصبور رموح[6].

ولكن السحن فيه هى "الحسناء" يحركان لين البشرة والنعمة والهيئة واللون... وساحنة نظر إلى سحنائه والمساحنة الملاقاة وحسن المخالطة، والمعاشرة، وكمكنة الصلاة والتى تكسر بها الحجارة وسحن كمنع ذلك الخشبة حتى تلين والحجرة كسرة[7].

وفى المنجد "سحن سحنا الحجر كسره وسحن الخشبة: ولكنها حتى تنعم أو تلين وسحن الشىء دقة المسحنة فى مساحن: ها تكسر به الحجارة[8].

ومن هذا كله نرى أن هذه الكلمة صوابها بالسين لا بالصاد وهذا مما خلط فيه المؤلف بين الصاد والسين. وكذلك ورد فى كتاب المسبحى قوله "وفى يوم

---

(١) القاموس المحيط ٣/ ٣١٨.

(٢) أخبار مصر: ٥٠.

(٣) تاريخ أبى صلح: ٦٢.

(٤) المرجع السابق: ٨٧.

(٥) أخبار مصر: ١٩٦.

(٦) القاموس المحيط ٤/ ٢١٤/ ٢٣٣.

(٧) القاموس المحيط:٤/٢١٤ ٢٣٣/.

(٨) المنجد فى اللغة والأدب والعلوم: لويس معلوف، ط١٩، بيروت لبنان، ص ٣٧٠.

الثلاثاء لخمس منه، كان ثالث الفسح ويسمى عند النصارى يوم عيد القليلة[١] فقد خلط الكاتب بين الصاد والسين فكلمة الفسح فصوابها بالصاد، فقد ذكر صاحب القاموس المحيط قوله "الفصح... والنصارى جاء فصحهم بالكسر أى عيدهم[٢] وفى المنجد "الفصح عند النصارى: عيد تذكار السيد المسيح الفادى من الموت فصح اليهود عيد تذكرهم خروجهم من مصر وهو تعريب فسح بالعبرانية معناه اجتاز وعبور أو نجاة[٣] فعيد الفصح بالصاد لا بالسين.

وقد ورد فى البرديات العربية قولهم "وسمويل بن شنودة[٤] والصواب صموئيل وقوله فى نفس البردية" ٣ ـ اشترى منه سفقة واحدة وعقد واحدة[٥] وفى موضع آخر من السفر: "سفقة واحدًا وعقدًا واحدا"[٦].

وفى هذه الكلمة سفقة خلط بين السين والصاد، ولكن يبدو أن هذا الخلط راجع إلى أنها كانت تستخدم بالصاد والسين للدلالة على معنى واحد أو متقارب ومن هذا ما ورد بالقاموس المحيط قوله "سفق الباب رتاه.. وأعطاه سفقة يمينه بايعه، واشتراهما فى سفقة واحدة بيعه[٧] فهنا وردت هذه الكلمة للدلالة على البيع، والمبايعة بالعهد، ولكننا نجده فى هذا الباب نفسه فى مادة القاف يقول: الصفق: الضرب يسمع له صوت وصفق له بالبيع سيصفقه. وصفق يده بالبيعة وعلى يده صفقا وصفقة ضرب يده على يده وذلك عند وجوب البيع والاسم الصفق[٨] أى أن صفق بالصاد وتستخدم عند وجوب البيع والشراء وبعامة فإن كلمة سفقة وصفقة قد استخدمتا فى موقف واحد وهو عمل البيع والشراء. وقد حدث هذا الخلط منذ القدم فإحدى الصورتين أصل، والأخرى تطور لها. وقد

(١) أخبار مصر٣٩.
(٢) القاموس المحيط ٤٠/٣.
(٣) المنجد ٥٨٥.
(٤) السفر الأول بردية ٥٨ س ٢.
(٥) السفر الأول ١٧٨ بردية ٦٢.
(٦) المرجع السابق ١٧٣ بردية ٦١.
(٧) القاموس المحيط ٢٤٥/٣، ٢٣٨/٣، ٢٣٨/٣.
(٨) المرجع السابق ٢٣٨/٣.

ذكرناها هنا لنؤكد أن الظاهرة المتطورة قد توجد إلى جانب الصورة الأصلية فهى مرحلة يتعادل فيها القديم مع الجديد، ثم يسود الجديد وبعد ذلك تبقى آثار للقديم تعرف بالركام اللغوى.

ومن هذا كله فقد حدث ذلك الخلط الشديد بين السين والصاد فى مواضع كثيرة كما رأينا وتعليل هذا كما سبق هو أن الصاد هو نظير السين المفخم لا يفرقهما إلا أن الصاد ترتفع معها مؤخرة اللسان ناحية الطبق. ويقول عن هذا التشابه بين الصاد والسين الدكتور عبد العزيز مطر: "الصاد صوت رخو مهموس يشبه السين فى كل شىء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق وإلى ذلك يشير سيبويه بقوله "لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينًا.. الخ ولهذه الصلة وردت فى اللغة كلمات كثيرة بالسين مرة وبالصاد أخرى بغير اختلاف فى المعنى ومنها: القس والقص، عظم الصدر ماء سخن وصخن السقر والصقر... [1].

هذا الخلط بن الصوتين راجع للتشابه التام بينهما، فلا يوجد فرق - كما ذكرنا آنفا - سوى فى رفع مؤخرة اللسان مع الصاد وعدم رفعها مع السين، ويبدو أن هذا الفارق لم يشعر به كثير من المتكلمين بالعربية منذ عهودها السحيقة، ولهذا نجد هذا الخلط لديهم أيضا، كما ذكرت لنا المعاجم العربية، ومن الطبيعى أن نجده لدى الأقباط والمولدين فى البلاد العربية قديمًا وحديثًا.

٤ - إبدال السين ثاء:

وقد تحل الثاء مكان السين كما فى تاريخ البطاركة يقول سمعنا ثابقا هارقا[2] والإبدال هنا من السهل إلى الصعب فالسين صوت أسنانى لثوى.. ولكن الثاء صوت أسنانى، فبقانون الجهد الأقل أو السهولة والتيسير تتخلص اللغة من الأصوات الأسنانية لأنها تحتاج إلى مجهود أكثر من غيرها، فتسهل الثاء إلى التاء أو السين. ولكن أن تتحول السين نفسها إلى ثاء، فهذا راجع إلى علة أخرى،

(١) لحن العامة فى ضوء التطور اللغوى: د عبد العزيز مطر، دار المعارف،ط٢ ١٩٨١م ص ٢٨٨.
(٢) تاريخ البطاركة الكنيسة المصرية: ساويرس بن المقفع جمعية الآثار القبطية ب ت ص١/١٧١.

وهى ما يعرف بالحذلقة والتفصح، فالكاتب هنا يريد أن يثبت فصاحته فوجد أن كلمة "سابقًا" مستخدمة لدى الناس بالسين فظن أن هذا من تأثير العامية ويجب أن تعود إلى أصلها وهو الثاء فكل سين فى رأيه هى ثاء فى الأصل "فنطقها وكتبها بالثاء، وقد أشار إلى ذلك الدكتور رمضان عبد التواب فى قوله "الحذلقة والمبالغة فى التفصح والتقعر فى الكلام كلها اصطلاحات من وضعنا نحن لما يقابلها فى اللاتينية كلمة Hyperurbanismus وفى الإنجليزية كذلك كلمة Over Correctness وهو مصطلح اتخذ لدى علماء اللغة، للصيغ التى تنتج بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية ممن لا يجيدها، فهو يحاول أن يرُدَّ العامية التى يتحدث بها إلى نمط اللغة الأدبية[1] وقد أشار فندريس إلى هذه الظاهرة عندما قال "وما يسمى الإسراف فى المدنية هو المبالغة التى تؤدى إليها ولع صحة الكلام عند من يفخر بجمال العبارة كالذى حدث أن فلاحًا إيطاليًا أراد أن يتكلم لاتينية روما، وكان يعرف أن حركة (O) الطويلة فى لهجته يقابلها غالبًا الـ (au) Diphtongye فى لغة العاصمة فراح يقول plaustrum (بلوستروم) بدلاً من plostrum (عربة) cauda كودا بدلاً من Coda و Plaudere بلودير بدلاً من plodere بلودير، ذلك هو الإسراف فى المدنية فحركة الـ (O) هنا أقدم من الناحية الاشتقاقية[2] ويقول ماريوباى "وهناك مصطلح المبالغة فى التصويت Over correction ويعنى العملية العقلية التى تؤدى ببعض الناس إلى أن يقولوا Between you and I لأنهم على وعى إدراكى بالتعبير It's me أو أن يقولوا He speke with you and I لأنهم يخافون من النقد الموجه للعبارة You and me never went there[3].

كل هذا يجعلنا نؤمن بأن إبدال الثاء مكان السين فى هذه الكلمة مرجعه إلى التفصح من الكاتب والمبالغة فى ذلك. ويذكر لنا الدكتور عبد العزيز مطر تأكيداً لهذا الاتجاه الذى سرنا إليه فيقول: "والأمثلة التى ذكر أنهم يقولونها بالثاء وهى

---

(١) التطور اللغوى ٧٩.

(٢) اللغة ٨٠.

(٣) أسس علم اللغة: ١٥٩.

بالتاء كقولهم: ثفل، وقد اشترك فيه أهل صقلية وبغداد وقول عامة صقلية ثيثل والرثيلى، ومرثات.. وهذه كلها ذكرها ابن مكى فى باب التصحيف. هذه الأمثلة يفسر تطورها بأنه: إما أن يكون محاولة لإظهار الفصاحة من بعض الخاصة الذين خفى عليهم اللفظ العربى الأصلى، فلم يميزوا أهو بالتاء أم بالثاء، فاختاروا الثاء وهى الأصعب لأنها مظهر من مظاهر الفصحى، وإما تكون هذه الأمثلة وقعت فى بعض النصوص وقرئت مصحفة[1].

٥ ـ إبدال التاء مكان الدال:

فالتاء نظير الدال المهموس أى أنها صوت شديد مهموس مرقق ينطق بنفس الطريقة التى يتم بها نطق صوت الدال مع فارق واحد هو عدم إعمال الأوتار الصوتية فى التاء، وتركها تهتز وتتذبذب مع صوت الدال[2]، فالتاء والدال: كلاهما صوت أسنانى لثوى ومخرجهما واحد عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا والفرق بينهما أن الدال صوت مجهور نظيره المهموس هو التاء. ومن إبدالهما ما روى عن ابن السكيت "مد فى السير ومت، والذى والتى، لدى الثوب، وسبنتى وسبندى للنمر[3].

وورد فى البرديات العربية قوله" ٦ ـ الكتاب وأعلنك أنى أختها لنفسى بهذا الثمن[4] أى أخذتها لنفسى فحدث تحول الذال الصوت الأسنانى إلى دال ثم تحولت الدال لنظيرها المهموس هو التاء فصارت أختتها ثم أدغمت التاء فى التاء فصارت أختها.

وقد تم هذا كما فى هذا الشكل: أخذتها، أخدتها، أختها.

التحول فى صوت الذال، يتحول إلى صوت الدال ?تتحول إلى التاء.

---

(١) لحن العامية فى ضوء الدراسات اللغوية ٢٧٥.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٦.

(٣) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطى، دار إحياء الكتب، ١٣٢٦هـ، ١/ ٤٦٤.

(٤) السفر السادس ٧٥، البردية ٣٨٩.

ثانياً: الأصوات الحلقية:

وهى أصوات رخوة، أى يسمع لها نوع من الحفيف عند النطق بها وهى العين والخاء، والهمزة، والغين والحاء والهاء كما يذكرها د. إبراهيم أنيس أما د. رمضان عبد التواب فما يعرف بالأصوات الحلقية فى رأيه هى العين والحاء، أما الهمزة والهاء فهى أصوات حنجرية وهذه الأصوات عند أصحاب القراءات هى أصوات أقصى الحلق والعين والحاء هما عند الدكتور رمضان عبد التواب أصوات طبقية والعلة فى هذا الاختلاف هو تحديد موضع المخرج أو ماذا يقصد القدماء بهذا المصطلح "الحلق" ولهذا قال الدكتور تمام حسان "يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد الموقفين، ينبنى كل منهما على طريقة فهمهم للاصطلاح"حلق" فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح فى أذهانهم مطابقًا لما نفهمه الآن، فهم ولا شك مخطئون فى القول بأن صوت الغين يخرج من الحلق، أما إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له حتى ليشمل ما بين مؤخرة اللسان والطبق، فلا داعى للقول بخطئهم[1] إذن فالعلة كما قلنا هى تحديد موضع المخرج أو المقصود بالمصطلح، وقد سار وراء قول القراء والقدماء والدكتور إبراهيم أنيس فقال "إنها تشمل الهاء والغين والعين والحاء والخاء والهمزة[2]".

١ - إبدال الهاء مكان الحاء:

الحاء هو الصوت المهموس الذى يناظر العين، فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلا فى أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين.

الهاء: صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يسمع فى أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعا يشبه الوضع الذى يتخذه عند النطق بأصوات اللين" [3].

(١) مناهج البحث فى اللغة: د تمام حسان، الأنجلو المصرية ١٩٥٥م،ص ١٠١.

(٢) الأصوات اللغوية ٨٧.

(٣) المرجع السابق: ٨٨.

ويرى الدكتور رمضان عبد التواب "أن الهاء صوت حنجرى مثل الهمزة فهو يخرج من أقصى الحلق، إن كل من الهاء والحاء صوت مهموس مخرج الأول من الحلق، أما الثانى من أقصى الحلق أو الحنجرة والذى حدث فى إبدال الهاء مكان الحاء هو تأثير مخرج الحاء إلى الخلف فى أقصى الحلق فيتحول إلى الهاء[١].

ويقول الدكتور عبد العزيز مطر "الحاء والهاء كلاهما صوت رخو مهموس ومخرجهما من الحلق مع اختلاف يسير، فالحاء من وسطه والهاء من أقصاه أو من داخل المزمار فالهاء أخت الحاء كما قال ابن جنى ومما وقع فيه إبدال: حممت بالأمر وهممت به وحبش وهبش والحيتر والهيتر ومده ومدح[٢].

وقد ورد هذا فى قول ابن العسال "لأن المتفكر فى الحكم تحتاج إلى زمان يهتمل[٣] أى يحتمل فابدال الهاء مكان الحاء.

٢ - إبدال العين مكان الحاء:

العين: هذا الصوت عند القدماء من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وهو أيضًا صوت حلقى، والحاء هو الصوت المهموس الذى يناظر العين فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلا فى أن الخاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين[٤] وقد ورد هذا فى قول الشيخ أبى صلح "وذكر أنه كان دفع مالا لتاج الدولة الوزير المذكور فى الكنيسة الكبرى وأنه حضر ليظهره فلم يسمع له[٥] أى يسمح له فصارت ← سمع، وهذا ناتج من تقارب مخرجهما.

ثالثًا: الأصوات الشفوية والأسنانية الشفوية:

والأصوات الشفوية هى: الباء والميم والواو والأصوات الشفوية الأسنانية هى

(١) المدخل إلى علم اللغة ٨٧.
(٢) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ٣٠٢.
(٣) المجموع الصفوى لابن العسال.
(٤) الأصوات اللغوية ٨٨.
(٥) تاريخ أبى صلح ٩.

الفاء وقد حدث تبادل بينهما فحلت الفاء محل الباء فيما ورد فى كتاب أخبار مصر للمسبحى فى قوله "فذكر أنه كان جالسًا مع أهله سالمًا حتى أصفح وتشاهد ومات رحمه الله[1] أى حتى أصبح وتشهد ومات، فحلت الفاء محل الباء فصارت أصفح: أصبح ←—— أصفح

والعلة فى ذلك أن الفاء هى نظير الباء المرقق، مثله فالباء صوت شديد مجهور مرقق يتم نطقه بضم الشفتين ورفع الطبق، ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفى، مع ذبذبة الأوتار الصوتية[2] أما الفاء فهى صوت رخو مهموس مرقق ينطق بأن تتصل الشفة السفلى بالأسنان العليا، اتصالاً يسمح للهواء أن يمر بينهما فيحتك بها مع رفع مؤخرة الطبق لسد التجويف الأنفى، وإهمال الأوتار الصوتية يجعلها لا تتذبذب[3] فرجوع الشفة السفلى إلى الخلف قليلاً لتتصل بالأسنان العليا حوّل الباء إلى فاء.

ويذكر لنا الدكتور عبد العزيز مطر مثالاً على إبدال الفاء مكان الباء قائلاً "الباء والفاء: الباء كما قدمنا ـ صوت شفوى شديد مجهور أما الفاء فهى صوت شفوى أسنانى، رخو مهموس، يتكون بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا، بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا، فالصوتان متقاربان مخرجًا ومن إبدالهما روى ابن سيده: الخزف والخرب، قال: والباء يمانية، وفى لحن العامة "للزبيدى" مثال واحد من هذا الباب، حيث يقولون: جاء بلا تريق بدل: بلا ترفق، أما تقويم اللسان لابن الجوزى ففيه أربعة أمثلة قيلت بالباء بدل الفاء، اثنان معربان واثنان عربيان[4].

إبدال القاف همزة:

تبدل القاف همزة فى العامية المصرية المعاصرة، ولكننا لا نعرف متى بدأ ذلك

---

(١) أخبار مصر ٢٢٥.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٤٢.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٤٣

(٤) لحن العامة فى ضوى الدراسات اللغوية الحديثة ٢٧٢.

الإبدال ولا ذلك التحول، هذا بسبب جناية الكتابة على النطق، فالكتابة باللغة العربية قديمًا وحديثًا لا تبدل القاف همزة، فالمتكلم بالعامية المصرية المعاصرة والقديمة؛ يقول: (أبلت محمد وألت له يأول لعبد الآدر يأبلنى بكره) ولكنه عندما يكتب هذا الكلام يقول (قابلت محمدا وقلت له يقول لعبد القادر يقابلنى بكرة) لماذا هذا الاختلاف لأنه اعتاد ألا ينطق بالقاف بل بالهمزة، ولكنه لابد أن يكتبها قافًا، وهو يفعل تلك الإزدواجية منذ أن تعلم الكتابة والقراءة، ومن هنا كانت جناية الكتابة على النطق حيث أخفت الكتابة كثيرًا من ملامح النطق الفعلى للكلام، واكتفت بتسجيل النطق الفصيح للكلمات، كما ترى قواعد الكتابة التى تعلمها الكاتب منذ صغره، لا كما ينطق، ولذا لا نعرف بدقة متى تم التحول فى نطق القاف إلى الهمزة، فالنصوص التى بين أيدينا عن عامية العصر الفاطمى جميعها تُثْبت القاف كما هى فى العربية قافًا وليس همزة ولكننى وجدت نصًا يعود إلى تلك الحقبة لدى بعض المفسرين أثبت فيه اسم رجل عاش فى مصر وهو عزيز مصر فى زمن يوسف وهو (قطفير وأطفير)، بالقاف مرة وبالهمزة مرة وبغيرهما مرة ثالثة وهو فيما قاله الألوسى فى تفسيره يقول (فاشتراه بذلك العزيز الذى كان على خزائن مصر عند ملكها، وقيل: كان خباز الملك وصاحب شرابه ودوا به صاحب السجن المشهور، والمعول عليه هو الأول، واسمه قطفير. أو اطفير. أو قنطورا، والأول مروى عن ابن عباس"[1]. وأحسب أن هذا راجع لهذا السبب، فمن رواه بالقاف نطقه كما ينطق العرب وهو ما قاله الألوسى بأن الاسم بالقاف مروى عن ابن عباس، وهو من هو فى العربية! إمامها ولا فخر، ومن أبدل القاف همزة فقد نطق به كما ينطق أهل مصر، أما النطق الثالث ففيه القاف أيضًا ولا أعرف أصلها.

ولكن ما سبب ذلك؟ إن السبب فى قلب القاف همزة فى العامية المصرية قديمًا وحديثًا يرجع إلى أن اللغة المصرية القديمة والقبطية لا تحتوى على صوت القاف، بل ما لديها هو صوت الكاف وعندما دخلت العربية إلى مصر بصورة رسمية من خلال تعريب الدواوين ومد الزحف الإسلامى فيها، تلقى هؤلاء القوم

(١) روح المعانى: المجلد السابع ص ٢٨٠.

اللغة العربية بالتدريب والتعليم لها ليتعايشوا مع الفاتح الجديد ويحصلوا على الوظائف فى دواوين الدولة، ولأن أكثرهم دخل الإسلام، والعربية لغة الدين الجديد، فحاولوا نطق القاف،فأصبحت همزة على ألسنتهم ولم تصبح كافًا على الرغم من نطقهم للكاف ضمن أصوات لغاتهم الأصلية، وعلى الرغم من أنها الأقرب فى المخرج من القاف، لماذا حدث هذا السلوك فى عامية المصريين قديمًا وتوارثه أبناؤهم من بعدهم؟ لأن المتكلم الجديد (المصرى الذى يعيش منذ زمن الفتح العربى لمصر) يحاول نطق قافًا وليس كافًا فكانت نتيجة هذه المحاولة ظهور صوت جديد على لسانه لم يراع فيه تلك الاعتبارات السابقة، من قرب المخرج ولا نطقه للكاف التى هى أقرب للقاف من الهمزة، بل راعى فى ذلك أنه يحاول تقليده فيما ينطق، فكانت نتيجة المحاولة هى تحويل كل قاف إلى همزة، هذا لدى جمهور المتكلمين بالعربية فى مصر منذ الفتح العربى فأنتج هذا جيلا من المولدين الذين يقلبون القاف همزة ولوكانت أصولهم عربية، فهم يتكلمون كما يتكلم مجتمعهم، لا كما يتكلم أجدادهم العرب، بقى السؤال الأول على حاله، وهو لماذا يكتبونها قافًا وهم ينطقونها همزة؟ يرجع إلى طائفة محدودة من هذا المجتمع وهم من يكتبون من أبناء هذا المجتمع وهم قلة، وقد تعلموا الكتابة حسب قواعدها العربية فوجدوا أن تكتب تلك الهمزة المزعومة قافًا، فالتزموا تلك القواعد الصارمة فى كتابة القاف همزة وليس العكس، فجاءت كتابتهم كلهم تثبت القاف قافًا وليس همزة، كما كتب الأولون، إن تاريخ تحول القاف إلى همزة فرعونى.

والنص القديم الذى يشير إلى نطق القاف فى العامية المصرية بقلبها همزة ما قاله عبد المسيح المسعودى"القاف يلفظها بعض العامة كالهمزة المفخمة أو المرققة فيقول ألم وآل وألب، بدل قلم وقال وقلب، والبعض يلفظونها كالجيم المصرية المذكورة"[١].

---

(١) الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين: ١٠١.

الفصل الثانى

التطور التركيبى للأصوات

وهى تلك التغيرات التى تصيب الأصوات من جهة الصلات التى تربط هذه الأصوات بعضها ببعض فى كلمة واحدة، فهى لذلك مشروطة بتجميع صوتى، معين وليست عامة فى الصوت فى كل ظروفه وسياقاته اللغوية[1].

وقد أشار فندريس إلى هذا النوع من التطور حيث قال "والتغيرات التى تصيب الأصوات من جهة الصلات التى تربط هذه الأصوات بعضها ببعض فى كلمة واحدة هى ما يمكن أن نسميها بالتغيرات التركيبية وأهميتها فى تاريخ اللغة لا تقل عن أهمية التغيرات السابقة، ولكن يجدر بنا قبل أن نبدأ فى درسها أن نبين حدود المجموعة الصوتية التى فى داخلها تحدث التغيرات التركيبية[2].

وهذه التغيرات كما يرى فندريس أيضًا "تأتى من نقص فى التناسق بين الفكر والأعضاء، وتنتج من خطأ فى الالتفاف فأحيانًا يصل الالتفاف إلى درجة كبيرة ويتركز بإسراف فى نقطة واحدة على حساب غيرها أو يوزع نفسه بصورة غير متساوية على العناصر المختلفة التى تكوّن الكلمة، وأحيانًا على العكس من ذلك يفر تاركًا العضو لكسله الطبيعى[3].

لقد وضع فندريس يده على الأسباب الخفية (المادية والنفسية) وراء حدوث هذه الظاهرة، وهى عدم تركيز المتكلم على أعضاء نطقه الصوتية عند النطق أو

---

(١) التطور اللغوى ٢٢.

(٢) اللغة ٢٢.

(٣) اللغة ٩٦.

توزيع تركيزه بين الأصوات المختلفة، فيحدث تشتيت لهذا التركيز بين الأصوات المختلفة، حيث ينطق المتكلم بأصوات وهو يقصد غيرها، فهو لم يتحكم بدقة فى تلك الأصوات التى يصدرها، ولم يراجعها ليطابق بين المنطوق فعلا منها، وبين الذى قصده من تلك الأصوات الصادرة عنه.

وهذه التغيرات التركيبية ـ كما ذكرنا آنفًا ـ تصيب الأصوات داخل الكلمة الواحدة فهذه التغيرات تنتج عن تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض فتحدث تغيرات داخل الكلمة نتيجة لهذا التأثير فيحذف صوت من الكلمة بتأثير صوت آخر مشابه له أو يحدث قلب صوت إلى صوت آخر بتأثير صوت مشابه للأول ومخالف للثانى الجديد أو غير ذلك من التغيرات التركيبية.

وهذا العمل هو ما سماه القدماء "كراهية توالى الأمثال" يقول السيوطى "اجتماع الأمثال مكروه ولذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل.. فمن الأول قالوا فى دهدهت الحجر: دهديت قلبوا الهاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال... ومن الثانى حذف أحد مثلى ظللت ومسست وأحسست، فقالوا ظلت ومست وأحست... ومن الثالث وجوب إظهار أن بعد لام كى إذا دخلت على "لا" نحو لئلا يعلم؛ حذار من توالى مثلين لو قيل للا يعلم[١].

ولقد أدرك هذه الظاهرة فى العربية من قبله سيبويه وابن جنى فتناول سيبويه فى أكثر من موضوع فى كتابه ما يحدث من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، وسمى هذه الظاهرة بالمضارعة كما سماها أيضًا بالتقريب فنجده يقول فى كتابه "كما أبدلت التاء مكانها فى ست وإنما فُعل هذا كراهية التضعيف، ومثل ذلك قول بعض العرب الطجع فى اضطجع، إبدال اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها فى المخرج والانحراف[٢].

---

(١) الأشباه والنظائر فى النحو: جلال الدين السيوطى، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، ١٩٧٥م ص ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجى، ط١٩٨٨، ٣م ص ٤/٤٨٢.

وقال ابن جنى فى (باب الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه) "واعلم أن هذا الباب لاحق بما قبله وتال له، فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعًا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه ولم يسع العدول فى الحكم بذلك فإن دل دال أو دعت الضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه بموجب الدلالة صير إلى مقتضى الصنعة ومن ذلك سكر طبرزل، طبرزن هما متساويان فى الاستعمال، فليست بأن تجعل أحدهما أصلاً لصاحبه أولى عنك بحمله على ضده، ومن ذلك قولهم هتلت السماء وهتنت وهما أصلاً ألا تراهما متساويين فى التصريف"[1].

ويقول برجشتراسر: "ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف وهو حذف أحد مقطعين متتاليين أولهما حرفان مثلان أو شبيهان نحو تذكرون بدل تتذكرون وأمثال ذلك فى القرآن عديدة"[2] ويقول الدكتور رمضان عبد التواب تميل اللغة العربية إلى التخلص من توالى المقاطع المتماثلة فتحذف واحد منهما ... ويسميه اللغويون العرب بكراهية توالى الأمثال ونقصد بالمقاطع المتماثلة هنا ـ ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الصامتة المتماثلة أو المتقاربة فى المخارج ويحدث ذلك فى أول الكلمة أو من توالى الأصوات المتماثلة سواء أكانت حركات أم أصواتا صامتة، وإن لم تكن المقاطع متماثلة[3].

وهذه الظاهرة لا تحدث بين المقاطع المتماثلة فحسب أو المقاطع المتجاورة فقط. ويقول فندريس مؤكدًا حدوثها فى أماكن متباعدة من الكلمة "حالات التوازن وتبادل التأثير تصيب أيضًا أصواتًا يفصل بينها عدة عناصر بل أصواتًا تنتسب لمقطعين مختلفين، وتوجد فى أماكن يبعد بعضها عن بعض فى الكلمة الصوتية، والعمليات التى تنتج هنا هى عمليات التشابه والانتقال والتخالف"[4].

وهذه الظاهرة تشمل: الحذف، والقلب، والفصل.

---

(١) الخصائص: لابن جنى تحقيق محمد على النجار، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م، ص ٤٧٨/١.

(٢) التطور النحوى ٢٧.

(٣) التطور اللغوى: ٢٧.

(٤) اللغة: ٩٣.

(أ) الحذف:

واللغة فى سبيل التخلص من التقاء الصوتين المتماثلين قد تعمد إلى حذف أحدهما للتخلص من توالى الأمثال، ويقول هنرى فليش "فى اللغة صور من الحذف، والاختصار مختلفة لها أسبابها العميقة فى هذه الكراهة لتكرير صامت مرتين متواليين.. ونذكر على سبيل المثال صيغًا مثل تقدمون بدلاً من تتقدمون، وهى صيغة شائعة والفعل اسطاع بدلاً من المستعمل استطاع. والصيغة الرابعة: أفعل يفعل بدلاً من أفعل يؤفعل، وهى ظاهرة حدثت أولاً فى الإسناد إلى ضمير المتكلم أأفعل ?أفعل ثم عممت فى سائر صور الإسناد[1].

ومنه أيضًا حذف نون الأفعال الخمسة (يفعلون، وتفعلون، ويفعلان، وتفعلان، وتفعلين) مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم، أو ضمير المتكلمين المنصوب وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة قبل هاتين الحالتين، وهذه الظاهرة كثيرة الورود فى الشعر مثل قول الأعشى:

أبا الموت الذى لابد أنى ملاق لا أبالك تخوفينى[2]

وقد قال سيبويه "وإذا كان فعل الجميع مرفوعًا ثم أدخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة حذفت نون الرفع، وذلك قولك لتفعلن ذاك تحذف نون الرفع لأنك ضاعفت النون وهم يستثقلون التضعيف فحذفوها، إذ كانت تحذف، وهم فى ذاك الموضع أشد استثقالاً للنونات وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا، بلغنا أن بعض القراء قرأ "أتحاجونى" وكان يقرأ فبما تبشرون وهى قراءة أهل المدينة وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف وقال عمرو بن معد يكرب:

تراه كالثغام يحل مسكا .. يسوء الفاليات إذا فلينى

يريد فليننى[3] هذا التفسير لتلك الظاهرة نجده لدى المرزوقى فى شرحه للحماسة يقول "وقوله تشوقينى حذف نونه استثقالاً لاجتماع نونين والأصل

(١) اللغة العربية الفصحى: ٤٧.

(٢) التطور اللغوى.

(٣) الكتاب ٥١٩/٣.

تشوقيننى ومثله فى الحذف قول الآخر: يسوء الفاليات إذا فلينى يريد فليننى[1]
وفى اللسان "قال عمرو بن معد يكرب:

تراه كالثغام يحل مسكا   يسوء الفاليات إذا فلينى[2]

أراد فليننى بنونين فحذف أحداهما استثقالاً للجميع بينهما[3]

وقد وردت نماذج لهذه الظاهرة فى لغة العصر الفاطمى فى قول أبى صلح "فإذا رأينا هذا توافقونى على إطلاق سبيلها[4] يريد توافقوننى.

ومن هذا الحذف أيضًا صيغ تفعل، وتفاعل، أو تفعلل مع تاء المضارعة يتكرر فيها المقطع ta فى بدايتها مثل تتقدم وتتقاتل وتتخذ، وحذف أحد هذين المقطعين كثير الورود فى العربية وقول ابن مالك:

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر   فيه على تا كتبين العبر

قد فيه للتحقيق أو للتقليل النسبى[5].

والحق أن الحذف وقع فى اللغة منذ القدم فى أمثلة كثيرة جدًا مثل: استطاع التى تصبح اسطاع، وإن وأن وكأن ولعل مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ضمير المتكلمين المنصوب، وغير ذلك من ظواهر الحذف الواردة فى العربية فرارًا من التقاء صامتين متماثلين وهذه الظواهر كثيرة الحدوث فى العربية منذ القدم، وقد وجدنا لها أمثلة كثيرة فى لغة "العصر الفاطمى"، ولكننا وجدنا أن هذا تكرار لظواهر كثيرة حدثت من قبل فاكتفينا بنموذج واحد وهو حذف نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم وذكرنا له أمثلة من لغة العصر كدليل على وجودها فيه، ثم أضفنا نموذجًا آخر وهو حذف تاء تفعل مثل تقدم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة: لأبى على أحمد المرزوقى، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧م القاهرة ص ١/ ٩٣٤.

(٢) اللسان: لابن منظور، دار المعارف المصرية ١٩٧٩م،القاهرة، مادة فلا ٣٤٧٠.

(٣) الأشباه والنظائر ١/٢١.

(٤) تاريخ أبى صلح ١٠٨.

(٥) بحوث ومقالات فى اللغة: د رمضان عبد التواب الخانجى القاهرة،١٩٨٢م،ط١ ص ٢٨.

(ب) القلب:

وليس الحذف هو السبيل الوحيد - كما ذكرنا - للفرار من توالى الأمثال فى العربية بل هناك القلب وهو يحدث داخل الكلمة الواحدة للتقريب بين صوتين مختلفين بقلب أحدهما إلى صوت آخر يشبه الأول، أو للتفريق بين صوتين متشابهين تمامًا بقلب أحدهما إلى صوت آخر ليصبح أيسر فى النطق، أما الأول فيسمى (المماثلة) حيث إنه يقرب بين صوتين مختلفين ليجعلهما متماثلين، أما الثانى فيسمى (المخالفة) حيث إنه يفرق بين صوتين متشابهين تمامًا.

١ - المماثلة Assimilation

تتأثر الأصوات اللغوية، بعضها ببعض عند النطق بها فى الكلمات والجمل فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها التى تتفق فى المخرج أو فى الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها فى الكلام فيحدث من ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة فى المخارج والشدة والرخاوة والجهر والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك[١]. يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن هذه الظاهرة "الأصوات فى تأثيرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها فى الصفات أو المخارج ويمكن أن يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتى بين أصوات اللغة، وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثُّر وفى نوعه واللغة العربية فى تطورها إلى لهجات الكلام الحديث، مالت ميلاً كبيرًا إلى هذا التأثُّر إذ نلحظ فى اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثُّر أصوات الكلام بعضها ببعض فى أثناء النطق"[٢].

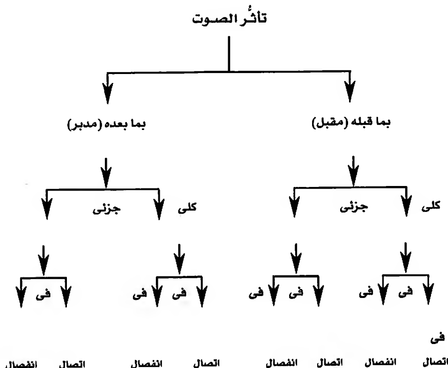
وهذه المماثلة أو "التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة، يحدث كذلك بين الحركات أيضًا، كما يحدث أيضًا بين الأصوات الصامتة والحركات"[٣].

(١) التطور اللغوى: ٢٢.
(٢) الأصوات اللغوية: ١٧٨.
(٣) التطور اللغوى: ٢٢

فقد تقع المماثلة بين العلل والسواكن والنوع الشائع منها هو تأثير العلة على الساكن وهذا يتحقق فى حالات مثل:

(أ) حالة وقوع الساكن المهموس بين علتين فحينئذ يوجد ميل نحو إجهاره وأوضح مثال لذلك الهاء التى تجهر فى هذا الموقع.

(ب) كما أن الساكن قد يتقدم أو يتأخر مخرجه تبعًا لنوع العلة المجاورة[1] وتنقسم المماثلة إلى كلية وجزئية وإلى مقبلة ومدبرة وذكر الدكتور رمضان عبدالتواب تقسيمًا جيدًا لها وهو:



(١) دراسة الصوت اللغوى ٣٢٧، ٣٢٨.

ومن هذا التأثُّر المتبادل:

أولاً: تأثير مقبل جزئى فى حالة الانفصال: (⟵) بفاصل

وهو أن يؤثر الصوت المتقدم على صوت متأخر يفصل بينهما صوت ثان وهو تأثُّر جزئى حيث لم يدغم الصوت الثانى المتأخر فى الصوت الأول المؤثر، بل تغير إلى صوت آخر ومن أمثلة ذلك[1]:

١ ـ تأثير الراء فيما بعدها:

حيث إنه من "إحدى خصائص صوت الراء فى العربية إذ يميل هذا الصوت إلى تفخيم بعض الأصوات المجاورة له مثل قولنا صور فى سور وأخرص فى أخرس، ورفض فى رفس[2] ولهذا تؤثر الراء فى السين فتجعلها صادًا، كما ورد فى أخبار مصر للمسبحى حيث يقول "وفيه توفيت امرأة رفصها جمل فسقطت ميتة لوقتها[3] أى رفسها، وفى كتاب حكم قرقوش ورد قوله لو اشتهت رفصته برجلها[4] أى رفسته، وكذلك ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال قوله "هو كرسى مرقص"[5] والصواب مرقس، وفى كتاب تاريخ بطاركة الكنيسة قوله "هذه الأعجوبة العظيمة التى ظهرت من مرقص.. أنا أبوك الذى ولدتك يا مرقس ابنى[6] أى مرقس.

ومن الغريب أنه ذكر الاثنين معًا مرقص ومرقس فى رواية واحدة؛مما يدل على أن التمييز بين الصوتين لم يكن واضحا، فهذان الصوتان بينهما توافق تام يجعل أبناء اللغة الواحدة يبدلونهما، فلا فرق بينهما ـ كما قال ابن جنى ـ سوى التفخيم والترقيق، وهذا الفارق لا يبدو واضحا فى كثير من اللهجات القديمة والحديثة،حيث ينطلق المتكلم فى كلامه غير مدرك لهذا الفرق.

---

(١) التطور اللغوى ٢٣.

(٢) المرجع السابق ٣٣.

(٣) أخبار مصر ٣٦

(٤) حكم قراقوش: د عبد اللطيف حمزة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٤٥م ٥٨

(٥) المجموع الصفوى ٩

(٦) تاريخ بطاركة الكنيسة ١٣٧/١.

تصور للتأثير المقبل الجزئى فى حالة انفصال:

الراء + فاصل (القاف) + سين، الراء + فاصل (القاف) + صاد

(مرقس) الراء + القاف + السين ، الراء + القاف + صاد (مرقص)

(رفس) الراء + فاصل (فاء)+ اليسن ، الراء + فاصل (فاء) + صاد (رفص)

ثانيًا: تأثير مقبل جزئى فى حالة اتصال: (⟵) دون فاصل

١ ـ مثل تأثر السين بالراء التى قبلها فتصبح بعد تفخيمها صادًا، وهما متصلان، وقد ورد هذا فى قول المسبحى "وحمل على جمل وطيف به البلد وفى يده جرصين يجرص على نفسه[١] والصواب جرسين يجرس على نفسه والمعروف أن الجرس بالسين لا بالصاد فقد ذكر صاحب القاموس قوله "الجرس صوت أو خفية ويكسر... باللسان يَجْرُسُ ويَجْرِسُ والطائفة من الشىء والتكلم كالتجرس وبالكسر الأصل وبالتحريك الذى يعلق فى عنق البعير والذى يضرب به أيضًا[٢].

٢ ـ وتتأثر تاء الافتعال بالصاد أو الضاد أو بالزاى قبلها فتقلبها طاء فى الحالتين الأوليين ودالاً فى الحالة الثالثة، مثل: اصتبغ ⟵ اصطبغ، واضتجع ⟵ اضطجع، وازتجر ⟵ ازدجر[٣] وقد ورد هذا فى قول ابن زولاق "كان يخدم ابن بسطام وما مثله يصطنع بعشرين ألف دينار[٤] حيث قلب التاء بعد تأثرها بالصاد لتصبح طاء: يصتنع ⟵ يصطنع، وورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله "زوال الدولة من اصطناع قوله اصطناع العاقل أحسن فضيلة لأن اصطناع العاقل يدل على استحكام العقل[٥] وهو شبيه بما سبق حيث صار من اصتناع ⟵ اصطناع.

---

(١) أخبار مصر ١٨١.

(٢) القاموس المحيط ٢٠٢/٢.

(٣) التطور اللغوى ٣٦

(٤) أخبار سيبويه المصرى: لابن زولاق مكتبة الآداب القاهرة ١٩٣٣م ص ٢٦.

(٥) تاريخ بطاركة الكنيسة ١١٣/١

تصور للتأثير المقبل الجزئى فى حالة اتصال:

(أ) الراء + السين (بدون فاصل) ← الراء + الصاد

(جرس) الراء + السين ← الراء + الصاد

(ب) تتأثر تاء الافتعال بالصاد والضاد قبلهما فتتحول إلى طاء:

ص أو ض + تاء الافتعال (بدون فاصل) ← ص + ض + طاء

يصتنع ← يصطنع

(ج) تتأثر تاء الافتعال بالزاى قبلها فتتحول إلى دال:

ز + تاء الافتعال (بدون فاصل) ز + دال

ازتجر ← ازدجر

ثالثًا: تأثير مدبر جزئى فى حالة انفصال: (←) بفاصل

١ ـ السين قبل الراء تقلب صادًا:

ورد هذا فى كتاب تاريخ أبى صلح "وتساقط بعض أصوارها" وقوله "أبوالمنصور يتولى عمارة صورى القاهرة ومصر" وقوله "الذى هندس صور القاهرة" وقوله "وصور البلد الذى من جانب المالح باقى فى الآن[1] والمعروف أن السور بالسين. وقد ورد تأكيدًا لهذا القول فى المصباح المنير "وسور المدينة البناء المحيط بها والجمع أسوار[2].

أى صور ← سور.

٢ ـ السين قبل القاف تقلب صادًا:

ورد هذا فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله "وكان يصوق السنين والتواريخ إلى زمان الدجال[3].

---

(١) تاريخ أبى صلح: ٤٩، ٦٥، ٧١.

(٢) المصباح المنير ٢٩٥.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/١٦٤.

أى: يصوق ⟵ يسوق.

٣ ـ الصاد قبل القاف تقلب سينًا:

ورد هذا فى كتاب الشيخ أبى صلح "وهى قريبة من سجن يوسف السديق ابن يعقوب[١].

أى السديق ⟵ الصديق.

تصور للتأثير المدبر الجزئى فى حالة انفصال:

(أ) السين قبل الراء تقلب صادًا:

ص + فاصل (الواو) + الراء ⟵ س + فاصل (الواو) + الراء قبلها

أى صور ⟵ سور.

(ب) السين قبل القاف تقلب صادًا:

ص + فاصل (الواو) + القاف ⟵ س + فاصل (الواو) + الراء قبلها

أى يصوق ⟵ يسوق

(ج) الصاد قبل القاف تقلب سينًا:

س + فاصل (الدال) + قاف ⟵ ص + فاصل (الدال)+ قاف قبلها

أى السديق ⟵ الصديق.

رابعًا: تأثير مدبر جزئى فى حالة الاتصال: (⟵) دون فاصل

١ ـ تاء قبل الضاد تصير نونًا:

ورد فى المجالس المستنصرية قوله إن رسول الله ﷺ وارى أم على عليه السلام فى قبرها بعد أن كفنها رسول الله ﷺ بقميصه وانضجع فى لحدها[٢]

---

(١) تاريخ أبى صلح ٨٧.

(٢) المجالس المستنصرية: الإمام علم الإسلام، دار الفكر العربى، طـ١ب ت القاهرة ٨٩.

أى انضجع ← اتضجع تأثرت التاء بالضاد قبلها فقلبت نونًا.

إن تحول التاء إلى نون فى هذه الكلمة بهذا التركيب الصوتى يحتاج لوقفة؛ فكيف يحدث ذلك؟ وما الذى أجازه؟ لقد أثرت الضاد على التاء السابقة لها، فكلاهما من مخرج واحد، فهما صوتان أسنانيان لثويان، والفرق بينهما أن الضاد مجهور مفخم؛ والتاء مهموس مرقق، ولهذا كان التحول إلى صوت مشابه للضاد فى تلك الصفات، ولو كان من مخرج مجاور للضاد، وهو مخرج الأصوات اللثوية، وهو النون التى توافق الضاد فى الجهر، مع تسرب الهواء من الأنف، ولهذا جاز هذا التحول من التاء إلى النون، اتضجع ← انضجع.

خامساً: التأثير المدبر الكلى فى حالة الاتصال: (←) دون فاصل

الدال قبل التاء تصير دالاً كما فى كلمة ست التى أصلها سيدتى "عقد لست الملك ابنة بدر الجمالى على ابنة المستعلى[1] أى لسيدة الملك. وكذلك فى قول الشيخ أبى صلح "على اسم ستنا السيدة العذرى الطاهرة[2] وكلمة ست مولدة يقصد بها السيدة الشريفة أصلها سيدتى فخففوها بحذف الياء والدال فقالوا ستى ثم قالوا ست، فما حدث لهذه الكلمة من الناحية الصوتية هو قلب الدال إلى تاء لمشابهة بينهما فالتاء صوت شديد مهموس، لا فرق بينه وبين الدال، سوى أن التاء مهموس والدال نظيرها المجهور فأصبحت (سيتتى) فأدغمت التاء مع التاء ثم حذفت الياء الأولى للتخفيف ثم الأخيرة، فصارت (ستٍّ) وبقيت الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة أو هو تقصير للعلة الطويلة من ياء إلى كسرة.

وفى القاموس المحيط "الست.. ست للمرأة أى يا ستجهاتى أو لحن والصواب سيدتى[3] وفى شفاء الغليل "سيدة وقولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ وهى عامية مبتذلة ذكره ابن الأعرابى وتأوله ابن الأنبارى فقال يريدون ياست جهاتى وتبعه

(١) أخبار مصر. ٤.

(٢) تاريخ أبى صلح ٣٤.

(٣) القاموس المحيط ١/١٥٥.

فى القاموس فقال وستى للمرأة أى ست جهاتى كناية عن تملكها له ولا يخفى أنه تكلف وتحمل[1].

٢ ـ المخالفة Dissimilation

وهناك قانون صوتى آخر، يسير فى عكس اتجاه قانون المماثلة، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم (قانون المخالفة) فقد عرفنا أن قانون المماثلة يحاول التقريب بين الأصوات التى بينها بعض المخالفة؛ فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين عامًا فى كلمة من الكلمات فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة فى اللاتينية باسم liquida وهى اللام والميم والنون والراء[2]

وقد تحدث عنها فندريس عندما قال "ينحصر التخالف وهو المسلك المضاد للتشابه فى أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان حقها أن تعمل مرتين.. فضغط الشدة أحد الأسباب التى تتحكم فى آلية الانتقال المكانى والتخالف[3].

ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس أن ظاهرة المخالفة موجودة فى كثير من اللغات السامية يقول" وقد دلت البحوث التى قام بها علماء الأصوات أن ظاهرة المخالفة قد شاعت فى كثير من اللغات السامية وليست هذه الظاهرة إلا تطورًا تاريخيًا فى الأصوات[4]

إن المخالفة الصوتية هى الاتجاه العكسى للمماثلة فكل صوتين متشابهين أو متماثلين تقوم هذه الظاهرة أو القانون الصوتى بقلب أحدهما إلى صوت آخر ليحدث تخالف بينهما. ولكن ما العلة فى ذلك؟ يقول برجشتراسر "إن العلة فى التخالف نفسية محضة نظير الخطأ فى النطق فإنا نرى الناس كثيرًا ما يخطئون

(١) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل: شهاب الدين الخفاجى، مكتبة القاهرة، المطبعة المنيرة، ١٩٥٣م ١٥٠.

(٢) التطور اللغوى ٣٧.

(٣) اللغة ٩٥.

(٤) الأصوات اللغوية ٢١٠.

فى النطق ويلفظون بشىء غير الذى أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورت الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه وبعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان فى نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر. وتتابعت فيها حروف متشابهة[1].

وهذا تحليل جيد من الرجل يجمع فيه بين العلة النفسية والعلة الصوتية، فالمتكلم يتصور فى نفسه أنه نطق شيئا والواقع أنه أخطأ ونطق شيئا آخر، لأن ما تصوره فى نفسه غير ما نطقه فعلا.

والهدف من المخالفة هو التيسير فى النطق بحيث يصبح الصوت المتكرر مرتين صوتًا واحدًا، أما الصوت الثانى المماثل للأول يصبح صوتًا آخر. يقول الدكتور رمضان عبد التواب "والسبب فى المخالفة من الناحية الصوتية هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى مجهود عضلى فى النطق بهما فى كلمة واحدة لتيسير هذا المجهود العضلى بقلب أحد الصوتين صوتًا آخر من تلك الأصوات التى لا تتطلب مجهودًا عضليًا كاللام والميم والنون[2].

ويقول القول نفسه الدكتور إبراهيم أنيس "وهذا التطور هو أحد نتائج نظرية السهولة والتى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائر السهلة... يتضح من كل ما تقدم أن الأصوات فى تطورها تهدف إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، فالمماثلة تقرب بين الأصوات المتجاورة فى الصفة والمخرج وقد يصل هذا التقريب بين الصوتين المتجاورين أن يصبحا متماثلين تمام التماثل، وهنا تبدأ عملية المخالفة التى تهدف أيضًا إلى التقليل من الجهد العضلى فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى

(١) التطور النحوى ٢١١.
(٢) التطور اللغوى ٤١.

صوت لين طويل أو إلى ما يشبه أصوات اللين كاللام والنون وفى هذا أقصى مراحل التيسير فى الجهد العضلى[١].

ويقول الدكتور عبد الصبور شاهين "عرفت العربية ظاهرة المخالفة فى كلمات مثل تظنَّن حيث توالت ثلاث نونات فلما استثقل الناطق ذلك تخلصت من أحدها بقلبه صوت علة فصارت تظنّى، وقريب من هذا القبيل مسلك العامية المطرد فى أفعال مثل: رددت رديت، ومددت مديت، وشددت شديت، فهو لجوء إلى زيادة صوت العلة للتخفيف من أثر التضعيف والتكرار[٢] فتخلصت اللغة من الصوتين المتماثلين المتجاورين بقلب أحدهما ياء، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك فى العربية قيراط ودينار بدلاً من قرَّاط ودنَّار، بدليل الجمع قراريط ودنانير وأملل أملى[٣].

وقد تخلصت اللغة من هذا التكرار بطريقة أخرى وهى الإدغام نحو قول ابن العسال "القانون الذى عدتها واحد وسبعين قانونًا[٤] أى عدتها، وهذا النطق الذى لدى ابن العسال فى هذه الكلمة هو ما ينطقها به العامة فى مصر فى العامية المعاصرة، فيقولون: عديته، ويقول هنرى فليش "مؤكدًا وجود هذا فى اللغة "كراهة أن يتكرر صوت صامت مرتين متواليين مع مصوت قصير يفصل بينهما .. وهى تختص بحالة ما إذا بدئ مقطعان متواليان بصامت بعينه مع اشتمال الأول على مصوت قصير والمثال الدقيق على هذا موجود فى الأفعال التى عينها ولامها من جنس واحد مثل مَدَدَ madada وفَرَرَ farara ووَدَدَ ...wadida فاللغة العربية تقول مدَّ madda وفرَّ farra وودَّ الخ.... فقد أدمجت الصامتين فى صوت مضعف بعد حذف المصوت القصير. وتلك سنة من سنن العربية كلما أمكنها إدماج صوتين فى صوت واحد وهو ما عبر عنه النحاة العرب بالإدغام حتى ولو اقتضى الأمر حذف مصوت قصير[٥].

---

(١) الأصوات اللغوية ٢١١، ٢١٢.

(٢) علم الأصوات: برتيل مالبرج، تر/ د عبد الصبور شاهين مكتبة الشباب ١٩٨٦م ص ١٤٩.

(٣) التطور اللغوى ٣٨.

(٤) المجوع الصفوى.

(٥) العربية الفصحى ٤٦، ٤٧.

وقد يكون التخلص من تكرار الصامتين المتماثلين بقلب أحدهما نونًا وهو صوت مائع كما حدث فى قول أبى صلح "أنهم يعرفون أسماء يقولوها على دهن ويندهنوا منه... فقال لها اندهنى انتى[1].

فهذا الفعل اندهن أصله أدَّهن فصار ← انْدَهن.

ويذكر لنا الدكتور إبراهيم أنيس مثالاً على ذلك "حين نصوغ افتعل من الفعل ظلم نلحظ أن اظتلم قد تجاورت فيها الظاء والتاء وهما مختلفتان فى الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والاستفال فقربت مسافة الخلاف بينهما لتيسير النطق وأصبح الفعل اظطلم ثم زاد التيسير حين اتحد الصوتان المتجاوران تمام الاتحاد وأصبح الفعل اظَّلم، وهكذا تماثل الصوتان المتجاوران تمام التماثل وأصبح الفعل أظلم وهكذا تماثل الصوتان وهو أقصى ما يصل إليه التيسير فى عملية المماثلة فإذا افترضنا أن أحد العرب نطق بهذا الفعل على صورة جديدة.وهى انظلم لا يعدو الأمر أنه قد لجأ إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظاءين المتجاورين بأن استبدل بأحدهما نونًا ليزيد النطق تيسيرًا[2].

وقد حدث شبيه بهذا نحو ما ورد فى البرديات العربية:

٤ ـ فها من أمر الفدادين ... ولو لم أزرع إلا هذه

٧ ـ الفدانين لكانت لك"[3].

فكلمة فدادين تجاورت الدال مع الدال فقلبت إحداهما نونًا، وأعتقد أن السبب هو السرعة التى جعلت الدال تقلب نونًا، وقد يقلب أحد الصوتين المتماثلين لامًا وهو من الأصوات المائعة وشبيه بهذا ما حدث فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى فى قوله "وأكثر الالتمام بهم" أى الاهتمام بهم ـ فهنا تجاورت همزة الوصل مع صوت الهاء، وهما صوتان متجانسان كل منهما صوت حنجرى

---

(١) تاريخ أبى صلح ١٠٧، ١٠٨.

(٢) الأصوات اللغوية ٢١٣.

(٣) البرديات العربية فى مصر ٣٢.

أى يخرج من الحنجرة[1] وأيضًا كل منهما صوت مهموس مرقق، وهما لا يختلفان إلا أن الهمزة صوت شديد والهاء صوت رخوًا، ولهذا عند تجاورهما حدثت مخالفة صوتية أدت إلى قلب أحد المتماثلين رخوًا، ولهذا عند تجاورهما حدثت مخالفة صوتية أدت إلى قلب أحد المتماثلين صوتا آخر، وهو اللام وهو من الأصوات المائعة.

الاهتمام ⟵ الالتمام

وهناك أمثلة أخرى على المخالفة نحو قول ابن ميسر "ركب الحاكم.. إلى قصور عين شمس فوادع ابن فلاح وعاد إلى قصره[2] فكلمة: ودَّع ⟵ وادع وأيضًا فى تاريخ الشيخ أبى صلح "أن يستغفر الله لى عن هذه الزالة التى بددت منى[3] أى الزلة، وهو الخطأ، فصار الزالة بعد فك الادغام وإبدال أحد المدغمين ألفا.

وفى النهاية يمكن النظر إلى المماثلة على أنها تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق ولا تلقى بالاً إلى الجانب الدلالى الذى قد يتأثر نتيجة تقارب أو تطابق الصوتين، أما المخالفة فينظر إليهما - عكس ذلك - على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات ولا تلقى بالا إلى العامل النطقى الذى قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين.

إذن فالمماثلة والمخالفة تمثلان عاملين يتجاذبان اللغة فلكل منهما فاعليته وتأثيره. ولكل منهما هدفه وغايته ومن صراعهما يحدث التوازن بين مطلب سهولة النطق، ومطلب سهولة التفريق بين المعانى[4].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٥٦، ٦١.

(٢) أخبار مصر ٥٥.

(٣) تاريخ الشيخ ابى صلح ١٠٦.

(٤) دراسة الصوت اللغوى ٢٣١.

الفصل الثالث

السهولة والتيسير

قانون السهولة والتيسير:

يرى كثير من الباحثين أن اللغة فى تطورها تسير نحو السهولة والتيسير أو توفير الجهد فى نطق أصواتها، وهذا هو السبب فى أن المتكلمين يحاولون أن يتجنبوا التحركات النطقية التى يمكن الاستغناء عنها فالدكتور رمضان عبدالتواب يقول "تميل اللغة فى تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتًا أخرى، لا تتطلب مجهودًا عضليًا كبيرًا. كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفريعات المعقدة والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة[1].

وهذا الرأى نجده لدى الدكتور إبراهيم أنيس[2] والدكتور عبد الرحمن أيوب ولكن الدكتور على عبد الواحد قال برأى مخالف لهذه الحقيقة اللغوية، وقد تعرضنا له بالرد فى عمل آخر[3] وقد ذكر الدكتور مختار عمر رأيًا آخر فى هذه القضية فى كتابه "دراسة الصوت اللغوى" فهو بعد اعترافه بهذا القانون، وهذه النظرية، وتأثيرها فى اللغة يقول "ولكن هذا العامل لا يمكن أن يفسر كل التغيرات، فالعلة البسيطة قد تتحول إلى مركبة، والـ t قد تتحول إلى th وهكذا، كذلك لو صح هذا لكانت اللغات الحديثة أسهل فى نطقها من اللغات التى

---

(١) التطور اللغوى ٤٧.

(٢) الأصوات اللغوية ١٥٤.

(٣) انظر "دور بشار بن برد فى تطور اللغة" رسالة ماجستير بآدب الزقازيق د. عطية سليمان أحمد ص ١٢٧.

تفرعت عنها، وستتضح لنا مخالفة ذلك للواقع إذا قارنا النظم الصوتية للغتين الفرنسية واللاتينية. فالواقع أن التطورات اللغوية تخضع لعوامل أخرى أكثر تعقيدًا من مجرد رغبة المتحدثين بها فى بذل جهد أقل حتى يوفروا على أنفسهم بعض المشقة والعناء،ولو صح هذا لصارت اللغات جميعًا سلسلة من الأصوات المتحركة[1] ولكن الملاحظ على آراء الدكتور مختار أنها مجرد تجميع لآراء مجموعة من الباحثين فى اللغة ويختفى رأيه خلف هذه الآراء، ولكن ألم يلاحظ الدكتور مختار أن بعض هؤلاء الباحثين قد أقروا بهذا الرأى، وهو أن اللغة تتجه إلى توفير الجهد[2].

وعلى الرغم من أن الدكتور أيوب هو القائل "إن ما قد يتصوره البعض من سهولة فى نطق صوت من الأصوات أو صعوبة فى نُطق صوت من الأصوات، أو صعوبة فى نطق صوت آخر ليس سوى أثر من آثار العادة اللغوية التى ينطق بها. ولا تنطلق بذلك، وليس وضع طرف اللسان بين الأسنان بالأمر المجهد. ولا وضعه خلفها بالأمر المريح، ولو كان هذا حقيقيًا لانقرض صوت الذال من جميع لغات البشر استجابة لدعوى من يقول بجنوح الإنسان إلى التخلص من الأصوات التى تتطلب النطق بها جهدًا أو عسرًا[3].

وهذا الرأى نجده لدى ماريوباى حيث يقول "ولا تتفق نظرية الاقتصاد فى الجهد أو ميل المتحدثين فى اللغة العربية إلى اتباع أسهل الطرق فى الحديث مع الحقائق المعروفة فلو صحت هذه النظرية لكانت كل اللغات الحديثة أسهل فى نطقها من اللغات التى تفرعت منها.. ولو كان هذا صحيحًا لصارت اللغات جميعًا سلسلة من الأصوات المتحركة، وتزيد الأصوات الساكنة المتعاقبة التى تحتاج إلى جهد كبير من المتحدث وتزيد الأصوات الساكنة المتعاقبة التى تحتاج إلى جهد كبير من المتحدث عند نطقها، وكل الشواهد التاريخية والوصفية تدل على أن التغير يحدث بسبب رغبة المتحدث فى تأكيد كلامه ونطقه بطلاقة

---

(١) اللغة والتطور ٣٣.

(٢) اللغة والتطور ٣٣.

(٣) المرجع السابق ٣٣، ٣٤.

وسرعة وأن بذل أقل جهد ليس الغاية التى تعتبر عاملاً فعالاً فى التغير اللغوى[1].

وبعد هذا العرض للآراء المعارضة لقانون السهولة والتيسير نحاول مناقشتها؛ فهذا القانون الصوتى القائل بأن الظاهرة الصوتية التى تظهر فى صوت ما، لكى تصبح ظاهرة، لابد أن تعم كل الكلمات التى يرد فيها هذا الصوت، وبالكيفية نفسها لتصير قانونًا، فمثلاً إبدال الذال دالاً من الفصحى إلى العامية، حيث تصبح كلمة أخذ فى الفصحى أخد فى العامية، فلكى نقول: إن هذا قانون صوتى لابد أن تعم هذه الظاهرة كل الكلمات التى بها صوت الدال. حيث تتحول فى العامية إلى دال.

فهذا قانون معروف فى علم الأصوات وهو أن الظاهرة لابد أن تنطبق على كل الكلمات الواردة بها حتى تصبح قانونًا، وعليه بنى الدكتور أيوب قوله فى عدم صحة قانون السهولة والتيسير؛ ولهذا قال ولو صح هذا لانقرض صوت الذال مثلاً من جميع لغات البشر استجابة لدعوى من يقول بجنوح الإنسان إلى التخلص من الأصوات التى تتطلب نطقها جهدًا عسيرًا[2].

فلو نظرنا إلى هذه العبارة وقسمناها إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قوله لو صح هذا لانقرض صوت الذال مثلاً فهذا ما حدث فعلاً بالنسبة لصوت الذال فى العامية المصرية، فنادرًا ما نجده فيها حيث تحول إلى دال كما - قلنا من قبل - عند الحديث بها فى العامية،فكل كلمة ترد فى الفصحى بها ذال تتحول إلى دالاً.

مثل: ذهب ←── دهب ، وكلمة أخذ ←── أخد، وهكذا.

أما القسم الثانى: وهو قوله من جميع لغات البشر فهذا ما يرفضه علم اللغة الحديث لماذا؟ لأن كل لغة لها طبيعتها فى النطق وإمكانياتها فى إخراج الأصوات،

(١) لغات البشر ٨٥.

(٢) اللغة والتطور ٣٢.

والمناطق التى تستخدمها من جهازها الصوتى لتجعلها مخرجًا لأصواتها، فكل عربى ينطق الضاد بسهولة سواء كان فصيحًا أو عاميًا فهذا أسهل عليه ولكن هذا يكون صعبًا جدًا على غير العربى حتى أنهم أطلقوا على لغتنا لغة الضاد وكذلك فى الإنجليزية يمكن البدء بصوت ساكن وهذا مستحيل فى العربية وهذا كله يؤكد أن لكل لغة طبيعتها فى النطق ومن هنا نسقط مقولته من جميع لغات البشر، فإذا صار قلب الذال دالاً فى العامية المصرية ظاهرة صوتية، قد لا يكون فى الإنجليزية فهم يقولون The Book بإخراج اللسان فى The وهذا عند العامى والفصيح من أبناء هذه اللغة على سواء فإمكانيات جهاز النطق هنا تستطيع نطقها بسهولة وهى فى بعض اللهجات العربية تتحول عنها إلى الدال، ولهذا نقول إن هذا القول صحيح من حيث ميل اللغات إلى السهولة فى النطق وأن صوت الذال أو الصوت الذى تستصعبه بيئة لغوية معينة ينقرض ولكن على مستوى هذه البيئة اللغوية فقط، أى كلهجة تابعة للغتها الأم.

فالذال قد انقرض فى اللهجة المصرية التى ينطق بها العوام، ولكن قد توجد فى بيئات عربية أخرى، وكذلك القاف التى انقرضت من العامية المصرية، لكنها موجودة فى عامية أهل المغرب العربى، وبلاد عربية أخرى.

وأيضًا لا يمكن أن نتجاهل تأثير العادة اللغوية فى نطق هذه الأصوات ونحن فى هذا المقام فمن العادة اللغوية فى العامية المصرية الهروب من الأصوات الأسنانية (الثاء والذال والظاء) وتحويلها إلى أصوات أخرى أخف وطأة منها، وهذا كله جريًا وراء العادة اللغوية لهذه البيئة، ولكن من أين أتت العادة اللغوية فى العامية المصرية التى تبدل القاف همزة والأصوات الأسنانية إلى أصوات لثوية أسنانية؟ لقد أتت تلك العادة من لغتهم الأم اللغة القبطية التى لا تنطق هذه الأصوات؛ فعندما فتح العرب مصر حولوا لغة المصريين من القبطية إلى العربية فى قرون ولكنهم لم يستطيعوا تحويل أصواتهم القبطية إلى كل أصوات العربية بإكسابهم أصواتًا لم تكن فى لغتهم القبطية قبل ذلك، وهى الأصوات التى ذكرتها آنفا، ولكن من أتقن العربية من أبناء مصر أو تخصص فيها نطق بتلك الأصوات وأجادها بمهارة كالقراء والفقهاء وعلماء اللغة بمصر.

ويقول الدكتور أحمد مختار عمر" لو صح هذا لكانت اللغات الحديثة أسهل فى نطقها من اللغات التى تفرعت عنها، وهذا القول يؤكد صحة نظرية السهولة والتيسير فمن منا ينكر أن الإنجليزية أسهل من اللاتينية، ومن منا ينكر أن الإنجليزية الحديثة أسهل بكثير من لغة الأديب الإنجليزى شكسبير، بل من منا ينكر أن لغة العرب الحالية أسهل من لغة الجاهلية، كل هذا يؤكد ميل اللغة إلى السهولة والتيسير فى تطورها، ولكن تلك السهولة والتيسير تكون من منظور أبناء تلك اللغة المعاصرين (المحدثين) فهى بلا شك سهلة يسيرة على من كانوا ينطقون بها من القدماء، وإن كانت تبدو صعبة على المعاصرين، فلذا غيروها.

أما أن توجد بعض الظواهر المضادة لهذه الظاهرة، وهو التحول من النطق الأسهل إلى الأصعب، فهذا أمر وارد فى علم اللغة فقد تخضع هذه الأصوات لعوامل أخرى ولكنه لا ينفى الظاهرة الأولى.

ولقد سبقنا إلى هذا القول الدكتور رمضان عبد التواب حيث قال "إن هذا القول المتعجل ليفترض فى هذه القوانين الحتمية والشمول وهذا ما لم يقل به أحد فإن كل قانون صالح للعمل أساسًا غير أن هناك ظروفًا معقدة متشابكة فى الحياة اللغوية اليومية تعوق سير هذه القوانين مما يجعلها فى كثير من الأحيان محدودة بأزمنة خاصة أو أماكن معينة[1].

بل إن فندريس يؤكد أن لكل لغة طبيعتها الخاصة ومجاميعها اللغوية التى تتميز بالسهولة فى النطق أو العسرة، فيقول "هناك مجاميع عسيرة النطق بصفة عامة، وبسبب الاستعداد الطبيعى للأعضاء، ويمكن أن تطلق عليها اسم المجاميع غير الثابتة فكلما أدت الظروف إلى نشوئها فى اللغة أمكننا أن نتنبأ بأن اللغة ستدبر الأمر للتخلص عنها "بل إنه يرى أن العسر أو اليسير هو أمر نسبى عسر النطق كعكسه، وهو اليسر من المسائل النسبية المحصنة التى يحسها المتكلم بوضوح على ما يبدو، ولكنها تختلف فى كل لغة عنها فى الأخرى ولا يمكن تقويمها دون معرفة اللغة معرفة دقيقة[2] فهو يؤكد ما ذهبتُ إليه عن أن اللغات

(١) التطور اللغوى ٥٥.

(٢) اللغة ٩٥.

تختلف فى طبيعتها. وفى الوقت نفسه نجد أن الصعوبة فى بعض المجاميع الصوتية قد يتشابه فى بعض اللغات، وهذا يؤكد خضوع هذه المجاميع لقانون السهولة والتيسير، ومما يدل على خضوع التطور فى الأصوات الأسنانية لقانون السهولة والتيسير ما نراه من ميل كثير من اللغات إلى التخلص من هذه الأصوات وتحويلها إلى أصوات خلف الأسنان "وأمامنا اللغات السامية المختلفة لم يحتفظ منها بهذه الأصوات سوى العربية الشمالية والجنوبية (الحميرية) وتطورت فى سائر اللغات السامية إلى أصوات خلف الأسنان[١].

ومن الغريب أن نجد الدكتور أحمد مختار عمر بعد هذا الجدال يقول "سبق أن تعرضنا حول فاعلية عامل الجهد الأقل فى تطور اللغات، وفى رأينا أنه مهما أنكر المنكرون فسيظل هذا العامل بارزًا بين العوامل التى تؤثر فى تطور اللغات وإن كنا لا نزعم أنه العامل الوحيد[٢].

ومن أهم خصائص هذا القانون أنه لا شعورى "فإن هذا التطور غير إرادى فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم ودون أن يعمد إليه قصدًا، فالمرء فى الحقيقة حين ينطبق بالصوت السهل بدل الصعب يخيل إليه دائمًا أنه ينطق بالصوت الأصلى دون تغيير فيه فالعملية إذن لا شعورية، وهى لهذا بعد تكرارها تترك أثرًا فى تطور كثير من أصوات اللغات كما أنها ليست عملية ذات أثر سريع بل تمر فى أطوار من اللغة حتى يظهر أثرها واضحًا جليًا بعد أجيال[٣].

أولاً: الأصوات الأسنانية:

تميل اللغة العربية إلى التخلص من الأصوات الأسنانية، وإبدالها بأصوات خلف أسنانية، أى لثوية ويحدث هذا فى لغة العامة، ولهذا اندثرت هذه الأصوات فى بعض اللهجات العربية الحديثة، وهذا الأمر كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب "يعد مظهرًا آخر من مظاهر السهولة والتيسير فى اللغة، والأصوات

(١) التطور اللغوى ٥٤.

(٢) دراسة الصوت اللغوية ٣٠٨.

(٣) الأصوات اللغوية ٢٣٥.

الأسنانية فى العربية هى الذال والثاء والظاء، وهى التى تتطلب إخراج طرف اللسان ووضعه بين الأسنان عند النطق بها.

ولا شك أن ذلك جهد عضلى تخلصت منه لغة الكلام بنقل المخرج إلى ما وراء الأسنان[1].

١ ـ ما حدث للذال:

فقد قلبت الذال دالاً أو زايًا يقول الدكتور إبراهيم أنيس "وكذلك ينطق بالذال العربية دالاً فى لغة الكلام المصرية، وأحيانًا زايًا فما أصاب الذال فى الحالتين هو انتقال مخرجها قليلاً إلى الوراء، غير أنه فى الحالة الأولى قد أصبحت صوتًا شديدًا، وفى الثانية احتفظت برخاوتها[2]

وقد وجدنا أمثلة كثيرة على قلب الذال دالاً فى لغة العصر الفاطمى إلى زاى وإلى تاء من ذلك ما ورد فى أخبار سيبويه "فقال أبو نعيم قرد من الآجام بأنف كأنه دبان"[3]. ذبان فصارت ← دبان

وأيضًا فى تاريخ الشيخ أبى صلح "من جهال القبط السادجين[4] وقوله "استمال بها السادجين[5] أى الساذجين، وربما يرجع هذا الحذف إلى التصحيف ولكن شاع فى لغة الأقباط قلب الذال دالاً، وذلك لعدم وجود هذا الصوت فى أصوات اللغة القبطية، وقد ورد القلب فى قول ابن ميسر "ومعهم ثياب المستنصر ودخايره"[6] أى ذخائره، فصارت دخايره، وفى المجموع الصفوى كل ذال تقلب دال مطلقًا كما فى قوله "لأن كل إنسان يجب أن يأخد قراره.. فيجب على العاقل أن يأخد بها نفسه... فم الدهب.... بل الدكر يقبل الدكر والأنثى تقبل الأنثى[7]

---

(١) التطور اللغوى ٥٢.

(٢) الأصوات اللغوية ٢٠٨.

(٣) أخبار مصر ٥١.

(٤) تاريخ أبى صلح ١٧، ١٩.

(٥) تاريخ أبى صلح ١٧، ١٩.

(٦) أخبار مصر ٢٠.

(٧) البرديات السفر الثالث.

وغير ذلك وارد فى تلك المخطوطة، وفى البرديات ورد قوله "يابا حفص لو رأيت الناس فيه عندنا اليوم من التخليط والسفرة يؤخد النواتية وغير النواتية، وكل من قدروا عليه[1] أى يؤخذ فصارت يؤخد، وما ورد فى المنامات قوله "وتدأب فى المعاصى مثل الديب[2]. أى مثل الذئب فصارت الديب.

قلب الدال تاء:

وقد حدث أن قلبت الذال تاء فى البرديات قوله" ٥- الكتاب وأعلمك أنى أختها لنفسى بهذا الثمن[3]. أى أخذتها لنفسى فصارت ?أختها.

قلب الدال زايًا:

وقد ورد فى البرديات قوله[4] وقد تضمن دفع ما يجب لك من البزر[5] أى بذر ← فصارت البزر، ولكن ورد فى المصباح قوله "بذرت الحب من باب قتل إذا ألقيته فى الأرض للزراعة.. والبذر فى الحبوب كالحنطة والشعير؛ والبزر فى الرياحين والبقول وهذا هو المشهور فى الاستعمال، ونقل عن الخليل، وكل حب يبذر فهو بذر وبزر[6] ومن هذا القول نرى أن بذر وبزرت بالذال والزاى أيضًا، ولكن لابد أن أحدهما أصل والثانية تطور لها، يغلب أن يكون الذال هو الأصل، أما الزاى فهى تطور لها خضوعًا لقانون السهولة والتيسير.

٢ ـ الثاء:

تطورت الثاء فى لغة الكلام المصرية إلى تاء فى معظم الأحيان وإلى السين فى قليل من المواضع وقد انتقل مخرجها إلى الوراء قليلاً فى الحالين غير أنها

(١) البرديات السفر الثالث.
(٢) المنامات ١٧٧.
(٣) السفر السادس ٧٥ بردية ٣٨٩.
(٤) السفر الخامس بردية ٣٢٣.
(٥) الأصوات اللغوية ٢٠٨.
(٦) الأصوات اللغوية ٣٠٨.

أصبحت شديدة فى حالة قلبها تاء، واحتفظت برخاوتها فى الحالة الثانية[١] ولكن ما حدث فى لغة الكلام المصرية تم منذ القدم فالعامية المصرية تقلب الثاء تاء فى الحديث بكثرة فقد ورد فى البرديات العربية قوله "ما يسوا قليل ولا كتير"[٢]. أى قليل ولا كثير فتقلب الثاء إلى ?تاء.

وورد أيضًا فى البرديات:

٢ ـ يوم الجمعة بيلوا اتنعشر حمار خمستعشر حمار

٣ ـ اتنعشر حمار يوم السبت سوا تنعشر حمار

.... يوم الأربعاء سو تمانية الحمرة[٣] أى اثنى عشر، ثمانية.

وفى المجموع الصفوى نجده لا يكتب الثاء إلا تاءًا، حيث يقول "فى قوانين كتيرة..... فى التامن والعشرين من القوانين... فى قوانين كتيرة... فى القانون الرابع التلاتين... وعدته تلتماية وتمانية عشر سنة إسقفا فى أحكام قوانين كتير[٤]

وقد أشار القس عبد المسيح المسعودى فى كتابه الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين الذى تناول فيه لغة المصريين القبطية والعربية أشار إلى هذه الأصوات فقال " الثاء والذال من أغلاط العامة أنهم يلفظوها كالسين والذال المهملة فيقولون فى الثمار الذابلة السمار الدابلة أو التمار الدابلة، ولكن صحة التلفظ بهما والظاء هى أن وضع طرف اللسان بين الثنايا، وهى الأسنان التى فى مقدمة الفم ثم يصات فيخرج لفظهما على حسب وضعه الأصلى... [٥].

وهو يشير هنا إلى نطق عامة المصريين، وما يفعلونه من إبدال تلك الأصوات الأسنانية إلى أصوات أخرى.

---

(١) السفر الخامس ٨.

(٢) السفر الخامس ٨.

(٣) السفر السادس ١١ بردية ٢٦٥.

(٤) المجموع الصفوى.

(٥) الأساس المتين ١٠١

٣ ـ الظاء:

والظاء العربية ينطق بها أحيانًا ضادًا. وأحيانًا زايًا مطبقة. وقد احتفظت بالإطباق فى الحالتين وبالرخاوة فى الحالة الثانية فقط، يقول الدكتور رمضان عبد التواب" وقد فقدت الظاء فى اللهجة العامية المصرية كذلك وحل محلها الضاد مثل ظل ضل أو الزاى المفخمة نحو: ظلم ?زلم و غير ذلك" [١].

ويقول عبد المسيح المسعودى "الظاء المفخمة يلفظ بها فى اصطلاح العموم

كالزاى المفخمة أو كالضاد، ويقال عزيم ونضارة، ولكن الصحيح فيها أن يلفظ بها كالذال المفخمة تفخيمًا شديدًا فصارت غليظة[٢].

وقد ورد هذا القلب فى قول أبى الصلح "ثم ينضمون فيه الورد إكليلا [٣]... لم يعود الماء ينزل حوض العين حتى ينضف ويغير "أى ينظمون، وينظف فصارت ⟵ تتضمون وينضف.

وفى البرديات قوله" ٣ ـ اكتب لمحمد النضيف بأن محمد بن عبد الله[٤] أى لمحمد النظيف، وفى المجموع الصفوى، وهو متيقض الضمير[٥] أى متيقظ وقوله "واضب على القراءة وعلى الطلب والتعليم" أى واظب وقوله "وكما اغتاض على بعضهم شرح له" أى أغتاظ ⟵ اغتاض، وقوله "فليكن عفيفات متيقضات بضميرهن "أى متيقظات وقوله "يقبلونكم فى مضالمهم الأبدية" أى مظالمهم الأبدية.

ثانيًا: انكماش الأصوات المركبة Diphtohong :

وهى ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة، فتحول الأصوات المركبة (a w) إلى ضمة طويلة ممالة (O) فى مثل نطقنا لكلمة: يُوم وصُوم بدلاً من يَوم وثَوم وصَوم، وكذلك تحول الصوت المركب (a y) إلى كسرة طويلة ممالة (e) فى

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٤٦.

(٢) الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين: ص ١٠١.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٣٦.

(٤) السفر الخامس ١٢٠ بردية ٣٢٩.

(٥) المجموع الصفوى.

مثل نطقنا لكلمة بِيت ولِيل وعِين وبدلاً من بَيت ولَيل وعَين كل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات(١).

وقد عرف ماريوباى هذه الظاهرة بقول "إذا تغير وضع الأعضاء النطقية خلال إنتاج الصوت... فإن الناتج يكون صوت علة مزدوجًا Diphthong ومن الممكن تعريفه بأنه تتابع مباشر لصوتى علة يوجدان فى مقطع واحد فقط "(٢).

ويقول الدكتور إبراهيم أنيس" والتقاء صوتى لين أحدهما مقطعى والآخر غير مقطعى، ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذى يسمى (Diphthong وإذا كان المقطعى منها أولاً سمى Diphthong الهابط Falling وهو الشائع فى اللغة الإنجليزية وأما إذا كان غير المقطعى هو الأول سمى الـ Diphthong صاعداً Rising وتشتمل اللغة العربية على النوعين، فالهابط فى مثل بيت والصاعد فى مثل (يسر) وقد مالت اللغة العربية فى تطورها إلى التخلص من النوع الأول فقد انقلب فى معظم اللهجات العربية الحديثة إلى صوت لين طويل كما فى نطق المصريين الآن لكلمتى بيت وحوض(٣).

وقد قال الدكتور كمال بشر برأى آخر فى هذه القضية هو "وقد وهم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء فى حوض وبيت جزءا من حركة مركبة Diphthong وهو وهم خاطئ ولا شك إذ الحركة المركبة وحدة واحدة one unit والموجود فى حوض وبيت ليس وحدة واحدة، وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو فى حوض. والفتحة + الياء فى البيت(٤).

وقد رد الدكتور أحمد مختار عمر على ذلك بقوله "وقد تبين مما سبق أنه ليس ثمة وهم، وإنما هو مجرد اختلاف فى المصطلح أو فى تفسير المصطلح بتعبير أدق(٥)

---

(١) التطور اللغوى: ٤٩.

(٢) أسس علم اللغة: ٨٠.

(٣) الأصوات اللغوية ١٦١.

(٤) علم اللغة العام (الأصوات) د. كمال بشر، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٠م، ١٠٨.

(٥) دراسة الصوت اللغوى ٣٥٠.

ويعد انكماش الأصوات مرحلة من مراحل التطور الحادث فى الأفعال المعتلة فى عرف اللغويين المحدثين "انكماش الأصوات المركبة Kontraktion der Diphthonge والأصوات المركبة فى العربية هى الواو والياء المسبوقتان بالفتحة فى مثل بيت... وهذه المرحلة هى الشائعة فى اللغة الحبشية فى الأفعال الجوفاء... كما توجد هذه المرحلة أيضًا فى اللهجات العربية التى تميل فيمثل قوله تعالى (والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى)[1] فى قراءة من أمال[2].

ومن أمثلة هذا الانكماش:

المثال الأول (وَيْلَكْ ←—— وِالَكْ):

ما ورد فى المنامات قوله "فقال لها: أخاف والك أن أقتل باللوالك[3] أى أخاف ويلك، حيث انكمش الصوت المركب، وهو الياء المسبوقة بالفتحة القصيرة، وتحولت الفتحة القصيرة إلى فتحة طويلة:

وَيْلَك (انكماش الياء المسبوقة بالفتحة إلى كسرة بالواو) ←—— وِالَكْ.

المثال الثانى: (حائط ←—— حيط)

كذلك ما ورد فى قول أبى صلح "وهدم بعض حيطانها" وقوله "وهدموا الحيطان"[4] أى الحائط ←—— يحيط، ولكن ما حدث لهذه الكلمة هو أن حائط سهلت همزتها فصارت حايط، ثم انكمشت الفتحة الطويلة فصارت حيط ثم حدث وسهلت همزتها فصارت حايط ثم انكمشت الفتحة الطويلة فصارت حيط ثم حدث مماثلة بين الحركات فصارت حيط، ومثلها غيط من غائط.

هذا الشكل يوضح ما حدث:

١ ـ حائط (بتسهيل الهمزة) ←—— حايط

---

(١) الضحى ٩٣/ ١.

(٢) بحوث ومقالات فى اللغة ٦٣، ٦٤.

(٣) المنامات ١٠١.

(٤) تاريخ أبى الصلح ٣٦، ٢٧.

٢ ـ حايط (انكماش الفتحة الطويلة) ←── حَيْط

٣ ـ حَيْط (مماثلة بين الحركات) ←── حِيْط

وقد وردت هذه الكلمة فى السفر السادس فى قوله ٢. لمسجد عيشونة فى أبو مراوح على الحيط الكبير[١] وقوله فى السفر نفسه نولين ابن الحيط.. أى ابن الحائط.

المثال الثالث: (ليَالِى ←── ليَلِى)

ومثله ما ورد فى السفر الأول[٢] انقضى خمسة ليلى متواليات[٣] أى خمس ليالى فحدث انكماش للفتحة الطويلة الموجودة بعد الياء فقصرت فصارت ليلى.

ليَالِى (انكماش الفتحة الطويلة على الياء) ←── ليَلِى

ثالثًا: القلب المكانى:

وهو يعنى تقدم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلى على الذوق اللغوى، وهى ظاهرة من الممكن تحليل بعضها بنظرية السهولة والتيسير كذلك... وإن بعض الكلمات المقلوبة بعد أن تشيع على الألسنة تأخذ مجراها الطبيعى فى اللغة باستعمال باقى المشتقات منها، ولأن اللغويين العرب لم يدركوا ذلك حكموا بأصالة بعض المقلوبات[٤].

ويقول برجشتراسر عنه:" ونجد تغييرًا آخر أصله قريب من أصل التخالف وهو التقديم والتأخير أى أن حرفًا من حروف الكلمة يقدم وآخر يؤخر مكانه وعلته أن تغير ترتيب الحركات فى التصورات أسهل من تغيرها الموجب التخالف... واللغة العربية كثيرًا ما احتفظت بالصورة الأصلية للكلمة مع الصورة الجديدة أى التى طرأ عليها التقديم والتأخير، فأحيانًا يمكن معرفة أيتهما هى

---

(١) السفر السادس ص/ ٦٩ بردية ٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ٧١/، بردية ٢٨٧.

(٣) السفر الأول ص ١٠٠/، بردية ٥.

(٤) التطور اللغوى: ٦٠، ٥٧.

الأصلية بالرجوع إلى اللغة العربية وحدها كما هو الحال فى كلمة مزراب ومرزاب[1].

والعلة فى القلب المكانى هى نفسها علة المشابهة ولهذا قال فندريس: "والانتقال المكانى يصدر عن نفس الأصل الذى صدر عنه التشابه إذ أن مرد الأمر فى كليهما إلى الخطأ ونقص الالتفات ولكن النتيجة مختلفة كل الاختلاف فبدلاً من تكرار الحركة النطقية مرتين يقتصر على تغيير مكان حركتين، وأخيراً يبدو الانتقال المكانى كما لو أن جزأين فى كلمة واحدة قد تبادلا أحد العناصر[2] ولهذا يؤدى القلب فى بعض الحالات إلى تتابع صوتى أكثر اتساقًا مع النماذج المسموح بها أو الشائعة في اللغة، وحينئذ تكون النماذج التوزيعية أو التراكيب الفونولوجية للغة هى السبب فى حدوث القلب[3] ولهذا أيضًا يقع القلب بغية التيسير. وتحقيق نوع من الانسجام الصوتى كما فى طمس التى قلبت إلى طسم حتى لا يفصل بين الطاء والسين" وهما متقاربا المخرج "بالميم[4] ويكثر القلب المكانى فى لغة الأطفال[5].

أمثلة القلب المكانى:

ومن هذا القلب المكانى ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر.. فرأى مصر قد تغيرت معاملها[6] أى تغيرت معالمها فصارت ⟵ معاملها، فالميم من الأصوات المانعة وكذلك اللام وهى من أحرف "منلر" التى يكثر تبادلها معًا ولهذا حلت الميم مكان اللام واللام مكان الميم.

---

(١) التطور النحوى ٣٥، اللغة ٩٤.

(٢) اللغة: ٩٤.

(٣) دراسة الصوت اللغوى: ٣٣٥.

(٤) دراسة الصوت اللغوى ٣٣٥.

(٥) علم الأصوات ١٥١.

(٦) أخبار مصر ٣٤.

ومن هذا القلب أيضًا ما ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة من قوله وله يهلهم فى محبته حد السيف ولا نهب الأموال ولا حريق النار[1] يلههم فتجاور صوتان متمثلان تمامًا هما الهاء والهاء فحدث قلب مكانى للفصل بينهما فحلت الهاء محل اللام ففصلت بينهما فصارت يلههم ←—— تهلهم.

وكذلك ما ورد فى منامات الوهرانى فى قوله بهذه الخلال الميشومة[2] وقوله وهو الميشوم الطلعة فى كل حين[3] وقوله تنفس أنفسنا ميشومة وغلة[4] أى المشؤمة فصارت ميشومة الذى حدث فى هذه الكلمة من تغيير هو:

١ ـ سهلت الهمزة إلى ياء فصارت ←—— المشيومة.

٢- حدث قلب مكانى للياء فصارت ←—— الميشومة.

ومن هذا القلب المكانى ما ورد فى المجموع الصفوى.. ومن يندبهم إلى تلك الجواز.. ومن حرم أكل اللحم والجواز.. قانون فى الكهنوت والعبادة والجواز[5] أى الزواج: زواج صارت ←—— الجواز.

وما حدث هو قلب مكانى فحلت الجيم فى أول الكلمة وحلت الزاى آخر الكلمة فصارت زواج، جواز وهى مستخدمة الآن فى العامية المصرية المعاصرة.

ورد فى البرديات أيضًا قوله "أنهما التسما جميع ما خلفته بهما والدتهما[6] أى تسلما جميع ما خلفته ، الذى يحدث فى هذه الكلمة هو:

١ ـ حلت السين مكان التاء وحلت التاء مكانها فصارت ←—— اتسما.

٢ ـ سبقت اللام التاء بقى مكانها خال فاتصلت السين بالميم فصارت ←—— التسما

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١٨٣/١.

(٢) المنامات: ٢٦.

(٣) المرجع السابق: ٤٣.

(٤) المرجع السابق: ١٥٩

(٥) المجموع الصفوى.

(٦) السفر الثانى ١٩٧ بردية ١٣٨.

ورد فى البرديات قوله وأن اتسلف لك[1] "أى استلف وما حدث هو إحلال التاء محل السين فصارت اتسلف وهى من الظواهر التى تطورت فى الفصحى فالأصل هو اتسلف أيضًا.

رابعًا: الهمزة

وحذف الهمزة أو تسهيلها أو إبدالها ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير وذلك لأن الهمزة صوت عسير النطق،حيث يتم النطق به بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية ثم انفراج هذه الأوتار فجأة وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلى كبير[2] ولهذا حاولت اللغة منذ القدم التخلص من هذا الصوت بل تعتبر هذه الظاهرة من الظواهر اللغوية الشائعة فى اللهجات المعاصرة وهى امتداد للقديم يقول الدكتور رمضان عبد التواب.. وليست هذه الظاهرة فى اللهجات المعاصرة إلا امتداد لما كان عند الحجازيين القدماء فى نطقهم لهذه الكلمات وأمثالها ومع أن هذا الصوت أصيل فى اللغات السامية فإن الجهد العضلى الذى يتطلبه فى نطقه أدى إلى ضياعه فى كثير من اللغات السامية واللهجات الحجازية القديمة فى العربية[3] قال ابن يعيش.. اعلم أن الهمزة حرف شديد مستقل يخرج من أقصى الحلق إذا كان أدخل الحروف فى الحلق ما استثقل النطق به إذا كان إخراجه كالتهوع فذلك الاستثقال ساغ فيه التخفيف وهى لغة من قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة والتحقيق لغة تميم وقيس[4].

وقد شاعت هذه الظاهرة فى كثير من بيئات عربية فى الأمصار وخاصة فى مصر بل إن العامية المصرية لا تكاد تظهر فيها الهمزة إلا نادرًا ولقد أعطانا الدكتور عبد العزيز الدالى تفسيرًا واضحًا لسبب شيوع ذلك فى اللهجة المصرية فى ذلك العصر موضوع البحث، التى توصل إليها من خلال دراسة البرديات

---

(١) السفر الخامس ١٥/ رقم البردية ٢٩١.

(٢) التطور اللغوى ٤٨.

(٣) بحوث ومقالات فى اللغة ٢٧٢.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش مكتبة عالم الكتب، بيروت ١٠٧/٩.

العربية فقال "ونصوص الأوراق البردية خلت تمامًا من كتابة الهمزة فهى لا تبدو فى رسم الكتابة أو كثير من النصوص بل أغلبها خلا رسمها من الإعجام فى حين أعجمت بعض الحروف لبعض الكلمات فى قليل من النصوص ولكن لا تبدو الهمزة حتى مع الكلمات التى تدل على إثبات الهمزة على النطق بها مما يدعو إلى القول بأن الكاتبين للنصوص لم تكن تنبر الهمزة أيامهم وحين يميل هذا القول لا نقطع به لأن أصوات سكان مصر فى تلك المدة من الزمان لم تسجل فنستعيد نطقهم، ولأن لغويًا معاصرًا لم يتناول هذه الظاهرة فى مصر حين ذاك إنما نمضى بهذا الاتجاه فى رسم الكتابة الذى تلقيناه[١].

ونستطيع أن نعلل ظاهرة تخفيف الهمزة فى نصوص الأوراق البردية بأن القبائل العربية التى وفدت أيام الفتح وبعده أكثرهم من القبائل الوافدة من جنوب الجزيرة العربية أولئك الذين يخففون الهمزة، وساعد على استمرارها سهولتها وخفتها على ألسنة المصريين بالتخفيف فى أكثر أحوال الهمزة، ولا سيما العامة منهم حتى اليوم فى كثير من الأحوال.

وفى مقدمة القبائل التى تخفف الهمزة؛ ورد أكثر من نص يدل على أن قريشًا تخفف الهمزة كما أوضحنا سابقًا وأكبر عدد من الأوراق البردية عثر عليها فى الأشمونين؛ والأشمونين بلد قريش ونقيم على ذلك أن الكثرة من كتابة هذه النصوص إمّا أن يكونوا قرشيين أو قريبين منهم بالتعامل والتأثر، ومن القبائل الأخرى التى تخفف الهمزة[٢].

(أ) حذف الهمزة:

فمن ذلك ما ورد فى كتاب أخبار سيبويه المصرى لابن زولاق قوله قد ولى بكران القضاء[٣] أى القضاء ←── القضا.

---

(١) البرديات العربية رسالة دكتوراه.

(٢) البرديات العربية رسالة دكتوراه.

(٣) أخبار سيبويه ٤٢.

ورد أيضًا فى كتاب الوهرانى "وأن اتفقت الأجناس واختلفت الأسما[1] أى الأسماء، وقوله وهو بيت القضا" القضاء، وقوله أطال الله بقاه وجعله من كل سوا فداه". أى فداء ← فداه، وبقاءه ← بقاه.

فى كتاب المكافأة "خذوا هذا لفصيل حتى يصلح لنا غدا[2] أى غداء ← غدا.

(ب) إبدال الهمزة:

كثيرًا ما تحذف الهمزة بالإبدال واوًا أو ياءً أو بغير عوض[3] ومن هذا الإبدال قول ابن ميسر.. ومعهم ثياب المستنصر ودخايره[4] أى ذخائره وقوله على لسان أبى الحسن على بن عبد العزيز العكبك الحلبى الشاعر:

وليـن غلطـتُ بـأن مـدحتُك طالبًا   جـدواك مـع علـمى بأنـك باخـل[5]

أى ولئن ← لين.

وما ورد فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى قوله "وعبا القائد الذى حضر من مصر جميع المأخوذ فمن اقفاص... [6] أى عبء ← عبا، وما ورد فى سيبويه المصرى قوله.. رد من عظام المصايب أن يعقد فى أعلى المراتب[7] أى المصائب ← المصايب، وفى منامات الوهرانى ورد قوله.. زميم الطرايق.. وتدأب فى المعانى مثل الديب[8] أى الطرائق ← الطريق، والذئب ← الذيب.

وفى البرديات العربية ورد قوله.. بدنها وجواز أمرها طايعة غير مكره ولا مجبرة[9] أى طائعة ← طايعة، وقولة أيضًا ـ هذا ما أصدق إسمعيل مولى

---

(١) المنامات ١٧٧،٧٥/٢٠٣، ٣٢٠، ١٠٤.

(٢) المكافأة: لابن الداية، المطبعة الأميرية ١٩٤١م الطبعة الأولى ص ٨، ٦٦.

(٣) التطور النحوى ٣٩.

(٤) أخبار مصر ٢٠.

(٥) المرجع السابق ٥٤.

(٦) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى، بيروت مطبعة الأباء اليسوعيين ١٩٠٩م ص ٩٥.

(٧) أخبار سيبويه.

(٨) المنامات ١٧٧.

(٩) السفر الأول ٦٢ ردية ٢٧.

أحمد بن مروان القرشى بمدينة أشمون عايشة... ويبقى لعايشة ابنت يوسف[1] أى عائشة ←— عايشة.

ورد أيضا قوله "البايع خلاصة من ذلك كاين ما كان وبالغ ما بلغ" أى البائع ←— البايع، وكائن ←— وكاين.

وقوله أيضًا ٦ ـ ودرجة زايدة كقول

٨ ـ... وهى يوميذ بنت بكر بالغ[2]

أى زائدة ←— زايدة، يومئذ ←— يوميذ.

ومن إبدال الهمزة واوًا ما ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح.. هو أول من ابتدأ بعمل المواذين فى الجوامع[3] أى المآذن فأبدلت الهمزة واوًا" فصارت المواذين.

وفى المجموع الصفوى قوله.. للقسيس ثلثة أجزا وللشماس جزوان وقوله الشماسات النسا يدفع لكل واحد منهم جزو واحد[4] أى جزآن ←— جزوان، وجزء ←— جزو.

(ج) تسهيل الهمزة:

ورد فى المنامات.. وريحان الصدغ وراسه[5] أى ورأسه فصارت راسه. وفى البرديات ١٠ ـ المعجلين إلى امراته وروا ابنت شنودة[6] أى امرأته. وفى السفر الخامس.. ١٣ ـ أغنيك عن سوالهم..

١٤ ـ... وسالتهم أن يبيعونى[7] أى سؤالهم وسألتهم فسهل الهمزة. وفى النهاية

---

(١) السفر الأول ٩٣ بردية ٤٢.

(٢) السفر الأول٣٢٣ بردية ٧٢.

(٣) تاريخ أبى الصلح ٥٢.

(٤) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٥) المنامات ٢٠٣.

(٦) البرديات العربية ٨٦، ٣٥.

(٧) السفر الخامس ١٥ بردية ٢٩١.

نؤكد أن قانون السهولة والتيسير كان له فاعليته العظيمة فى هذا العصر من خلال ما توصلنا إليه من نتائج فى هذا البحث.

ويؤكد الدكتور أحمد مختار عمر فاعلية هذا القانون فى اللهجة المصرية فى العصر الفاطمى حيث يقول.. وجدت عوامل أخرى كان لها تأثير على عربية مصر وتتمثل فى:

١ ـ عامل النزوع نحو السهولة وتوفير الجهد.

٢ ـ عامل اللامبالاة.

٣ ـ عامل الاقتراض من لغات أخرى غير القبطية واليونانية مثل اللاتينية والفارسية والتركيب.. ومن أمثلة ذلك: ١ ـ إبدال الذال زايًا، الذى يبدو أنه لا يمثل عنصرًا لهجيًا أصيلاً، وإنما هو استخفاف فى كيفية النطق وببذل جهد أقل[1] وسوف نناقش هذه العوامل الباقية فى موضعها من البحث.

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٤١، ١٤٢.

الفصل الرابع

الأصوات اللينة

هى تلك الأصوات التى اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات من فتحة وكسرة وضمة وكذلك ما سموه بألف المد، وياء المد، وواو المد، وما عدا هذا فأصوات ساكنة وهى أيضًا ما سماها المحدثون بالأصوات الصائتة أو المصوتات وما خلا هذه فأصوات وصوامت. وقد أطلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب اسم أصوات العلة "الحركات" فقال: تنقسم الأصوات الكلامية عمومًا إلى قسمين كبيرين هما: الأصوات الصامتة، وهى ما يطلق عليها فى الإنجليزية Consonants والأصوات المتحركة أو أصوات العلة ويسميها الإنجليز Vowels وتعرف الأخيرة بأنها الأصوات المجهورة التى يحدث فى تكوينها، أن يندفع الهواء فى مجرى مستمر خلال الحلق والفم، والأنف معهما أحيانًا، دون أن يكون هناك عائق، يعترض مجرى الهواء اعتراضًا تامًا أو تضييق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا، والأصوات المتحركة فى العربية الفصحى، ما سماه نحاة العرب بالحركات وهى الفتحة والضمة والكسرة[1].

والصفة التى تجمع هذه الأصوات اللينة (Vowels) كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس "هى أنها عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه فى الحلق والفم وفى ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع

(١) المدخل إلى علم اللغة ٤٢.

الأصوات الشديدة فالصفة التى تختص بها أصوات اللين هى كيفية مرور الهواء فى الحلق وفى الفم وخلو مجراه من حوائل وموانع(١)

إن هذه الأصوات ذات أثر كبير فى اللغة، فأى تغيير فى نوع الصوت اللين بحذف أو حتى فى كميته يغير فى معنى الكلمة (فأى انحراف عن أصول النطق بها يبعد المتكلم عن الطريق المألوف بين أهل هذه اللغة، فأقل انحراف فى نطقنا الأصوات اللين فى اللغة الإنجليزية تجعل نطقنا كمصريين لهذه اللغة غريبًا لا تستسيغه الأذن الإنجليزية(٢).

ولأهمية هذه الأصوات وتأثيرها البالغ فى اللغة اهتم بها علماء اللغة القدماء، والمحدثون فابن جنى يشير إليها مفصلاً الحديث عنها فى كتابه سر صناعة الإعراب قائلاً "اعلم أن الحركات أبعاض لحروف المد واللين، وهى الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث هى الفتحة، والكسرة والضمة، وقد كان متقدمو النحاة رحمهم الله تعالى يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة. والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا فى ذلك على طريقة مستقيمة الا ترى أن الألف والياء والواو اللواتى هن حروف توام كوامل قد تجدهن فى بعض الأحوال أطول وأتم منهن فى بعض، وذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة والحرف المدغم نحو (يشاء)، (دابة) هى فى كلا الموضعين يسمين حروفًا كوامل، فإذاً لجاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفًا صغارًا بأبعد فى القياس منه، ويدل على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك إذا أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه إلا أن هذه الحروف التى يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن لأنهن مدات، والمدات لا يحركن أبدًا(٣).

ومن شرح ابن جنى لهذه الأصوات ندرك أن القدماء اعترفوا بها، وأنها عندهم تعد ثلاثة أصوات بصرف النظر عن طول الصوت وقصره. فهى ما

---

(١) الأصوات اللغوية ٣٦.

(٢) المرجع السابق ٢٩.

(٣) سر صناعة الإعراب: لابن جنى،مطبعة محمد أسعد، القاهرة ١٢٩٨هـ.

نسميها بالفتحة والضمة، والكسرة، ولكنهم ضلوا الطريق السوى حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلاً إن هناك فتحة على التاء فى (كتاب) وكسرة تحت الراء فى كريم وضمة فوق القاف فى يقول، والحقيقة أن هذه الحركات القصيرة لا وجود لها فى تلك المواضع فالتاء فى كتاب محركة بألف المد وحدها والراء فى كريم بياء المد وحدها والقاف فى يقول محركة بواو المد وحدها[1] كما يرى الدكتور إبراهيم أنيس.

ولكن الحق أن القدماء أدركوا ـ إن لم يكن جميعهم فبعضهم ـ أن الحركات التى على الحروف إذا أشبعت أوجدت لنا حروفًا من جنس هذه الحركات كما ذكر ابن جنى بقوله "يدل على أن الحركات أبعاض هذه الحروف أنك إذا أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه "إذا فالحركات إذا أشبعت حدث بعدها حروف من جنسها فلا حركات قبل حروف المد؛ بل هى حركات مشبعة أى حركات طويلة كما يسميها علماء اللغة المحدثون.

بل إن السيوطى يرى أن حروف العلة فى الفعل المعتل الآخر ما هى إلا حروف تولدت من إشباع الحركات التى قبلها يقول السيوطى "وذهب آخرون إلى أن الجازم حذف الحروف التى هى لامات وأن الحروف الموجودة ليست لامات الكلمة بل حروف إشباع تولدت من الحركات التى قبلها[2] فالواو فى تدعو هى حركة أشبعت فأوجدت الواو وهى الضمة التى على العين فصارت تدعو، التى تعرف بالحركة الطويلة، واللغة فى تطورها تتأثر أيما تأثير بتلك الأصوات بل إنها تحدث فى اللغة تأثيرات صوتية لا يدركها إلا المتكلمون باللغة من أبنائها، فيشعرون بها ولا تستسيغها أذنهم كمتحدثين وطنيين لهذه اللغة فيعرفون ما حدث للصوت من طول أو قصر أو زيادة أو حذف، أو قلب مكانى، أو إبدال صوت لين مكان صوت آخر.

---

(١) الأصوات اللغوية بتصرف ٣٩.

(٢) همع الهوامع: جلال الدين السيوطى، مطبعة السعادة ط١ ١٣٢٧، القاهرة ص١/١٣.

ويحدثنا برجشتراسر عن التغيرات فى أصوات اللين فيقول "تغير الحركات وأكثر تغيرات الحروف الصامتة الواقعة فى اللغة العربية غير المذكورة إلى الآن اتفاقية، وليس فيها إلا القليل من المطرد فبقيت الحركات السامية على العموم سالمة على حالها فى اللغة العربية إلا أن الحركة القصيرة الناقصة الانتقالية صارت حركتين كاملتين فى كثير من اللهجات العربية، فهى فى بعض ضمة، وفى بعض كسرة"(١).

وإن اللغة الحية المستخدمة على ألسنة أبنائها أكثر تأثيرًا بهذا التطور أعنى اللغة العامية أو التى يستخدمها العامة. ولهذا لو تعرضنا لتلك اللغة العامية بذلك العصر موضوع البحث. بالدراسة والتحليل لأدركنا أثرها البالغ على اللغة وتطورها، فمن هذه الظواهر:

أولاً: إحلال حركة محل أخرى للمناسبة:

إحلال حركة محل حركة أطلق عليه برجشتراسر (إبدال) فقال "الإبدال هو انقلاب مخرج الحركة، فللحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة... أما الإبدال فأهم أنواعه التشابه وهو جنسان تشابه الحركة لحركة أخرى أو تشابهها لحرف صامت، والأول لابد أن يكون منفصلاً لأن بين الحركتين حرفًا صامتًا فارقًا بينهما(٢).

وقد تحدث الدكتور صلاح صالح عن هذه الظاهرة فقال ذاكرًا مثلاً على ذلك "إحلال الكسرة للياء نحو كتابى مفيد ونحو ضم لام الفعل الماضى أو المضارع أو الأمر عند إسناده إلى واو الجماعة ضربوا يضربون اضربوا(٣).

وقد ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح قوله (وسد ينابيع المياه وميازين السما)(٤) أى موازين السماء فأبدلت التاء مكان الواو: موازين ←—— ميازين.

---

(١) التطور النحوى ٦٢.

(٢) التطور النحوى ٦٢.

(٣) دراسات فى علم اللغة: د صلاح حسنين، الرياض السعودية، مكتبة دار العلوم، ١٩٨٤م ١٣١.

(٤) تاريخ أبى صلح ١٤٠.

ومن هذا الإبدال ما حدث فى كلمة شىء فى البرديات العربية فقد وردت شاى والأصل فى هذه الكلمة هو شىء فحدث تسهيل للهمزة فأصبحت شيا ثم أبدلت الياء مكان الفتحة الطويلة فصارت شا.

شىء ←— شيا ←— شاى وهذا هو نطقهم عند تسهيل الهمزة. وقد وردت فى قوله "١٣ ـ أبى وخلفك من المال شاى"...

١٨ ـ شاى يكرهه من حجز ولا تأخير[١]

وقد تبدل الفتحة الطويلة بالكسرة الطويلة فيما يعرف بالإمالة.

والإمالة: لغة الاعوجاج واصطلاحًا أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ولا يبالغ فى ذلك لئلا يصير كسرًا محضًا والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[٢] ويقول عنها برجشتراسر (أما اللغة العربية فالفتحة الممدودة على ما قاله النحاة والمقرئون كثيرًا ما كان تقارب حركة (e) ونشاهد مثله فى كثير من اللهجات الدارجة وهذا ما سموه إمالة الفتحة والألف نحو الكسرة أو الياء[٣]

وهناك أمثلة كثيرة من القرآن الكريم على الإمالة ذكرها ابن الجزرى فى تقريب النشر فى القراءات العشر يقول (اعلم أن حمزة والكسائى وخلفًا أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن سواء كانت فى اسم أو فعل فالأسماء نحو (الهدى ـ والهوى ـ والعمى ـ والزنا ـ ومأوى ـ ومثوى ـ وأدنى ـ وأزكى ـ وموسى ـ وعيسى ـ ويحيى) والأفعال نحو (أبى ـ وأتى ـ وسعى ـ ويخشى ـ ويرضى ـ فسوى ـ واجتبى ـ واستعلى ـ واشترى)[٤]

---

(١) البرديات السفر الثالث ص٤ / بردية ٤٦.

(٢) شرح السنمودى على متن الدرة المتممة للقراءات العشر: لابن الجزرى، مطبعة محمد على صبيح ميدان الأزهرى القاهرة ب ت، ص ٢٧.

(٣) التطور النحوى ٥٩.

(٤) تقريب النشر فى القراءات العشر:ابن الجزرى، مصطفى البابى، ط١، ١٩٦١، م القاهرة، ص ٥٥.

ومما ورد فيه إمالة قول الشيخ أبى صلح "ويهنيه بالسلامة ومعه جميعة يزكوا مقالته[1] أى ومعه جماعة فصارت جميعة بالإمالة للفتحة الطويلة نحو الكسرة فصارت ياء.

وورد أيضا فى قول الوجيه القليوبى "ومن تلك الكلمات كلامًا مفيدًا أو كذلك احتيج إلى وضع[2] أى احتاج وحدث إمالة لهذا الصوت وهو الفتحة الطويلة نحو الكسرة فصارت احتيج.

ثانيًا: تقصير الحركة الطويلة وتحويلها إلى حركة قصيرة:

"ويحدث هذا عندما تقع فى وسط الكلمة بين صامتين مثل: دَعَا ?دَعَتْ، شرح ذلك كما يلى:

دعا =د +فتحة +ع + فتحة طويلة +ْ ت ←— د+فتحة +ع +فتحة + ت =دَعَتْ

ونحو نَال ←— نِلْنَ، وشرح ذلك كما يلى:

نال = ن + فتحة طويلة + ل + فتحة ←— ن +كسرة + ل+ ن +فتحة = نِلْنَ

ونحو عصا وعصا[3]

وشبيه بهذا ما حدث فى البرديات العربية من قوله:

٥ ـ قد كتبت إليك كتابين لم أرا لهما جوابًا وآخر ما كتبت إليك.

٦ ـ كتبين ولم أرا لواحدة منهما جوابًا أو ثلثة.

٧ ـ وكتباك، وعلم خبرك مما أسر به فلا تقطعنى من كتابك[4].

وقد ورد فى هذا النص السابق فكلمة كتابين مرتين، وكتابك مرتين وفى كتابة كلمة كتابين رسمت كتابين وكتبين، وهذا يجعلنا نقول لم تكن عادتهم فى هذا

---

(١) تاريخ أبى صلح ١٧.

(٢) الكفاية: للوجيه القليوبى مخطوطة محفوظة بمعهد الدراسات القبطية، ب ت.

(٣) دراسات فى علم اللغة ١٣٠.

(٤) السفر الخامس ١٣٩ بردية ٢٣٩.

العصر حذف ألف كتاب أى تقصير هذه الفتحة الطويلة بدليل أنها وردت ثلاث مرات بالألف ومرة واحدة بدون الألف فى هذه البردية وهذا يجعلنا نقرر أن الكاتب من عادته رسم هذه الألف أما المرة الواحدة هذه فدليل على أنه لم ينطق الألف هنا فكتب ما نطق فقط فتحولت كتابين ← كتبين، بل تلك عادتهم فى النطق وليست الكتابة وقد غلبتْ عادة النطق فى هذه المرة على عادة الكتابة، فكتبها بدون الألف، وهو ما يحدث فى عصرنا حيث ننطق الكلمة بدون ألف ولكننا نكتبها بالألف، بل هو النطق العامى السائد فى عصرنا بدون ألف فى العامية المصرية المعاصرة.

وتفسيرها كما يلى:

كتابين = ك + كسرة + ت + فتحة طويلة + ب + ى + ن + كسرة ←

ك + كسرة + ت + فتحة + ب + ى + ن+ كسرة = كتبين.

فهذا الرسم هو ما نطق به، وقد حدث فيه تقصير لصوت اللين الفتحة الطويلة.

كذلك ورد فى البرديات فى نفس السفر قوله "وعلو مكنته"[1] أى وعلو مكانته، وهو ما ينطق بها فى العامية المعاصرة، وتفسيرها كما يلى:

مكانة = ة + فتحة + ك + فتحة طويلة+ ن + فتحة + ة ←

ة + فتحة + ك + فتحة + ن + فتحة + ة = مكنة.

وفى تاريخ الشيخ أبى صلح قوله: "ثم طلباه فلم يجداه فاتهما الحرس المسلمين به"[2] أى أتاهما ← أتهما وتفسيرها كما يلى:

أتاهما = أ+ فتحة + ت + فتحة طويلة + + ضمة + م + فتحة طويلة ←

أ+ فتحة + ت + فتحة + هـ + ضمة + م + فتحة طويلة = أتهما.

(١) السفر الخامس ٣٠ بردية ٢٩٣.

(٢) تاريخ أبى الصلح ٨.

وقوله أيضًا "سنة أثنى وتسعون وثمنمائة للشهدا[1] أى ثمانمائة ⟵ ثمنمائة.

ثمان = ث + فتحة + م + فتحة طويلة + ن ⟵

ث + فتحة + م + فتحة طويلة + ن = ثمن.

ورد أيضًا فى البرديات العربية قوله: ٩ ـ انقضى خمسة ليلى متواليات[2] وأيضًا ورد فى السفر السادس قوله: ١ ـ البقى سبعة قراريط[3].

أى الباقى ⟵ البقى.

باقى = ب + فتحة طويلة + ق + كسرة طويلة ⟵ ب + فتحة + ق + كسرة طويلة = بقى.

وفى المجموع الصفوى ورد قوله "وان اختار الوقف أن يتولا ما أوقفه[4] أى الواقف = و + فتحة طويلة + ق+ فتحة + ف ⟵ و+ فتحة + ق + فتحة + ف = وقف

وقوله أيضًا: وليس بالقول فليقيلوا ويخلطوا فى الصلاة. أى يخالطوا ⟵ يخلطوا.

خالط = خ + فتحة طويلة+ ل + فتحة + ط ⟵ خ + فتحة + ل+ فتحة + ط = خلط.

وقوله أيضًا: وإذا اعمدتم موعظيكم[5] أى موعوظيكم ⟵ موعظيكم.

موعوظ= م+فتحة + و+ ع +ضمة طويلة+ ظ ⟵ م+فتحة + و + ع + ضمة + ظ

وقوله "ولينموا على الأرض التى لقلالهم[6] أى ليناموا ⟵ لينموا.

---

(١) المرجع السابق ٧.

(٢) السفر الأول ١٠٠ بردية ٤٥.

(٣) السفر السادس / ١٧٨ بردية ٤٣٣.

(٤) المجموع الصفوى

(٥) المجموعة الصفوى

(٦) المرجع السابق

ينام =ى+فتحة +ن +فتحة طويلة + م ← ى + فتحة+ ن+فتحة + م = ينم.

وفى البرديات" ٢ ـ على الراجل نصف دينر[1]. أى دينار ← دينر.

دينار = د + كسرة طويلة + ن + فتحة طويلة + ر ←

د + كسرة طويلة + ن + فتحة + ر = دينر

ثالثًا: زيادة الحركة:

وهذه الزيادة على قسمين: إما وضع حركة بدلاً من السكون فهى زيادة على الصوت بدلاً من السكون أى (الصوت الصائت المجرد من صحبة الصوت الصائت) والثانى: زيادة فى الحركة القصيرة لتصبح حركة طويلة، يقول برجشتراسر عن القسم الأول "زيادة الحركات والنوع الأخير من أنواع تغيرات الحروف الصائتة هو الزيادة نادر أيضًا فى اللغة العربية. منه أن أكثر الأسماء التى وزنها: فُعْل قد يكون على فُعُل أيضًا نحو... أُذْن وأُذُن هى فى الأكدية uznu وفى العبرية: ozen وأصلها UZN ونرى من ذلك أن أُذْن بالذال الساكنة هى الأصل وأن أذن المتحركة مقلوبة منها[2].

وقد ورد مثال لهذه الظاهرة فى تاريخ الشيخ أبى صلح "رابعة كبيرة مستوظلة يحيط بها سور[3] أى مُسْتَظلة يحيط بها سور فصارت ← مستوظلة، فزيدتْ الضمة الطويلة بعد التاء المفتوحة فلم تكن هناك ضمة فى هذه الكلمة من قبل فزيدت هنا تلك الضمة الطويلة، وهذه الكلمة بتلك الصورة تعتبر غريبة لم نجد لها مثالاً غيرها.

أما القسم الثانى فهو زيادة حركة قصيرة حيث تتحول إلى حركة طويلة ومثال هذا ما ورد فى البرديات العربية قوله: وأنا أرجو أن ساهل لله لبيعه أروح عندك بالخير[4] سهل الله فتحولت الحركة القصيرة إلى حركة طويلة.

---

(١) السفر السادس ٤٤ بردية ٢٧٨، ٤٥.

(٢) التطور النحوى ٦٩

(٣) تاريخ أبى صلح ٣٦

(٤) السفر الخامس ٤٣ بردية رقم ٢٩٨.

سهَّل = س + فتحة + هـ + هـ + فتحة + ل + فتحة ←

س+ فتحة طويلة + هـ + فتحة + ل+ فتحة = ساهل، وزال تضعيف الهاء.

وورد أيضًا فى السفر الثانى "٧ ـ.... من القمح الطيب الناقى....

٨ ـ النقى[1] "أى النقى وقد كُتِبَتْ فى هذه البردية مرتين إحداهما صحيحة والثانية كتبها الكاتب كما نطقها بزيادة صوت العلة، فهذه الزيادة راجعة إلى النطق لا الرسم، فهذا النطق كان شائعًا فى هذا العصر وإن حاول الكاتب ستره.

وأيضًا ورد فى أخبار مصر للمسبحى قوله "فذكر أنه كان جالسًا مع أهله سالمًا معافى حتى أصفح وتشاهد ومات ـ رحمه الله ـ"[2]. أى تشهّد ← تشاهد.

تشهد = ت + فتحة + ش + فتحة + هـ + فتحة + د + فتحة ←

ت + فتحة + ش + فتحة طويلة + هـ + فتحة + د + فتحة = تشاهد، وزال تضعيف الهاء. هذا بهذه الطريقة لازال مستخدما فى العامية المصرية المعاصرة (اتشاهد عليه)

ومن هذه الزيادة أيضًا زيادة الحركة القصيرة على الضاد وهى الكسرة لتصبح ياءً فى كلمة راضى كما فى تاريخ بطاركة الكنيسة.. فأخذوه وهو غير راضى[3] والعلة فى ذلك أن عامية هذا العصر لم تكن تنطق بالتنوين ولهذا يظهر المد، الذى هو زيادة لحركة الضاد أى الكسرة والدليل على أن هذا ليس نتيجة للرسم، بل هو نطقهم وما يتكلمون به؛ أنه قد ورد فى أخبار مصر للمسيحى: ثم نزل حول القصر بعقب ذلك متخفين إلى الجزيرة[4] أى متخفيًا فصارت "متخفين" والذى جعل الكاتب يرسم التنوين نونًا هو أنه لم يكن من عادة اللغة العامية أن تنطق بالتنوين، فعندما نوّن خشى الكاتب أن يُقَرَأ بدون تنوين فرسم التنوين نونًا

(١) السفر الثانى ١٣٥ بردية ١١١.

(٢) أخبار مصر: ٢٣٥.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة ٨٢.

(٤) أخبار مصر: ٦٠.

فصارت متخفين بدلاً من متخفيا وهذا يجعلنا نؤكد أن غير راضى كتبت بالياء ونطقت ياء بدون تنوين العوض، فهو زيادة حركة.

شبيه بهذا ما ورد فى أخبار مصر قوله.. وكتب مصنفات فى معانى مختلفة فمنها[1] أى فى معان وقوله: ويبيع اللحم أربع أواقى بدرهم[2] أى أربع أواق.

أثر الركام اللغوى:

فى حياة اللغات مراحل تمر بها كل لغة فى جميع مستوياتها من أصوات ومفردات وتراكيب وهذه المراحل هى حلقات فى تطور اللغة من القديم إلى الجديد وفى انتقال اللغة من القديم إلى الجديد تترك آثارًا لهذا التطور مهما انتقلت من مرحلة إلى مرحلة أو كثرت حلقات التطور التى تمر بها هذه اللغة، ونتيجة لهذا نجد كلمات فى داخل اللغة تمثل مرحلة متأخرة من هذا التطور ثم نجد كلمة ثانية تمثل مرحلة أخرى فى سلسلة التطور اللغوى لهذه الكلمة أو هذه الظاهرة. ونتيجة لهذا ظهر عندنا مصطلح جديد يفسر لنا تلك الظواهر ويوضح لنا العلة فى ذلك التغير. وهذا المصطلح هو "الركام اللغوى" وهو مصطلح يقصد به بقايا الظواهر اللغوية المندثرة فهو كما قلنا وسيلتنا لتفسير الشواذ فى اللغة. والحق أن واضع هذا المصطلح هو العالم الكبير أستاذنا الدكتور رمضان عبدالتواب وقد ساعدنا هذا المصطلح فى تفسير كثير من الظواهر الشاذة فى اللغة وهو يقول عنه".. واصطلاح الركام اللغوى اصطلاح صنعناه نحن قياسيًا على الركام الحجرى وذلك الاصطلاح الجغرافى الذى يعنون به تلك الأحجار التى تجرفها السيول والانهيارات الثلجية من مكان إلى مكان.

أما نحن فنعنى بمصطلحنا الركام اللغوى بقايا الظواهر اللغوية المندثرة لأننا نعتقد أن الظاهرة اللغوية لا تمحو الظاهرة القديمة بين يوم وليلة بل تسير معها جنبًا إلى جنب مدة من الزمن، قد تطول وقد تقصر، وهى حين تتغلب عليها، لا

---

(١) أخبار مصر: ١١٦.

(٢) المرجع السابق: ١٩٢.

تقضى على أفرادها قضاء مبرمًا بل يتبقى منها بعض الأمثلة التى تصارع الدهر، وتبقى على مر الزمن[1].

ومن هذه الظواهر إسناد ضمير المخاطبة المؤنثة فإن الأصل فيها أن يتصل بتاء مكسورة كسرة طويلة (ti) وهذه الكسرة الطويلة نراها فى بعض نصوص العبرية وذلك [illegible] sabarti كَسَرْتِ غير أن هذه الحركة قد أطرد سقوطها فى العبرية، مثل [illegible] وتظهر قبل ضمائر النصب [illegible] .

مثل rimmitin خَدَعْتِنِي، كما أنه فى بعض نصوص العهد القديم مع المخاطبة ياء [illegible] أثرية لا تنطق مثل: ... عَلَّمتِ...

"وما حدث فى العبرية من ضياع الكسرة الطويلة حدث مثله فى الآرامية غير أن رمز الكسرة الطويلة وهو الياء ظل باقيًا فى الخط. ليدل على أن تلك الكسرة الطويلة أصيلة فى هذا الضمير مثل [illegible] ktali قتلتِ كما يدل على ذلك أيضًا ظهورها قبل ضمائر النصب فى مثل:
قتلتنى kialtin .

وفى الحبشية يرى هذه الكسرة الطويلة كذلك غير أنها تتصل بالكاف لا ما بالياء. كما عرفنا من قبل مثل: [illegible] katalki قتلتكِ.

وأما العربية الفصحى، فقد قصرت فيها الكسرة هنا.. كما قصرت فتحة المخاطبة المذكرة فيما سبق. غير أننا لا نعدم فى الشعر والنثر القديم أمثلة من الكسرة الطويلة مع المخاطبة كما فى قول الشاعر:

رميتـــــيه فاقْصــدْتِ ومَـــا أَخْطــأتِ الرَّمْيــةُ

كما ورد فى حديث الرسول ﷺ قوله "أعصرية" ويروى سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهيدى، أن ناسًا من العرب يقولون: ضربتيه فيلحقون بالياء وهذا أمر

---

(١) بحوث ومقالات فى اللغة ٥٩.

شائع جدًا فى اللهجات العربية الحديثة، إذ يقال مثلا.. كسرتيه وسمعتيه وما أشبه ذلك[1]

وهذا أيضًا شائع فى اللهجة المصرية العامية المعاصرة هناك إعلان عن مسرحية مصرية بعنوان "نص أنا ونص أنتى" وهذا موجود بكثرة.

وفى العصر الفاطمى موضوع البحث نجد فى تاريخ الشيخ أبى صلح قوله.. فقال لها اندهنى انتى من هذا الدهن[2] اى أنتِ فصارت ← أنتى. فهذه الظاهرة مما تتطور فى العربية، ووجودها على أنها أثر من آثار الركام اللغوى وفى اللغات السامية آثار لهذه الياء المندثرة فى نفس الضمير وهو ضمير المخاطبة كما فى اللغة السريانية أنت: يقول عنها الدكتور رمضان عبد التواب".. فى ضمير المخاطبة المفردة، ياء أثرية لا تنطق، ولعل الضمير كان ذات يوم أنتى بالكسرة الطويلة فى بعض اللهجات العربية الحديثة[3].

راجل، ورجل:

الوارد فى العربية الفصحى أن الشخص البالغ يسمى رجل، والأصل فى ذلك هو راجل ولكن هذا الكلمة اندثرت ولم يبق لها أثر إلا فى اللهجات العربية الحديثة، وقد ورد ذلك فى حديث رسول الله ﷺ فى قوله "أفلح الرجل والرويجل.. ورويجل تصغير راجل وفى اللسان ورد قوله "تصغير الرجل رجيل وعامتهم يقولون رويجل صدق ورويجل سوء على غير قياس يرجعون إلى الراجل لأن اشتقاقه منه؛ كما أن العجل من العاجل، والحذر من الحاذر[4] وفى القاموس المحيط.. تصغيره رجيل ورويجل والكثير الجماع والراجل والكامل فى رجال روجالات[5] وفى مختار

(١) المدخل إلى علم اللغة ٢٧٩.

(٢) تاريخ أبى صلح ١٠٨.

(٣) فى قواعد الساميات ١٨٩.

(٤) لسان العرب: لابن منظور، ط دار المعارف ١٩٧٩م،القاهرة، مادة رجل ٥٦.

(٥) القاموس المحيط ٣/ ٣٧٠.

الصحاح قوله.. وتصغير الرجل "رجيل" والرويجل أيضًا على غير قياس كأنه تصغير راجل[1].

فهذه الكلمة هى أثر من آثارالركام اللغوى فالأصل راجل وتطورت فى العربية الفصحى فصارت رجل وقد ورد فى لغة العصر الفاطمى فى البــرديات العربية، ١ ـ ودفع إلى الراجل الأجير الذى مع... أى الرجل، وفى موضوع آخر فى البردية نفسها،٢ ـ على الراجل نصف دينر[2].

وفى أخبار مصر للمسبحى ورد قوله.. وشعر بهم فبيت حول داره لحفظها مائة راجل ثلاث ليالى[3] أى رجل، وهذه الظواهر وضعتها فى قسم زيادة الحركة فى فصل أصوات اللين لأنها كلها حركات طويلة تطورت فى الفصحى لتصبح حركات قصيرة، ووجودها على حالتها الأصلية من آثار الركام اللغوى فى الأصوات اللينة.

---

(١) مختار الصحاح: محمد على الرازى،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م القاهرة. ص ٢٣٥.

(٢) السفر السادس ٤٤ بردية ٢٧٨، ٤٥.

(٣) أخبار مصر ١٩٨.

الفصل الخامس

المقطع الصوتى

المقطع الصوتى هو كمية من الأصوات تحتوى على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة... ويعرفه كانتينو فيقول إن الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت سواء أكان كاملاً أم جزئيًا هى التى تمثل المقطع[1].

ويرى ماريوباى أن المقطع syllable هو قمة إسماع peak of sonority غالبًا ما تكون صوت علة، مضافًا إليها أصوات أخرى عادة - ولكن ليس حتمًا - تسبق القمة، أو تلحقها، أو تسبقها وتلحقها ففى aahقمة الإسماع - كما هو واضح - هى a وفى it هى i، وفى do هى o ، وفى got هى o [2]

ويقول برتيل مالبرج "إن الأصوات تتجمع فى وحدات أصواتية أكثر منها وأهم هذه الوحدات هو المقطع، وهى فكرة من الأفكار الأساسية فى الأصوات.[3] والمقطع فى تعريف واضح هو تأليف أصواتى بسيط تتكون منه واحدة أو أكثر كلمات اللغة. متفق مع إيقاع التنفس الطبيعى ومع نظام اللغة فى صوغ مفرداتها[4] ولهذا فأصوات اللين هى أصوات مقطعية لأنها تحتل قمم المقطع كما ذكر ماريوباى، وهذا القول يؤكده الدكتور إبراهيم أنيس حيث يقول "قد وجد

---

(١) التطور اللغوى ٦٢.

(٢) أسس علم اللغة.

(٣) علم الأصوات:١٥٤.

(٤) المرجع الساق ١٦٤.

المحدثون أن اللام والنون والميم تحتل القمم فى بعض الأحيان مثلها فى هذا مثل أصوات اللين اعتبروا أصوات اللين ومعها اللام والنون والميم أصواتًا مقطعية لأنها هى التى تحدد المقاطع الصوتية فى الكلام[1].

أنواع المقاطع فى العربية:

تحتوى اللغة العربية على خمسة مقاطع هى:

١ ـ مقطع قصير مفتوح مثل (كَ).

٢ ـ مقطع طويل مفتوح (فِى).

٣ ـ مقطع طويل مغلق حركته قصيرة ويتكون من صامتين بينهما حركة قصيرة مثل "مِنْ".

٤ ـ مقطع طويل مغلق حركته طويلة مثل "باب".

٥ ـ مقطع زائد فى الطول وهو ما بدأ بصوت صامت وتلاه حركة قصيرة ثم صوتان صامتان متواليان مثل: (بِنْتْ) فى الموقف[2].

هذه هى المقاطع الصوتية فى لغتنا العربية غير أن الدكتور تمام حسان يضيف مقطعًا سادسًا مكونًا من حركة قصيرة يتلوها صوت صامت و رمزه، (ح ص) وهذا المقطع قرين همزة الوصل ونحن نراه فى الفصحى مقطعًا افتراضيًا لا وجود له، لأن بداية هذا المقطع لن تتحقق إلا حين الوصل، حيث يعتمد المقطع على ما قبله، وما بعده ليشكل نمطًا مقطعيًا آخر... ولعل وجوده فى العامية أمر يكاد يكون مقبولاً حيث يمكن الإحساس فى البداية بصويت قريب من الهمزة[3].

خصائص المقطع العربى ومحاذيره:

١ ـ يبدأ المقطع فى العربية الفصحى دائمًا بصامت واحد فحسب، وينتهى إما

---

(١) الأصوات اللغوية ١٦٠.

(٢) التطور اللغوى ٦٣.

(٣) من وظائف الصوت اللغوى: د أحمد كشك، ط١ مطبعة المدينة ١٩٨٣م القاهرة، ٢٣.

بمصوت (فهو المقطع المفتوح) وإما بصوت واحد أيضًا "فهو المقطع المقفل" ولهذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس" والمقاطع الصوتية نوعان: متحرك open وساكن closed والمقطع المتحرك هو الذى ينتهى بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع الساكن فهو الذى ينتهى بصوت ساكن[1] فالمقطع الساكن هو المقطع المغلق، والمقطع المتحرك هو المقطع المفتوح. والعربية تبدأ مقاطعها بصوت ساكن. واللغة العربية تميل عادة فى مقاطعها إلى المقاطع الساكنة وهى التى تنتهى بصوت ساكن ويقل فيها توالى المقاطع المتحركة خصوصًا حين تشتمل على أصوات لين قصيرة[2] ولهذا فاللغة فى بعض لهجاتها تتخلص من هذا المقطع المفتوح يقول الدكتور رمضان عبد التواب.. تكره بعض اللهجات نوعًا معينًا من المقاطع، فتبدل به مقطعًا من نوع آخر فمثلا يفهم من الأمثلة الكثيرة التى ذكرها ابن كمال باشا أن الحركة القصيرة فى المقطع المفتوح قبل مقطع مغلق، كانت مستحبة عند العوام فى عصره ولذلك نجد أن هذا المقطع المفتوح يغلق بتشديد الحرف التالى له، مثل البصّاق فى البُصاق وأدوّية فى أدوَية. بل لقد شاع عند العوام فى عصرنا الحاضر الميل إلى إغلاق المقاطع المفتوحة قصيرة كانت أم طويلة، مثل قولهم.. حافّة النهر.. فى حافَة وخُرّاج للدمل الكبير فى خَراج ودخّان فى دخَان ولثّة فى لَثَة وغير ذلك[3].

٢- المقطع الرابع: لا يجوز فى اللغة العربية الفصحى إلا فى آخر الكلمة فى حالة الوقوف عليها، أو فى وسطها بشرط أن يكون المقطع التالى له مبتدئًا بساكن يماثل الساكن الذى ختم به المقطع السابق وهذه الحالة الأخيرة هى ما عبر عنها اللغويون العرب القدامى.. بالتقاء الساكنين على حدهما.. أن يكون الأول حرف لين والثانى مدغمًا فى مثله نحو الضالّين وشآبة ومدهامّتان[4] فهذا المقطع يتكون من صامت + مصوت طويل + صامت وبهذا يتكون مقطع مديد.

(١) الأصوات اللغوية ٥٩، ٦٠.

(٢) التطور اللغوى ٦٥، ٦٦.

(٣) التطور اللغوى ٦٥، ٦٦.

(٤) لحن العامة التطور اللغوى ٥٠.

فالشعر العربى الذى يحتوى فى أوزانه المختلفة مجموعة محدودة من المقاطع الطويلة والقصيرة، أى أنه ذو قياس محدود ـ لم يتسع مطلقًا لهذه المقاطع العديدة فقد كان الشاعر يتخلص من هذه الصعوبة بطرق مختلفة منها تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين منفصلين بواسطة همزة، وبذلك يصبح المقطع المديد مقطعين قصيرين "وإن أصبح الثانى طويلاً بسبب الوقف" وذلك مثل احمأرّ ولا الضألّين وهى قراءة مروية[1]

فالشاعر العربى يتخلص من هذا المقطع بإقحام همزة فى الكلمة أى يقسم المقطع إلى مقطعين مثل قول كثير:

وأنت ابن ليلى خير قومك مشهداً　　إذا ما احمأرّت بالعبيط العوامل

ويقول كثير أيضًا:

وللأرض أما سُودُها فتجللت　　بياضاً وأما بيضها فاوهامت[2]

ومن هنا يبدو أن كل صيغة على وزن "أفعَألّ" قد جاءت فى العربية عن هذا الطريق، حتى ولو لم يوجد إلى جانبها أفعال فى الاستعمال وذلك مثل اشمأزّ واحزألّ وأطمأنّ[3].

وهناك طريقة أخرى للتخلص من هذا النوع من المقاطع فى الشعر وذلك بترك التضعيف مثل قول عمران بن حطان:

قد كنت جارك حولاً ما تروعنى　　فيه روائع من إنس ومن جان

وقول أبو نواس:

لا يعجب السامعون من صفتى　　كذلك الثلج بارد حار[4]

(١) العربية الفصحى ٤٤، ٤٥.

(٢) لحن وتطور والتطور اللغوى ٥٢.

(٣) لحن العامة والتطور اللغوى٥٣.

(٤) لحن العامة والتطور اللغوى ٥٤.

وإذا كان الشعر العربى يتخلص من هذا المقطع بإقحام همزة فى الكلمة أو يترك التضعيف فإن النثر قد اتسع للمصوت الطويل.. أو المزدوج وذلك عندما يقفل المقطع بنفس الصامت الذى يفتح المقطع التالى، فينشأ صوت مضعف وذلك نحو إحمار ihmara ولا الضالين wala ddalina [1] ولهذا قبلته ولكن بشرط أن يكون ذلك المقطع فى الوقف أو فى وسط الكلمة ولكن ماذا يحدث إذا لم يتحقق الشرطان السابقان؟!

إن اللغة فى هذه الحالة تعمد إلى تقصير أصوت اللين الطويلة، أو الحركة الطويلة تتحول إلى حركة قصيرة، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: فإذا نشأ هذا المقطع اشتقاقيًا فى غير هاتين الحالتين حولته اللغة إلى مقطع من النوع الثالث مثل: يقوم التى تصير عند الجزم لم يقم، وكان الأصل فيها لم يقوم غير أن المقطع قوم من هذا النوع الرابع الذى تفر منه العربية، وقد عمم ذلك فى حالتى الوصل والوقف كذلك "ويقول فى موضع آخر: ولا يصح ورود هذا المقطع فى غير هاتين الحالتين وهذا هو السر فى تقصير حركته فى الفعل المضارع المعتل الوسط عند جزمه فى عبارة مثل: لم ينم محمد الليلة، وأصله (ينام) (Yanam) وقد عمم ذلك فى حالتى الوصل والوقف هنا طردًا للباب على وتيرة واحدة فيقال لم ينم محمد كما يقال لم ينم حين الوقف[2] فيتحول المقطع الرابع إلى المقطع الثالث.

ولكن ما العلة فى ورودها أحيانًا لم يقوم بدلاً من لم يقم؟ ويجيبنا الدكتور رمضان عبد التواب قائلاً: وقد تطور ذلك فى العربية الحديثة فتغير نظام هذا المقطع. وأصبح من الجائز وروده فى أثناء الكلام غير مشروط بالشروط السابقة، وذلك مثل: قوم روح هات كتابك: وترتب على هذا تغير فى شكل صيغة الأمر فلم يحذف منها شىء كما فى الفصحى[3] إذن العلة هى التطور الصوتى إذا حدث فى العامية، وجعلها تقبل هذا المقطع فى أى صورة وبدون تقصير له.

---

(١) التطور اللغوى ٦٣.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى ٥٠.

(٣) المرجع السابق ٥١.

وقد حدث هذا فى لهجة العصر الفاطمى فلم يعد يقتصر على صيغة الأمر بل ورد فى الفعل المجزوم بلم أو بأداة الشرط، فقد ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة: ولم يفوز منه بما أخذه من المال[١] أى لم يفز ⟵ لم يفوز.

ورد فى تاريخ أبى وأبى صلح "لم يعود الماء ينزل حوض العين"[٢] أى لم يعد فصارت ⟵ لم يعود، وأيضًا قول أبى صلح "لم يعود يأخذ شىء منه"[٣] أى لم يعد، وفى المجموع الصفوى ورد قوله "وكل صلاة تقال على كل شىء ليقال فى الصلاة المجد لك أيها الأب[٤] أى ليقل ليقال.

وفى تاريخ بطاركة الكنيسة". وقول أنت لهم[٥]. أى قل ⟵ قول، وقد يحدث هذا التقصير لذلك المقطع ليس فى داخل كلمة واحدة. بل قد يحدث فى هذا المقطع عندما يتكون من نهاية كلمة وبداية كلمة أخرى. يقول هنرى فليش "وقد جرت العادة فى النثر ـ عند أمن اللبس ـ باختصار المصوت الطويل الوارد فى مقطع مقفل وأمثلة أخرى كثيرة فى الأفعال التى يكون ثالث أصولها واوًا أو ياء متلوة بكلمة مبدوءة بصامت مثل: يغزو الجيش يرمى الغرض يخشى القوم، فقد نطقت دون مصوت طويل[٦] فتصير من حيث النطق يغز الجيش يرم الغرض يخش القوم فيتم اختصار هذا المقطع. وهذا راجع إلى أن المقطع يقوم على أساس نطق العبارة أو الجملة فى داخل السياق وليس على أساس نطق الكلمة مستقلة عن السياق، رغم أنها فى عبارة من عباراته، ولهذا قد تشترك كلمتان فى تكوين مقطع معين كما فى هذه الحالة، فإذا كان هذا المقطع من النوع الرابع يمكن اختصار. عند أمن اللبس.

وقد ورد هذا فى البرديات العربية قوله[٧] ٤ ـ إنك سألتنى وطلبت إلى أن

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ٧/٢.

(٢) تاريخ أبى صلح ١١٧.

(٣) المرجع السابق ٣٢.

(٤) المجموع الصفوى

(٥) تاريخ البطاركة الكنيسة ٥/٢.

(٦) العربية لفصحى ٤٥.

(٧) السفر الثانى ٩٣٤ بردية ٧٨.

أكرلك[1] أى أكرى لك فتحول المقطع الرابع إلى المقطع الثالث، أكرى لك ←— أكر لك.

وهذا المقطع تفسيره (أكْ + رِى + لَ + كَ ?اك + رِلْ + كَ) وقد يكون هذا الحذف بسبب الرسم فقط، ولكن هذا الاحتمال غير صحيح لأن الكاتب رسم ما ينطق نتيجة لثقافته العربية البسيطة والدليل على ذلك أنه رسم هذه الكلمة فى البردية التى كتبها بخطه رسمًا صحيحًا حيث قال: وإنك سألتنى وطلبت أن اكريك[2] أى أكريك فأثبتت هذه الحركة الطويلة وذلك لأنه نطقها فكتب ما نطق.

ولا يُخْتصر هذا على المقطع الرابع فحسب فقد يُخْتصر المقطع الثانى. وذلك إذا سبق بمقطع من النوع الأول وليس هذا دائمًا بل يحدث أحيانًا كما ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة" ونحن فندعوا الهنا العمر الذى أقام لنا هذه الشجرة... وأنت إلهه. أى إلاهنا ←— الهنا.

الذى حدث هو تقصير المقطع الثانى وغلق المقطع المفتوح فتحول إلى المقطع الثالث بعد إعادة ترتيب المقاطع داخل الكلمة كما يلى: [3]

إلاهنا (إ + لا + هـ + نا ←— إ+ لَهْ + نَا) الهنا

نوع المقطع (١+٢ + ١ + ٢ ←— ١+٣+٢)[4]

وقد ورد أيضًا فى البرديات قوله "اختارها لنا معوية العطار[5] أى معاوية فصارت معوية وحدث الآتى:

معاوية (مُ + عَا + وِ+ يَةْ ←— مُ + عَوْ + يَةْ) معوية

نوع المقطع (١ + ٢ + ١+ ٤ ←— ١ + ٣ + ٣)

---

(١) السفر الثانى ٣٧ بردية ٧٩.

(٢) السفر الثانى ٣٧ بردية ٧٩.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة١/١٣.

(٤) هذه الأرقام تشير إلى نوع المقطع.

(٥) السفر الخامس ١٥٤بردية ٣٠٣.

وأيضًا فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "فخرج من قصره راكبًا وعليه عممة الجوهر[1] أى عمامة ⟵ عممة، وقد حددت الآتى:

عمامة (عِ + مَا + مَةْ ⟵ عِ + مَمْ + ةِ) عممة

نوع المقطع (١ + ٢ + ٣ ⟵ ١ + ٣ + ١) هذا النطق داخل السياق، حيث تأثرت تاء التأنيث فى نهاية الكلمة بما أضيفت إليها وهى كلمة الجوهر وفى العامية المعاصرة تنطق: عِمَّة بإدغام الميم فى الميم لاختصار الكلمة إلى مقطعين من نوع واحد وهو المقطع الثالث (مقطع مغلق) فتصبح (عِمْ +مَه)

وفى البرديات أيضًا "٣. لابراهيم هرمو، وولدته ١٦ فدان[2]"

أى والدته ⟵ ولدته، وفى العامية المعاصرة ولدته تماما كما تنطق من قبل

وقد حدث الآتى:

والدته (وا + لِ + دَ + تُهْ ⟵ وَلْ + دِ + تُهْ) ولدته

نوع المقطع (٢ + ١ + ١ + ٣ ⟵ ٣ + ١ + ٣).

---

(١) أخبار مصر ٧٤.

(٢) السفر الرابع ٢٤ بردية ٢٢٢.

الفصل السادس

النبـــر

النبر هو ضغطة من المتكلم على مقطع ما من مقاطع الكلمة أو العبارة لعلة ما كالعادة اللغوية فى النطق أو الحالة النفسية للمتكلم، فالنبر معناه أن مقطعًا من بين مقاطع متتابعة يعطى مزيدًا من الضغط أو العلو "نبر علوى" (Stress accent) أو يعطى زيادة أو نقصًا فى نسبة التردد "نبر يقوم على درجة للصوت pith accent [١] فحين يتحدث الإنسان لغته يميل فى العادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة يجعله بارزًا أوضح فى السمع مما عداه من مقاطع الكلمة وهذا الضغط هو ما يسميه المحدثون بالنبر Akzant[٢].

يقول الدكتور عبد العزيز مطر يراد بالنبر الضغط على أحد المقاطع بحيث يتميز عن غيره من مقاطع الكلمة ويزداد وضوحًا فى السمع وهذا الضغط يبرز الصوت وهذا البروز يتحقق عندما يكون الصوت أوضح وأطول وأعلى ومتميزًا من حيث الدرجة والنبر يرجع فى أغلب الأحوال إلى ارتباط اثنين أو أكثر من هذه العوامل.. ومعنى ارتباط النبر بطول الصوت أنه إذا انتقل عن موضعه صحبه ـ غالبًا ـ إطالة صوت اللين القصير[٣].

والنبر لهذا يبعث الحياة فى هيكل الأصوات العظمى أو على حد تعبير مجازى لقدامى النحاة النبر روح الكلمة فهو الذى يعطى للكلمة طابعها وشخصيتها سواء

---

(١) أسس علم اللغة ٩٣.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى ٤٥ .

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ٣١١.

كان نبر علو أو نبر شدة، ولكن النبر مع كل هذا لا يكفى لتحديد الكلمة، فمن المتعذر أن نجد رباطًا نهائيًا دائمًا بين النبر والكلمة يجد بعض اللغات التى تستخدم نبر العلو كلمات أساسية تخلو من النبر... فينبغى إذا ألا تخلط بين استقلالية الكلمة وتعبيريتها وتنبيرها[1]

هذا هو النبر فهل عرفت العربية النبر فى حديثها الفصيح أو العامى. يقول هنرى فليش "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تمامًا لدى النحاة العرب بل لم نجد له اسمًا فى سائر مصطلحاتهم تلك التى كانت برغم ذلك وافرة غزيرة ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أى دور فى علم العروض العربى وهو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة، والقصيرة المحددة. فهو على هذا كمى، ولقد لزم واضعو هذا العروض الصمت إزاء موضوعه. تمامًا كما فعل النحاة، وقفى على أثرهم المؤلفون فى علم التجويد ـ تجويد القراءة القرآنية، أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئيًا، وذلك فى حالة واحدة فحسب حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة "المنبورة" فى مقابل الألف المقصورة "غير المنبورة"[2].

وهذا الرأى القائل بعدم وجود النبر فى العربية نجده لدى برجشتراسر حيث يقول... لا نص نستند عليه فى إجابة مسألة كيف كان حال العربية الفصحى فى هذا الشأن ومما يتضح من اللغة العربية نفسها ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد، وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة وتقصيرها، وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة، وقد رأينا أن كل ذلك نادر فى اللغة العربية، وإذا نظرنا إلى اللهجات العربية الدارجة، وجدنا فيها ـ فيما أعرف ـ الضغط وهو فى بعضها متوسط غير أنها تتخالف فى موضعه من الكلمة وفى كثير من الحالات فمن المعلوم أن المصريين يضغطون فى مثل ـ مطبعة الثانى وغيرهم يضغطون الأول فلو أن الضغط كان قويًا فى الزمان العتيق لكانت

---

(١) اللغة ٨٧.

(٢) العربية الفصحى ٤٩.

اللهجات على أغلب الاحتمال - حافظت على موضعه من الكلمة ولم تنقله من مقطع إلى مقطع آخر[1].

وللدكتور رمضان عبد التواب رد على هذا الرأى وهو قوله.. هذا هو رأى برجشتراسر، أما لأنه لا يوجد لدينا نص نستند إليه فى معرفة حالة النبر فى العربية القديمة، فهذا صحيح، وأما أن العربية لم تكن تنبر فإننا نشك فى ذلك الذى قاله برجشتراسر. وهو يغفل فى كلامه التطور اللغوى، وتأثير الشعوب المختلفة التى هزتها العربية بعاداتها القديمة فى النبر وأثر ذلك فى اختلاف موضعه من كلمة لأخرى كما يبدو لنا الآن فى تعدد طرق النبر فى مثل كلمة "مطبعة"[2].

ونضيف إلى هذا أنه إن لم يكن لدينا دليل على وجود النبر فلا يوجد دليل على عدم وجود النبر فلم نسجل أصوات اللغة، وعبارتها فى القديم لنلاحظ وجود النبر أو عدمه. إلى جانب وجود عوامل أبعدت العربية الفصحى عن التأثير بالتطور اللغوى إلى حد كبير، وهو مقاومة العلماء العرب لكل انحراف عن الفصحى وعرفوه باللحن، ولكن هذه المقاومة لم تقف حائلاً فى طريق تطور العامية العربية وترك الآثار الكثيرة التى تدل على وجود النبر فى العربية القديمة فيما بحثنا. وهو لغة العصر الفاطمى، فهناك نصوص غابت عنها عيون حماة العربية من علماء اللغة، وهى التى اعتمدنا عليها فى بحثنا عن العربية العامية المصرية فى هذا، والعصر موضوع البحث وهى البرديات العربية وكتب الآباء البطاركة وكتب المؤرخين.

ويتحدد موضع النبر بنوع المقطع، وغالبًا ما يكون موضع النبر فى آخر الكلمة أى فى المقطع الأخير، فإذا كان المقطع الأخير من النوع الرابع أو الثالث كان هو موضع النبر وإذا كان من النوع الثانى أو الأول كان المقطع الذى بعده هو موضع النبر حين نعد من الآخر، وإذا كان غير ذلك بأن كان من النوع الأول كان النبر

---

(١) التطور النحوى.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى ٥٥.

على المقطع الأخير حين تعد من الآخر، يقول الدكتور إبراهيم أنيس "وموضع النبر فى الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع الذى قبل الأخير"[1].

ولكن قد يكون موضع النبر ليس فى كلمة، بل تشترك فيه خاتمة كلمة الأولى وبداية كلمة الثانية فى مقطع واحد مثال ذلك "من البيان" فإنها تتكون من المقاطع التالية: مِ + نَلْ + بَ + يَا + نِ" نوع المقطع:١+ ٣+ ١+ ٢+ ١.

والعلة فى ذلك أن النبر يوجد على المقطع، والمقطع قد يتكون من كلمتين نهاية الأولى وبداية الثانية فمن الطبيعى أن يتكون النبر من كلمتين أيضًا لأن النبر على المقطع.

انتقال النبر:

تتغير مواضع النبر فى الكلام، أو بعبارة أخرى ينتقل موضع النبر من مكان لآخر فى الكلام، وهذا يؤثر فى صيغ الكلمات وسقوط بعض أصوات الكلمة أو طول الحركات، وما إلى ذلك[2] يقول الدكتور إبراهيم أنيس لاحظ المحدثون فى مقارنتهم اللغوية وتطور الأصوات أن انتقال موضع النبر فى الكلمة أثر بينا فيما يصيب أصواتها من تطور وبمقارنة بعض الكلمات فى الإنجليزية الحديثة بما كانت عليه فى قديم الزمن لوحظ أن انتقال النبر فى الكلمة قد أدى إلى انضمارها فى بعض الأحيان والأثر الذى يحدثه انتقال نبر الكلمة انتقالاً خلفيًا يكاد ينحصر فى انكماش الكلمة وسقوط مقطعها الأخير كله أو بعضه[3].

إن لانتقال النبر أثرًا بالغًا على صيغ الكلمات، وكثير من التغيرات الصوتية فى الكلمة فمثلاً من طبيعة العربية الفصحى أن تقصر الحركة الطويلة فى المقطع المفتوح إذا كان يسبق مقطعًا آخر منبورًا ذا حركة طويلة فأصل مصدر "فاعل" فى العربية القديمة هو "فيعال" بنبر المقطع الثانى، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر أن قصرت حركته فصار المصدر فِعال مثل قَاتل قِتال بدلاً

(١) الأصوات اللغوية ١٧٢.

(٢) لحن العامة والتطور اللغوى ٣٥.

(٣) الأصوات اللغوية ٢٥٧.

من "قاتل قيتالاً" يقول المبرد ويجئ فى فاعل الفعال نحو: قاتلته قتالاً. وراميته رماء، وكان الأصل: فيعالاً. لأن فاعلت على وزن: أفعلت وفعللت فكان المصدر كالزلزال والإكرام ولكن الياء محذوفة من فيعال، استخفافًا وإن جاء بها فمصيب[1].

وعلى العكس من ذلك بقيت تلك الحركة الطويلة فى مثل دينار وميعاد فى المقطع الأول لوجود نبر ثانوى على هذا المقطع، وقد زال هذا النبر فى بعض اللهجات الحديثة فقصرت الحركة، وأصبحنا نقول دنار ومعاد[2].

وقد حدث كثير من هذا فى اللهجة الفاطمية من انتقال للنبر أدى إلى تقصير حركة طويلة، ومن هذا ما ورد فى أخبار مصر قول الشاعر:

وعند أمين الدولة اليوم للقنا   معاد وللبيض الرقاق نشور[3]

معاد أى ← ميعاد الذى حدث هنا تقتصر للحركة الطويلة بعد الميم لوجود النبر على المقطع التالى وهو مفتوح، أى تقصير للياء وتحويلها لكسرة قصيرة.

ميعاد "مى + عا + د ← م + عا + د"وتغيرت أنواع المقاطع فى الكلمة:

نوع المقطع: ٢+٢ +١ ← ١+٢+١ والتغيير هنا تقصير المقطع الأول فى الكلمة لوجود النبر بالثانى، فتغير نوع المقطع من النوع الثانى إلى الأول.

فتقصير الحركة ناتج من مجاورة النبر لهذا المقطع حيث إن النبر هنا على المقطع الثانى، وهو مقطع مفتوح "عا" والعلة الأساسية فى ذلك هو الوزن العروضى للبيت حيث إنه من بحر الطويل والذى وزنه فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن، فوجب حذف الياء.

---

(١) المقتضب: لأبى العباس المبرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٩٩ هـ، ص ٢/١٠٠.

(١) التطور اللغوى ٨٩، ٩٠.

(٣) أخبار مصر ٦٦.

ومثال آخر فى البرديات "فأنت تعلم فرغى من الخل[1] أى فراغى ← فرغى

فراغى= فَـ+ رَا+غى ← فـَ+ رَ+غى= فرغى & ١+٢+٢ ← ١+١+٢.

النبر على المقطع الأخير، وأثر هذا على المقطع الثانى فقصرت حركته.

وأيضًا ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "فضربوه بالسيوف وبدره الذكر فقطع رأسه[2] أى بادره ← بدره

بَادَرَهُ= بَا + دَ + رَهُ ← بَ +دَ + رَهُ= بَدَرَهُ & ٢+١+٢ ← ١+١+٢

تحليل: انتقل النبر من المقطع"د" فقصرت حركة المقطع الأول "با" فصار "ب"

ورد فى المجموع الصفوى قوله.. زوجته مع غرهم وله أن يحكم بعضهم مع بعض، وأن حكم لهم مع غرهم.... لكن يتحاكم هولا مع غرهم[3] أى غيرهم

غَيْرَهُمْ=غَىْ + رَ+هُمْ ← غرْ+هُمْ =غرْهُمْ & ٣+١+٣ ← ٣+٣.

والنبر على المقطع الأول وهو الأطول؛ فانتقل إلى المقطع الثانى، وهو من النوع الأول قصير مفتوح فقصر حركة المقطع الأول فأصبح من النوع الأول بعد أن كان من النوع الثانى طويل مفتوح، وذلك لإضافة غير إلى الضمير هم فتغير تركيب المقطع، وانتقل النبر لذلك فصارت (غيرهم ← غر+هم) غرهم.

ورد فى البرديات قوله.. وأنا اعزم على الخروج اليوم أقبلك فى هذه الأيام[4] أى أقابلك فصارت أقبلك.. وقد تطورت كما يأتى:

أُقَابِلَكَ=أ+ قَا+بَ+لَ+كَ ← أ+قَبْ+لَكَ"اقَبْلَكَ & ١+٢+١+١+١ ← ١+٣+٣.

فقصرت حركة المقطع الثانى، وهو من النوع الثانى وأدغم فيها المقطع التالى لها بعد التسكين فصار هو موضع النبر، وأصبح المقطع من النوع الثالث.

---

(١) السفر الخامس ٥٤ بردية ٢٤٢.

(٢) أخبار مصر ٢٢.

(٣) المجموع الصفوى.

(٤) السفر الخامس ٧٤ بردية ٢٥٩.

وأيضًا ورد فى أخبار الدول المنقطعة قوله "وكان لما جهز الجيوش كان الوقعة[1] أى الواقعة ⟵ الوقعة وهى كما يلى:

واقعة= وَا + قِ + عَةْ ⟵ وَقْ + عَةْ... الوقعة

٢ + ١ + ٣ ⟵ ٢ + ٣

فانتقل النبر وأصبح على المقطع الثانى.

وفى أخبار مصر للمسبحى "وكانت رحلات الناس وجميع ما يملكونه يلقى به فى الأسواق ولا نجد من بخل عنه درهم[2] أى راحلات أو راحولات ⟵ رحلات، وقد ورد فى القاموس المحيط" وناقة مسترحلة نجيبة، والراحولات فى قول الفرزدق الحل[3] وتفسير ذلك كما يلى:

راحلات = را + ح + لات ⟵ رح + لا ت = رحلات

٢ + ١ + ٤ ⟵ ٣ + ٤

ولا يقتصر أثر انتقال النبر على تقصير الحركة الطويلة بل قد يؤدى إلى سقوط بعض الحركات أو تطويل بعض الحركات، يقول برتيل مالبرج فى علم الأصوات عن شرط وقوع النبر فى المقطع أن يكون طويلاً "أن تكون الكلمة مكونة من مقطع طويل على الأقل حتى تصلح للنبر فنحن نعلم أن المقطع القصير لا يصلح أن يكون موضعًا للنبر إلا إذا اعتمد على مقطع طويل بعده فى نهاية الكلمة أو على مقطعين قصيرين فهو بذاته أضعف من أن يتحمل الضغط الذى يطل حركته، فيخرجه عن مفهومه الاشتقاقى أو الدلالى.

ومن أمثلة ذلك ما حدث للمقطع القصير فى صيغة فعل، وقد كانت هذه الصيغة تدل فى تاريخ العربية ـ على ما يدل عليه اسم فاعل، ويبدو أن خاصتها

---

(١) أخبار الدول المنقطعة: لابن ظافر مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى، المجلد الثانى عشر القاهرة ١٩٧٢م، ص ٦٨.

(٢) أخبار منصر ١٢٨.

(٣) القاموس المحيط ٢٧١/٢ .

البيانية قد ضعفت فى مرحلة معينة فى ذوق الناطق الفصيح، فلم يعد يشعر بأنها تؤدى ما يريده من الوصف فكان أن نبر المقطع الأول بضغطه أحالت حركته فتحولت صيغة "فعل" إلى "فاعل" وشاع الإستعمال الجديد على ألسنة الناطقين فكان اسم الفاعل على الشكل الذى نعرفه، وبقيت عدة كلمات من الرواسب اللغوية على وزن "فعل" مثله فكه وفقه..... [1].

وشبيه بهذا ما حدث فى المجموع الصفوى حيث قال... أخذًا الأرملة إذا أخرتها من لا تنقص سنوًّها عن ستين سنة[2] أى سنها فحدث أن جاء النبر على المقطع الثانى فزادت حركتها لتصبح سنوها، وهى كالآتى:

سنها = سَنْ + ها ⟵ سِ + نُوْ + وَ + هَا = سنوها

٣ + ٢ ⟵ ١ + ٣ + ١ + ٢

وورد فى تاريخ أبى صلح.. وأضاف قبليها هيكل على اسم الملاك[3] أى قبلها وعندما ضغط المقطع الثانى بتأثير النبر أصبحت قبليها.

قبلها = قَبْ + لَ + هَا ⟵ قَبْ + لى + هَا = قبليها.

٣ + ١ + ٢ ⟵ ٣٠ + ٢ + ٢

ويحدث هذا الأمر بكثرة فى العامية المصرية المعاصرة بل أصبحت عادة كلامية عندنا، فيقولون: أنا جئت قبليك، وسافرت بعديك.

وكذلك وجد فى نفس المرجع قوله.. وأنشأ فيها عدة كنائس أحديهم بيعة[4] أحدهم ⟵ أحديهم بتأثير النبر: أ + حَ + دَ + هُمْ ⟵ أ + حَ + دِى + هُمْ.

وفى المجموع الصفوى قوله[5] وانها اختصارات للملوك "

---

(١) علم الأصوات ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٣) تاريخ الشيخ أبى صلح ٥٠.

(٤) تاريخ الشيخ أبى صلح ١٣٦

(٥) المجموع الصفوى

أى اختصرت ← اختصارات بتأثير النبر

اختصرت=اخْ + تَ + صَ + رَتْ ← اخْ +تِ صا + رَتْ=اختصارت.

وقد يكون للنبر أثر آخر، هو اختصار بعض أصوات الكلمة فى المقاطع التى لا تحمل هذا النبر، يقول الدكتور رمضان عبد التواب "نرى أثر النبر فى اختفاء بعض أصوات الكلمة فى المقاطع التى لا تحمل هذا النبر مثل إيش فى أى شىء ١١/٧٤ "بدى" فى بودى ١٢/٧٤ وله فى للساعة ١٤/٧٦ وهذا يشبه قول أهل العراق.. هه.. بمعنى الآن وأصلها الساعة[١]

وقد وردت كلمات كثيرة فى هذا النوع من التطور كما فى منامات الوهرانى قوله.. ما عرف أيش رأيتم..[٢] ا أى شىء ← أيش

وقد أشار الدكتور عبد العزيز مطر إلى إطالة صوت اللين القصير بتأثير النبر موضحًا أثر ذلك فى ظهور اللحن على ألسنة العامة فى قوله "ومعنى ارتباط النبر بطول الصوت أنه إذا انتقل عن موضعه صحبه - غالبًا - إطالة صوت اللين القصير. وعلى هذه الحقيقة نبنى تفسيرنا لحدوث اللحن فى عدة وحدات وردت فى الكتب التى بين أيدينا ويمكن إدراجها فى ظاهرتين هما:

١ - إطالة صوت اللين فى مثل اعرْعَار ولُوبان وطيحال فى عرعر ولبان وطحال.

٢ - تشديد الصوت المخفف فى بعض المواقع، مثل دَّبه وقرقلَّ بدل دبه وقَرْقَل...[٣].

---

(١) التطور اللغوى ٢٣٦.

(٢) المنامات ١٧، ١٧١.

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ٢١١.

الفصل السابع

التطور المرحلى

ونقصد به أن الكلمة المكونة من مجموعة أصوات قد تفاجأ بأن تغيرًا ما حدث فيها، ولكن لا يمكن أن يكون هذا التغير قد حدث فيها فجأة، ولا يمكن أن يخضع لقانون صوتى واحد، ولكن بعد البحث نجد أنه قد مر بعدة مراحل من التطور خضع فيها لعدد من القوانين الصوتية التى عملت فيه وغيرها من الظواهر الصوتية التى لا يمكن أن تخضع لقانون صوتى ـ ومن هنا يأتى القول بأن هذه الكلمة مرت بتطور ولكن فى عدة مراحل وبطبيعة الحال على مدة زمنية كبيرة. لهذا سمينا هذه العملية بالتطور المرحلى، ولقد كان الدافع لهذه الفكرة ما وجدناه من إشارات كثيرة لدى علماء اللغة المحدثين فسروا فيها كثيرًا من حالات التطور المرحلى بهذه الصورة التى نتحدث عنها، ومن هؤلاء الدكتور رمضان عبدالتواب فى حديثه عن أمثلة الركام اللغوى: "ومن أمثلة ذلك مراحل تطور الأفعال المعتلة فى اللغة العربية وأخواتها اللغات السامية. فقد تركت بعض هذه المراحل ركامًا لغويًا فى تلك اللغات هنا وهناك[1].

ومن أمثلة التطور المرحلى فى عامية العصر الفاطمى ما يلى:

١ ـ كلمة حيط من حائط:

لقد مرت كلمة حائط التى أصبحنا ننطقها حيط بكثير من المراحل كما حدث فى كلمة غائط التى أصبحنا ننطقها غيط، وكلمة جورب التى أصبحنا ننطقها شراب وقد وردت هذه الكلمة فى البرديات العربية فى قوله:

---

(١) بحوث مقالات فى اللغة ٥٩.

١ ـ ..... الذى لزم للبيت الذى

٢ ـ لمسجد عيشونه فى أبو مرواح على الحيط الكبير[١].

وفى تاريخ أبى صلح "وهدم بعض حيطانها[٢] أى حائط.

وفى السفر السادس (٦- نولين ابن الحيط نول[٣].

فقد مرت هذه الكلمة بمراحل من التطور الصوتى وهى كالآتى:

المرحلة الأولى: أبدلت الهمزة ياء فصارت حايط: وقد وردت كلمة حايط فى السفر الأول فى قوله "إن الحايط الذى بحرى منزل الحسين[٤]

وهى الصورة التى تمثل المرحلة الأولى من التطور.

المرحلة الثانى: هى انكماش الفتحة الطويلة لتتحول من حايط إلى حيط.

المرحلة الثالثة: وهى عملية المماثلة بين الحركات، فتحولت الفتحة القصيرة التى على الحاء إلى كسرة لتماثل حركة الياء فتصبح حيط كما تستخدم الآن فى العامية المعاصرة فالصورة: هى حائط ← حايط ← حَيط ← حِيط.

ومثلها كلمة غائط التى أصبحت غيط. وقد أشار إلى أصل كلمة غيط صاحب كتاب القول المقتضب فى قوله "ويقولون (غيط) وهو صحيح لغوى والغوط الحفر ودخول الشىء فى الشىء كالغيط والمطمئن الواسع من الأرض كالحائط والغوطة الوحدة فى الأرض ومدينة دمشق[٥].

وفى اللسان "والحائط الجِدار لأنه يحوط ما فيه. والجمع حيطان قال سيبويه وكان قياسه حوطان، وحكى ابن الأعرابى فى جمعه حياط كقائم، وقيام إلا أن

---

(١) السفر السادس ٦٩/ بردية ٢٨٦.

(٢) تاريخ أبى صلح ٣٦.

(٣) السفر السادس ٧١/ ٢٨٧.

(٤) السفر الأول ١٢٣ بردية ٥٢

(٥) القول المقتضب فيما فيوافق أهل مصر من لغات العرب:محمد بن أبى السرور، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ب ت ص ٨٦.

حائطًا قد غلب عليه الاسم فحكمه أن يكسر على ما يكسر عليه فاعل إذا كان اسمًا[1].

٢ ـ كلمة أراه ⟵ أوراه

قد مرت هذه الكلمة بمراحل من التطور حتى وصلتنا على هذه الصورة (أوراه) وقد وردت فى تاريخ الشيخ أبى صلح "وظهر ملاك الرب وأوراه كيف يلبس شكل الرهبنة[2] وفى موضع آخر "أين مكان وقوف القس فأوراه أى أراه.

وفى أخبار مصر للمسبحى "فقال له تعرف هذا الحظ فنظره، ثم أوراه للشيخ نجيب[3]" أى أراه فصارت ⟵ أوراه

والذى حدث لهذه الكلمة أنها مرت بمراحل من التطور حتى وصلت إلى هذه الصورة، ونذكر أولا صورة من تطور هذه الكلمة فى شكل آخر؛ فقد قال ابن منظور "وقال ابن سيده: الرؤية النظر بالعين والقلب، وحكى ابن الأعرابى على رِيّتِكَ أى رُوَيّتَك، وفيه ضَعَةٌ وحقيقتها أنه أراد رُؤْيَتِكَ، فأبدل الهمزة واوًا إبدالاً صحيحًا فقال رؤيتك ثم أدغم لأن هذه الواو قد صارت حرف علة لما سلط عليها من البدل فقال: رُوْيّتِك، ثم كسر الراء لمجاورة الياء فقال رِيّتِكُ[4].

وهذا يوضح مراحل تطور كلمة رؤيتك حتى أصبحت ريتك. وهذا الحديث يدل على أن علماء العربية كانت لديهم تفسيرات لهذه الظاهرة وهى التطور المرحلى فهم على علم بها وأقاموا على أساسها كثيرا من التفسيرات لظواهر لغوية مرت بمراحل كثيرة. ويمكن تفسير ذلك من خلال هذا الشكل:

رؤيتك (بإبدال الهمزة) ⟵ رويتك (بالإدغام) ⟵ رُيّتَكْ (بالمماثلة بين الضمة والكسرة فغلبت الكسرة) ⟵ رِيّتَك (وبالتخفيف للياء) ⟵ رِيَتَك.

---

(١) اللسان مادة حوط ١٠٥٢.

(٢) تاريخ أبى صلح ٦٩، ٧٨.

(٣) أخبار مصر ٢٢٢.

(٤) اللسان مادة رأى ١٥٣٧.

وهذا التطور شبيه بما حدث لكلمة أراه حتى أصبحت أوراه، فقد مرت بمراحل هى: رأى ⟵ روى وذلك بتخفيف الهمزة.

وروى هذه لازالت مستخدمة حتى الآن على ألسنة العامة فى العراق فيقول "روينى هذا الشىء" أى أرنى هذا الشىء؛ روى ⟵ وروى، وذلك بالقلب المكانى وهذه الصورة الأخيرة هى المستخدمة على ألسنة عامية المصرية حتى الآن، ولكن الصورة التى وردت عندنا هى أورى والعلة فى دخول الهمزة هنا هى محاولة الكاتب تحقيق الهمزة لإظهار التفصح أى الفصاحة فصارت: ورى أورى ⟵ ومنها أوراه.

٣ ـ كلمة مشئومة ⟵ ميشوة:

وفى المنامات "وهو ميشوم الطلعة فى كل حين" [١] وفى موضع آخر "بهذه الخلال الميشومة" أى مشئومة.

وهذه الكلمة مرت بمراحل من التطور فالأصل هو:

(أ) مشئومة ⟵ مشيومة إبدال الهمزة ياء وبقاء الضمة الطويلة.

(ب) مشيومة ⟵ ميشومة، وذلك بالقلب المكانى حيث حلت الياء محل الشين وحلت الشين محل الياء، بتقديم صوت وتأخير الآخر،فصارت ميشومة،

وقد وردت هذه فى شفاء الغليل" ميشوم ومشوم خطأ عامى وصوابه مشئوم، قاله الزبيدى[٢]. ولم أسمعها فى العامية المصرية المعاصرة !!

٤ ـ كلمة سيدتى ⟵ ستىّ:

وهذه الكلمة مرت بمراحل فى التطور الصوتى حتى وصلت إلى ستى، وما حدث لها هو: سيدتى ⟵ سيتتى بإبدال الدال تاء لتجاورهما والمشابهة الصوتية بينهما.

سيتتى ⟵ ستىّ بإدغام التاء مع التاء المبدلة عن الدال.

---

(١) المنامات ٢٦، ٤٣.

(٢) شفاء الغليل ٢٤٨.

ستى ←── ستت ، بتقصير حركة الكسرة الطويلة لتصير ستِ.

مثل قول أبى صلح "على ستّنا السيدة العذرى الطاهرة[1].

كما فى قول ابن ميسر "وكان المستنصر عقد لست الملك ابنة بدر الجمالى يعلى ابنة المستعلى[2]

وقد ذكر صاحب القاموس المحيط حديثا عن ستّى يقول "الست للمرأة أى يا ست جهاتى أو لحن والصواب سيدتى[3].

٥ ـ شحاذة شحته:

ورد فى المجموع الصفوى قوله "لاسيما أن فسدت شحته وحده[4] أى شحاذته.

وقد مرت هذه الكلمة بمراحل من التطور حتى وصلت إلى هذه الصورة وهى شحته.

يقول شهاب الدين الخفاجى "شحات: للسائل، وسموا شحاته بالمثلثة وصوابه شحاذ. وشحاذة من شحذ السيف صقله شبه به الملح، قاله أبو منصور فى الذيل لكن فى شرح الدرة قالوا إنه حسن على البدل كما قالوا "جثا وجذا أو قثمت الشىء وقذمته ولا يدع فى أمثاله[5].

وفى القاموس المحيط "والشحذ... والإلحاح فى السؤال وهو شحاذ ملح ولا تقل شحات[6] وهذه الكلمة مرت بمراحل من التطور هى:

شحاذة ←── شحاتة وذلك بإبدال الذال تاء

شحاته ←── شحته وذلك بتقصير الحركة الطويلة وهى الفتحة.

شحته ←── شحته إضافة الهاء إليها سبب إدغامًا ما فى التاء مع التاء الثانية فصارت شحته.

---

(١) أخبار مصر ٤٠

(٢) القاموس المحيط ١/١٥٥.

(٣) المجموع الصفوى.

(٤) شفاء الغليل ١٦١.

(٥) القاموس المحيط ١/٣٥١.

(٦) تاريخ أبى صلح ٣٤.

الفصل الثامن

الخصائص الصوتية للهجة المصرية

هذا فصل أضفناه جديدا لهذا البحث، وهو تلخيص للخصائص الصوتية للهجة الفاطمية؛ ومتابعة تلك الخصائص فى امتدادها وتطورها من العصر الفاطمى إلى العامية المصرية المعاصرة، نناقش فيه أهم القضايا الصوتية مثل:

١ ـ آثار اللغة القبطية الصوتية على أصوات اللهجة (الفاطمية والمعاصرة).

٢ ـ تتبع الخصائص الصوتية للهجة الفاطمية ما بقى منها لعصرنا وما نسى

٣ ـ إعطاء صورة تقريبية للملامح الصوتية للهجة الفاطمية التى تتميز بها.

أولا: آثار اللغة القبطية على اللهجة الفاطمية

إن أهم آثار اللغة القبطية على اللهجة الفاطمية هو اختفاء بعض الأصوات:

مقدمة: نتيجة لتفاوت الإمكانيات الصوتية بين لغة وأخرى، فكل لغة لها إمكانات صوتية ومناطق تستخدمها فى جهازها النطقى تصدر منها أصواتها، ومناطق أخرى لا تستخدمها، فينتج عن ذلك عجز لديها فى إصدار أصوات من هذه المناطق، وتلك طبيعة كل لغات البشر فى تحديد مناطق خاص بها فى جهازها النطقى، يقول د. رمضان عبد التواب " غير أن الشعوب البشرية، قد اختلفت فيما بينها فى استخدام إمكانيات الجهاز النطقى،استخداما كاملا، وهذا هو السبب فى أن اللغات الإنسانية، تتفق فيما بينها فى إمكانيات الجهاز النطقى المتعددة، فالشعوب الهندوأوروبية مثلا لم تستخدم كل إمكانيات النطق فى إخراج

الأصوات من الحلق، ولذلك تخلو بعض لغاتهم من صوتى الخاء والعين، وذلك عكس اللغة العربية ومعظم اللغات السامية مثلا"[1].

وأول من لاحظ هذه الظاهرة فى لغات البشر الجاحظ فقال "لكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استخدام الروم السين، واستعمال الجرامقة العين، وقال الأصمعى: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء ولا للسريانى ذال"[2].

ومن هذه المقدمة يمكننا القول: إن اللغة القبطية ستنطق بعض الأصوات العربية وتعجز فى الوقت ذاته عن نطق بعض الأصوات الأخرى، نتيجة لأن هذه الأصوات تصدر من مناطق تستخدمها اللغة القبطية، وأمّا الأصوات الأخرى فتصدر من مناطق لا تستخدمها فى جهازها النطقى، وهذا يعنى أن هناك أصوات عربية ستختفى من ألسنة الأقباط الذين سيضطرون إلى تعلم العربية، كلغة تفاهم وتواصل مع مجتمعهم العربى الجديد.

ويضاف إلى ما سبق سبب آخر لاختفاء هذه الأصوات، وهو أن القدرة الصوتية عند هؤلاء القوم، وقد تعلموا العربية كبارًا، بعد أن تكونت لديهم القدرة العقلية على الجمع بين الصورة الذهنية للصوت وبين منطقة صدور هذا الصوت عند النطق الفعلى له،هذه القدرة العقلية التى دخلت إلى اللاشعور عندهم، يصبح من الصعب عليها بعد ذلك التركيز على استخدام مناطق جديدة من جهازهم النطقى لم يستخدموها من قبل؛ وذلك بعد بلوغهم مرحلة عمرية معينة (إلى سن أربع عشرة سنة تقريبا) فلا يستطيع هذا الشخص البالغ استخدام تلك المناطق الجديدة عند تعلمه هذه اللغة الجديدة، فيسارع إلى استبدالها بأصوات أخرى تصدر من المناطق التى استخدمها من قبل، وتوافق قدراته الصوتية التى تعلمها واستخدمها عند اكتسابه للغته الأم (أى أصوات لغته الأم).

وقد ذكر الجاحظ أن لكل أمة أصواتها الخاصة بها يتطبع بها أبناؤها منذ النشأة الأولى لهم فلا يستطيعون تغييرها عند بلوغهم مرحلة الشباب بقوله "الا

---

(١) المدخل إلى علم اللغة: ٢٩.

(٢) البيان والتبين: لأبى عمرو الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٠م ص ٦٥/١.

ترى أن السندى إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام فى عليا تمتم، وفى سفلى قيس، وبين عجز هوازن خمسين عاما، وكذلك النبطى القح، خلاف المغلاق الذى نشأ فى بلاد النبط لأن النبطى القح يجعل الزاى سينًا"[1].

هذا الأمر قد حدث للأقباط عند تعلمهم العربية، فهى ليست لغتهم الأم، وأنهم تعلموها كبارًا وأن بها أصواتًا يعجز جهازهم النطقى عن النطق بها، ولهذا يجب البحث عن سبب اختفاء هذه الأصوات من على ألسنة القبط فى جهة أخرى،وهى النظر إلى أصوات اللغة القبطية؛هل كانت هذه الأصوات موجودة فيها أم لا؟ وعليه يمكن أن نفسر سبب اختفاء هذه الأصوات فى العامية الفاطمية، بل فى العامية المصرية المعاصرة أيضا.

١ ـ اختفاء الأصوات الأسنانية من اللهجة العامية الفاطمية:

نجد فيما بين أيدينا من مصادر تعود لهذه الفترة استبدال هذه الأصوات بأصوات مجاورة لها فى المخرج، وخصوصا تحول الذال إلى الدال بكثرة، وبالرجوع إلى الأبجدية القبطية لم نجد من هذه الأصوات الأسنانية سوى صوت الثاء الذى ينطق كـ (th) فى الإنجليزية،ويسمى ثيطا[2]، وذكر صاحب كتاب أصل الألفاظ العامية قوله: وجدت فى بعض كلمات الدولة الوسط مستبدلة بالتاء"[3] أى أنه كان ينطق تاءً فى العامية المصرية القديمة. وفى إطار هذا لا نستغرب اختفاء هذه الأصوات فى العامية المصرية قديمًا وحديثًا، وما وجد منها فى بعض المصادر يعود إلى محاولة الكاتب التزام اللغة الرسمية للبلاد، كما يحدث فى عصرنا من أن هناك لغة نتكلم بها، ولغة نكتب بها، وكلاهما لغة عربية؛ ولكن الثانية ليست لغة عامة الشعب، بل لغة الدواوين الرسمية.

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ٧٠ راجع كتابى"الجاحظ والدراسات اللغوية"ط زهراء الشرق، ص٧٣.

(٢) الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين: ٦، هذا خاص بلغة الكتابة التى كانت تستخدم الإبجدية اليونانية، أما اللغة القبطية لغة عامة الشعب؛ فلا يوجد فيها هذا الصوت.

(٣) أصل الألفاظ العامية: ج ٢/ ١٠.

٢ ـ اختفاء القاف من العامية المصرية القديمة والحديثة:

وكذلك نلاحظ اختفاء القاف وتحولها فى اللغة العامية المعاصرة إلى همزة، ولكننا لا نجد هذا فى المدونات التى بين أيدينا للهجة الفاطمية، فكلها لا تبدل القاف همزة، بل تثبتها كما فى العربية قافًا، وهذا من جنايات اللغة المكتوبة على اللغة المنطوقة، ففى أشد البرديات عامية نجد القاف كُتبت قافًا، ذلك لأن الكاتب مهما كانت قلة علمه بالعربية إلا أنه تعلم أنها تكتب قافًا، وتنطق همزة.

غير أننى وجدت فى بعض المصادر مثل تفسير الألوسى اسم رجل بالقاف مرة وبالهمزة مرة، والأول منسوب لابن عباس والثانى لم يذكر مصدره، وهذا الرجل هو عزيز مصر (قطفير وأطفير) ولعل الثانى من تأثير العامية المصرية.

وبالرجوع إلى المصادر القبطية تبين أنها خلت من صوت القاف، فلا نجده فى معاجمها ولا ضمن أبجديتها، بل إنهم يبدلونها بصوت مجاور لها وهو صوت الكاف، سوى ما وجدت فى اللغة المصرية القديمة (الفرعونية) من رمز للقاف، ورمز آخر للكاف، ولكن بجوارهما نطق كل منهما بالإنجليزية والقبطية، وهو (K) أى أنهما ينطقان كافًا عربية، وذلك فى الأبجدية التى ذكرها سامح مقار فى كتبه عن اللهجة المصرية القديمة، وهذا يعنى أنها كانت تنطق كافًا فى القبطية، وهذه اللغة الأهم لدينا هنا أكثر من المصرية القديمة، لأن القبطية هى لغة عامة الشعب قبل الفتح، الذين التقوا بالعربية وتكلموا بها، وتعلموها، فعانوا من صعوبة النطق بهذا الصوت (القاف) فأبدلوه همزة.

تاريخ القاف:

ويحدثنا عن تاريخ هذا الصوت و تطوره فى اللهجات العربية المختلفة وتاريخه فى السامية د. رمضان عبد التواب قائلاً: يعد صوت القاف من الأصوات التى عانت كثيرا من التغييرات التاريخية فى اللغة العربية، فإن مقارنة اللغات السامية، تدل على أنه صوت شديد مهموس، ينطق برفع مؤخرة اللسان، وإلصاقها باللهاة، لكى ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثم يزول هذا

السد فجأة، مع عدم حدوث اهتزازات فى الأوتار الصوتية، ففى العبرية مثلا: Kol قول، وفى الآرامية: Kala قالا، وفى الحبشية : Kal قال، بمعنى: "صوت" فى الجميع، وهو يقابل فى العربية:"قول". وفى الآشورية Kulu: قول بمعنى: "صراخ".

"وقد عد قدماء اللغويين العرب "القاف" من الأصوات المهجورة فى العربية الفصحى، فإن صدق وصفهم إياها بالجهر، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية فى العربية القديمة. وقد بقى هذا النطق المجهور فى أغلب البوادى، فى اللهجات العربية المعاصرة، وإن تقدم مخرجه إلى الأمام قليلا، وأصبح كالكاف الفارسية.

غير أن هناك تغييرات أخرى كثيرة، طرأت على هذا الصوت فى البلاد العربية، فهو ينطق صوتًا مزجيًا "Affricate" كالجيم الفصيحة، فى بعض بلدان الخليج العربى، كالبحرين، فقد سمعت بعض أهلها يقولون: "الجبلة" بدلاً من "القبلة". كما ينطق فى مدينة "الرياض" وضواحيها، فى الجزيرة العربية، صوتًا مزجيًا كذلك، غير أنه مكون من الدال والزاى " "dz" فى مثل قولهم: "دزبلة" فى: "قبلة"، و"دزليب" فى: "قليب"، وغير ذلك مما سمعته بنفسى هناك.

وفى السودان وجنوبى العراق، تحول نطق القاف إلى غين، ففى حديث إذاعى مع أحد السودانيين، فى إذاعة ركن السودان بالقاهرة، فى شهر مارس سنة ١٩٧٨م، وردت الكلمات التالية: لغاء، وغناة ويغدر، والديموغراطية، وعلاغة، واغتصادى، وانتغلت، والاستغلال، بدلا من لقاء، وقناة، ويقدر، والديموقراطية، وعلاقة، واقتصادى، وانتقلت، والاستقلال.

وفى اللهجة المصرية كلمتان قلبت فيهما القاف غينًا على هذا النحو، هما: "يغدر" ومشتقاتها، بدلا من "يقدر"، و"زغزغ" بمعنى: حرك يده فى خاصرة الصبى ليضحكه. والأصل فيها فى العربية الفصحى: "زقزق".

كما تطورت "القاف" إلى "كاف" فى نطق الفلسطينيين فى المدن، فهم يقولون مثلا: "كال" فى: "قال"، و "برتكان" فى: "برتقال"، و "كتله كتل" فى "قتله قتلا"، وغير ذلك.

والتعليل الصوتى لكل هذه الانقلابات، سهل ويسير، فتأثير "قانون الأصوات الحنكية" واضح فى انقلاب القاف إلى نطق مزجي، فى بعض بلدان الخليج "كالجيم الفصيحة"، وفى الرياض وضواحيها "دز". والدليل على ذلك أن القاف لا تعانى من هذا القلب إلا إذا وليتها كسرة، تماما كما يتطلب هذا القانون.

كما أن ضياع الانفجار من القاف، وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلا، هو المسئول عن انقلابها غينًا فى نطق أهالى السودان وجنوبى العراق. وكذلك انقلابها كافًا فى نطق الفلسطينيين، ليس إلا تزحزحًا فى مخرجها قليلا إلى الأمام، مع ترقيقها، واحتفاظها بصفة الشدة فى نطقها.

هذه هى بعض التغييرات التاريخية لصوت القاف فى اللهجات العربية المعاصرة، والتعليل الصوتى لحدوثها، غير أن ما يهمنا هنا هو انقلاب القاف همزة فى لهجة القاهرة، وبعض اللهجات الأخرى. ويبدو أن هذا النوع من التطور فى القاف، قديم فى اللغات السامية، فقد نقل "بروكلمان" عن "ليتمان" أن القاف تحولت فى أعلام "الفينيقية" فى بعض الأحيان إلى همزة، ثم سقطت، كما سقطت الهمزات الأصلية فى الفينيقية، فمثلا: "العلم الفينيقى": "Himalkart" "حملقرت" تحول إلى " :"Himalar"حملر".

والعلة الصوتية فى هذا التطور، تتلخص فى أن مخرج القاف، انتقل إلى الخلف "باحثًا عن أقرب الأصوات شبهًا به من الناحية الصوتية، فتعمق القاف فى الحلق عند المصريين، لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف، إلا الهمزة، لوجود صفة الشدة فى كل منهما"[(١)].

ولعل هذا التطور كانت له بداياته، فى عصور الفصاحة، فقد أوردت المعاجم العربية، وكتب اللغة، مجموعة من الألفاظ، رويت لنا مرة بالقاف، وأخرى بالهمزة، والمعنى فيهما واحد. وفيما يلى بعض هذه الألفاظ:

١ ـ يقال: قشبه بشر، وأشبه به، يعنى: لامه وعابه "ما اختلفت ألفاظه للأصمعى ١٨-١٩ والإبدال لأبى الطيب ٢/٥٦١. وإصلاح المنطق ٤٠٦".

(١) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ٦٩.

٢ ـ القفز، والأفز، بمعنى: الوثب "الإبدال لأبى الطيب ٢/ ٥٦٢.

٣ ـ القوم زُهاق مائة، وزُهاء مائة، أى: قريب من ذلك "الإبدال لأبى الطيب ٥٦٢/٢ وإصلاح المنطق ١٠٦ ويرى ابن فارس فى مقاييس اللغة ٣٣/٣ أن الهمزة هنا هى التى أبدلت قافًا"....

ويزيد عليه بروكلمان، أن ذلك "التحول فى صوت القاف إلى همزة، يوجد كذلك فى تلمسان، وشمالى مراكش، وعند اليهود فى شمال إفريقيا، وكذلك فى اللغة المالطية، فى معظم الأحوال".

وإن كان الشيخ محمد على الدسوقى يتعجب من أن "أهل جزيرة مالطة ينطقون بالقاف فى جميع كلماتهم، التى ورثوها عن العرب الفاتحين، مع أن أهل مصر يستنكفون عن النطق بها".

ويخبرنا "برجشتراسر" فى الأطلس اللغوى الذى عمله لسوريا وفلسطين سنة ١٩١٥ بأن "نطق القاف همزة، يسود معظم مدن سوريا وفلسطين، فيما عدا القليل، ومع ذلك يوجد نطق القاف فى المدن أحيانًا بين غير المتعلمين"، كما ينقل عن "ليتمان" قوله: "إن المسيحيين فى حلب، لا ينطقون إلا الهمزة، على العكس من المسلمين الذين لا ينطقون هناك إلا القاف". كما يقول ليتمان: "وقد سمعت الهمزة من يهودى متعلم، والقاف من مسلم غير مثقف"[(١)].

لقد أوردت هذا النص المطول لبحث أستاذى الكبير د. رمضان عبد التواب (رحمه الله) لبيان مدى التغييرات التى طرأت على هذا الصوت وتحوله إلى أصوات كثيرة فى العربية واللغات السامية، غير أن أحدًا لم يرجع ذلك فى العامية المصرية إلى تأثير اللغة القبطية على نطق القاف، وتحولها إلى همزة، وإن كان هذا التفسير الأخير الذى ذكرته له ما يبرره من وجهة نظر علم اللغة الصوتى، وما استقر فى التاريخ اللغوى للعامية المصرية، والله أعلم.

---

(١) بحوث ومقالات فى اللغة: د. رمضان عبد التوات،ط١، مكتبةالخانجى القاهرة ١٩٨٢م ص ١٤٩.

الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية:

وجدت كتابًا لرجل ألمانى يدعى أرون إمْبر (المصرية القديمة) نشر عام ١٩٣٠م وقد أثبت فيه العلاقة الوطيدة بين السامية والمصرية القديمة، وقد ركز اهتمامه الأكبر على العلاقة الصوتية بينهما،فقال" إن اللغة المصرية فى أساسها لغة سامية من الناحية المعجمية ومن الناحية النحوية كلتيهما (وخاصة بالنسبة لإعرابها) ويبدو أن ما لا يقل عن خمس وثمانين فى المائة من كلمات اللغة المصرية القديمة هى كلمات سامية، وهناك، بالطبع، اختلافات مهمة، لكنها فى رأيى ليست أهم مما ينبغى أن نتوقع أن تكون حين نتدبر حقيقة أن اللغة المصرية لابد أن تكون انفصلت عن الجذر السامى المشترك قبل بدء التاريخ بآلاف السنين تطورت تطورًا خاصًا بها منذ ذلك العهد البعيد، تكاد تكون مستقلة تماما عن اللغات السامية الأخرى"(١).

ويقول فى موضع آخر" إن هدف المؤلِّف فى هذا البحث أن يقرر الصلات الصوتية بين المصرية واللغات السامية ويضرب أمثلة لها. وأمله أن تقدم النتائج المحرزة أساسًا متينًا للدراسات المصرية ـ السامية فى المستقبل"(٢).

لعل هذا القول يفسر لنا سبب قلب القاف همزة باللهجة الفاطمية واللغة القبطية وفى بعض القبائل العربية كأصل سامى ترجع إليه هذه الظاهرة فى تلك اللغات.

٣ ـ قلب الضاد ظاءً:

تقلب الضاد فى اللهجة الفاطمية إلى ظاء ـ كما رأينا فى داخل البحث، وكان سبب هذا التحول عدم وجود الضاد فى القبطية ولا اليونانية ولا المصرية القديمة، فالعربية هى اللغة السامية الوحيدة، وكذلك غير السامية التى بها صوت الضاد، وكان هذا الصوت من الصعوبة بمكان حتى يحوله المتكلم إلى صوت

---

(١) المصرية القديمة لغة عروبية: أرون إمبر، تر/ على فهمى خشيم، مجمع اللغة العربية، طرابلس ليبيا،ط١ ٢٠١٠م ص ١٢.

(٢) المرجع السابق: ١٥.

لم يعتده أيضا، ولكنه استطاع النطق به،وهو صوت الظاء، وذكرنا هناك أمثلة لذلك نحو: خاضعين ⟵ خاظعين، وهو التحول إلى ذلك الصوت الذى لا تنطقه اللغة القبطية (الظاء) إلا أن تحول الضاد كان إليه فى اللهجة الفاطمية وفى العامية المعاصرة أيضًا، فهم فى العامية المصرية المعاصرة يقولون فى كلمة ضابط: ظابط، وهو شبيه بما حدث فى عامية سلطنة عمان المعاصرة فى قلب الضاد إلى ظاء أيضا فى نحو مضر التى تتحول إلى مظر، وفى ولا الضالين تصير ولا الظالين. مما يشير إلى أن هذه ظاهرة حدثت أولاً فى اللهجات العربية، ثم انتقلت إلى بعض الأمصار.

ثانيا: الخصائص الصوتية للهجة الفاطمية التى امتدت إلى العامية المعاصرة

فى هذا الجزء من البحث نحاول إظهار السمات الصوتية الموجودة فى العامية الفاطمية ولازالت ممتدة فى العامية المصرية المعاصرة،ومن تلك الظواهر:

١ ـ انكماش الأصوات المركبة Diphtohong :

وهى ظاهرة من ظواهر السهولة والتيسير فى اللغة، فتحول الأصوات المركبة (a w) إلى ضمة طويلة ممالة (O) فى مثل نطقنا لكلمة: يُوم وصُوم بدلاً من يَوم وثُوم وصَوم، وكذلك تحول الصوت المركب (a y) إلى كسرة طويلة ممالة (e) فى مثل نطقنا لكلمة بِيت ولِيل وعِين وبدلاً من بَيت ولَيل وعَين كل ذلك سببه إيثار اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات[١].

وتعد تلك الظاهرة من الظواهر المميزة للعامية المصرية الفاطمية، والعامية المصرية المعاصرة، ولذلك توقفنا عندها لنبرزها، كسمة صوتية للعامية القديمة والمعاصرة فى مصر، وقد ذكرنا هناك كلمات نقلناها عن اللهجة الفاطمية، ونذكرها هنا مع ذكر حالها فى العامية المصرية المعاصرة، لبيان ثبات هذه الظاهرة واستمرارها كسمة مميزة للعامية المصرية ومن هذه الكلمات:

---

(١) التطور اللغوى: ٤٩.

(أ) كلمة (وَيْلَكْ) أصبحت قديما (وِالَكْ) والآن يقولون (يا والك وسواد ليلك).

(ب) كلمة (حائط) قديما (حيط) والآن يقولون (قل: يا حيط دارينى) مثل مصرى.

(ج) كلمة (ليالى) قديما (ليلى) والآن يقولون (دى ليلى السعد) عبارة عامية.

(د) كلمتى (يَوْم وبَيْت) قديما (يُوْم وبِيْت) والآن تقال دائما يُوْم بِيْت.

لقد أصبحت تلك الطريقة فى النطق سمة مميزة للعامية المصرية؛ فكل من تكلم بالعامية المعاصرة نطق بالطريقة نفسها، فتصبح تلك لكنة مصرية مميزة لها.

٢ ـ القلب المكانى:

يحدث فى اللهجة الفاطمية ظاهرة القلب المكانى، وذكرنا هناك أمثلة على ذلك منها تحول كلمة زوج إلى جوز، وهذه الكلمة تنطق بهذا القلب المكانى إلى الآن فى العامية المعاصرة بمصر، وجاء منه الفعل (جوّزه وفلان اتجوز).

وكذلك كلمة استلف التى أصبحت اتسلف فى اللهجة الفاطمية ولا زالت مستخدمة بالنطق نفسه فى العامية المعاصرة بمصر (اتسلف)، بل هناك بنك بمصر يسمى بنك التسليف بدلا من بنك الاستلاف مشتقا من الفعل (اتسلف).

٣ ـ تغيير الهمزة:

يتم تغيير الهمزة بعدة صور منها:

(أ) حذف: نحو قضاء ← قضا ، فداء ← فدا، غداء ← غذا ، بقاء ← بقا.

(ب) إبدال: نحو ذخائر ← ذخاير، شكائر ← شكاير، بائع ← بايع، ذئب ← ديب

(ج) تسهيل: نحو رأس ← راس، امرأته ← مراته.

كل هذه الحالات من التغيير التى حدثت للهمزة فى اللهجة الفاطمية هى هى التى حدثت للهمزة فى العامية المصرية المعاصرة، فنقول: القضا فى (القضاء)،

وهات الغدا فى (الغداء)، والشكاير فى (الشكائر) والبايع فى (البائع) والديب فى (الذئب) وراس فى (رأس) ومراته فى (امرأته) وهكذا.

٤ ـ أصوات اللين:

(أ) تقصير الحركة الطويلة: نحو: كتابين ← كتبين، مكانته ← مكنته، الواقف ← الوقف، خالط ← خلط.

(ب) تطويل الحركة القصيرة: نحو: سهًّل ← ساهل، نقى ← ناقى، تشهًّد ← تشاهد.

هذه التغيرات موجودة بالصورة نفسها فى العامية المعاصرة نحو: مكنته كتبين.

٥ ـ الركام اللغوى:

من الركام اللغوى كلمات ظهرت فى العصر الفاطمى ولازالت فى عصرنا نحو:

(أ) كلمة راجل: كانت تنطق هكذا فى العصر الفاطمى، وفى العامية المعاصرة.

(ب) كلمة أنْتِي:كانت تنطق هكذا فى العصر الفاطمى، وفى العامية المعاصرة.

٦ ـ المقطع الصوتى:

يحدث نتيجة لتجاور مقطع مفتوح فى نهاية كلمة مع مقطع آخر فى كلمتين إلى اندماج المقطعين فى مقطع واحد، باختصار الصوت الصائت فى نهاية المقطع الأول، وقد حدث هذا فى اللهجة الفاطمية، وقد أصبحت ظاهرة صوتية فى العامية المصرية الفاطمية والمعاصرة، نحو:

(أ) اكرى لك ← اكرلك. (ب) إلاهنا ← إلهنا.

(ج) معاوية ← معوية. (د) عمامته ← عممته.

(هـ) والدته ← ولدته.

وهذه الكلمات تنطق هكذا إلى الآن فى العامية المعاصرة و بالطريقة نفسها

من إغلاق المقطع المفتوح، ودمجه فيما يليه، وتقصير المصوت الذى بينهما، فأصبحت من سمات اللهجة المصرية المعاصرة.

٧ ـ النبر:

يؤدى انتقال موضع النبر فى الكلمة إلى انضمارها فى بعض الأحيان فينتج عن ذلك انكماش الكلمة وسقوط بعض من مقطعها من آخره، نحو ما حدث فى:

(أ) ميعاد ← معاد. (ب) فراغى ← فرغى. (ج) بادره ← بدره.

(د) غيرهم ← غرهم. (هـ) أقابلك ← أقبلك. (و) الواقعة ← الوقعة.

(ز) راحلات ← رحلات.

هذا النطق لتلك الكلمات هو المستخدم فى العامية المعاصرة، فهو من سمات اللكنة المصرية المعاصرة التى ورثتها عن اللهجة الفاطمية.

وقد يحدث العكس من تطويل هذه المقاطع بتأثير انتقال النبر نحو ما حدث فى:

(أ) قبلها ← قبليها. (ب) سنها ← سنوها.

(ج) أحدهم ← أحديهم.

وهذا التغيير فى هذه الكلمات موجود فى العامية المعاصرة أيضا، خصوصا كلمة قبليك نحو عبارة فى العامية المعاصرة (أنا سافرت أبليك وجيت بعديك).

هذه أهم السمات الصوتية للهجة الفاطمية التى امتدت إلى اللهجة المصرية المعاصرة.

الباب الثانى

المفردات

يناقش هذا الباب الفصول التالية:

مقدمة

- الفصل الأول: الصرف.
- الفصل الثانى: الدخيل (المعرف - المولد).
- الفصل الثالث: الرسم.
- الفصل الرابع: التصحيف والتحريف.

مقدمة

بعد دراسة الأصوات اللغوية ومعرفة آثارها فى التطور اللغوى، وما تركته من بصمات واضحة على لغة العصر الفاطمى، ندرس الآن المفردات اللغوية وهى تلك الكلمات التى تتكون من الأصوات وتؤدى معانى مختلفة، ودراسة المفردات تتناول جوانب الكلمة المختلفة من حيث بنائها ودلالتها واشتقاقها، وتاريخها، والمعجمات اللغوية التى عرضت لها.

يقول ماريوباى "مستوى المفردات Vocabulary الذى يختص بدراسة الكلمات المنفردة، ومعرفة أصولها وتطورها التاريخى، ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها، ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمى بالاشتقاق Etymology وهو يختص بدراسة تاريخ الكلمات، وفرع آخر يسمى الدلالة Semantics ويختص بدراسة معانى الكلمات وهناك فرع يسمى المعاجم Lexicogtaphy وهو فن عمل المعجمات اللغوية، ويستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات وعلم الدلالة، يضاف إلى ذلك اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبر فيها وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها فى لغة العصر الحديث[1].

هذه فروع العلم كما أوضحها ماريوباى، وقد جعل هذه الفروع المختلفة لعلم المفردات فرعين فقط هما فرع المرفولوجيا والسيمانتيك،علماء مثل الدكتور أمين على السيد، والدكتور توفيق شاهين؛ يقول الدكتور توفيق شاهين "ثالثًا: علم المفردات،أو المعجمية، أو متن اللغة، الكسيكوجرفيا Lexicogtaphle وهو يُعنى

(١) أسس علم اللغة ٤٤.

بالمفردات، وتصنيفها إلى (اسم وفعل وحرف وظرف وصفة....) وينقسم إلى علمين: علم (المورفولوجيا) إذا اهتم بشكل الكلمة وصيغتها وعلم (السيمانتيك) إذا اهتم بمعناها[1].

هذه الفروع المختلفة لعلم المفردات تشير إلى أهمية هذا العلم وتعدد مجالات بحثه، وإلى الحاجة القصوى إلى دراسته، دراسة جادة لكشف أغواره والتعرف على دوره فى نمو اللغة وثرائها، وقد تحدث الدكتور تمام حسان عن دور المفردات فى إثراء اللغة ونموها وتطورها فقال "ومعنى ما تقدم أن العناصر القابلة للتحول والتطور فى اللغة هى المفردات ذات الصيغ (أى العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية) وأن العناصر الأخرى التى لا تخضع للصياغة الاشتقاقية إنما هى مبانى تنتمى إلى نظام اللغة فمعانيها وظيفية وصورها محفوظة مسموعة فتطور اللغة دائمًا يأتى عن طريق المفردات تعريبًا أو توليدًا أو ارتجالاً أو ترجمة ولا يأتى عن طريق إضافة حروف صيغ صرفية جديدة إلى النظام الصرفى للغة الفصحى لأن هذه الصيغ أيضًا محدودة[2].

ولهذا تعرضت فى هذا البحث إلى علم المفردات من جوانب مختلفة هى:

أولاً: من جانب البنية أى (علم المورفولوجيا) وخصصت له فصلاً مستقلاً.

ثانيا: جانب الدخيل فى علم اللغة وأيضًا خصصنا له فصلاً مستقلاً.

ثالثا: ثم قضية هامة من قضايا الكلمة وهى الرسم وتأثيره على تطور اللغة.

رابعا: التصحيف والتحريف.

---

(١) علم اللغة العام ٣٥ وفى علم الصرف:١٢.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها: د تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٦٩م، ص ١٥١.

الفصل الأول

الصــرف

وهو علم يدرس أصول الكلمة وأحوالها وما يطرأ عليها من تجديد أو تغيير باشتقاق أو نحت أو غير ذلك، يقول التهانوى "علم الصرف ويسمى بعلم التصريف أيضًا، وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التى ليست بإعراب ولا بناء، وهكذا قال ابن الحاجب"[١].

وعن وظيفة هذا العلم يقول الدكتور توفيق شاهين "علم الصرف، أو الصيغة أو البنية: المورفولوجيا Merphology ويبحث فى أحوال الكلمة من الجمود، والاشتقاق وأصله، والمجرد والمزيد وحروف الزيادة، أو ما يحدث من تغييرات عند التثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وما يحدث للفعل عند اتصاله بالضمائر، والطرق

التى تنمى اللغة، وينقسم علم المورفولوجيا إلى أربعة أقسام: هى الوصفية، والتاريخية والمقارنة والعامة يجب اعتبارات التقسيم السابقة فى (الفوناتيك)[٢].

فبينما يمكن القول أن علم الصرف يبحث الهيكل أو البناء الداخلى للمفردات يبحث علم النحو فى علاقات المفردات بعضها ببعض فى الجمل المختلفة، لا بد من التنبيه بأن كلاً من العلمين يرفد الآخر ويتصل به اتصالاً وثيقًا لأن البنية الداخلية للكلمة تؤثر على علاقاتها مع الكلمات الأخرى فى الجملة[٣].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون: التهانوى، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة القاهرة، ١٩٦٣م ص٢٠.

(٢) علم اللغة العام: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة وهبة ش الجمهورية القاهرة ١٩٨٠م، ص ٣٥.

(٣) أضواء على الدراسات اللغوية: د. نايف خرما، مجلة عالم المعرفة ١٩٧٨م الكويت، ص٢٧٣.

هـذا الـعلم كـان المـرآة الـتى يـظهـر من خلالـهـا كل تـطور فـى الـلـغة فـبه يمكن التعرف على أصول الكلمة وأحوالها فهو المقياس لصحة الكلمات واشتقاقها وجمودهـا ولهذا يقول الدكتور تمام حسان "إن الصيغة الصرفية هى وسيلة التوليد والارتجال فى اللغة، فإذا أردنا أن نضيف إلى اللغة كلمة جديدة عن إحدى هاتين الطريقتين فإننا ننظر فيما لدينا من صيغ صرفية وفيما تدل عليه كل صيغة من المعانى. ثم نقيس المعنى الذى نريد التعبير عنه على المعانى التى تدل عليها الصيغ فإذا صادفتنا الصيغة المرادة ضعفنا الكلمة الجديدة على غـرارهـا تـولـيدًا أو ارتجـالاً ولـمـا كـانت الأسمـاء والـصفات والأفعـال هـى وحـدهـا صاحبة الصيغ الصرفية كانت هى أيضًا مجال التوليد[1].

وفى دراستنا للغة هذا العصر بدت لدينا كثير من الظواهر الصرفية التى تدل على تطور اللغة، منها:

أولاً: القياس الخاطئ False Analogy :

القـياس الخـاطئ فى الـلغة هـو الأسـاس الذى نبـنى عليه كل مـا نستطيع من قواعد فى اللغة، أو صيغ فى كلماتها، أو دلالات فى بعض ألفاظ فهو بمثابة المكيال أو الميزان الذى يبين لنا الصحيح من الزائف، وما يرفض[2] ولهذا كان له مكانته العظيمة فى اللغة حيث بنى عليه العلماء كثيرًا من الصيغ وقاسوا به كثيرًا من قضاياه.

ويقول ماريوباى فى تعريف مصطلح القياس analogy ويراد به الميل العارض الذى لا يمكن التنبؤ بحدوثه ـ من كلمة أو صيغة إلى الخروج عن مدارها الطبيعى فى التطور والدخول فى طبيعة كلمة أو صيغة أخرى لوجود مشابهة حقيقية أو متوهمة بينها[3].

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٥١-١٥٢.

(٢) من أسرار اللغة:: د. إبراهيم أنيس، الأنجلو المصرية،١٩٧٨م القاهرة ٨.

(٣) أسس علم اللغة: ص١٤١.

وذكر له تعريفًا آخر فى كتابه لغات البشر حيث قال: "ويمكن أن نعرف القياس اللغوى بأنه عملية تغير تطرأ على كلمة فى لغة ما تبعًا لتغير آخر طرأ على كلمة لها علاقة بالكلمة الأولى ومعنى هذا أن الكلمة التى تتغير قياسًا لا تخضع بالضرورة للقوانين النحوية التى تحكم الكلمات الأخرى فى اللغة[١] وهذه العملية هى التى بنى عليها علماؤنا جانبًا كبيرًا من صيغ اللغة، وأبنيتها فى القديم والحديث. فقد تناولها علماؤنا بالدراسة والتمحيص ليخلصوا من ذلك إلى المعايير التى يقيسون عليها الصيغ الجديدة على اللغة "فعلماء القرن الثانى الهجرى بعد أن وردت لهم تلك الذخيرة اللغوية العظيمة، وبعد أن ورثوا من الأساليب الأدبية القدر الكبير جعلوا كل هذا الذى جاءهم عن العرب الفصحاء أساسًا يبنون عليه ما قد يعن لهم، أو نورًا يهتدون على ضوئه رغبة منهم فى الاحتفاظ للعربية بطابعها، والإبقاء على خصائصها... ولقد لجأ النحاة إلى القياس منذ وضعوا أسس علم النحو وبدأ التأليف فيه[٢]

فالقياس وهو استنباط مجهول من معلوم، فإذا اشتق اللغوى صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة فى مادة أخرى، يسمى عمله هذا قياسًا فالقياس اللغوى هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال. رغبة فى التوسع اللغوى. وحرصًا على اطراد الظواهر اللغوية" وهو أيضًا رد الشىء إلى نظيره الذى يكون جديدًا بالنسبة إلى المتكلم لم يسمعه من قبل، أما النظير الذى رد إليه اللفظ الجديد فهو معروف للمتكلم سمعه من قبل؛ والمرء يلجأ إلى هذا القياس فى لغته، ويظل يستعمله فى كل ما لم يرد فى لسان من قبل[٣].

وهذه العملية العبقرية فى اللغة "تتوقف إلى حد ما على قانون الاقتصاد فى المجهود (أى قانون السهولة والتيسير) الذى يتجنب إثقال الذاكرة بمتاع غير مفيد

---

(١) لغات البشر ٢٩.

(٢) من أسرار اللغة ٨.

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات الحديثة: د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، ط٢ ١٩٨١م القاهرة، ص ٣٣٥.

والصيغ التى يقصيها القياس، صيغ عليلة بمعنى أنها غير مضمونة من الذاكرة لندرة استعمالها والقياس لا يستطيع التغلب إلا عند ضعف الذاكرة فالصيغة الشاذة النادرة الاستعمال تنسى وتصاغ من جديد تبعًا للقاعدة المطرودة[1].

صيغة فعَّال:

كان لعملية القياس أثر كبير فى تطور بعض الصيغ فى اللغة فيحدثنا هنرى فليش عن التأثير العميق للقياس فى تطور دلالة الصيغ "التأثير العميق للقياس: كان للقياس على وجه الخصوص أثر فعال، وخير مثال على ذلك صيغة فعَّال ففى اللغة القديمة كان من الممكن بناء هذه الصيغة من جميع الأفعال المبنية للمعلوم تقريبًا على أنها صيغة مبالغة لاسم الفاعل بزنة (فاعل) تعمل مثله عمل الفعل "ثم يرى أنها تطورت إلى التعبير عن أسماء الحرف، ومن ذلك نجَّار وبنَّاء وفخَّار وزادها القياس فى هذه الوظيفة التعبيرية الجديدة خصوبة وسعة، حتى نجدها أيضًا مستعملة لقبًا فى مثل كلَّاب (مربى الكلاب) وجمَّال (حادى الإبل) وفيَّال (مربى الفيلة) وكل هذه الأمثلة لصيغة (فعَّال) من أسماء الحرف لا تلحظ فيها أى علاقة بسلسلة الاشتقاق ومن هذا الباب عدد كبير مما جاء على (فعال) اسم فاعل للمبالغة وهو مجرد ثمرات للقياس[2].

ولقد سبق هنرى فليش علماء العربية إلى الإشارة إلى هذه الصيغة وتطورها ودلالاتها على أصحاب الحرف يقول الزمخشرى فى المفصل "قال صاحب الكتاب، وقد يُبنى على فعَّال، وفاعل ما فيه معنى النسب من غير إلحاق الياءين، كقولهم بتَّات وعوَّاج، وثوَّاب وجمَّال، ولابن، وتامر، ودارع، ونابل، والفرق بينهما أن فعالاً لذى صنعة يزاولها ويديمها وعليه أسماء المحترفين[3]".

قال ابن يعيش شارحًا قول الزمخشرى " اعلم أنهم قد نسبوا على غير المنهاج المذكور، وذلك لأن لم يأتوا بياء النسبة، لكنهم يبنون بناء يدل على نحو ما دل

---

(١) اللغة ٢٠.

(٢) العربية الفصحى ٧٩.

(٣) شرح المفصل ١٣/٦.

عليه ياء النسبة وهو قولهم لصاحب البتوت وهى الأكسية واحدها بتّ (بتات)، ولصاحب الثياب ثوّاب... هذا النحو إنما يعملونه فيما كان صنعة ومعالجة لتكثير الفعل، إذ صاحب الصنعة مداوم لصنعته، فجعل له البناء الدال على التكثير وهو فعّال بتضعيف العين، لأن التضعيف لتكثير ما كان من هذا ذا شىء وليس بصنعة يعالجها، أتوا بها "فاعل" وذلك لأن فاعلاً هو الأصل، وإنما يعدل عنه إلى فعّال للمبالغة، فإذا لم ترد المبالغة أتوا به على الأصل، لأنه ليس فيه تكثير، قالوا ولذى الدرع دارع ولذى النبل نابل ولذى النشاب ناشب ولذى اللبن والتمر لابن وتامر، قال الحطيئة:

وغررتَنِى وزعمْـتَ أنَّـ (م) ـك لابن بالصيف تامر

أى ذو لبن وتمر... وفاعل هاهنا ليس بجارٍ على الفعل، إنما هو اسم صيغ به الشىء ألا ترى أنك لا تقول: لبن بلبن... وإن كان شىء من هذه الأشياء صنعة، ومعاشًا يداومها صاحبها نسب على (فعّال) فيقال لمن يبيع اللبن والتمر لبّان وتمار"[1].

وقال ابن مالك.

ومـــع فاعـــل وفعّـــال فَعِـــلْ فـى نسـب اغنى عن اليا فَقُبِلْ.

وقال ابن عقيل فى شرحه "وبنائه على فعّال غالبًا كبقّال وبزّاز، وقد يكون فعّال بمعنى صاحب كذا وجعل منه قوله تعالى: (وما ربك بظلّام للعبيد)، أى بذى ظلم[2].

وعن رأى المجمع اللغوى يقول الدكتور إبراهيم أنيس "يصاغ فعال للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثى اللازم والمتعدى كذلك رأى المجمع قياس هذه الصيغة فعّال وفعالى فى أصحاب الحرف والمهن[3].

---

(١) شرح المفصل ٦/١٣، ٦/١٤.

(٢) شرح ابن عقيل: تحقيق محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٧٤م القاهرة.

(٣) من أسرار اللغة ١٦.

ولكن المجمع قد فرق بين صيغة فعال وفعالى فى أصحاب الحرف حيث قرر الآتى: "يصاغ فعّال قياسًا للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشىء فإذا أضيف لبس بين صانع الشىء وملازمه كانت صيغة فعّال للصانع، وكان النسب بالياء لغيره فيقال (زجّاج) لصانع الزجاج، و (زجّاجى) لبائعه[1].

وقد وردت صيغة فعّال للدلالة على أصحاب الحرف بكثرة فى لغة هذا العصر موضوع البحث كما فى البرديات".

١ ـ ..... حطب أبو الحسن النخّال

٢ ـ ... الجمّالين حساب عشر قراريط

١٣ ـ ..... ميمون الحمّال حمل حطب ثلاثة وأربعين"[2].

النخّال والجمّال، والحمّال كلها تدل على أصحاب حرف معروفة. بل إننا نجد فى إحدى البرديات كشفًا بأصحاب الحرف جاءت على وزن فعّال وهى:

١ ـ اللمّاسين	٢ ـ القطّاعين.	٣ ـ المقشّرين.
٤ ـ الرصّاص الدباغ.	٥ ـ البقّالين	٦ ـ الطرّاح
٧ ـ النحّاس	٨ ـ الحجّارين	٩ ـ الطبّاخ
....	١١ ـ الدخّان[3].	

ولقد عرض الدكتور عبد العزيز الدالى لهذه الصيغة فى البرديات العربية وعرضها عرضًا جيدًا تناول فيها جميع جوانب القضية وأثبت أن وجود هذه الصيغة فى فى قياس صحيح فقال "وكل كتب النحو والصرف مجمعة على أن منع القياس فى صيغة فعّال هو مذهب سيبويه وأن جواز القياس هو مذهب المبرد ـ ولله دره ـ برأيه أخذ المجمع على أن صريح عبارة ابن مالك فى ألفيته أنه مقبول ولا معنى لقبوله غير العمل به... [4].

---

(١) من أسرار اللغة ١٦.

(٢) السفر الثالث ٢٣٣ بردية ٢١٤.

(٣) السفر الثالث ٢٣٣ بردية ٢١٤.

(٤) البرديات العربية رسالة الدكتوراة ١٧٥.

ثم أورد لنا كثيرًا من أمثلة هذه الظاهرة فى البرديات مثل بزاز وبقال وطباخ وقمار وجبان وحمار وغيرها، ثم أردف قائلاً "هذه الصفات التى وردت على غير القياس الصحيح كتبها الكتاب فى ذلك العصر مماثلة لما جاء على القياس الصحيح عامًا لكل الصفات. وقد كان من السهل عليهم أن يوردوها على هذا النحو[1].

وقد وردت هذه الصيغة فى نصوص كثيرة منها ما جاء فى كتاب أخبار مصر للمسبحى قوله "وفيه توفى ابن سعدان القمَّاح... وفيه توفى خلف الجمَّال بسويقة الوزير... توفى ابن أخت أبى السيار قاضى الإسكندرية[2] وغيرها من أمثلة كثيرة فى هذا العصر مما يدل على تأثير القياس فى صيغة فعَّال التى كانت تدل على المبالغة فأصبحت تدل أيضًا على أصحاب الحرف، ولكن لا نعرف متى تم هذا التطور إلا أننا نؤمن بوجودها فى اللغة.

ولكن مع إعترافنا بتأثير عملية القياس وآثارها العظيمة فى ثراء اللغة وتطورها وظهور صيغ جديدة، بل أيضًا دلالة جديدة لهذه الصيغ، فإن لهذه العملية جوانب أخرى منها الخروج عن القياس أو ما يعرف "بالقياس الخاطئ" False Analogy يقول الدكتور عبد العزيز مطر "والمتكلم مع استخدامه القياس فى تنمية لغته - لا يتعمد القياس فى كل حال بل يتم غالبًا دون وعى منه. ولهذا نرى المتكلم والسامع لا يشعران بهذه العملية إلا إذا تبين لأحدهما أو كليهما أن هذا القياس مخالف لما تعارف عليه أهل اللغة، وجرى فى كلامهم ومعنى ذلك أن القياس نوعان: قياس صحيح وقياس خاطئ.

"وتوضيح ذلك أن العملية الذهنية التى تتم فيها المقارنة بين الكلمة أو الصيغة المجهولة ونظيرها المعلومة، قد تكون على أساس التشابه التام بينهما، وتسفر حينئذ عن كلمة أو صيغة قد تعارف عليها أهل اللغة وإن كانت مجهولة للمتكلم لم يسمعها من قبل. وفى هذه الحالة يحكم على القياس بأنه قياس صحيح.

---

(١) المرجع السابق ١٧٨.

(٢) أخبار مصر ٢١٦.

"أما إذا أسفرت هذه العملية الذهنية القياسية عن كلمة أو صيغة لم يتعارف عليها أهل اللغة أو قامت عملية المقارنة على أساس تشابه موهوم بين الكلمتين المجهولة والمعلومة، فإنه يقال حينئذ: إن هذا القياس خاطئ... "وهذه الظاهرة اللغوية، أعنى القياس الخاطئ، معترف بها عند اللغويين المحدثين بل أكدوها وبرهنوا عليها[1].

ونرى هنا كيف يجعل د.مطر للعملية الذهنية دورًا فى إتمام عملية القياس بشقيه (الصحيح والخاطئ)،مما يعنى إدراك علمائنا الأجلاء لدور العملية الذهنية التى تحدث من خلالها العمليات اللغوية المختلفة،وإن لم يبد لنا ما يحدث بالداخل حتى يظهر على السطح عند النطق بها، ثم يأتى دور اللغويين فى تحليلهم لهذه الصيغ الجديدة.

ويشرح لنا الدكتور رمضان عبد التواب كيف ينشأ القياس الخاطئ فى اللغة بقوله"وليس كل ما ننطق به قد سمعناه من قبل، بل للقياس أثره الكبير فى كلامنا ونحن إذا سمعنا متحدثًا ينطق بصيغة من الصيغ، فمن الصعب الحكم على ما إذا كانت هذه الصيغة قد سمعها ذلك المتحدث من قبل أو أنها بنت الساعة، قد كونها وهو على قياس ما سمع من قبل ومن الصعب أن نحكم بهذا أو بذاك على الأخص عندما يكون القياس صحيحًا، موافقًا لما تتطلبه اللغة وشاع فيها، أمًّا إذا خالف هذا القياس ما شاع فى اللغة فإننا حينئذ نعلم أنه من عمل الفرد وليس مما سمعه من قبل، وهذا ما يسميه اللغويون المتحدثون باسم القياس الخاطئ[2].

ونضيف هنا أن كل ميل عارض عن اللغة يتيح لنا صيغًا جديدة، فإذا صادف هذا الجديد مطابقة للقياس كان قياسًا صحيحًا أو قياسًا خاطئًا؛ فإن وافق ما جرت عليه سنن العرب فى القياس والاشتقاق واستنباط المجهول من المعلوم فهو قياس صحيح وإلا فهو قياس خاطئ.

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) التطور اللغوى ٦٧، ٦٨.

وهذا القياس الخاطئ يبدأ فى الأطفال، فإن لم يجد الطفل من يصحح له خطأه، حدث فى لغة الجيل الناشئ أمور لم تكن مألوفة فى لغة السلف، وحل الخطأ الجديد محل الصواب القديم، وأصبح ما كان يعد خطأ فى لغة الأجداد أمرًا معترفًا به شائعًا فى لغة الخلف وقد يقع القياس الخاطئ من الكبار أيضًا(١)

وقد فسر سبب وجود هذه العملية لدى الأطفال فندريس بقوله "يخلق الأطفال فى مرحلة تعلمهم للغة، عددًا كبيرًا من الصيغ الجديدة، وذلك باستجابتهم لداعى القياس، ولكن الجزء الأكبر من هذه المبتكرات يُصلح فيما بعد، لأنه فى غالب الأحيان، ليس إلا عوارض فردية، ناتجة عن حس غير صائب، أو معرفة ناقصة باللغة، ولكن بعضها ينطبق مع الحس اللغوى العام انطباقًا يجعلها تنتهى بالاستقرار، وقد يحصل أن يتجه فجأة جميع الأفراد من جيل واحد إلى الوقوع فى غلطة بعينها، تفرض نفسها عليه، كأنها قانون وتصير قاعدة"(٢).

هذا القياس الخاطئ لدى الأطفال الذى أرجعه فندريس إلى معرفة ناقصة للغة، أو حس لغوى غير صائب هو سبب من أسباب التطور اللغوى عندما يلقى قبولاً فى المجتمع ولدى أبناء هذا الجيل كما ذكر فندريس، وهو أيضًا يرجع إلى عمليات عقلية آنية يجريها الطفل فى عقله أثناء حديثه،ليتواصل مع الآخرين ويعبر عن فكرة لديه، ولكن لا تسعفه حصيلته اللغوية فيلجأ إلى القياس الخاطئ لهذا السبب، وهو ينجح وهذا هو الشيء الغريب !! لماذا ؟ لأن كل من حوله يحاول التواصل معه، فلذا فهو يحاول كمتلق فهم كلامه والتصويب له.

وهو يطابق ما قاله د عبد العزيز مطر عن العمليات الذهنية التى تواكب عملية الكلام، حيث يحدث من خلالها مقابلة بين الصيغة الجديدة والصيغة التى يقاس عليها، وهذا يحدث مع الكبير والصغير على حد سواء، وهناك أمثلة لحدوث هذه الظاهرة لدى الأطفال، وصلتُ إليها من خلال دراسة ميدانية قمتُ بها على الأطفال من عمر شهرين إلى ست سنوات، فقد وردت هذه العبارة على

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ٣٣٦.

(٢) اللغة لفندريس: ٢٠٧.

لسان إحدى أطفال العينة تقول (إحنا عندنا كرسى، وقلم أحمره) قياسًا خاطئًا على صيغة أفعلة الخاصة بالأشياء المؤنثة التى تلحقها هاء فى العامية المصرية، كعلامة تأنيث،على الرغم من أن القلم مذكر فى العامية والفصحى، ومثله كلمة صفنونة على وزن فعنونة بمعنى صغيرة، وهى من الكلمات ذات الأوزان الخاصة بالأطفال(١).

قد عرف القدماء هذه الظاهرة أعنى القياس الخاطئ، وقد أطلقوا عليها التوهم "واستعمل سيبويه لفظ التوهم وهو ليس قياسًا خاطئًا قال "فأما قولهم مصائب فإنه غلط منهم، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة، وإنما هى مفعلة. وقد أوضح ابن جنى طريقة هذا التوهم ـ أو القياس الخاطئ ـ بقوله "وذلك أنهم شبهوا مصيبة بصحيفة، فكما همزوا صحائف همزوا أيضًا مصائب وليست ياء مصيبة زائدة كياء صحيفة، لأنها عين ومنقلبة عن واو هى العين الأصلية وأصلها مصوبة لأنها اسم فاعل من أصاب(٢).

ولكننا لنا وقفة مع هذه الظاهرة اللغوية الخطيرة فهى من الأهمية بمكان لهذا نحاول أن نسأل ما هو أثر هذه الظاهرة على اللغة من حيث الجمود والتحرر أو التطور.

بعد دراسة هذه الظاهرة، وجدنا أن للقياس الخاطئ أثرًا كبيرًا فى تطور اللغة من حيث دلالتها وصيغها، وهذا ما نحاول إثباته هنا وقد سبقنا إلى هذا الدكتور رمضان عبد التواب بقوله.. وللقياس أثر كبير فى تطور الصيغ والدلالة فى بعض الأحيان فتشابه كلمة. سراويل. وهى للمفرد فى اللغة الفارسية، بصيغة من صيغ الجمع المكسر فى اللغة العربية، وهى صيغة "فعاليل" جعل العرب يقيسونها على تلك الصيغة من صيغ الجمع ويشتقون لها مفردًا، قياسًا على مفردات ذلك الجمع فيقولون: "سروال"(٣).

---

(١) النمو اللغوى عند الطفل دراسة ميدانية تحليلية: دعطية سليمان أحمد، مكتبة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى القاهرة، ط٢ ٢٠١٤م ص ١٠٥.

(٢) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية: ٢٣٧.

(٣) التطور اللغوى ٧٤، ٧٥.

بل إنه ذكر فى تحليله لكتب لحن العامة كثيرًا من الأمثلة التى وردت فى هذه الكتب وتخضع لهذه الظاهرة ـ أعنى القياس الخاطئ ـ مثل قوله فى كتابه لحن العامة والتطور اللغوى. ومن مسائل القياس الخاطئ قوله (٨/٢١٦) ويقولون المذى والوذى بالذال المعجمة والصواب فى الودى بالدال غير المعجمة، فإن اقتران هاتين الكلمتين فى الاستعمال لدى الفقهاء، هو المسئول الأول عن قياس أحدهما قياسًا خاطئًا على الأخرى وقد أشار إلى ذلك (ثورى) فى الحاشية. ومن الطبيعى أن ينشأ نطق الودى، سبب التناسب بينه وبين رفيقه نطق المذى[1].

ومن ظواهر القياس الخاطئ فى العصر الفاطمى ما يلى:

أولا: النسب

جرى القياس اللغوى فى النسب فى العربية بأن تضاف ياء النسب إلى الأسماء عند النسب إليها فنقول فى النسب إلى مكة مكىٌّ وإلى دمشق دمشقىٌّ وإلى مصر مصرىٌّ... وهكذا يقول الدكتور محمد أبو الفتوح شريف. تلحق الأسماء أحيانًا ياء مشددة مكسور ما قبلها، للدلالة على نسبة الاسم إلى المجرد منها فقد تنسب إنسانًا إلى موطنه (مصر أو لبنان) فنقول: مصرى أو لبنانى، أو إلى طائفة (سنة أو شيعة) فنقول: سنى أو شيعى أو إلى العلم الذى اختص به (نحو أو طب) فنقول (نحوى أو طبى).. [2].

هذا هو الوارد فى اللغة فى باب النسب الذى جرى عليه القياس اللغوى الصحيح، وقد جاءت بعض أبنية النسب مخالفة لما جرى عليه القياس الصحيح فى هذا الباب، كما سمع فى الاستعمال اللغوى الصحيح تغيير فى بنية بعض الكلمات المنسوبة فيه مخالفة للقياس، فقالوا فى النسب إلى بدو والخريف وقريش وصنعاء والبحرين واليمن وفوق وتحت وروح وعظيم الشعر... فقالوا: بدَوىّ (بفتح الدال) والقياس بتسكينها كما كانت، وخرفى وقرشى (بحذف الياء فى كل) والقياس إبقاؤها وصنعانى والقياس: صنعائى وبحرانى والقياس: بحرينى

(١) لحن العامة والتطور اللغوى ٢٤٦، ١٣٣.

(٢) فى علم الصرف: د. أمين السيد، مطبعة قاصد خير ١٩٧١م القاهرة، ص ٢١٤.

ويمانى والقياس: يمنى، وفوقانى وتحتانى وروحانى وشعرانى والقياس: فوقى وتحتى وروحى وشعرى. ولكن هكذا أراد أصحاب اللغة الأوائل. وليس لنا أن ننازعهم فيما خرجوا به عن القواعد التى تكلموا بها وتواضعوا عليها[1].

هذا ما يراه الدكتور شريف فى تحليل هذا النسب الخاطئ، فهذا كله ليس بقياس صحيح بل هو سماعى أى سمع عن العرب وعلينا أن نأخذ ما تركوه لنا فإن وافق ما استنبطه علماء اللغة والنحو والصرف من مقاييس فهو قياسى وإلا فهو سماعى.

ولكننا لنا وقفة مع صيغة معينة من صيغ النسب السماعى لنرى الأثر الأجنبى عليها وهى صيغة فوقانى وتحتانى وروحانى، إذ القياس فيها هو فوقى وروحى وتحتى، فما ورد عندنا هو صيغة سماعية، وهى تحمل تأثيرًا أجنبيًا، وهو تأثير اللغة الفارسية على العربية، حيث المقطع (ان) قبل ياء النسب فى تلك الكلمات آت من النسب فى اللغة الفارسية، حيث تنتهى الكلمات المنسوبة لديهم بهذا المقطع (ان) وتصبح الكلمة المنسوبة وفق هذا المنهج مكونة من:

الكلمة الأصلية (فوق) + المقطع (ان) + ياء النسب = فوقانى.

ولقد عمل القياس الخاطئ عمله فى هذه الظاهرة حتى صارت فى اللغة، بل أصبحت قضية مؤكدة فى اللغة، حيث يضاف المقطع (ان) إلى كثير من الكلمات العربية عند النسب إليها حتى ولو لم تكن تنتهى أصلاً بالمقطع (ان) فوجدنا فى اللغة كلمة (فوقانى) نسبة إلى فوق رغم أن القياس الصحيح هو فوقى، والقياس الخاطئ فوقانى، ومثلها تحتانى، فهو يقيس على ما فى اللغة الفارسية من طريقة فى النسب، فهذا النسب قياسى فى الفارسية سماعى فى العربية القديمة التى سمعت عن العرب نتيجة اختلاطهم بالفرس.

فعند التحام العرب بالفرس قبل الإسلام واطلاعهم على حياتهم اليومية من خلال الحضارة الفارسية بكل ألوانها؛ بدأ تأثير تلك الحضارة على الثقافة

---

(١) فى علم الصرف ٣٢٠.

العربية بالانبهار بها أولاً، ثم أخذ كل ما فيها من ألفاظ حضارية وكثير من الألفاظ المتصلة بأمورهم الحياتية، وقد تم هذا على مراحل:

١ ـ أخذ كلمات فارسية تشير إلى أسماء وأشياء وأشخاص وبلاد نحو: خراسان ومهرجان وأصبهان وبخارستان وأزربيجان وبيمارستان... وغيرها من تلك الكلمات التى دخلت إلى العربية من الفارسية بتأثير حضارة الفرس.

٢ ـ النسب إلى تلك الكلمات ظنًا منهم أنها غير منسوبة فى لغتها الأصلية، فظهرت كلمات جديدة منسوبة مرتين؛ أى منسوبة فى الفارسية بـ (ان) ومنسوبة فى العربية بـ (الياء) نحو: خراسانى وأصبهانى ومهرجانى...

٣ ـ القياس الخاطئ على تلك الصيغ الجديدة فى كلمات ليس فارسية بل عربية، نحو: فوق ⟵ فوقانى، روح ⟵ روحانى، نفس ⟵ نفسانى.

وعند دراستنا للغة العصر الفاطمى نجد كثيرًا من الأمثلة لهذه الظاهرة مما يؤكد تأثير عامل القياس الخاطئ فيها، وكذلك تأثير اللغة الفارسية على البيئة اللغوية المصرية قبل الفتح وبعده، فقد احتل الفرس مصر عشر سنوات قبل الفتح العربى لها، فتركوا آثارًا لغوية فى لغتهم المصرية، وأصبحت ضمن لغتهم، وذابت فيها كأنها منها لا كتأثير دخيل عليهم؛ ولذا لا نستغرب وجود هذه الظاهرة لديهم فى اللهجة الفاطمية بكثرة خصوصًا فى لغة الأديرة والكنائس، فقد حاولتْ تلك اللغة أن تتجنب التأثير اللغوى العربى عليها، والحفاظ على نفسها منه؛ ولو كان ذلك بالاستمساك بآثار أجنبية أخرى، ولكنها أقدم لديهم وثبتت ضمن لغتهم، ووافقت أيضا تأثيرًا أجنبيًا على العربية، فتلك الطريقة فى النسب معروفة ومستخدمة فى اللغتين العربية والقبطية، ولكنها دخيلة عليهما.

ومنها ما ورد فى كتاب أبى صلح على المذبح الوسطانى: والتى عملت على المدبح الوسطانى[1] أى الوسطى فأضاف إلى الوسط المقطع (ان) فأصبح الوسطانى بدلاً من الوسطى.

ومثله قول ابن العسال: فى ساير أنواع الجهادات النفسانية والبدنية... ثم

(١) تاريخ أبى صلح ٤٧.

اتضحت عليه خطية نفسانية[1] أى روحى وجسدى. ومثلها قوله: فى تعديل الأمور الظاهرة الجسدانية[2] أى الجسدية.

وفى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله: الآن يا أخى فإن أفكارى الجسدانية[3] وقوله: للأفكار الجسدانية يا لهذا العجب، وقوله: وقد تعلم العلوم البرانية، وقوله: وقد تعلم العلوم البرانية، وقوله: وظهر فى أيامه مخالف كتب برانية أى برية.

وما نلاحظه هنا شيوع هذه الظاهرة لدى الأقباط فى كتاباتهم التى ظهرت على ألسنة العامة. بل ظهرت أيضًا على ألسنة الفقهاء، كقولهم الوحدانى والوحدانية. نسبة إلى الواحد، والقياس الصحيح هو واحدى وحدى.

وقد وردت أيضًا فى البرديات العربية.. والحجرة الفوقانية مجازها فى شرًا[4] وفى هذا توسيع لهذا القياس الخاطئ باستعمال الصيغة السماعية.

ثانيا: الفعل المعتل وإبداله

وقد يحدث عند صياغة الفعل المعتل فى المضارع إبدال حرف العلة بحرف علة آخر غير الذى يختص بهذا الفعل ومن بنائه الأصلى، ويرجع هذا إلى القياس الخاطئ حيث يقيس على شكل هذا الفعل الثانى، فينتج لنا فعلاً جديدًا، لا يختلف عن الفعل الأول فى المعنى، ولكن فى الشكل، ولكنه أيضًا يتفق مع الفعل المقيس عليه شكلاً لا معنى.

(أ) يحيط. يحوط:

ومن هذا ما ورد فى البرديات العربية قوله.. ويحوط بهذا المنزل[5] فالفعل أحاط الذى مضارعه يحيط، تم إبدال الواو مكان الياء فصارت يحوط.

---

(١) المجموع الصفوى.

(٢) المجموع الصفوى.

(٣) تاريخ البطاركة ١/١٢١، ١٦١، ١٧٢.

(٤) السفر الأول ٣٤ بردية ٥٤.

(٥) السفر الأول بردية ٦٧.

والصيغة التى فى العامية المصرية المعاصرة المشابهة لها (يحوط عليهم) وتعنى يحافظ عليهم ويحميهم، ولا تقال إلا فى هذا السياق السابق من العطف.

ورد فى المعجم الوسيط قوله (حَاط) القوم بالبلد - حَوْطا. وحَيْطَة وحِيطة وحِيَاطة وأحاطوا به... أحاط بالأمر أدركه من جميع نواحيه ومنه فى التنزيل العزيز (أحطتُ بما لم تحط به) و (والله بما يعملون مُحيط)... حاط بالشىء حاطه وحاط بالقوم: منعهم وفى التنزيل العزيز (إلا أن يُحاط بكم).. (احيط) بفلان: دنا هلاكه. وأُحِيط بالشىء: هلك وفى التنزيل العزيز (وأُحِيط بثمره) [1]

فى القاموس حَاطَه حَوطا وحِيْطَة وحياطة فورد فى المصدر بالياء والواو وهما صحيحان.. والاسم الحَوْطَة والحَيْطة ويكسر... والقوم يستدير بهم ويحوطهم وحوَّاط الأمر..وتَحيطُ وتِحيطَ وتُحيط بالكسر والتحوط (التحيط) ويحُيط بالمثاة تحت السَنة المجُدبة تحيط بالأموال[2].

وما نفهمه من قول فيروزأبادى أن هذا الفعل قد يأتى مضارعه على يحوط ولكن الشائع فيه هو يحيط، بل هو القياس، وقد ذكر أن المصدر هو حوط وحيطة فجاز الاثنان.

(ب) ينهاه - ينهيه:

ورد فى تاريخ أبى صلح قوله.. وكتب يحذره وينهيه[3] أى ينهاه فالفعل.. ينهى تكتب ألفه ياء، ولكن إذا أضيف إلى ضمير عادت هذه الألف، ولكن الكاتب جعلها بالياء بعد إضافتها فمن الممكن أن يكون الكاتب نطقها ياء وكتبها ياء، أو نطقها ألفًا، ولجهله باللغة كتبها ياء وحسب أنها ترسم هكذا. ولكن بالرجوع إلى العامية المصرية المعاصرة نجد أنهم ينطقونها هكذا كما كتبها ونطقها كاتب تاريخ أبى صلح، يقولون: نهِيته وناديته فى نهيْتُه وناديْته، وفى المثل العامى المصرى المعاصر: نهيتك وما تنتهى والطبع فيك غالب وديل الكلب لا ينعدل ولو علقوا فيه قالب.

---

(١) المعجم الوسيط ١/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) القاموس المحيط ٢/ ٣٥٣.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٣.

ورد فى القاموس المحيط قوله.. نَهاه، يَنْهاه، نَهْيا ضد أمره فانتهى، وتناهى[1] فالصواب كما ذكر صاحب القاموس هو ينهاه وليس ينهيه، ولكن ما حدث هنا قياس خاطئ حيث قاس الكاتب الفعل رمى يرمى يرميه بالكسرة الطويلة، لا بالفتحة الطويلة، وقد تأثر الكثير من أهل هذا العصر بتلك الصيغة رمى يرمى وقاسوا عليها قياسًا خاطئًا، وقد خدعهم فى ذلك الرسم، وهناك صيغة أخرى حدث فيها الحدث نفسه وهى:

(ج) " يدعو" يدعى

فقد ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح قوله.. هذه النفقة وتدعى إلى أن يغفر الله لى[2] أى تدعو وليس تدعى وهذه الصيغة يدعى كثيرة الورود على لسان العامة الآن، فيقولون يا فلان ادعى لى، أى ادعُ لى؛ فالفعل دعا معتل الآخر (ناقص) بالواو لا بالياء فإذا جئنا بالمضارع منه ظهرت هذه الواو فقلنا دعا يدعو.

ثالثا: الجمع الخاطئ

نجد فى لغة هذا العصر شيوع بعض الجموع التى تسير على القياس اللغوى لجموع أخرى، ولكن هذا القياس ـ وإن كان ينطبق على تلك الجموع المقيس عليها ـ إلا أنه لا ينطبق على هذه الجموع الجديدة، فقد قيست عليها قياسًا خاطئًا.

فمن هذا ما ورد فى كتاب تاريخ الشيخ أبى صلح قوله.. كان فيه رهبانات عذارى[3] وقوله وأوهمه أنها ترهبنت وسكنت الدير مع الرهبانات[4] أى الراهبات، فقد اتجه هذا الكاتب إلى كلمة رُهْبان وحسب أنها مفردة فجمعها جمع مؤنث سالم فأصبحت ← رهبانات. فكان هذا قياسًا على جمع المؤنث السالم، ولكنه ليس إلا قياسًا خاطئًا حيث جمع الجمع، وكان عليه أن يأتى

(١) القاموس المحيط ٤/ ٣٩٠.

(٢) تاريخ أبى صلح ٢٠٦.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٠٧.

(٤) المرجع السابق ٣٩.

بالمفرد من هذا الجمع قبل جمعه، ثم يجمعه جمع الإناث بعد ذلك.

ومثل هذا أيضًا ما ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال قوله.. الشبابات[1] أى الشابات. فكان يجب عليه أن يأتى بالمفرد، وهو شاب ثم يجمعها جمع الإناث فتصبح الشابات.

وقد ورد فى تاريخ البطاركة قوله.. فقال يا أبهاتى المباركين[2] وقوله.. هذا الكتاب ورثوا أبهاتنا الأرثذكسيون البطاركة تعاليمه[3] وكلمة أبهاتى يقصد بها (آبائى) ولكنه جمع كلمة أب جمعًا مؤنثًا سالمًا، رغم أن كلمة أب كلمة تطلق على المذكر فكان الواجب أن يجمعها جمعَ مذكرا سالما، أو جمع تكسير، ولكنه قاس على جمع الإناث، الذى يجمع كلمة أم على أمهات فقال أبهات وهذه الصورة من الجمع موجودة فى السريانية، فهو تأثير آت للعامية المصرية من هذه اللغة (أى السريانية) فهى أصل العبادات المسيحية فى مصر، حيث نشأت السريانية عن اللغة الآرامية "فمن أهم لهجات الآرامية: السريانية، وقد سمى الآراميون أنفسهم بالسريان، بعد اعتناقهم الدين المسيحى، لأن الاسم الشعبى القديم، صار عندهم عيبًا يدل على الكفر"[4].

يذكر د. رمضان عبد التواب أمثلة للجموع الشاذة فى اللغة السريانية يقول " من الأسماء الشاذة فى الجمع ما يأتى[5]:

(١) المجموع الصفوى.

(٢) تاريخ البطاركة٤/٢.

(٣)المرجع السابق ١/ ١٠٦.115 ?

(٤) فى قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية: د رمضان عبد التواب، الخانجى، ط٢ ١٩٨٣م القاهرة، ص١٨١.

(٥) المرجع السابق: ١٩٣.

الكلمة	معناها	جمعها المعرف	جمعها المطلق
ܐܰܒ݂ܳܐ	الأب الحقيقى	ܐܰܒ݂ܳܗܶ̈ܐ	ܐܰܒ݂ܳܗܺ̈ܝܢ
	الأب الروحى	ܐܰܒ݂ܳܗܳܬ݂ܳܐ	ܐܰܒ݂ܳܗܳܢ
ܚܡܳܐ	حَمٌ	ܚܡܳܗܶ̈ܐ	ܚܡܳܗܺ̈ܝܢ
ܐܶܡܳܐ	أمّ	ܐܶܡܳܗܳܬ݂ܳܐ	ܐܶܡܳܗܳܢ

نجد فى هذا الجدول أن كلمة أم فى السريانية لا تنتهى بهاء فى حين أن الجمع منها ينتهى بالهاء + علامة الجمع (ات). هى علامة جمع المؤنث السالم فالهاء التى فى جمع أم أتت من هذه اللغة، هذا تفسير عمل القياس فى بناء كلمة أبهات، قياسًا خاطئًا على أمهات وتوضيح ذلك كما يأتى.

أم + هاء (جمع فى السريانية) + علامة جمع المؤنث السالم = أمهات

أب + هاء (جمع فى السريانية) + علامة جمع المؤنث السالم = أبهات

وهنا نرى تأثير جمع المؤنث السالم فى الأمهات على كلمة أب فصارت أبهات، وهذا الجمع نجده إلى الآن على ألسنة العامة فى مصر، وقد أشار الدكتور مختار عمر إلى وجود هذه الظاهرة فى لغة ذلك العصر الفاطمى بقوله.. استعمال كلمة أبهات جمعًا لأب وقد وردت فى مخطوطة دير القديس مكاريوس ولم أعثر عليها فى معاجمنا اللغوية، ولعل منشأها القياس الخاطئ لهذه الكلمة على (أمهات) ومن الجموع الغريبة كذلك جمع سوط على أسياط ونجيب على (نجبان) وجنة على أجنة[1].

القول بأصالة الميم فى بعض الأسماء:

وللقياس الخاطئ أثر كبير فى إنتاج الأفعال من الأسماء على توهم أصالة الميم فى هذه الأسماء وأنها ليست زائدة مثل مذهب الميم هنا زائدة والأصل

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٦.

ذهب، ولكن القياس الخاطئ أوهم أصالة الميم هنا أدت إلى جعل مذهب اسما رباعيًا ولهذا صاغوا منها أفعالاً مثل: تمذهب وتمفعل.

يقول الدكتور عبد العزيز مطر.. وفى اللغة أمثلة كثيرة خرجها اللغويون على التوهم كتوهم أصالة الميم فى المرآة، والمسكنة والمدرعة والمنديل جاء فى اللسان فى الحديث لا يتمرأى أحدكم فى الماء أى لا ينظر وجهه فيه، وزنه يتمفعل من الرؤية كما حكاه سيبويه من قول العرب: تمسكن من المسكنة وتمدرع من المدرعة، وكما حكاه أبو عبيدة من قولهم: تمندلت بالمنديل[1].

ويقول الأستاذ محمد خليفة التونسى.. تمذهب هذه كلمة مستعملة فى الفصيح وهى مشتقة من كلمة مذهب وعلى هذا النحو الذى سار عليه السلف تشتق من هذا الأصل (مذهب) كلمات أخرى فنقول مثلاً: لكل مذهب أتباع... هذه كلها مشتقات ميمية الأول منها فعلان ماضيان: مذهب (الرباعى) وتمذهب الخماسى ومضارعهما: يمذهب ويتمذهب والمصدر، التمذهب... وكلها تشترك فى هذا الأصل الرباعى (مذهب) ولكننا حين نتأمل هذا الأصل نجد أنه مشتق من جذر ثلاثى هو ذهب بمعنى المضى زيدت الميم فى أوله حرفًا رابعًا فصار (مذهب) ولكن المشتقات الميمية السابقة لم تشتق مباشرة من الجذر الثلاثى بل اشتقت مباشرة من مذهب كما لو كانت الميم الزائدة فيه حرفًا أصليًا وهذه الظاهرة اللغوية يسميها أهل اللغة "الاشتقاق على التوهم" أى توهم شىء غير حقيقى كأنه حقيقى[2].

رأى المجمع اللغوى:

تعرض الشيخ عبد القادر المغربى لقضية الاشتقاق على توهم هذه. وقدم للمجمع اللغوى ثلاثة أبحاث حول هذه القضية.. قدم فى البحثين الأولين شواهد على توهم أصالة الحرف. قال " فإنها بلغت من الكثرة حدًا رأيته كافيًا فى اعتبار

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ٣٢٩.

(٢) أضواء على لغتنا السمحة: محمد خليفة التونسى الكتاب العربى التاسع ١٥ اكتوبر١٩٨٥ الكويت، ص ١٦٦.

هذا الضرب من التوهم قاعدة تحتذى فيحمل على شواهدها المنقولة عن الفصحاء شواهد أخرى تشبهها من كلام المولدين فنعتبرها صحيحة سائغة الاستعمال ولا نخطّئ الكتاب المعاصرين أو المولدين فى استعمالها[١].

وبعد سماع البحثين الأولين كاد المجمع يقر مبدأ توهم أصالة الحرف ويوافق على اقتراح الشيخ المغربى كاملاً فى اعتباره قاعدة يخرج عليها كلام المولدين المعاصرين الذى يوجد له نظير فى كلام الفصحاء، ولكن المجمع اكتفى بهذا القرار: "جرت بعض الكلمات العربية على مبدأ توهم أصالة الحرف"[٢].

وهذه الظاهرة التى تحدثنا عنها وأقرها المجمع اللغوى وجدت فى اللغة منذ القدم، بل وردت فى حديث رسول الله ﷺ ولكنه زاد فى لغة العصر الفاطمى خصوصًا لهجة العامة، فنجد فى كتاب المنامات قوله.. المصيبة أنه مع هذا يتمكتب ويتمشعر[٣] أى يدّعِى أنه كاتب وشاعر، فجىء من كتب بتمكتب ومن شعر بتمشعر فمن هذه الأفعال أتى بهذه الأسماء بزيادة الميم، ثم أتى من هذه الأسماء بأفعال جديدة على توهم أصالة الميم فيها فقيل يتمشعر ويتمكتب.

وقوله" وليس الخادم من الناس المتمشقعين الذين يفرحون بهذه المنزلة[٤] أى شقع، وتمشقع ثم يتمشقع وشقع بمعنى "سب وشتم" وتشاقع الناس سب بعضهم بعضًا[٥].

ويمكن تصور مراحل صناعة هذه الصيغة من الشكل الآتى:

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكى: الجزء الأول (اكتوبر) ١٩٣٥م ص ٥٩: ٦١.

(٢) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية: ٢٤٠.

(٣) المنامات ١٦٩.

(٤) المنامات ١٢٠.

(٥) معجم الألفاظ العامية ٩٧.

أصل الفعل	اسم من الفعل	فعل من الاسم	المضارع منه	اسم الفاعل
كتب	مكتب	تمكتب	يتمكتب	كاتب
شعر	مشعر	تمشعر	يتمشعر	شاعر
شقع	مشقع	تمشقع	يتمشقع	شاقع

والحق أن القضية ليست قضية توهم فى الاشتقاق ولكن هى الحاجة اللغوية لدى المتكلمين لهذه الصيغ؛ ولهذا لو نظرنا إلى الفعل رأى نجد المعنى فى رأى (هو الذى أنتج لنا مرآة أى الآلة المستخدمة فى الرؤية لمشاهدة النفس) نجده يختلف عن المعنى فى رأى فقط بدون الميم ولهذا فالقياس الذى أنتج مرآة صحيح لغويًا ثم تأكد هذا القياس بالاستخدام اللغوى الدائم على ألسنة أبناء اللغة وخير دليل على صحته هو استخدام الرسول ﷺ الكريم له فى حديثه السابق، فزيادة المبنى بالميم أدى إلى زيادة المعنى، ثم أريد من هذه الآلة فعل يدل على عملية النظر فى المرآة، ويفرقه عن النظر فى الأشياء الأخرى، ولهذا قالوا من مرآة يتمر أى وذلك لاستجلاب الفعل من الاسم.

وهنا نقف عند قضية جوهرية وهى إنتاج الأفعال من الأسماء لنقول من الممكن أن يؤتى من الاسم المبدوء بميم غير أصلية بفعل، وذلك بزيادة ياء المضارعة وتغيير ما يلزم، ولكننا لا نكتفى بالميم لنقول يؤتى من الاسم المبدوء بالميم فقط، بل نضيف "وأيضًا من الأسماء الجامدة مثل أسد، وناقة، وذلك بزيادة ألف وسين وتاء فنقول استنوق الجمل واستأسد الجبان فهى من وسائل اللغة لثراء مفرداتها وتطورها فى صرفها ودلالتها.

وفى كتاب المكافأة ورد نموذج على الفعل المشتق عن الاسم فى قوله، ثم تواترت الأخبار بتجييشه عليه[1] وبتجييشه من الفعل تجيش وهذا مشتق من

(١) المكافأة ٧٧.

الاسم الجامد جيش،وهذه الكلمة بهذا الشكل موجودة فى العامية المصرية المعاصرة فى كلمات كثيرة، نحو تجيَّش وتملعن وتمزَّج وتمختر وتبختر وتعفرت وتريش، من كلمات مختلفة: جيش، ملعون، مزاج، التمختر، التبختر، العفريت، الريش.

التذكير والتأنيث:

وكثيرًا ما تحدث على ألسنة العامة تأنيث الاسم الذى لم يسمع عن العرب تأنيثه، والعلة فى ذلك هو محاولة العامة التفريق بين المذكر والمؤنث فى الأشياء هى عند العرب يستوى فيها المذكر والمؤنث، ولكنهم يفرقون بينهما بهذه التاء قياسًا على الاسم المذكر والاسم المؤنث وهذا قياس خاطئ، ورغبة منهم فى إطراد الصيغ، يقول الدكتور عبد العزيز مطر: "أخطاء العامة فى هذا الباب تقع غالبًا نتيجة لمثل هذا القياس بوضع علامة التأنيث فى اسم لم يسمع عن العرب بهذه العلامة أو باستبدال علامة بأخرى، أو الجمع بين علامتين للتأنيث[1].

ويشير إلى ما يفعله الطفل من القياس الخاطئ فى هذا الباب حيث يقول عندما يقول الطفل: البلحة الأحمرة بدل الحمراء، يكون قد قام ـ لا شعوريًا بعملية قياسية سريعة قفز إلى ذهنه فيها ما يسمعه حوله مثل: حلو وحلوة وكبير وكبيرة، فحسب مؤنث الأحمر يكون كذلك بزيادة تاء على الكلمة الدالة على المذكر، فأخطأ القياس لأن هذه الصيغة تؤنث بعلامة أخرى غير تاء التأنيث[2] وقد ذكرت أمثلة لذلك فى كتابى النمو اللغوى للطفل منها هذه الكلمة.

وهناك كلمات ورد السماع بها عن العرب بدون تاء التأنيث ويستوى فيها المذكر والمؤنث فتميل العامة إلى التفريق بينهما بتاء التأنيث قياسًا خاطئًا على الكلمات الكثيرة التى وقعت فيها التفرقة بالتاء، وذلك يتم رغبة فى إطراد الصيغ، واطراد التفرقة فى النوع، وذلك مثل قول عامة الأندلس وصقلية: عروسة وقد سمعت فى اللغة بلا تاء ويستوى فيها المذكر والمؤنث وقول عامة صقلية، وبغداد:

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات الحديثة: ٣٥١.

(٢) المرجع السابق ٣٥٠.

عجوزة والعجوز يستوى فيها المذكر والمؤنث وقد وردت فى اللغة: عجوزة، ولكن ابن دريد قال إنها لغة رديئة شاذة لا يلتفت إليها... [1].

هذا هو سلوك العامة فى بعض الكلمات المؤنثة بغير تاء حيث يقيسون فيها على المؤنث بالتاء، فإذا أضيفت إلى ذلك ما عرف عن اللغة التى وجدها العرب بمصر وهى القبطية، التى تختلف فى منطقها عن منطق العربية حيث ذكر بعض الكلمات المؤنثة فى العربية أو تأنيث المذكر وهو غير مذكر فى العربية،ويحدث هذا فى الأشياء التى لا تلد، أى المؤنث المجازى، يقول السمنودى فى السلم "كلمات فى اللسان القبطى شياء مذكر، وفى اللسان العربى مؤنثًا وشياء (مؤنث) فيقال مذكرًا، كقولك الشمس... فهى فى القبطى مذكر وفى العربى مؤنث كقولك طلعت الشمس وغابت ولا طلع الشمس وغاب وكذلك السلم... فهى فى القبطى مؤنث وفى العربى مذكر كما يقال هات السلم ولا يقال هات السلمة وكقولك الثعلب... والأرض...[2]

كل هذا يجعلنا ننظر إلى الكلمات المؤنثة فى العامية المصرية فى العصر الفاطمى بحذر، فنجد مثلاً آخر ورد فى أخبار مصر للمسبحى " يُسخِّر المساكين ولا يدفع إليهم أجرة[3] أى أجر وفى القاموس المحيط.. الأجر الجزاء على العمل كالإجارة مثلثة جمع أجور[4]... فلم ترد كلمة أجرة إلا على ألسنة العامة فى مصر فى العصر الفاطمى وفى العامية المصرية المعاصرة، وهى مذكرة فى اللغة العربية.

وكذلك ورد فى المجموع الصفوى قوله... لاسيما أن فسدت لشحته وحسده[5]... ويقول صاحب القاموس والشحذ كالمنع السوق الشديد والغضب والقشر والإلحاح فى السؤال وهو شحاذ ملح ولا تقل شحات[6] أى يشحذ شحذًا

---

(١) المرجع السابق ٣٥١.

(٢) مقدمة السلم الكنائسى للسمنودى مخطوطة بمعهد الدراسات القبطية بالقاهرة. ص١.

(٣) أخبار مصر ٥٩.

(٤) القاموس المحيط ٢٥٩/١.

(٥) المجموع الصفوى: لابن العسال مخطوطة بالمعهد القبطى بالقاهرة.

(٦) القاموس المحيط ٢٥٠/١.

كما فى القاموس بدون تاء، ولكن هذه الكلمة مرت بمراحل من التطور اللغوى، المرحلى وتعرضنا لهذه المراحل فى باب الأصوات، ومن هذا التطور دخول التاء على مصدر شحذ لتصبح شحاذة، بدل شحذ كمنع وهنا تأنيث المذكر.

وورد فى البرديات العربية قوله ٣ ـ لهما من العراض والمخبرة[١] فاسم الآلة من الفعل خبز مخبز مفعل ولكنهم يقولون منها مخبزة فأنث المذكر.

وكذلك ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله.. فذكروا التجارة أنهم[٢] أى فذكر التجَّار أنهم.. فأنث هذه الكلمة، وهى لا تحتاج إلى تأنيث فقد اعتقد أن هذا الجمع المكسر مؤنثًا فأكد هذا الاعتقاد بتلك التاء فقال التجارة.

والشىء الثانى الذى يلفت نظر الباحث فى مجال التأنيث هو تأنيث الكلمات المذكرة للحصول على كلمة تشير إلى الإناث،على الرغم من وجود الكلمة التى تشير إلى الإناث ككلمة مستقلة، كما فى العربية التى تمتلك كلمة للدلالة على الذكر من هذا الحيوان هى حمار،وكلمة تشير إلى المؤنث من الحمار وهو أتان، ومع ذلك تُترك الكلمة المؤنثة يُستبدلها بتأنيث الكلمة المذكرة بإلحاق تاء فى نهاية كلمة حمار لتصبح حمارة للمؤنثة.

كما ورد فى البرديات فى قوله:

٢- الذى صار إلى أبى سعيد أعزه الله من الدراهم.

٤ فى منزله... ٢٢- ومع غلامتى سارة ٢٠. [٣] أى فتاتى سارة.

كلمة تدل على المذكر (غلام) + تاء التأنيث = غلامة

وما ورد فى أخبار سيبويه.. ورأى يومًا آخر لى حمارة[٤].

فكل من كلمة غلامة وحمارة لها ما يقابلها فى اللغة أى لها كلمة مستقلة تشير إلى الإناث فكلمة غلام مؤنثها فتاة وحمار مؤنثها أتان ولكن الكاتب أراد أن يأتى

(١) السفر الأول ١٣٠ بردية ٥٣.
(٢) أخبار مصر ٢٢.
(٣) السفر السادس ١٧٦ بردية ٤٢١.
(٤) أخبار سيبويه ٥٠.

بمؤنث من هذه الكلمات بطريقة سهلة ـ وهى القياس على الكلمات المذكرة التى تؤنث بالتاء؛ فقال فى حمار: حمارة، وفى غلام غلامة.

والحق أن هذه الظاهرة تعود إلى اللغات السامية كلها، فالأصل فى اللغات السامية أن يكون للمؤنث الحقيقى، كلمة تخالف الكلمة الموضوعة للمذكر مثاله فى العربية أب وأم وفى العبرية = [illegible] كبش [illegible] = نعجة/ رجل.

وغير ذلك، غير أن اللغات السامية، ابتدعت فيما بعد، علامات تفرق المؤنث عن المذكر ومن أشهر تلك العلامات: التاء التى تلحق آخر الاسم، وقد تحولت هذه التاء إلى هاء فى حالة الوقف فى اللغتين العربية والعبرية[1].

ولهذا فإن إلحاق التاء بآخر كلمة غلام وكلمة حمار هى بداية تلك المرحلة التى قيس فيها وضع التاء فى آخر الكلمات المذكرة بغرض تأنيثها. ثم شاعت هذه الظاهرة وفى المقابل ماتت الكلمات المؤنثة فلا نجد أحدًا فى هذا العصر يقول ركبت الأتان، بل يقول الحمارة. فقد ماتت الأولى وبقيت الثانية وشاعت.

الأبنية الجديدة:

قد يؤدى القياس على صيغ قديمة إلى نشوء كلمات جديدة فى اللغة، وهذه العملية قد يكون القياس فيها صحيحًا أو يكون قياسًا خاطئًا. يقول الدكتور رمضان عبد التواب " وقد يؤدى القياس إلى نشوء كلمات جديدة فى اللغة، فإن بناء (اتبع) من تبع مثلاً أدى إلى توهم أن اتخذ مأخوذة من تخذ مع أنها من أخذ، وبذلك نشأت كلمة جديدة هى تخذ واستخدمها الشعراء كقول الممزق العبدى:

وقد تَخِذتْ رجلى إلى جنب غُرزها نسيفا كأفحوص القضاة المطرِّق

وقد فطن إلى هذا الجوهرى فقال: والاتخاذ افتعال من الأخذ، وإلا أنه أدغم

---

(١) فى قواعد الساميات ٢٦.

بعد تليين الهمزة، وإبدال الياء تاء، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال، توهموا أن التاء أصلية، فبنوا فَعِل يَفْعَل، قالوا، تَخِذ يَتْخَذُ[1].

وقد حدث مثل هذا فى لغة العصر الفاطمى حيث ورد قول الشيخ أبى صلح "ابن مينا الكاتب استوجه إلى فلسطين[2] فقاس على استخرج استوجه، فظهرت لنا صيغة جديدة من توجه، ولكن هذا القياس خاطئ، فالصحيح أن يكون توجه وليس استوجه فليس فى العبارة أى معنى من معانى استفعل، وكذلك الفعل توجه ليس مما يقبل هذه الزيادة.

وكذلك ورد فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى قوله "ومات على بن الأخشيد بمصر... وافترد كافور بالأمر[3] يقصد تفرد بالأمر، ولكنه قاس تفرد على افتعل فصارت افترد، وهذا القياس خاطئ، ولكنه أنشأ لنا صيغة جديدة من تفرد وهى افترد.

وقد أشار الدكتور مختار عمر إلى التأثير الأجنبى على لهجة مصر فى تلك الفترة فى الناحية الصرفية فى خلق صيغ جديدة يقول" خلق صيغ جديدة لا وجود لها فى العربية الكلاسيكية مثل صيغة انفعًل مكان تفعل، ومن أمثلة ذلك (اتجسد) تجسد، و اتوكل، واترجا،أو نقل فعل من صيغة إلى صيغة أخرى مثل استعمال الفعل اتّلىَ بدلاً من الفعل تولى وأورى بدلاً من الفعل أوى[4].

ثانياً: فعلت وافعلت:

قد يستخدم الناس فى العصر الفاطمى كلمات على وزن افعلتُ بدلاً من فعلتُ، وهذا كثير فى لغتهم وهذه القضية هى تعدية المتعدى بدون الحاجة إلى ذلك بوضع همزة فى أوله، قد فسرها كثير من الباحثين على أنها محاولة للتفصح بهمز كل فعل ثلاثى اعتقاداً منهم أن الهمزة أصلية والعامة حذفتها،

---

(١) التطور اللغوى ٧٣.

(٢) تاريخ أبى صلح ٤٦.

(٣) تاريخ يحيى الأنطاكى.

(٤) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٤٤.

والصواب هو عدم وجود همزة فى هذه الأصول وأيضًا عدم الحاجة إليها نظرًا لأن الفعل متعد بذاته ودون الحاجة إلى الهمزة.

لقد تعرض لهذه الظاهرة كثير من علماء اللغة خاصة الذين تعرضوا للحن العامة، وألفوا فيها كتبًا فابن قتيبة يقول فى أدب الكاتب "باب ما لم يهمز والعوام تهمزه... قال أبو محمد زكيتُ الأمر أزكته، أى علمته وأزكيت فلانًا أى أعلمته وليس هو فى معنى الظن،. قال أبو محمد وبعضهم يجيز أرعد وأبرق كبيت الكميت:

أرعـــد وأبـــرق يـــــا زيـــ (م) ـدُ فما وعيدك لى بضائر[1]

فهو يشير إلى أن فعلت قد يستخدمها العامة على أفعلت، وكذلك فى إصلاح المنطق لابن السكيت" باب يتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت تقول نعشه الله ينعشه أى رفعه الله ومنه سمى النعش نعشًا لارتفاعه ولا يقال أنعشه الله... وقد شغلته ويقال قد سعرهم شرًا، ولا يقال أسعرهم فهم يهمزون مالا يصح أن يهمز[2].

وفى تقويم اللسان لابن الجوزى.. رفدت فلانًا والعامة تقول أرفدته.. وتقول ردمت الباب فهو مردوم إذا سددته والعامة تقول أردمته فهو مردم[3]. وتقول سعرهم شرًا والعامة تقول أسعرهم "وشَمَلَتْ الريح بفتح الشين والميم صارت شمالاً والعامة تقول أشملت بالألف"[4].

وأيضًا الباحثون المحدثون ناقشوا هذه القضية، يقول الدكتور عبد العزيز مطر.. يقولون فيما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يسم فاعله بإلحاق الألف فيبنونه على أفعل نحو أبيع الثوب، وأقيم على الرجل وأضيف، وأديريه وأسيريه، والصواب فى هذا إسقاط الألف[5].

---

(١) أدب الكاتب ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) إصلاح المنطق: لابن السكيت، القاهرة ١٩٥٦م ص٢٢٥.

(٣) تقويم اللسان١٢٤، ١١٧، ١١٢، ١١٠ ولحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية ١٣٠.

(٤) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة:١٣٠.

(٥) تقويم السان: ٤٥.

ويعلق على لغة أهل الأندلس فيقول.. ولكن الظاهرة التى تستحق التسجيل، والتى رأينا لها مثيلاً فى غربية الأندلس فى الفصل السابق، هى أنهم ينطقون المبنى للمجهول من الثلاثى الأجوف على وزن أفعل، فيقولون أبيع الثوب وأريد فى ثمنه، وأقيم على رجل وأخير لك فى كذا وأخفت، وأبعت على حين أنهم يقولون فى المبنى للمعلوم منه، باع وزاد وقام وخار وضاف وباع[1].

ثم يقول.. وهذا الباب أعنى الخلط بين فعل وأفعل وقد شاع من القرن الثالث الهجرى، فعالجه ابن السكيت فى إصلاح المنطق وابن قتيبة فى أدب الكاتب وثعلب فى الفصيح، وقد صنفت فى باب (فعل وأفعل) كتب خاصة للأصمعى وابن عبيد القاسم وأبو إسحاق الزجاج[2].

وأشار لهذا فى موضع آخر فى كتاب آخر هو لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية حيث قال: "صيغتا فعل وأفعل من صيغ الفعل: يختلط عندهم هاتان الصيغتان، وهذه الظاهرة ملحوظة فى البيئات العربية الأخرى وقد اهتمت بها كتب التصويب اللغوى، فمن أبواب إصلاح المنطق لابن السكيت.. "باب يتكلم فيه بفعلت مما يغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت وباب ما يتكلم فيه العامة بفعلت[3]

وفى لغة العصر الفاطمى أمثلة كثيرة على استخدام فعلت مكان أفعلت أو العكس نوردها فى هذا الجزء من البحث فالفعل باع يبيع نجده يرد فى هذه اللهجة على صورة أباع رغم أنه تعدى بدون الهمزة، ورد فى أخبار الدول المنقطعة قوله "إلى أن صادر رجلاً جمالاً فأخذ له عشرين ديناراً ثمن جمل أباعه ولم يكن يملك سواه[4] فأتى بالفعل أباع بدلاً من باع.

وقد ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله.. أبيعت القطع من الصيارف لسبك أى بيعت وقال أيضاً حتى أبيع الرغيف الخبز فى زقاق القناديل كما تباع الطرق..

---

(١) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ١٨٩.

(٢) تقويم اللسان ٤٥.

(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: ١٨٨.

(٤) أخبار الدول المنقطعة ٨٩.

وأبيع الأردب القمح بمائتى دينار"[١] أى بيع. وفى تاريخ الشيخ أبى صلح ورد قوله.. وأبيعت بثمن جزيل وقوله من ثمن ما أبيع من الأوانى[٢] وفى المجموع الصفوى ورد قوله.. شملها موت القضب لما باع قريته[٣].

ولكن على الرغم من أن المشهور فى باع أن يتعدى بدون همزة إلا أن صاحب كتاب فعلت وأفعلت وهو أبو إسحاق الزجاج أجاز الصورة الثانية فقال "وباع الرجل الفرس وأباعه وإباعه فى معنى واحد، وذكر ذلك أبو عبيدة وقال النحويون: أبعته عرضته للبيع وأنشدوا.

ورضيت آلاء الكميت فمن يبع ... فرسًا فليس جوادنا بمباع

قالوا معناه ليس بمعرض للبيع[٤].

وفى معنى باع ورد فى القاموس المحيط قوله.. باعه يبيعه بيعًا ومبيعًا والقياس مباعًا إذا باعه وإذا اشتراه ضد وهو مبيع وباعه من السلطان إذا سعى به إليه... وأبعته عرضته للبيع[٥] فلم ترد عنده كلمة أباع بمعنى باع، قط.

وقد وردت أيضا كلمة روح فى البرديات العربية السفر الأول قوله.. وولى عقد نكاح عباسة ابنت سرى ابن عبد الله فأزوجها[٦] أى فزوجها فزاد الهمزة هنا أيضًا من غير الحاجة إليها.

وفى المجموع الصفوى لابن العسال قال.. واصطبروا على ما أفرض عليهم أى ما فرض عليهم وقوله.. ثم يرجع إلى العالم وأفسخ ما أنذره[٧] أى وفسخ ما نذره. وفى تاريخ أبى صلح ورد قوله.. أفصل بعضها ببعض أى وفصل، وقوله وأقسم البيعة قسمين أى قسم البيعة، وقوله وأصاده الشيطان فى شرك من

---

(١) أخبار مصر ٤٩، ٣٤.

(٢) تاريخ أبى صلح ٣٥.

(٣) المجموع الصفوى.

(٤) كتاب فعلت وافعلت: الزجاج، تحقيق ماجد حسن الذهبى، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق سوريا، ص ٧.

(٥) القاموس المحيط ٣/ ٨٠٧.

(٦) السفر الأول ٧٩/ بردية ٣٩.

(٧) المجموع الصفوى.

شراكه، أى وصاده،.. أخربها الفرس والعرب. أى خربها وقوله: وأردم عين الماء، ودام تلك النخلة أى ردم عين الماء وقوله: أصرفت فى شمارة البيعة[1] أى صرفت.

ويشير الدكتور أمين السيد إلى تأثير الهمزة على معنى الفعل فيقول: وقد تدخل الهمزة على الفعل، ولا يتأثر عمله بها بل يظل على حاله قبلها، فمن ذلك الفعلان (سرى أو أسرى) كلاهما لازم. ولم تغير الهمزة سوى صورته ووزنه، وقد يدل على زيادة معناها .... وكذلك الفعلان (جاز وأجاز) كلاهما متعد تقول جزت الطريق وأجزته. والفعلان (ردف. وأردف) كلاهما متعد فقد قالوا ردفه يردفه بمعنى[2].

والحق أن استخدام فعلت مكان أفعلت لا يرتبط بقضية التعدى أو اللزوم فحسب، وإنما يرتبط بقضايا أخرى مثل العادة الكلامية لدى الجماعة اللغوية فى ذلك المجتمع اللغوى من الميل إلى حذف الهمزة أو إثباتها، فقضية الخصائص اللهجية تدخل ضمن هذه الأسباب التى أوجدت الفرق بين الصيغتين، أما قضية دلالة الفعل على المراد منه فقد تحققت لدى المتلقى بأى من الصيغتين، فعملية التواصل بالفعل قد تتم بأيهما، وخصوصًا أن هذه البيئة بيئة أعاجم فى أغلب أفرادها؛ فلا يشعرون بالفرق بين الصيغتين، إنما المقصود من أيهما هو تحقق المعنى الأصلى الموجود فى جذر الكلمة وقد تحقق فعلاً، وتم التواصل بين المتكلم والمستمع[3].

معانى بعض الصيغ:

إن الحقيقة الصرفية القائلة.. زيادة المبنى تؤدى إلى زيادة المعنى.. وإن لم يكن مجمعًا عليها فمن الممكن الاسترشاد بها فى بعض مواضع زيادة المعنى فى الكلمة

---

(١). تاريخ أبى صلح ٥٨، ٥٩، ٧٠، ٧٢، ٨٣، ٣٥ على التوالى

(٢) فى علم الصرف ٤٣، ٤٤.

(٣) انظر كتاب" فعلت وأفعلت دراسة دلالية وصرفية "د. عطية سليمان أحمد، مكتبة المتنبى، الدمام السعودية ٢٠٠٥م ص ٨٢".

التى ينتج عنها زيادة فى المعنى، ولهذا يمكن القول بأن أحرف الزيادة فى اللغة ما هى إلا معان جديدة فى أغلب الأحيان تضاف إلى المعنى الأصلى للجذر الصرفى، ومن هذا الجذر تتولد وتتكاثر المعانى الأخرى.. يقول ابن الحاجب.. والزيادة حروفها (اليوم تنساه) أو سألتمونيها أو السمان هويت؛ أى التى لا تكون الزيادة لغير الإلحاق والتضعيف، إلا منها ومعنى الإلحاق أنها إنما زيدت لغرض جعل مثال على مثال أزيد منه ليعامل معاملته فنحو قردد ملحق بجعفر. ونحو مفعل غير ملحق لما ثبت من قياسها لغيره[1].

فالزيادة عن ابن أبى الحاجب لا تكون إلا لمعنى تضيفه إلى الكلمة غير الإلحاق أى غير تلك الزيادة التى تجعل الكلمة تلحق بغيرها فى الوزن ثم يجعل حروف الزيادة تختصر فى عشرة حروف، مجموعة فى كلمة (هويت السمان) ولكننا نجد الدكتور تمام حسان يضيف رأيًا آخر فى عدد حروف الزيادة حيث يقول ينبغى قبل التفكير فى الوسيلة أن نزعم أن حروف الزيادة فى اللغة الفصحى ليست قاصرة على (سألتمونيها) فكل حرف فى اللغة العربية صالح من الناحية العلمية لأن يكون زائدًا لمعنى؛ ولنا أن نسوق الأمثلة الآتية للتدليل على هذا الزعم:

دحرج	ذات صلة بالثلاثى	درج	والمزيد الحاء.
زغرد	ذات صلة بالثلاثى	غرد	والمزيد الزاى.
شقلب	ذات صلة بالثلاثى	قلب	والمزيد الشين.
عربد	ذات صلة بالثلاثى	عرد	والمزيد الباء.

وليس واحد من هذه الحروف الأربعة المزيدة يعد من حروف سألتمونيها[2].

رغم هذه الأمثلة فمن الصعب أن نقول بإمكانية جعل كل حروف اللغة صالحًا لأن يكون زائدًا لمعنى، فكلمة درج وزنها فعلل أى أن جذرها رباعى لا زيادة فيها،

---

(١) شرح الشافية: للأستراباذى، تحقيق محمد الزفزاف وآخرون القاهرة ١٣٥٦هـ، ص ١٦.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٥٣.

وليس معنى وجود تقارب فى المعنى بين درج ودحرج أنه ثلاثى الأصل، فالجذر الذى أتى منه دحرج غير الذى أتى منه درج، فهذا ثلاثى وذاك رباعى فلا زيادة هنا، فكل ذات أحرف أصول لا يمكن الاستغناء عنها حتى إذا سلمنا بأن شقلب هى قلب والشين زائدة، وهذا راجع إلى علة أخرى هى استعمال العامة الذين يزيدون فى الكلمات ويغيرون فيها دون الرجوع إلى قواعد اللغة وأصولها، وذلك لأنهم المستخدمون الحقيقيون للغة، ولهم أن يدخلوا ويغيروا فيها حسبما يقتضيه الاستعمال العملى للغة، ولكن فى الوقت نفسه نرى أن عدد هذا الاختلاف بسيط جدا، ولا يمكن تعميم ذلك.

وقد أقام ابن فارس معجمه مقاييس اللغة على نظرية آمن بها وهى التى يسير عليها الدكتور تمام حسان وهى الأصل الثلاثى للأفعال الرباعية، فليس هناك ـ كما يرى ـ أوزان رباعية فأخذ يبحث لها عن أصول ثلاثية وتعليلات لوجودها على تلك الصورة الرباعية. وقد أصاب فى بعض التعليلات، ولكنه لم يصب فى بعضها الآخر، بل إنه وقف أمام بعض الصيغ الرباعية حائرًا، ثم أعلن عدم علمه بها أو معرفته لأصولها ولكننا لا ننكر عليه علمه فيما أصاب.

المعنى اللغوى للصيغ الثلاثية أو الرباعية قد يصيبه بعض التغييرات نتيجة لاستخدام الناس له فيحدث فيه تطور فى معناه وفى هذه الحالة تصبح المعانى التى أقرها علماء الصرف لهذه الصيغة أو تلك ـ أضيق من المعانى المستخدمة فعلاً والتى تشير إليها هذه الصيغة، وفى هذه الحالة يجب علينا أن نبحث عن هذه المعانى الجديدة لتلك الصيغة وإضافتها إلى المعانى الأصلية وبهذا نتعرف على تطور معانى هذه الصيغة ونموها.

وقد وجدنا فى بحثنا كثيرًا من هذه الصيغة التى استخدمها العامة قد جددوا فيها وأضافوا إلى معناها معنى جديدًا، كما ورد فى البرديات قوله:

تسجلت أعزك الله فى غير بيعة بأسعار شتى[1]

(١) البرديات العربية مخطوطة بدار الكتب رقم ٦١٦ ص ٣٢.

فاستخدم الفعل ـ سجل، على وزن تفعل أى تسجل ليدل على كثرة تسجيلها بهذه الأسعار المختلفة ولكن الوزن تفعل يأتى لمعان خمسة[1] هى: المطاوعة، الاتخاذ، التكلف التجنب التدرج وليست الكثرة أو المبالغة من المعانى التى يدل عليها تفعل كما ورد فى النص السابق.

وكذلك الوزن (تفاعل) فمن معانيه الدلالة على التشريك والتظاهر وحصول الشىء تدريجيًا والمطاوعة، ولكنها وردت فى أخبار مصر للمسبحى فى قوله.. وفيه ترافع السعر واشتد[2]. والفعل ترافع هنا يدل على شدة الغلاء وارتفاع الأسعار وهذا ليس من المعانى التى تدل عليها صيغة تفاعل.

ومثال آخر لتطور هذه الصيغة ما ورد فى قول الشيخ أبى صلح.. بل تواقح وزاد فى طغيانه[3] فالفعل تواقح يدل على شدة الوقاحة وليس هذا من معانى تفاعل. وأيضا ما ورد فى أخبار مصر قوله وجميع أهل الفرما تهاربوا من البلد[4] فتهاربوا بوزن تفاعلوا وهذا يشير إلى كثرة الهاربين وشدة خوفهم والسرعة فى الهرب وكل هذا جديد على معنى تفاعل وأيضًا ورد فى أخبار مصر لابن ميسر... فذكروا التجارة أنهم لم يروا صحوة تمادت أربعين يومًا إلا فى هذا الوقت فكان ذلك أول سعادته[5] وهذا الوزن يدل على معنى شدة الامتداد والتزايد.

ونجد الدكتور محمد أبو الفتوح شريف يقول إن من معانى تفاعل.. التدرج والتصارع والتزايد والتظاهر والتناسى[6] أى أن الدلالة على الزيادة والكثرة هى من معانى تفاعل وهو بذلك يوافق ما وجدناه من معنى جديد لصيغة تفاعل.

---

(١) شد العرف فى الصرف ٤٥: الشيخ أحمد الحملاوى، ط٢٠ ١٩٧٦، مصطفى البابى الحلبى القاهرة ب ت ص، ٤٦.

(٢) أخبار مصر ٦١.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٤.

(٤) أخبار مصر ١٩٧.

(٥) أخبار مصر ٢٢.

(٦) ملخص عن علم الصرف دراسة وصفية ٤٥.

الإلحاق المطرد:

قد يؤثر القانون الصوتى على بناء الكلمة فيحول الكلمات ذات الأصل الثلاثى إلى كلمات ذات أصل رباعى، وذلك بتكرار أحد أصول هذه الكلمات وتكون العلة فى ذلك هو عمل القانون الصوتى فيها، مما يؤدى إلى ظهور معان جديدة لتلك الكلمة وغالبًا ما تكون امتدادًا للمعنى القديم، ويسمى هنرى فليش هذه العملية بالتحول الداخلى حيث يقول.. استطاعت العربية إطالة أصلها الثلاثى بالتكرار، تكرار صامت، أو اثنين من الأصل وكان هذا مقررًا وثابتًا فى منطق استخدام الأصل، ولكن إذا كان التضعيف لم يغير منه صفة الثلاثية فإن هذا التكرار سوف يبنى أصولاً رباعية. بل أصولاً خماسية أيضًا ومع ذلك فإن العملية لا تؤدى إلى شىء سوى إطالة الهيكل الصامتى وتتم صياغة الكلمات بنفس الطريقة: طريقة التحول الداخلى وعلينا إذًا أن نقدم صيغًا كتلك الصيغ السابقة[1].

لقد كان هذا التكرار فى أصول الكلمات لخدمة المعنى كما ـ قلنا أيضا ـ يقول الدكتور أحمد بك عيسى.. تكرار الأصول للدلالة على تكرار الفعل؛ أنهم قد يكررون الأصل حكاية للصوت للدلالة على تكرار الفعل فنراهم يقولون خرخر لصوت الماء المنحدر وغرغر لصوت الماء المتحرك فى الفم وجرجر لصوت الشىء المجرور.. ونراهم يكررون عين الكلمة للدلالة على تكرار الفعل أيضًا مع التعدى والشدة وذلك لأنه لما كانت الألفاظ دليلة المعانى فقوة اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل وعين الكلمة أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لهما مكتوفة بهما فصار كأنهما سياج لها ومبدولان للعوارض دونها فقالوا قطَّع كسَّر فتَّح وكذلك ضاعفوا اللام كما ضاعفوا العين للمبالغة فقالوا ثمَّل وضمَّل وقعَّد وخرَّق.. الخ ونراهم قد كرروا العين واللام للمبالغة أيضًا نحو مَكْمَك وصَمَحْمَحَ وعركرك وعصبصب وضريرب[2] وهذه الصيغ سمعتها كثيرا على ألسنة العامة فى الكلام المرسل (نحو: فلان ظلملم أى ظالم) وفى الأغانى الشعبية.

---

(١) العربية الفصحى ١٠٢.

(٢) التهذيب فى أصول التعريب:أحمد بك عيسى مطبعة مصر ١٩٢٤م القاهرة ص١٥.

فما ذكره الدكتور أحمد عيسى ـ من الممكن أن نقبل بعضه، وهو معنى المبالغة فى ثُمَّل وممَّدَّ وغيرها، ولكن فى حرحر وغرغر ومثلها معروف أنها حكاية الصوت كصليل السيف فهم منها أنها تدل على تكرار الفعل. يقول الأستاذ محمد خليفة التونسى عن كلمات هذه الظاهرة.. كلها ذات أصل ثلاثى فى الفصيح، مع تكرار لام الكلمة أو حرفها الثالث (مثل أشعل وشعلل) ولها نظائر فى الفصيحة، وقد يسمى أبو عثمان هذا التكرار.. الإلحاق المطرد[1].

كررت إحدى أصولها على ألسنة العامة، فصيغة (ففعل) تجرى فى اللهجات الدارجة بمعناها العربى الموجود فى صيغة اللفظ الفصيح (فعل) وذلك، للتوسع أو المبالغة فى المبنى باعتبار أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وبعض الكلمات تدل على الزيادة أو المبالغة فى ناحية خاصة من المعنى، لا مجرد الحدث وحده فى معناه العام، ثم يذكر أمثلة على ذلك منها نعنش من نعش وملمص من ملص وفلفص من فلص وشرشب من شرب وقرقش من قرش وفرفش من فرش، ومرمغ من مرغ وشرشح من شرح، وطرطف من طرف... وغيرها[2].

هذه الظاهرة التى سماها هنرى فليش بالتحول الداخلى وسماها الدكتور أحمد بك عيسى بظاهرة تكرار أصول الكلمات، وسماها المازنى الإلحاق المطرد، لنا رأى فى تفسيرها. نحاول أن نثبته من خلال الأمثلة الموجودة فى لغة العصر الفاطمى وعلى هذا التفسير يمكن تغيير اسم الظاهرة وإعطائها اسمًا جديدًا. ورد فى منامات الوهرانى قوله.. قرقشوا القدر.. قوله فى جوف قراقيش خيشوم أنف قائلة، وقوله وكان إلى جانبه كف قراقيش من كف قراقوش[3] وكلمة قرقش جاء منها قراقيش، وقراقوش وكذلك ورد فى كتاب حكم قراقوش قوله، فاخرج له قراقيش وزيتون[4] وهذا المعنى الأخير فى كتاب حكم قراقوش موجود فى العامية المصرية المعاصرة فكلمة قراقيش نوع من الخبز كالفطائر الصغيرة يصنع فى

(١) أضواء على لغتنا السمحة ١٤٦.

(٢) أضواء على لغتنا السمحة ١٤٦، ١٤٩.

(٣) المنامات ٢٠١، ٢٢٧، ١٣١.

(٤) حكم قراقوش: د. عبد اللطيف حمزة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٤٥م القاهرة ص ٥١.

العيد، ولكن من أين أتت كلمة قرقش؟ فى القاموس المحيط. قرقشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض ومنه قريش لتجمعهم إلى الحرم أو لأنهم كانوا يتقرشون[1] وفى لسان العرب.. يقول القرش الطعن وتقارش القوم: تطاعنوا ويضيف الأستاذ محمد خليفة قائلاً.. فى القاموس قرشه يقرشه ويقرشه قطعه، وأقرشت تحت الراس ولم تهشمه، أى قطعت اللحم دون العظم، وتقارنت الرماح تداخلت فى الحرب، واقترشت: وقع بعضها على بعض فالمادة تدل على القطع والمصادمة. ونقول فى الدارجة مثلاً: هو يقرقش الحمص أو العظم (أو أى جسم فيه صلابة) بمعنى يقطعه مع صوت من أثر اصطدام أسنانه بالجسم الذى يقرشه أو يقرقشه فالمعنى واحد[2] ومن هنا نرى أن قرقش أتت إلينا من قرش وقرّش، وما حدث لها حتى أصبحت قرقش من وجهة نظر علم اللغة هو مخالفة صوتية فى الراء المشددة أدتْ إلى فك الإدغام فأصبحت قررش ثم قلبت الراء الثانية قافًا للمخالفة الصوتية بين الرائين فصارت قرقش، وهذه العملية كما رأينا عملية صوتية، أثرت على البناء الصرفى للكلمة الذى أدى إلى ظهور أبنية جديدة من مادة موجودة ومعروفة وموجودة سابقًا فى اللغة ليست اشتقاق بل من باب التأثير الصوتى على الأبنية ولهذا نرى أن تخالف من سبقنا فى اسم هذه الظاهرة فليست بالإلحاق المطرد أو التحويل الداخلى أو تكرار الأصول بل هى.. التأثير الصوتى على الأبنية.

مراحل عملية التحول فى هذه الصيغة:

١ ـ المخالفة الصوتية فى قرَّش ⟵ قررش = بوزن فعَّل ⟵ فععل.

٢ ـ قلب الراء الثانية قاف قررش ⟵ قرقش = بوزن فعمل ⟵ فعفل.

٣ ـ اختيار القاف بديلاً للراء دون سائر حروف اللغة للمماثلة مع القاف التى فى أول الكلمة لتصبح قرقش بوزن فعفل بتحول العين الثانية إلى فاء خلافا للأصل.

---

(١) القاموس المحيط ٢٨٢.

(٢) أضواء على لغتنا السمحة ١٤٨.

.. وهذه الظاهرة تحدث بكثرة فى لغة العصر الفاطمى كما ورد فى أخبار سيبويه قوله.. نهب الأتراك داره ودكدكوا قراره[1] أى ودكُّوا فالفعل دكدكه من دكك وفى اللسان ودكك: الدَّك هدم الجبل والحائط ونحوها دكه ويدكه دكًا: الليث الدك، كسر الحائط والجبل وجبل دك[2] فالفعل دكدك أصله دكك وحدث له ماحدث للفعل قرش ـ الذى أصبح قرقش، قرَّش ←── قرقش.

وأيضًا ورد فى أخبار مصر للمسبحى.. يمر بها الجيش العرمرم فى الدجى[3] وفى القاموس، عُرَام: الجيش كغُرَاب حدتهم وشدتهم وكثرتهم... والعرمرم الشديد والجيش الكثير[4] وقد تطورت صيغة فعّل (عرَّم إلى فعلعل) عرمرم للدلالة على الشدة والكثرة فهى أقوى فى الدلالة على ذلك من (عرّم ـ عرّام) وقد حدث لها تطور صوتى هو الذى غير بناءها من عرَّم إلى عرمرم. ذلك بتكرار الصوتين الأخيرين العين واللام؛ مع فك إدغام الأول منهما كالآتى:

١ ـ عُرَّام ←── عُررام بفك إدغام الراء.

٢ ـ عُررام ←── عُرمرم بالمخالفة بين الراءين بإبدال إحداهما ميمًا، فنتج لنا مقطعًا متكررًا هو: رَمْ + رَمْ،فتصبح عرمرم للدلالة على الكثرة الزائدة.

ثانيًا: التأثير الصوتى على بعض المجموع:

وهناك تأثير آخر للظواهر الصوتية والقوانين الصوتية على الجمع، تكره اللغة النطق بالصوامت الضعيفة ـ الواو والياء ـ مشكلة بمصوتات من جنسها، فلا تنطق الواو مع الضمة (wu) ولا الياء مع الكسرة (yi) كما لا تنطق الواو مع الكسرة (wi) وهذه الظاهرة الصوتية أحدثت تغييرات فى بناء بعض الكلمات كما يقول هنرى فليش.. كراهة النطق بصامت ضعيف مع مصوت من جنسه فالواو مع الضمة والياء مع الكسرة (وكذلك الواو مع الكسرة) هذه الكراهة تفسر لنا من

---

(١) أخبار سيبويه ٥٣.

(٢) اللسان مادة دكَّ ٤، ١٤.

(٣) أخبار مصر ٧٦.

(٤) القاموس المحيط:٤/ ١٤٦.

الناحية الصرفية حالات عن المخالفة عند إبدال الواو والياء همزة، فاسم الفاعل من الفعل الأجوف بالواو أو بالياء مثل: (قاول - يصبح قائل) وكذلك بايع - تصبح بائع ويحدث هذا فى جموع التكسير على فواعل وفعائل فيقال فى فوايد فوائد، وفى عجاوز agawizu عجائز[1].

وقد حدث مثل هذا من الفرار من الصوامت الضعيفة فى اللهجة الفاطمية كما فى أخبار الدول المنقطعة قوله.. ولما وصل ابن مصال إلى ذلك ولقيه أهلها ومشائخها[2] أى مشايخها فقد فرت اللغة من تجاور الصوامت الضعيفة وهى فى هذه الكلمة الياء والألف فقلبت الياء همزة وبقيت الألف (الفتحة الطويلة) فصارت مشائخ من مشايخ.

وفى اللسان ورد قوله الجمع أشياخ وشيخان وشيوخ وشيخة ومشيوخا ومشايخ ورد جمع شيخ كضيف وضيفان والأنثى شيخة[3] وفى القاموس جمع شيوخ شيوخ وأشياخ وشيخة وشيخة وشيخان ومشيخة ومشيوخا ومشيخا ومشايخ[4] ومن هذين المصدرين: نرى أن جمع شيخ على مشائخ لم ترد فى الاستعمال الفصيح للغة، ولكن ما ورد هو مشايخ ولكن بنفس التفسير السابق يمكن قبول مشائخ جمعًا لشيخ.

وقد وردت هذه الكلمة فى مصادر كثيرة كما فى تاريخ الشيخ أبى صلح.. ما تشعث من البيع المشايخ الارخنة الشيخ السعيد شديد الملك... ورأى فيه مشائخ[5] وأيضًا فى المكافأة لابن الداية قوله.. رأيت مشائخنا مجتمعين على أمر لحقه[6] وكلمة عجائز، والتى أصلها عجايز وردت فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله فأخرجوا الشيوخ والعجائز[7] ويبدو أن تحول عجايز إلى عجائز حدث فى اللغة

---

(١) العربية الفصحى ٤٧.

(٢) أخبار الدول المنقطعة ٨٥.

(٣) اللسان مادة شاخ ٢٣٧٣/١٠.

(٤)القاموس المحيط ١/ ٢٦١

(٥) تاريخ أبى صلح ٣٣، ٧٩.

(٦) المكافأة ٦٩.

(٧) تاريخ البطاركة ١/ ٦-٢.

منذ زمن بعيد، ولهذا وردت فى القواميس على جمع عجائز وليست عجايز يقول صاحب القاموس والشيخ والشيخة ولا تقل عجوزة، أو هى لغة رديئة جمع عجائز وعجز[1].

ومثلها ما ورد فى تاريخ ابن المقفع.. ويقدسون فى المغائر[2] أى المغاير وفى القاموس... الغور والغيار وذهاب الماء فى الأرض كالتغوير والماء الغائر والكهف كالمغارة والمغار.. جمع أغوار وغيران[3] ولم ترد فيه مغار على جمع مغائر بل على أغوار ويجوز ذلك الجمع الوارد فى المصدر وهو مغائر على هذا المعنى وأصل مغاير وعلى نفس التفسير السابق فى مشائخ وعجائز ومثلها ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر ووالى حمص بجمائع العريان[4] أى جمايع وفى القاموس وجماعة الناس مع جموع كالجميع[5] أى جميع جموع جمايع ثم جمائع.

ثالثًا: التأثير الصوتى على جموع أخرى:

قد يحدث القانون الصوتى تأثيرًا على الجموع فينتج لنا صورة جديدة لهذا الجمع مثل سقوط الهمزة من أول بعض الكلمات أدى إلى ظهور صيغ جديدة لهذا الجمع، فسقوط الهمزة ظاهرة صوتية أدت لتغيير صورة الصيغة كما فى أذن وهو آذان وأسبوع أسابيع، ويقول الدكتور رمضان عبد التواب.. سقوط الهمزة فى غير أول الكلمة هو الشائع فى اللهجات العربية الحديثة، وكان هو المميز للهجة قريش فى الجاهلية، غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة فى أول الكلمة كذلك فى كثير من الكلمات فى العاميات الحديثة مثل باط فى آباط و(ودان) فى (آذان) وسنان فى أسنان وسبوع فى أسبوع وبرهيم وسماعين فى إبراهيم وإسماعيل كما يقال مثلاً (إيه اللى صابك) (وفلان راح فى غيبوبة وفاق منها) بدلاً من أصابك

---

(١) القاموس المحيط ١٧٩/٢.
(٢) تاريخ البطاركة ٢٠٧/١.
(٣) القاموس المحيط ١٠٣/٢.
(٤) أخبار مصر ٣/٢.
(٥) القاموس المحيط ١٣/٣.

وأفاق وقد روى لنا اللغويون العرب أمثلة لبعض ذلك فى القديم يقول أبو بكر بن الأنبا رى (المتوفى سنة ٣٢٨هـ) العوام تخطئ فتقول فى جمع السن سنان كما يقول كذلك والعامة تخطئ فى الإبهام فتقول البهام[١].

وقد لاحظنا نماذج لهذه الظاهرة فى لغة العصر موضوع البحث فيما ذكر ابن العسال "فليخرج سبع سوابيع" وقوله "وتكون عقوبته سبع سوابيع[٢] فجمع أسبوع هو أسابيع أصبح سوابيع، وفى اللسان "والسبوع والأسبوع من الأيام قام سبعة أيام قال الليث الأيام التى يدور عليها الزمان فى كل سبعة منها جمعة يسمى الأسبوع ويجمع أسابيع، ومن العرب من يقول سبوع فى الأيام والطواف بلا ألف مأخوذة من عدد السبع، والكلام الفصيح الأسبوع[٣] فنتيجة لوجود سبوع فى أسبوع جمع عامة هذا العصر أسبوع على سوابيع من سبوع بدلاً من أسبوع أسابيع.

ومن الجموع النادرة كما فى أخبار مصر للمسبحى "وخدمها بأشانيع لا يضرهم الله بها[٤] أشانيع جمع شنيع، ولكن هذا الجمع غير وارد فى اللغة، ففى المعجم الوسيط "الشنيع القبيح الكريه جمع شنائع[٥] فلم ترد أشانيع جمعًا لشنيع بل شنائع.

وأيضا جمع سوط على أسياط ما ورد فى البرديات العربية قوله "

٢ ـ كل واحد منهم فى كل يوم عشرة.

٣ ـ أسياط واعزمه فى صلب ما له دينار[٦]. وهذا الجمع أيضا نادر فى اللغة.

صيغة "انفعل":

لقد تعرضت هذه الصيغة فى العربية لتطور كبير فقد كانت تدل على مطاوعة

---

(١) التطور اللغوى ٤٨.

(٢) المجموع الصفوى.

(٣) اللسان مادة سبع ٢٢٤.

(٤) أخبار مصر ٢٧.

(٥) المعجم الوسيط ١/ ٤٩٦.

(٦) السفر السادس ١٠٢ بردية ١٧٠.

فأصبحت تدل على البناء للمجهول فى العامية المصرية وفى الفصحى وقد ظهر هذا التطور فى بداية نزول القرآن. يقول الدكتور عبد العزيز مطر "مما يدعو إلى النظر أنهم يعبرون عن المبنى للمجهول بصيغة المطاوعة فيقولون انضاف[١] فهو يرى أن انضاف تدل على البناء للمجهول.

ويعرض هذه القضية بالتفصيل الدكتور عبد الرحمن أيوب فيقول "تستعمل العربية الفصحى بين صيغتها الفعلية صيغة المبنى للمجهول مثل ضرب وكتب، وقد اكتفت العامية المصرية بصيغة انفعل مثل وانكتب التى تعرف فى النحو العربى باسم صيغة المطاوعة واستغنت عن تلك الصيغة، ومع هذا فإن هذا القانون أو القاعدة ليس كامل الأحكام بحيث لا يقبل الشذوذ فلا تزال العامية المصرية تستعمل مثل هذا التعبير (البلدى يوكل) حيث نجد الفعل يوكل، وهو فى دلالته وصياغته نظير المبنى للمجهول فى العربية الفصحى يؤكل ومعنى هذا أن انقراض الوحدة التعريفية المسماة بالمبنى للمجهول من النظام المصرى لتعريف الفعل لم يخل من شذوذ[٢]".

بل يعتبرها بداية التطور لبعض الظواهر يقول "كذلك ما حدث فى صيغة (انفعل) منذ عصور العربية الأولى. فقد كانت هذه الصيغة موضوعة للدلالة على مطاوعة الفعل الثلاثى أى قبول أثر هذا الفعل مثل كسرت الإناء فانكسر وفتحت الباب فانفتح[٣] هذا ما حدث لتلك الصيغة وهو ما نجده فى لغة العصر الفاطمى كما ورد فى المنامات "وانضاف إلى ذلك استعجال حامله[٤] فالفعل انضاف يدل على المبنى للمجهول وأيضا فى البرديات قوله "قد انفسد وتهرأ[٥] وفى المجالس المستنصرية.. فإذا انضاف رب إلى العالمين لم يكن لغير[٦]... وأيضًا ورد...

(١) تقويم اللسان ٤٤.

(٢) اللغة والتطور ٨٨.

(٣) بحوث ومقالات فى اللغة: د. رمضان عبد التواب، الخانجى١٩٨٢م، القاهرة،ط١، ٧٨.

(٤) المنامات ٢١.

(٥) السفر الخامس ٩٥٩ بردية ٣٠٩ سطر ١٢.

(٦) المجالس المستنصرية ٣٩.

فرجعوا بأجمعهم وانضاف إليهم بقية العسكر[1] وفى تاريخ الأنطاكى.. وأعاد ما انخرب وحدده[2]... فالفعل انخرب يدل على البناء للمجهول أصله خرب وفى تاريخ أبى صلح.. فقال له اندهن أنت[3] اندهن من دهن وكذلك مارد فى المجموع الصفوى.. فغطى راسك برادايك.. فانك تنصانين عن نظر إناس[4] وتنصانين مضارع انصانت أى هو صان فصيغة انفعل هنا دالة على البناء للمجهول. وهذا كله يؤكد أن الفعل أصبح يدل على البناء للمجهول بعد أن كان يدل على المطاوعة، وكذلك تطورت صيغة تفعل إلى صيغة اتفعّل فهو بدايات التطور والإرهاصات اللغوية للتطور اللغوى الجديد. فقد تطّورت الصيغة تفعل إلى صورة جديدة وهى اتفعل كما حدث فى ما ورد بالمكافأة لابن الداية.. إن لم يكن لدى صدقتك عنه، ولم أتغنم منك مالاً أى تغنم فأصبحت اتغنم[5].

وقد أشار إلى هذه الظاهرة الدكتور رمضان عبد التواب واعتبرها إرهاصًا للتطور اللغوى فقال.. بدايات التطور أو إرهاص التطور لظاهرة من الظواهر اللغوية فإن خير أمثلته ما نراه فى العربية الفصحى فى صيغتى (تفعل) وتفاعل إذا رويت لنا فيها صورة أخرى هى (اتفعل) واتفاعل..

بل لقد سادت صيغتا: اتفعل واتفاعل، فى اللهجة المصرية العامية، حتى ولو لم يكن فى الأصل صوت من أصوات الصفير، أو الأصوات الأسنانية، كقولنا مثلاً فى لهجات: اتفرَّج واتبهدل وغير ذلك)[6].

وقد أشار أيضًا إلى تطور صيغة انفعل من الدلالة على المطاوعة إلى الدلالة على المبنى للمجهول، يقول د. رمضان "ومن أمثلة بدايات التطور فى الظواهر اللغوية فى العربية كذلك ما حدث فى صيغة انفعل منذ عصور العربية

---

(١) أخبار الدول المنقطعة ٥٤.

(٢) تاريخ يحيى الأنطاكى ١٢٥.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٠٨.

(٤) المجموع الصفوى.

(٥) المكافأة ٤٣.

(٦) بحوث ومقالات ٧٥، ٧٨، ٧٩.

الأولى، فقد كانت هذه الصيغة موضوعة للدلالة على مطاوعة الفعل الثلاثى... أصبح الفعل المطاوع مشبهًا فى المعنى للمبنى للمجهول فى كسر الإناء وفتح الباب"[1].

---

(٧٨) المرجع السابق: ٧٨، ٧٩.

الفصل الثانى

الدخيل "المعرب ـ المولد"

بادئ ذى بدء نقف أمام مجموعة من المصطلحات ذات أهمية بالغة فى بحثنا وهى الدخيل (المعرب والمولد) لكى نتعرف على ما نعنيه بهذه المصطلحات فى مجال البحث اللغوى القديم والحديث وعليه ينبنى تحليلنا للدخيل بأقسامه المختلفة.

الدخيل:

أهم مصطلح لدينا هو الدخيل فيما أرى وهو كل لفظ دخل اللغة العربية من أى لغة أخرى فهو ليس من صلب هذه اللغة، بل دخيل عليها سواء أدخله القدماء وسمى معربًا أو أدخله المولدون وسمى مولدًا، فالدخيل فى اللغة هو ما يدخلها من ألفاظ أجنبية تتشعب فى أمور كثيرة فى حياتها، يقول السيوطى... ويطلق على المُعَّرب دخيلاً[١] ولكن ليس المعرب هو الدخيل بل المعرب فرع من الدخيل، ولكن القدماء كثيرًا ما يطلقون على المعرب دخيلاً، ويعرف المعرب والدخيل الدكتور على عبد الواحد وافى بقوله.. يراد بالدخيل الأجنبى: هو ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء فى ذلك ما استعمله العرب الفصحاء فى جاهليتهم وإسلامهم، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين... ويطلق على القسم الأول: من الدخيل الأجنبى، وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعرفها فصحاء العرب (اسم الأعجمى المولد)[٢].

---

(١) المزهر ١/ ٢٦٩.

(٢) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر للطبع والنشر ط ٨ ص ٩٩.

فالمعرب والمولد فرعان ينتميان إلى أصل واحد هو الدخيل الذى يشمل المعنيين ويشير إلى هذا المعنى للفظ الدخيل الدكتور محمد عيد حيث يقول... كلمة الدخيل جعلت عنوانًا لبعض هذه الكتب مستقلة ومع غيرها من العربى أو العامى، ويبدو أن هذه الكلمة أعم من كلمة المعرب إذ تشمل ما نقل إلى لغة العرب سواء جرت على أحكام التعريب أو لم تجر عليه، وسواء أكان فى عصر الاستشهاد أم بعده وهو ما أطلق عليه اسم (المولد)[1].

المعرب:

هو اللفظ الذى استعملته العرب فى الجاهلية، وصدر الإسلام وأقره العرب القدماء المعترف بعروبتهم، والذين منحوا الأحقية فى التعريب وكانت تعريفات القدماء للمعرب تؤكد هذا المعنى الذى ذكرناه آنفًا، يقول الإمام الخفاجى "التعريب نقل اللفظ من العجمة إلى العربية والمشهور فيه التعريب وسماه سيبويه وغيره إعرابًا. وهو إمام العربية فيقال حينئذ مُعَرَّب ومُعْرَب"[2] وفى كشاف اصطلاحات الفنون.. المعرب عند أهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الوضع[3] وفى المزهر للسيوطى "المعرب وهو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها".. وفى الصحاح للجوهرى تعريب الاسم الأعجمى أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عربته وأعربته أيضًا[4] ويقول الدكتور أحمد بك عيسى التعريب والإعراب فى اللغة معناها واحد وهو الإبانة والإفصاح يقول أعرب عن لسانه وعرب أبان وأفصح، وتعريب الاسم الأعجمى أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول عربته العرب وأعربته أيضًا ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها[5].

---

(١) المظاهر الطارئة على الفصحى: د محمدعيد، مكتبة عالم الكتب القاهرة،١٩٨٠م ص ١١٤.

(٢) شفاء الغليل ٢٣.

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٩٤٤/٣.

(٤) المزهر ١/ ٢٦٨.

(٥) التهذيب فى أصول التعريب ١٢٠.

ويؤكد هذا أيضًا قول الدكتور على عبد الواحد وافى يقول.. ولا خلاف بين العلماء فى جواز استعمال المعرب، وهو ما استعمله فصحاء العرب من كلمات دخيلة وقد ورد كثير من الألفاظ المعربة فى القرآن الكريم نفسه. وفى أحاديث الرسول ﷺ [1] ويقول الشيخ عبد القادر المغربى عنه.. هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى، ثم استعمله العرب بناء على ذلك الوضع. والتعريب تحويل طبيعى أو تغيير تدريجى يطرأ على اللغة يجرى بها فى قاموس مطرد[2].

المولد:

هو ما أنشأه المولدون من كلمات جديدة على اللغة وهى كلمات دخيلة أيضًا دخلت اللغة فى العصر التالى لعصر المعرب، أو ولدت بالاشتقاق أو المجاز ونقل الدلالة. وقد وردت تعريفات المتأخرين تؤكد هذا المعنى، يقول الخفاجى.. فما عربه المتأخرون يعد مولدًا وكثيرًا ما يقع مثله فى كتب الحكمة والطب[3] وفى المزهر.. المولد ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم والفرق بينه، وبين المصنوع، أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربى فصيح، وهذا بخلافه.. وفى مختصر العين للزبيدى المولد من الكلام المحدث[4] وفى أمالى ثعلب سئل عن التغيير فقال هو كل شىء مولد[5] ثم علق السيوطى على ذلك قائلاً، وهذا ضابط حسن يقتضى أن كل لفظ كان عربى الأصل ثم غيرته العامة بهمزه أو تركه، أو تسكينه أو تحريك أو نحو ذلك مولد، وهذا يجمع منه شىء كثير[6].

---

(١) فقه اللغة: د. على عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر، ط٨، القاهرة، ص ٢٠٧.

(٢) الاشتقاق والتعريب: الشيخ عبد القادر المغربى، طبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧م القاهرة، ص ٧٠.

(٣)شفاء الغليل ٢٥.

(٤) المزهر ١/٤.

(٥) مجالس ثعلب: لأبى العباس بن يحيى ثعلب تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ١٩٧٩م القاهرة ص ٧٣٥/٢.

(٦) المزهر ٣١١/١.

يقول أيضًا الدكتور حلمى خليل تعليقًا على هذين التعريفين.. والواقع أن تعريف ثعلب كما أورده السيوطى ليس ضابطًا حسنًا كما رأى السيوطى أيضًا، وإنما هو تعريف غير محدد على الإطلاق تندرج تحته مظاهر التغير اللغوى جميعًا، وهو ما شعر به السيوطى نفسه فقال وهو يجمع منه شيء كثير، وقول السيوطى هذا حق فلو أننا أخذنا بهذا التحديد للمولد لدخلت كتب لحن العامة جميعا ضمن مظاهر التوليد لأن اللحن فى نهاية الأمر هو تغير، وقد أخذ بهذا التحديد للمولد يوهان فك فاعتبر كل تغيير لغوى من التوليد وعلى هذا الأساس سار فى كتابه العربية وأدرج فى المولد ظواهر لغوية عديدة ليست من التوليد[1].

ويقول ابن منظور فى تعريف المولد باللسان.. وإنما سمى المولد من الكلام مولدًا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى.. والمولد: المحدث من كل شيء ومنه المولدون من الشعراء وإنما سموا بذلك لحدوثهم[2].

يقول صاحب لف القماط.. والمولد من الكلام المحدث يقال هذه عربية، وهذه مولدة وهى ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم والفرق بين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربى فصيح وهذا بخلافه ثم إن المولدين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب وأوزان الشعر[3].

وهذا أيضًا يوافق رأى الدكتور محمد عيد حيث يقول.. إن المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الألفاظ المحدثة مما لم يستعمله العرب فى رأيهم - أصلاً أو الألفاظ والتراكيب التى استعملها العرب - ثم غيرت باستعمال المولدين والعوام وهذا واضح فى رأى ثعلب (ت ٢٩١) الذى سئل عن التغيير فقال - هو كل شيء مولد. والمولد هو المحدث من الألفاظ الذى لم يستعمله العرب فالألفاظ المولدة ألفاظ جديدة أحدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر[4].

---

(١) المولد فى لغة العرب: أحمد رضا العاملى، منشورات دار مكتبة الحيان ١٩٥٦م ١١٧.

(٢) اللسان مادة ولدة ٤٩١٦، ٤٩١٥.

(٣) لف القماط: لأبى الصديق القنوصى،مطبعة الصديقى، فى بهوپال، ١٢٩٦هـ، ص ٥.

(٤) المظاهر الطارئة على الفصحى ٧٧، ٩٩.

ويقول الدكتور/ حلمى خليل. وعلى ذلك يمكن أن نعرف المولد عند المحدثين بأنه كما يلى.. لفظ عربى الأصل أعطى مدلولاً جديدًا عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو نقل الدلالة، ولم يعرفه العرب الفصحاء بهذا المعنى، وقد أضاف بعضهم ما عربه بعد عصر الاحتجاج إلى المولد[1].

والخلاصة أن المولد لفظ من أصل اللغة، ولكنه لا يعرفه العرب الفصحاء بنفس هذا المعنى وأيضًا ما أدخل عليه من كلمات أجنبية، فهو ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا بها من الكلام وإنما استعمله المولدون، وجروا عليه فى منثورهم ومنظومهم.

ضرورة التأثير الأجنبى:

يقول فندريس"إن تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرًا مثاليًا لا يكاد يتحقق فى أية لغة، بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرًا ما يلعب دورًا هامًا فى التطور اللغوى ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدى حتمًا إلى تداخلها[2].

هذا رأى فندريس فى ضرورة وجود الدخيل فى اللغة فوجود اللغة منعزلة من هذا التأثير الأجنبى شىء مثالى لا يتحقق لأن اللغة عرضة للتأثير الأجنبى فى كل فروعها، وهذا القول سبقه إليه الشيخ شهاب الخفاجى فى شرح الدرة يقول.. لو اقتصرنا فى الألفاظ على ما استعمله العرب العارية والمستعربة لحجرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم[3].

ولهذا فالألفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة[4] وبه تثرى اللغة ثراء لغويًا يجعلها تواكب التطور الحضارى الذى تعيشه اللغات الأخرى ولهذا.. فإن اللغة لا تفسد

---

(١) المولد فى لغة العرب ١٢٦.

(٢) اللغة: ٣٤٨.

(٣) الاشتقاق والتعريب: عبد القادر المغربى، طبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٧م، ص٧٠.

(٤) المظاهر الطارئة الفصحى ٨٧، ٩٩.

بالدخيل، بل حياتها فى هضم هذا الدخيل لأن مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبى تعد مزية وخصيصة لها إذا هى صاغته على أوزانها، وصبته فى قوالبها، ونفخت فيه من روحها وتركت عليه بصماتها[1].

فالتعريب إذًا ضرورة لحياة اللغة، ومتى كانت القيود الموضوعة له، هى كما بينا من قبل فلا خوف منه على كيان اللغة، فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها، وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التى تمتاز بها، لا ببضع مفردات غريبة عنها، وقد التجأت إليها، فكسيت، وطليت بطلائها حتى أصبحت منها وعليها[2].

ولهذا فإن وجود المعرب فى اللغة، أو المولد لا يعد بدعة فى العربية يقول الشيخ/ عبد القادر بن مصطفى المغربى ليس التعريب فى اللغة العربية عملاً بدعًا وليس وجود اللفظ المعرب فى جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب فى جسم الإنسان من حيث يعزُّ بقاؤه ويجب إزالته[3].

تطويع المعرب لمقاييس اللغة:

إن التعريب حدث فى اللغة فى العصر الجاهلى، وهو ظاهرة طبيعية فى اللغة العربية، كما هى فى باقى اللغات، فالتأثر والتأثير بين اللغات قانون اجتماعى إنسانى، وأن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى[4].

وأهم ما يلفت نظر الباحث فى الدخيل هو كيف تتعامل اللغة مع هذا الدخيل؟

كان منهج العرب فى التعامل مع الدخيل هو تطويع هذا الدخيل لمقاييس العربية وأوزانها وأصواتها للغتهم يقول الدكتور/ رمضان عبد التواب.. وليس هذا

---

(١) فصول فى فقه العربية: رمضان عبد التواب، الخانجى، ط٢، ١٩٨٠م، القاهرة، ٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) التهذيب فى أصول التعريب ١٢٢.

(٣) الاشتقاق والتعريب ١٦.

(٤) دراسات فى فقه اللغة: د. صبحى الصالح دار العلم للملايين بيروت١٩٧٠م ص٣١٤.

الأمر بدءًا فى العربية إذ تخضع فى الغالب الكلمات المقتبسة، للأساليب الصوتية فى اللغة التى اقتبستها فينالها كثير من التحريف فى أصواتها وطريقة نطقها، وتبعد فى جميع هذه النواحى عن صورتها القديمة.

وكان هذا دأب العرب فى جاهليتهم، تجرى على ألسنتهم بعض الألفاظ التى يحتاجون إليها، من لغات الأمم المجاورة لهم بعد أن ينفخوا فيها من روحهم العربية ويتلقفها الشعراء منهم فيدخلونها فى أشعارهم وأرجازهم(١).

وقد كان قول الدكتور رمضان السابق تأكيدًا لما قاله الجواليقى فى هذا المعنى عندما قال "إن العرب كثيرًا ما يجترئون على الأسماء الأعجمية فيعترونها بالإبدال، قالوا إسماعيل أصل إسمائيل فأبدلوا لقرب المخرج، وقد ينقلونها إلى أبنيتهم ويزيدون وينقصون(٢) فهو يوضح بقوله هذا ما يفعله العرب لتطويع المعرب لمقاييس لغتهم الفصحى.

ويقول عبد القادر المغربى: "إن الكلمات العربية التى وقعت للعرب فعربوها بألسنتهم وحولوها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظهم تصبح عربية، فيجرى عليها من الأحكام ما يجرى على تلك فيتوارد عليها علامات الإعراب إلا فى بعض الأحوال، وتعرف بأل وتضاف، ويضاف إليها، وتثنى وتجمع وتذكر تؤنث، وفوق هذا كله تصرف أهل اللغة فى الكلمة المعربة وأعمالهم مباضع الاشتقاق فى بنيتها"(٣).

هذا هو منهج العربية فى التعريب، فهى لغة إذا دخلتها كلمة أجنبية عنها قلق موضعها حتى تأخذ وزن كلمات اللغة، وهيئة حركاتها لتشاكلها وتماثلها وتألف معها لذلك تراهم يشذبون الكلمات الأعجمية الطارئة التى لم تأت على أوزان العرب بالحذف والإبدال حتى تلائم الأسلوب العربى(٤).

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمى: أبو منصور الجواليقى تحقيق شاكر أحمد شاكر دار الكتب ١٩٦٩م ١٣٨٩ هـ، القاهرة، ص ٦، ٧.

(٢) فصول فى فقه العربية ٣٥٩.

(٣) الاشتقاق والتعريب: ص ٤٨.

(٤) مولد اللغة: ص ٦١.

ويقول شهاب الدين الخفاجى.. أعلم أنهم قد يغيرون الكلمة الأعجمية كما سيأتى، والتغيير أكثر من عدمه، فيبدلون الحروف التى ليست من حروفهم إلى أقربهم مخرجًا وربما أبعدوا الإبدال فى مثل هذه الحروف وهو لازم لئلا يدخل فى كلامهم ما ليس فيه فيبدلون حرفًا بآخر ويغيرون حركته ويسكنونه ويحركونه وينقصون ويزيدون.. وقال سيبويه اعلم أنهم يغيرون من الحروف ما ليس من حروفهم البتة فربما ألحقوه بكلامهم وربما لم يلحقوه[1].

ويعد الدكتور/ إبراهيم أنيس تطوير المعرب لمقاييس العربية مظهرًا من مظاهر القياس الطبيعى... أما القياس الطبيعى فيمكن أن يلتمس بعض نواحيه فى مثل الأمور الآتية: ... ٢ ـ تعريب الدخيل وذلك بجعله على نمط الكلمات العربية ونسجها قياسًا على مسلك القدماء من العرب فى كلمات كثيرة فارسية ويونانية[2].

وبعد هذا العرض لآراء علماء اللغة القدماء والمحدثين فى تطويع المعرب لمقاييس العربية بنحوها وصرفها وأصواتها يمكن القول: إن ما تصنعه العربية فى تطويع المعرب لمقاييسها ليس بدعة فى اللغات الإنسانية بل هذا هو مسلك كل لغة يدخلها دخيل من لغات أخرى، تجد نفسها مضطرة إلى استخدامه بصورته التى جاء إليها بها فتطوعه لإمكانياتها اللغوية فتبدل حرف مكان حرف لاستصعاب الأول وسهولة الثانى، وتجعل المذكر مؤنثًا والمؤنث مذكرًا كما فى اللغة القبطية التى تذكر الشمس وتؤنث السلم وهذا راجع لاختلاف منطق القبطية عن منطق العربية، بل فى لغات ينقسم الاسم إلى أنواع ثلاث مذكر ومؤنث ومطلق وهو ما ينطبق عليه التذكير أو التأنيث وغيرها من اختلافات لغوية بين اللغات المختلفة، وإن ذلك آية من آيات الحق تبارك وتعالى ولهذا كان سلوك العربية هذا المسلك فى التعريب شيئًا طبيعيًا معهودًا فى باقى اللغات. بعد هذا العرض نتناول بعض الكلمات الدخيلة على اللغة العربية والتى شاعت فى العصر الفاطمى للتعرف

(١) شفاء الغليل ٢٥.

(٢) من أسرار اللغة ٢٥.

على مصادرها وأصولها وعلى المولد أو المحدث منها وذلك من خلال كتب لحن العامة والمعاجم العربية والأجنبية على اختلافها،وقد قمنا بترتيبها هجائيًا وصناعة معجمٍ صغيرٍ للألفاظ الدخيلة هو:

معجم الألفاظ الدخيلة (المعربة ـ المولدة)

حرف الهمزة

أردب:

ورد فى المنامات قوله.. المولى كان قد أطلق للملوك ثلاثة أردب غلة[1] وفى البرديات.. ٨ العلث أربعة أرادب[٢].

يقول فى أصلها أقلديوس أنها قبطية يقول.. أردب ـ أرطبة (١٢ كيلة غلة) أرطوب... خلى المئة وأردب mesnre de grains [٣] ويقول رفائيل نخلة اليسوعى أردب نوع مكيال... artovi [٤] ذكرها ضمن مجموعة الكلمات ذات الأصل اليونانى وترد هذه الكلمة بكثرة فى اللغة الفاطمية وفى المعجم الكبير حديث طويل عن أصل هذه الكلمة يقول المعجم.. الأردب ١ ـ المكيال فى القبطية... إرتب وفى الحبشية ardab أردب وفى اليونانية:... أرْتَبى اسمًا للأردب المصرى الأردب الفارسى وفى الآرامية اليهودية والآرامية المصرية: ardab أرْدَب = ardba أرْدبًا أو artb أرطبًا فى السريانية = ardabu أرْدَب فى البابلية المتأخرة نقلاً عن الآرامية ويرى زيته Sethe أن الكلمة فارسية الأصل، انتقلت إلى اللغة المصرية المتأخرة: حد أعلى الأجزاء من المكاييل المصرية ينقسم إليها لا يكال به، وإنما يكال بأجزائه وهو اثنتا عشرة كيلة وحدد وزنه بـ (١٥٠ كجم) وفى حديث أبى هريرة منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر

---

(١) المنامات ١٦٠.

(٢) السفر الثانى ١٣٢ بردية ١٠٩.

(٣) مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية أقليوديوس ى لبيب،الرسالة الأولى طبع بالمطبعة عين شمس ببطريكخانة الأقباط القاهرة ب ت:١٢.

(٤) غرائب اللغة العربية: الأب رفائيل نخلة اليسوعى، ط٢ المطبعة الكاثوليكية بيروت ب ت ص ٢٥٢.

أردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم[١].

ورغم شيوع هذه الكلمة فى تلك اللغات المختلفة فإننى لا أتفق مع زيته فيما ذهب إليه من أن أصل كلمة أردب هو الفارسية، وذلك بمراجعة القاموس الفارسى حيث يقول أردب: الحرب، القتال[٢] وهذا يعنى أن الكلمة فى الفارسية تختلف فى معناها عن باقى اللغات فلا تعنى الكيل المعروف وقد وردت فى قاموس لاتينى عربى فى قوله " Hesychi أردب genus syris idem Mensurae قفيز "est act chaldeis [٣] وهو يعنى أنه من الكيل سريانى الأصل ويبدو أنها سريانية انتقلت إلى هذه اللغات.

أزميل:

فى تاريخ أبى صلح ونقر فى الجبل بالأزميل[٤].

هذه الكلمة ذات أصل يونانى يقول رفائيل نخلة إنها يونانية "أزميل سكين الأسكاف آلة لنحت الحجر ونحوه Zmili [٥] وفى المحكم "أزميل من أداة النجار كلمة يونانية "Similien [٦] ومع هذا الإجماع بأصلها اليونانى نرى صاحب دفع الإصر يقول بعربيتها "ويقولون على آلة الوخز إزميل وهو صحيح قال والأزميل بالكسر شفرة.. وحديدة فى طرف رمح لصيد البقر[٧] والحق أن هذه الكلمة ذات أصل يونانى ويؤكد هذا أيضًا المعجم الكبير بقوله "الأزميل ـ معرب (الأصل يونانى)[٨].

---

(١) المعجم. الكبير مجمع اللغة العربية، دار الكتب ١٩٧٠م القاهرة مادة: أردب ١/١٨٨.

(٢) قاموس الفارسية الجامع:حسين مجيب المصرى الأنجلو المصرية ١٩٨٤م ص ٦٣.

(٣) قاموس عربى لاتينى ١/٢٥.

(٤) تاريخ أبى صلح ١١٣.

(٥) غرائب اللغة العربية ٢٥٢.

(٦) المحكم فى أصول الكلمات العامية: أحمد بك عيسى، مكتبة مصطفى البابى ١٩٣٩م ص ١٠.

(٧) دفع الأصر عن أهل مصر ٧٨/ ١٧.

(٨) المعجم الكبير مادة أزميل ٢٥٥.

أستاذ:

فى المنامات " وقد استعار الأستاذ الجديد[١].

أستاذ كلمة فارسية وفى المعرب "الأستاذ كلمة ليست بعربية يقولون للماهر فى صنعته أستاذ ولا توجد هذه الكلمة فى الشعر الجاهلى، واصطلحت العامية إذا عظموا شخصًا أن يخاطبوه بالأستاذ[٢] وفى شفاء الغليل "أستاذ ليس بعربى لأن مادة س ت ذ غير موجودة ومعناه ما هو ولم يوجد فى كلام جاهلى. والعامة تقول بمعنى الخصى لأنه يؤدب الصغار غالبًا فلذا يسمى أستاذًا[٣] والحق أنها فارسية الأصل ففى قاموس الفارسية "أستا: مخفف أستاذ بمعنى الماهر فى العمل أو الحرفة التى يزاولها وتنطق فى العربية الدارجة أسطه. أستاذ الأستاذ بالجامعة[٤]. وفى المعجم الكبير "الأستاذ (فارسى معرب) المعلم[٥] وقد استخدمت قديمًا فكثيرًا ما نجد فى كتب النحاة القدامى من يطلق على شيخه الأستاذ، أو يقولون فلان أستاذ فلان.

اصطبل:

يقول ابن ميسر "من الخيل فى اصطبلاته"[٦]

وكلمة اصطبل قيل فى أصلها أقوالاً كثيرة يقول الجواليقى "الاصطبل قال ابن دريد الأصطبل ليس من كلام العرب وأنشد غيره:

لولا أبو الفضل ولولا فضله   لسد باب لا ينسى قفله

ومن صلاح راشد أصطبله[٧]

(١) المنامات ١٩١.

(٢) المعرب ٧٣.

(٣) شفاء الغليل ٣٤.

(٤) قاموس الفارسية ٦٨.

(٥) المعجم الكبير مادة أستاذ ١/٢٦٥.

(٦) أخبار مصر ٥٠.

(٧) المعرب ٦٧.

وقيل إنها لاتينية يقول طوبيا العنيسى "واصطبل لاتينى Stabulum معناه مأوى الخيل والدواب[١] وفى قاموس اللاتينية Stabulum اصطبل[٢] وفى شفاء الغليل "اصطبل بلغة أهل الشام معناه الأعمى كما فى كتاب الهميان ولذا قال ابن عباد: جروا الاصطبل فى قصته مع المعرى[٣].

والحق أن ما يعنيه الخفاجى يختلف عن معنى ما فى النص السابق فالمقصود فى النص هو مأوى الدواب ولهذا فالصحيح أن ما ورد فى النص بمعنى مأوى الدواب وهو لاتينى الأصل وهذا ما قاله رفائيل نخلة "اسطبل، واصطبل Stabulum [٤] فوضعها فى قسم الكلمات اللاتينية، وكما ورد فى المعجم الكبير "الاصطبل معرب Stablos اليونانية وفى الآرامية: اصطبل: موقف الدواب ويطلق على حظيرة الخيل والبغال[٥] إذا فهى لاتينية الأصل.

الأفيون:

فى تاريخ أبى صلح "دهن البلسان والأفيون الأبرميس[٦].

والأفيون فى اللاتينية opium وفى اليونانية opian ومعناه مانع وهو عصير الخشخاش[٧] وفى دفع الإصر "وقيل الأفيون لبن الخشخاش المصرى الأسود نافع فى الأورام الحارة خاصة فى العين مخدر وقليله نافع منوم وكثيره سم مضر[٨] وهذه الكلمة أصلها يونانى يقول المعجم الكبير "الأفيون (الأصل يونانى.. أبيون)

---

(١) تفسير الألفاظ الدخيلة:٢

(٢) قاموس عربى لاتينى ٣٩/١.

(٣) شفاء الغليل ٦١.

(٤) غرائب اللغة العربية ٢٧٧.

(٥) المعجم الكبير مادة اصطبل ٣٣١/١.

(٦) تاريخ أبى صلح ١٢.

(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة ٤، ٥.

(٨) دفع الإصر ١١٧/ ١٦.

عصارة من ثمار نبات الخشخاش[١] وكذلك فى قاموس اللاتينية Succus papa-veri opium [٢] فهى كلمة لاتينية.

انبيق:

يقول ابن زولاق "ويجعل فى ديره أنبيق ويصب فيه جميع ماء النيل[٣] والأنبيق فى اليونانية ambix ـ icos معناه قدر والظاهر أن أصله فينيقى ويقطر به أهل الكيميا المائعات[٤] فهى كلمة يونانية ويؤكد هذا ما ورد فى المعجم الكبير "الأنبيق فى اليونانية... أمبكس ومنه فى السريانية ambiqa أمبيقا أو بنون مكان الميم: جهاز كان يستعمل قديمًا فى تقطير السوائل والزيوت[٥] وقد وردت فى القاموس اللاتينى فى قوله cucrbita cbyica. Alembicum أنبيق[٦]. ولعلها هو أصل كلمة إبريق الموجود فى العامية وهو إناء من الفخار يوضع فيه الماء للشرب فمن الممكن أن يتطور كلمة أنبيق إلى إبريق !!

أيـوان:

فى المنامات "ثم أشرف الملك أيوانه من جنده[٧].

وهى كلمة فارسية وفى القاموس الفارسى "أيوان: الأيوان[٨] وقال بهذا أيضًا رفائيل نخلة "أيوان مكان متسع من بيت يحيط به ثلاثة حيطان[٩] وذكر

---

(١) المعجم الكبير: ١/٣٧٩.

(٢) قاموس عربى لاتينى ١/٤٥.

(٣) أخبار سيبويه ٤٢.

(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة: ٥.

(٥) المعجم الكبير مادة أنبيق ١/ ٥٢٩.

(٦) قاموس عربى لاتينى ١/ ٦٣.

(٧) المنامات ٦٢.

(٨) قاموس الفارسية ٨١.

(٩) غرائب اللغة العربية ٢١٧.

الجواليقى "أيوان أعجمى معرب، وقال قوم من أهل اللغة هو أوان بالتخفيف[1] ولم يذكر من أى اللغات أتى هذا اللفظ والحق أنه فارسى أصيل.

حرف الباء

باذنجان:

فى المنامات "وضربًا من الباذنجان"[2]

وهى كلمة فارسية واسمه بالعربية الأنب والمغد والوغد[3] ويقول طوبيا العنيسى "وفى الفارسية باذنجان نقل إلى الإسبانية Berengena ومنها إلى الفرنسية aubergineثم إلى الإيطالية ... [4] ويشير إلى أنه انتقل إلى لغات كثيرة والحق أنها كلمة فارسية انتقلت إلى لغات كثيرة. ففى القاموس الفارسى" باذنجان: الباذنجان، ومثلها بادنكان بادمجان[5]. وهو نبات معروف بهذا الاسم فى المجتمع المصرى ويطبخ بطرق شتى.

بخت:

فى المنامات "فى معترك الخطوط ومقارعة البخوت"[6].

وبخوت بمعنى الجَدُّ تكلمت به العرب وهو معرب عند الجوهرى، ولا يرد بأنه لم يغير كما توهم لما عرفت فى المقدمة، وبضم الباء نوع من الإبل معرب وقيل عربى[7] وقيل "بخت فارسى معناه حظ[8] وهكذا فى المعرب ص ١٠٥ والحق أن

---

(١) المعرب ٦٧.

(٢) المنامات ١٠٢.

(٣) شفاء الغليل ٦٨، ولف القماط: ١٢.

(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة ٦.

(٥) قاموس الفارسية ٨٧ .95 ?

(٦) المنامات ٢١١.

(٧) شفاء الغليل ٦٤.

(٨) تفسير الألفاظ: ٨.

أصل بخت الذى بمعنى حظ هو الفارسية وفى القاموس الفارسى "بخت: الحظ الطالع النصيب[١]. وهى مستعملة فى العامية المصرية المعاصرة بالمعنى ذاته أى الحظ.

برابى:

فى تاريخ الكنيسة "فلم يجدوه وحدوا عليه بأسنانهم فى برابيهم[٢]

البرابى قال ياقوت البرابى جمع برباه وهى كلمة نبطية معناها بناء السحر - وقيل بربا يطلقون على بعض الآثار القديمة بربا وهى كلمة قبطية بمعنى معبد[٣] وقيل هى قبطية ومنها برية الأقصر - معناها هيكل temple [٤] وقال الأستاذ أحمد أمين "هى آثار قدماء المصريين ومومياؤهم وهم يتبركون بها[٥] ومن هذا كله نؤكد أنها كلمة ذات أصل قبطى وفى قاموس اللاتينية أنها قبطية Usurpoture Vocabulum origine Aegyptiacum ab Arabilus Monunento antiquqa ab Aogyptus Dus Consegrato Significanda [٦] فهى قبطية بلا شك.

برسيم:

يقول أبو صلح "يزرع فيه الكتان والقمح والبرسيم[٧]، قال الجواليقى "الأبرسيم أعجمى معرب بفتح الألف والراء وقال بعضهم بكسر الألف وفتح الراء وترجمته بالعربية الذى يذهب صعدا[٨] وفى لف القماط ص٦ وفى اللسان

---

(١) قاموس الفارسية ٨٧، ٩٥.

(٢) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/١٤٥.

(٣) المحكم فى أصول الكلمات العامية: ٢٧.

(٤) مجموع الألفاظ القبطية ٢٧.

(٥) قاموس العادات والتقاليد:أحمد أمين، ط٢، طبعة النهضة المصرية ١٩٥٣م ٨٣.

(٦) قاموس عربى لاتينى ١/١٠٢.

(٧) تاريخ أبى صلح ١١٢.

(٨) المعرب ٧٥.

"الأبرسيم معرب وفيه ثلاث لغات.. وقال ليس فى كلام العرب أفعليل أهليلج أبريسم"[1] وفى مختار الصحاح "الأبريسم معرب وفيه ثلاث لغات والعرب تخلط فيما ليس من كلامها[2] وفى قاموس اللاتينية "برسيم: قرط[3] appellatae sim-iles deetye maturo Bacce uvae.

برطيل:

فى تاريخ بطاركة الكنيسة "وإذا زادوه برطيلاً عاد معهم[4].

والبراطيل بكسر الباء الرشوة وفى المثل البراطيل تنصر الأباطيل كأنه مأخوذ من البرطيل الذى هو المعول لأنه يستخرج به ما استتر وفتح الباء عامى لفقد فعليل بالفتح[5] برطيل • ܫܘܚܕܐ choŭhdo

وهى فارسية ويقول رفائيل نخلة " برتلة Partaleh [6] ووضعها مع الألفاظ الفارسية وفى المعجم الكبير "البرطيل.. معرب برتلة فى الفارسية الرشوة، يقال ألقمه البرطيل (ج) براطيل، يقال البراطيل تنصر الأباطيل[7] ومن هذا كله يتضح أنها فارسية وقد وردت فى القاموس اللاتينى بنفس المعنى "رشوة.. برطيل"[8].

برطلة:

فى تاريخ أبى صلح "ومد يده إلى رأسه وطرح البرطلة[9]

---

(١) اللسان مادة الأبرسيم ٢٥٧.
(٢) مختار الصحاح ٤٩.
(٣) قاموس عربى لاتينى ١/ ١٠٢.
(٤) تاريخ أبى صلح ٨.
(٥) المصباح المنير ٤٢.
(٦) غرائب اللغة العربية ٢١٩.
(٧) المعجم الكبير مادة برطل ٢/ ٢٣٤.
(٨) قاموس لاتينى عربى ١/ ١٠٠٩.
(٩) تاريخ أبى صلح ١٨.

وبرطلة فى المعرب كلمة نبطية وليست من كلام العرب[1] وفى المعجم الكبير البرطل: قلنسوة البرطلة معرب (tartulla) كلمة آرامية مركبة من bar بر (ابن) (tulla طلا) "الظل" المظلة الصيفية، البرطلة وهى كلمة نبطية[2] فى السريانية.

البورى:

فى أخبار الدول المنقطعة "قبل ظهور سمك يعرف بالبلطى وسمك يعرف باللبيس، إنما سمى باللبيس لأنه يشبه البورى الذى بالبحر المالح فالتبس به[3].

بورى قرية مصرية قرب دمياط ينسب إليها السمك البورى قاله ياقوت[4] وفى المعجم الكبير "البورى سمك من جنس Mugilidae" Mullet من العظيمات الشائكات الزعانف والفصيلة البورية (Mugilidae) يكثر فى سواحل الشام ومصر ومنه أنواع مختلفة[5] وهى كلمة مصرية تعود إلى تلك القرية المصرية.

بوسة:

فى المنامات "من كل واحد مثقالين مائة بوسة رمانية[6].

وقد ورد معناها فى القاموس "البوس التقبيل فارسى معرب والخلط وباس خشن[7] وفى دفع الإصر يقول قبلة وبوسة وتقدم أن البوس فارسى معرب والقُبْلَة عربى[8] وفى المعجم الكبير "البوس فى الفارسية: يوسيدن" التقبيل[9] وهذا يؤكد أنها ذات أصل فارسى وفى القاموس الفارسية "بوس التقبيل"[10] فهى فارسى.

---

(١) المعرب ١١٦.
(٢) المعجم الكبير مادة برطل ٢/ ٢٣٤.
(٣) أخبار الدول المنقطعة ٣٦.
(٤) شفاء الغليل ٧٥.
(٥) المعجم الكبير مادة بور ٣/ ٦٦٦.
(٦) المنامات ١٥٠.
(٧) القاموس المحيط ٢/ ٢٠٠.
(٨) دفع الإصر: ٨٨.
(٩) المعجم الكبير ٢/٦٧٢.
(١٠) قاموس الفارسية ١٠٨.

حرف التاء

تليس:

فى أخبار مصر "وبيع التليس منه بثلاثة دنانير[١].

والتليس بكسر التاء وتشديد اللام قاله أبو المعالى فى أماليه ورد فى خبر بمعنى ما يكون فى الرحل ولا أعرفه فى العربية ورواه بالرومية لكنهم استعملوه قديمًا[٢] وقيل أنها قبطية "تليس ...Thelis sac زكيبة وفاض: التراس من دول يرفع تليس القمح المتسع[٣] وفى غرائب اللغة قيل فارسى "تليسة غلاف من خوص للزجاجة تليس نسيج مصلب بالنشاء فيلف به[٤] والأرجح عندى أنها قبطية وليست فارسية، فقد بحثت عنها فى معاجم الفارسية فلم أجدها وفى قاموس فارسى انجليزى يذكر أنها قطعة قماش مستطيلة تصلح كسجادة[٥].

تفرج:

فى سيرة سيف بن ذى يزن "وهى تنظر إلى الطرقات وتتفرج على البر والفلوات[٦] أى كلمة مولدة ففى لف القماط "لفظة مولدة قال النووى فى تحرير التنبيه لعلها من انفراج الغم وهو انكشافه[٧] وفى المحكم التفرج مولدة لعلها من انفراج السهم والغم وهو انكشافه[٨] وفى القول المقتضب "ويقال لمحل النزهة والتقضى من الهم فرجة[٩] وهى كلمة مولدة وما ورد فى القاموس الفارسى "تفرج كردن: التنزه والتجول[١٠] وهى مأخوذة من العربية فى الشطر الأول منها، وأيضًا

---

(١) أخبار مصر ٥٤.
(٢) شفاء الغليل ٨٤.
(٣) مجموع الألفاظ القبطية ١٤.
(٤) غرائب اللغة العربية ٢٢١.
(٥) قاموس فارسى انجليزى ٣٢.
(٦) سيرة سيف ابن ذى يزن ١/ ٨٤.
(٧) لف القماط ١٤.
(٨) المحكم فى أصول العامية ٤٧.
(٩) القول المقتضب ٢٩.
(١٠) قاموس الفارسية ١٦٢.

ورد تفرجكان: مكان النزهة[1]. وهى عربية حدث لها تطور صوتى: انفرج بوزن انفعل ← ثم جاءت على صيغة تفعّل تفرَّج ومضارعه (يتفرَّج).

حرف الجيم

جامكية:

فى المنامات "فى جامع دمشق جامكية[2]

وهى فارسية بمعنى رواتب خدام الدولة، تعريب جامكى وهى مركبة من جامة أى قيمة ومن كى وهو أداة النسبة[3] وفى قاموس الفارسية جامه كن: المكان المعد لخلع الملابس عند النوم ودخول الحمام[4] وأحسب أن الأول أصوب.

جريال:

فى المنامات "ومن دلس فى جريالها[5].

والجريال صبغ أحمر يقال جريان بالنون وقيل هو ماء الذهب وزعم الأصمعى أنه روح معرب.تكلمت به العرب الفصحاء قديمًا قال الأعشى:

وسبيئـةٍ ممـــا تُعَتِّـــقُ بـابِـلُ   كَـدَمِ الذبيح سَلَبْتُها جِريالَها[6]

وفى دفع الإصر ويقولون على الخمر جريال وهو صحيح ويطلق على صبغ أحمر وعلى حمرة الذهب وعلى فرس العباس بن مرداس[7] وفى المعجم الوسيط أنها معربة ولم يشر إلى أصلها، وذكر رفائيل نخلة أنها يونانية فى قوله "جريال: خمر لون الخمر... Karallion مرجان[8].

---

(١) المرجع السابق ١٦٢.

(٢) المنامات ٣٠٩.

(٣) الألفاظ الفارسية المعربة ٤٥.

(٤) قاموس الفارسية: ١٨٠.

(٥) المنامات: ١٧٨.

(٦) المعرب ١٥٠، ١٥١.

(٧) دفع الإصر: ٦٧/ ب/ ٤.

(٨) غرائب اللغة العربية ٢٥٧.

الجص:

فى أخبار مصر "وجمع له الفعلة والصناع، وكان بناؤه له بالجص[١] وقال الجواليقى "الجص الحجر الجيرى وليس بعربى صحيح[٢] وقال رفائيل نخلة أنه يونانى "جص، جص... yipsos [٣] وهذا أيضًا ما قاله طوبيا العنيسى "جص وجفسين وجبسين يونانى gypsos وفى اللاتينية gypsus وهو سلفات الكلس الممتزج بالماء يطلى به[٤] والأرجح أنها يونانية وقد وردت فى قاموس اللاتينى " "Gypsum quod" Graec كنج Pers جص el جص[٥].

جلجل:

فى تاريخ الأنطاكى "وأن يتميزوا اليهود بجلجل[٦]

الجلجلة كلمة فارسية (زنك وهو جرس صغير)[٧] وقال رفائيل نخلة أنها فارسية "جلجل جرس صغير ربما كانت من زنكل "Zangol" [٨] وفى قاموس الفارسية "جلجلة: الخطاف"[٩] والصحيح أنها فارسية.

جوسق:

فى تاريخ أبى صلح "وبجوار هذه البيعة جوسق كبير"[١٠].

---

(١) أخبار مصر ٥٥.
(٢) المعرب ١٤٣.
(٣) غرائب اللغة العربية ٢٥٧.
(٤) تفسير الألفاظ الدخلية ٢٠.
(٥) قاموس عربى لاتينى ١/٢٨٠.
(٦) تاريخ يحيى الأنطاكى ١٩٥.
(٧) تفسير الألفاظ الدخلية ٢١.
(٨) غرائب اللغة العربية ٢٢٢.
(٩) قاموس الفارسية ١٩٦.
(١٠) تاريخ أبى صلح ٨٠.

وهى كلمة لاتينية.. والجوسق: فارسى (حوسة) معناه قصر وليس القصر مأخوذًا من Castrum اللاتينى الذى معناه قلعة وحصن إنما القصر عربى محض ويقال له فى اللاتينية palatium [1] وفى المعرب "الجوسق فارسى معرب وهو تصغير كوشك أى صغير"[2] ولم نجدها فى القواميس الفارسية فهى لاتينية الأصل وقد وردت فى قاموس اللاتينية فى قوله "كوسك palatium جواسك poet جواسك pl جوسق[3] وفى قاموس فارسى الإنجليزى "قصر أو بناء شامخ أو كشك أو فيلا"[4]

حرف الخاء

الخور:

فى المنامات "ما جرت جارية فى الخور[5]

يقول الخفاجى "والخور موضع وعند عرب السواحل خليج يمتد من البحر وأصله هور معرب قاله فى المعجم[6] وأصلها الفارسية كما يقول رفائيل نخلة "خور مصب الماء فى البحر أو مصب نهر بشكل خليج[7] وقيل الخور ضرب أو جلد الحيوان وقيل هو الشمس أو المناسب أو الملائم وهو غير ما فى النص.

حرف الدال

دست:

فى المنامات "ويتغالب لك فى الدسوت"[8]

---

(١) تفسير الألفاظ الدخلية ٢٢.

(٢) المعرب ٤٤.

(٣) قاموس لاتينى عربى ٣٢٥/١.

(٤) قاموس فارسى إنجليزى ٢٧٨.

(٥) المنامات ٩٥.

(٦) شفاء الغليل ١١٤.

(٧) غرائب اللغة العربية ٢٢٦.

(٨) المنامات:٨٣.

وهى كلمة فارسية ذكرها الخفاجى يقول عنها طوبيا العنيسى "دست فارسى دست معناه يد، وله معان كثيرة نحو الثوب والمجلس والحيلة[1] وفى قاموس الفارسية "دسا - داش التنور الذى يطبخ فيه الآجر والفخار لآجر الناضج[2] وهى فارسية لها معان كثيرة وذكر رفائيل نخلة أنها فارسية وذكر لها معان كثيرة[3].

دكان:

فى البرديات "وقد شلناه إلى دكان السمسار[4].

وفى المنامات "يلصقها على باب دكانه يستجلب بها الذبون[5].

قال ابن فارس إنها عربية "دكن الدال والكاف والنون أصيل يدل على تنضيد شىء إلى شىء يقال دكنت المتاع إذا نضدت بعضه فوق بعض، ومنه اشتقاق الدكان وهو عربى[6] وفى اللسان أنها فارسية وفى القاموس المحيط "والدكان كرمان الحانوت ج دكاكين معرب[7] ولكن فى القاموس الفارسى "دكان المكان الذى تباع فيه البضائع[8] فهذا كله يؤكد أنها فارسية. وقيل هو "مسحلة"[9] فارسى.

دكة:

فى تاريخ أبى صلح "إذا صعد مولانا المنتصر إلى المنظرة المعروفة بالسكرة.. جالس فوق دكة الوقار[10].

---

(١) تفسير الألفاظ الدخلية: ٢٧.

(٢) قاموس الفارسية ٢٣٢

(٣) غرائب اللغة العربية

(٤) السفر الخامس ٤٢/ بردية ٣٩٨.

(٥) المنامات ٣٥.

(٦) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٣١٩.

(٧) القاموس المحيط ٤/ ٢١٩.

(٨) قاموس الفارسية ٢٥٥.

(٩) قاموس فارسى إنجليزى ٥٣٠.

(١٠) تاريخ أبى صلح ٣٠٢.

وهى كلمة فارسية كما فى القاموس الفارسى "دكة مكان للجلوس كالعرش الخشبى وكان صغيرًا[1]. وهى موجودة فى العامية المعاصرة بالمعنى نفسه.

دهليز:

فى المنامات "فى كل يوم دهليزات[2].

وهى كلمة فارسية. كما فى القاموس الفارسى "دهليز: الطريق الضيق الطويل الدهيلز الممر الضيق أيضًا[3] ويرجع رفائيل نخلة أنه فارسى يقول "الأرجح دهله (جسر)[5] ويقول الجواليقى "الدهليز فارسى[4] وفى لف القماط" دهليز بالكسر ما بين الباب والدار فارسى معرب جمعه دهاليز[6] كل هذه المراجع مجمعة على أنه فارسى. وقد اشتقت منه العامية المصرية الفعل دهلز بمعنى المكر فى الكلام والأفعال.

الدولاب:

فى المنامات "ضرب الخادم على صوت الدواليب[7]

وهى كلمة فارسية معربة جمعها دواليب عن الجوهرى[8] وفى لف القماط فارسى معرب[9] وفى قاموس الفارسية "دولاب دلو الماء عجلة البئر التى تستعمل لإخراج الماء، خزانة الملابس وترد أيضًا دولابه وتستعمل أيضًا كناية عن السماء والفلك[10].

---

(١) قاموس الفارسية ٢٥٥.
(٢) المنامات ٢٨.
(٣) قاموس الفارسية ٢٧١.
(٤) غرائب اللغة العربية ٢٢٩.
(٥) المعرب ٢٠٢.
(٦) لف القماط ١٩.
(٧) المنامات ١٥٣.
(٨) شفاء الغليل ١١٩.
(٩) لف القماط ١٩، ١٨.
(١٠) قاموس الفارسية ٢٦٩

ويقول رفائيل دولاب كل آلة تدور حول محور[1]. وهذا هو السبب فى أن الكلمة تحمل معنيين فهى فى الشام بمعنى العجلة التى تسير عليها السيارة (دولاب) وفى مصر بمعنى خزانة الملابس أو الأوراق.

الديباج:

فى المنامات "قد استطبت الكباح واستلنت الديباج[2]

والديباج أعجمى معرب، وقد تكلمت به العرب قال مالك بن نويرة:

ولا ثياب من الديباج يلبسها هى الجياد وما فى النفس من دبب[3]

وفى قاموس الفارسية "ديباج معرب ديبا بمعنى الحرير[4] ويقول رفائيل نخلة هى فارسية "ديباج: نسيج.. ديبا نسيج حرير مطرز بأسلاك ذهب أو فضة من ديو div (شيطان) باق حذر بافتن (نسيج) أى نسيج شيطان[5] فهى فارسية.

الديدب:

وفى أخبار سيبويه "لظن أنه الديدب[6].

والديدب فارسى وديدبان معناه ذو نظر[7] وفى لفظ القماط "بمعنى رقيب فارسى معرب قال ابن دريد لا أحب العرب تكلمت به قديمًا[8] وفى القاموس الفارسى "ديدب ديدبان الحارس الجندى، ديده بان: الذى يقف فى مكان مرتفع

---

(١) غرائب اللغة العربية ٢٢٩.
(٢) المنامات ٦٨.
(٣) المعرب ١٢٢.
(٤) قاموس الفارسية: ٢٧٢.
(٥) غرائب اللغة العربية: ٢٢٩.
(٦) أخبار سيبويه ٥٣.
(٧) تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٩.
(٨) لف القماط ١٨ شفاء الغليل ١١٩.

ويبلغ كل ما يراه من بعيد، ويسمى أيضًا ديدوان[1] ويقول رفائيل نخلة "ديدبان: حارس ديدبان. ديد (نظر) بان (صاحب)[2] فارسي"فهي كلمة فارسية.

حرف الراء

رطل:

فى المنامات "ويتناول بعد ذلك أرطال من المدام ويتبعه برطل... "[3].

يقول طوبيا العنيسى "والرطل فى الآرامية (رطلا) يراد به ١٢ أوقية[4] ويرى رفائيل أنها يونانية (رطل... Litr [5] وفى المعجم الوسيط" الرطل معيار يوزن به أو يكال يختلف باختلاف البلاد[6] وهذا يعنى ما ذكره طوبيا العنيسى هو قيمتها فى الآرامية ولم يشر إلى أصلها وأن أصلها هو اليونانية وقد وردت فى قاموس اللاتينية فى قوله " Litra ieduedecim unciae أرطال /pl رطل pl رطل[7].

رمكة:

فى أخبار مصر "أن العرب ساقت لمضاد ثلثمائة رمكة[8].

وهى فارسية بقول الجواليقى "الرمكة هى أنثى من البرازين فارس معرب وقال أبو عمر فى قولة رؤبة:

لا تعدلينى بالرزالات الحمك ولا شط قدم ولا عيد ملك

(١) قاموس الفارسية ٢٧٣.
(٢) غرائب اللغة العربية ٢٢٩.
(٣) المنامات ١٥١.
(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة ٣١.
(٥) غرائب اللغة العربية ٢٥٨.
(٦) المعجم الوسيط.
(٧) قاموس عربى لاتينى ٢/ ١٦٠.
(٨) أخبار مصر ٢٠٦.

... إن الرمك بالفارسية أصله رمه[1] وفى قاموس الفارسية "رمكه رمك: انظر رمه. ومه: الماشية: القطيع من البقر أو الغنم ومثلها رم ورمك وتستعمل أيضًا بمعنى جيش[2] وهذا يعنى أن أصلها فارسى. ولكن رفائيل يراها سريانية "رمكة: الفرس أو أنثى البرزون يتخذان للنسل ܪܡܟܐ ramko [3] والحق أنها فارسية وليست سريانية وقد وردت فى قاموس فارسى إنجليزى أنها "فرس أصيل"[4].

روزنه:

فى المنامات "تحت ضوء الروزنة"[5].

والروزنة الكوة معرب فارسية ذكرها الجواليقى فقال "قال أبو حاتم سألت الأصمعى عن الروزن فقال فارسى لا أقول فيه شيئا[6] وفى قاموس الفارسية" روز (روح) اليوم النهار، روزانة: يومى ما يحدث كل يوم[7] فهى فارسية.

روشن:

فى المنامات "وحط رجله فى الروشن العالى[8].

وفى دفع الإصر يقولون روشن قال الروشن الكوة وغنم رشون رتاع والرشن الفرضة من الماء ويحرك الروشن[9] وفى قاموس الفارسية "روشن مضىء منير، متلألئ واضح ظاهر، المكان الذى يتلألأ فيه الضوء ومثلها روشان[10] ولكن رفائيل

---

(١) المعرب ٢١٠.

(٢) قاموس الفارسية ٣٠٢.

(٣)غرائب اللغة العربية ١٨٣.

(٤) قاموس فارسى إنجليزى ٥٨٧.

(٥) المنامات ٣٠.

(٦) المعرب ١٢٢.

(٧) قاموس الفارسية ٣٠٧.

(٨) المنامات ١٥٣.

(٩) دفع الإصر ١١٤/ ١٢.

(١٠) قاموس الفارسية ٣٠٩.

نخلة يخلط بين الروزنة والروشنة فيقول "روزنة: روشن كوة روزنة row zaneh نافذة[١] وهو يخلط فيها ولكن يتفق أنها فارسية وهو أصلها.

حرف الزاى

زبون:

فى المنامات "يلصقها على باب دكانه يستجلب بها الزبون"[٢].

وزبون كلمة آرامية مشتقة من زبن أى اشترى مرادفه المشترى يقول رفائيل:

أنها سريانية" زبون . ܙܒܘܢܐ zobonno : مشترٍ . Zbona مشتر[٣]
وفى المصباح المنير أنها مولدة يقول". وقيل للمشترى (زبون) لأنه يدفع غيره عن أخذ البيع وهى كلمة مولدة من كلام أهل البادية ومنه (الزبانية) لأنهم يدفعون أهل النار إليها[٤] وقال بذلك الخفاجى "زبون بمعنى حريف كلمة مولدة قاله الأنبارى وفى أمثال المولدين الزبون يفرح بلا شىء[٥] والحق أنها آرامية وليست مولدة.

زربول:

فى المنامات "قبل أن تلطم على باب الجنة عشر آلاف زربول"[٦].

زربول: لما يلبس فى الرجل عامية مبتذلة والعامة تزيد فى تحريفه فتبدل لامه نونا قال ابن حجاج:

مربى بصفع الاعدا إذا اضطربوا   من حسد اليوم بالزرابيل[٧]

---

(١) غرائب اللغة العربية ٢٣٠.
(٢) المنامات ٣٥.
(٣) غرائب اللغة العربية ١٨٤.
(٤) المصباح المنير ٢٥١.
(٥) شفاء الغليل ١٤١.
(٦) المنامات ٣٣.
(٧) شفاء الغليل ١٤٢.

الزرنيخ:

فى أخبار سيبويه "أرجع إلى شد الاشناف والسدر والزرنيخ[١].

وهى كلمة يونانية يقول طوبيا العنيسى "الزرنيخ يونانى arsenikon معناه مذكر وهو مادة صلبة شبيهة بالمعدن لونها أشبه بالرصاص وهو عنصر بسيط[٢] وكذلك قال رفائيل إنها يونانية "زرنيخ "arsenikon" [٣] ولكن الخفاجى يرى أنها فارسية وبهذا قال صاحب لف القماط والحق أنها يونانية وقد وردت فى القاموس اللاتينية "زرنة pere زرنيخ. "Lapis cuius tyes species abbus" [٤]

الزفت:

فى أخبار سيبويه "ومضى به إلى الصناعة وحبه فى بيت الزفت... فنقله من بيت الزفت"[٥].

والزفت: هو القار قال الدريدى معرب تكلموا به قديمًا وفى الحديث نهى عن الزفت[٦] وقال طوبيا "يونانى"[٧] وفى القاموس الفارسى "زفت المادة السوداء التى تستخرج من النفط. أو شجرة الصنوبر. القار زفت بخيل خسيس لئيم متجهم الوجه[٨] ويرى رفائيل أنها سريانية ، زِفت . zefto ܙܦܬܐ . "زفت Zefto زفت = هـ طلاه بالزفت وأصل زفت[٩] وقد وردت فى قاموس اللاتينية[١٠] وتعددت أصول هذه الكلمة فى لغات شتى ولعل أحدها هو الأصل والباقى منقول عنها.

---

(١) اخبار سيبويه ٢٦.
(٢) تفسير الألفاظ الداخيلة ٣٢.
(٣) غرائب اللغة العربية ٢٥٩.
(٤) قاموس عربى لاتينى ٢/٢٣٥.
(٥) أخبار سيبويه ٣٠.
(٦) شفاء الغليل ١٤٠.
(٧) تفسير الألفاظ ٣٢.
(٨) قاموس الفارسية ٢٢٣.
(٩) غرائب اللغة العربية ١٨٤.
(١٠) قاموس عربى لاتينى٢/٢٤٣

الزلة:

فى أخبار سيبويه "تأخر سيبويه عن مائدة أبى على يومًا فعمل بيده زلة"[١].

والزلة: فى أخبار سيبويه عامية مبتذلة قال الخفاجى "زلة الصوفى اسم لحمل الطعام من الولائم ونحوها قاله ابن العمار مولد[٢] وهى عامية مبتذلة.

الزنار:

وفى المجموع الصفوى "شد الوسط بالزنار"[٣].

ومعنى زنار يونانى Zene معناه منطقة ونطاق" ويقول رفائيل نخلة أنها يونانية "زنار... Zenari [٤] ولكن فى قاموس الفارسية "زنار الشريط الذى شده القسيس إلى وسطه، والشريط الذى يعلق النصارى به الصليب فى رقابهم[٥] ولكن الصواب أنها يونانية.

حرف السين

السبوبة:

فى المنامات "وبذلك أشهرا على أنفسهما المؤجر والمتأجر فى صحة منهما وسلامة، وذلك فى السبوبات بالميدان الأخضر[٦].

وفى القول المقتضب "سبب" ويقولون (سبب قال بعض أئمة اللغة أى باع واشترى فى الشىء)[٧] والجمع منها سبوبات والمفرد أى المصدر الذى يتسبب فى الرزق وهى كلمة مولدة.

---

(١) أخبار سيبويه ٣٤.
(٢) شفاء الغليل ١٣٩.
(٣) المجموع الصفوى.
(٤) غرائب اللغة العربية ٥٢٩.
(٥) قاموس الفارسية ٣٢٥.
(٦) المنامات ١٩٩.
(٧) القول المقتضب ١٥.

سرداب:

فى قولة أبى صلح "وللمسلمين مقابلها حصن منيع عالى يقال له بلاق بناه بروبا وسراديب مساكنا مصينة"[١].

والسرداب فارسية "وقد وردت فى قاموس الفارسية" سرداب (سردابة) الحفرة التى يحفرونها. تحت الأرض لدفن الأموات[٢] ويقول رفائيل "سرداب بناء تحت الأرض يبرد فيه الماء طول الصيف. سرداب مستودع جليد سرد (بارد) آب (ماء)[٣] وذكر الخفاجى أنها معربة سرداب أى ما يرد فيه الماء[٤] وكذا فى القاموس ولم يشر إلى أصلها والحق أنها فارسية.

السطل:

فى المنامات "تحققوا أن الرجل كالسطل"[٥].

قيل إنها لاتينى situlus يراد به السطل المعروف والسجل أيضًا[٦] ولكن الدكتور أحمد عيسى يقول "سطل تقول للوعاء المتوسط سطل والسيطل الطيسة الصغيرة والسطل مثله عروة المرجل وهو باللاتينية Situla وبالفارسية ستل وستلة بمعنى سطل يكرج، فقد اتحدث بالفارسية وباللاتينية، ولا يبعد أن تكون العربية مأخوذة عن الفارسية[٧] فهو يرجح أن يكون أصلها فارسى والحق أنها فارسية يقول صاحب القاموس الفارسى "سطل الدلو، وعاء من المعدة ذو يد يستعمل لشرب الماء[٨] وقد وردت فى القاموس اللاتينى[٩] (سطل Pers) سطول

(١) تاريخ أبى صلح ١٢٧.
(٢) قاموس الفارسية ٢٦٤.
(٣) غرائب اللغة العربية ٢٢٣.
(٤) شفاء الغليل ١٤٨.
(٥) المنامات ١٠٢.
(٦) تفسير الألفاظ الداخلية ٣٦.
(٧) المحكم فى أصول الكلمات العامية ١١١.
(٨) قاموس الفارسية ٢٧٢.
(٩) قاموس عربى لاتينى ٢١٤/٢.

a qua et vir Longus Catinus parvus una ansa kam praeditus kam سـطل Di, pec quein balnéo hauril procerus.

سفتجة:

فى البرديات ٥ ـ إلى أن أكتب له بها سفتجة فى النصف.

٦ ـ من طوبة[١].

والسفتجة فارسية "فارسى سفته معناه مثقوب وفى الجرمانية Zettel معناه خواله[٢] وفى القاموس الفارسى سفتجه، سفته شديد صلب، سميك، الكتف كتف الحيوان والإنسان وتأتى الكلمة أيضًا بمعنى ثقب وشق وثقب الإبرة[٣] والمعنى الصحيح لها كما يقول رفائيل نخلة سفتجة (كمبيالة) سفته، ربما كانت هذه من سفت: متين محكم هذا الأصل يدل على أن أمر السفتجة محكم[٤] والحق أنها فارسية وتعنى الإيصال، أو الكمبيالة.

سكباج:

فى المنامات "وأن يطبخ له الثور كله سكباجا"[٥].

وهو طعام فارسى ففى القاموس الفارسى "سكباج سركه با: السكباج الحساء الذى فيه خل ويسمى أيضا سكبا وسكوا[٦] ويقول رفائيل أنها فارسية "سكباج مرق يصنع باللحم والخل (سركه با) سركه (خل) با (مر)[٧] فهى فارسية.

---

(١) السفر الخامس ١٠٦ بردية ٣٢٤.

(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٥.

(٣) قاموس الفارسية ٣٧٠.

(٤) غرائب اللغة العربية ٢٢٤.

(٥) المنامات ١١٢.

(٦) قاموس الفارسية ٣٦٨.

(٧) غرائب اللغة العربية ٢٢٤.

سلاح دار:

فى المنامات "واستخدم الجندار والسلاح دار"[١].

وسلاح دار كلمة فارسية. وهو مركب من سلاح العربى ودار الفارسى الذى معناه حامل والجندار فارسى مركب من جان أى نفس وروح ودار أى حافظ وحامل ويراد به حرس الأمير[٢] وفى القاموس الفارسية "سلاح دار: ملح ذو سلاح"[٣]، وفى غرائب اللغة العربية" سلاح دار حامل السلاح[٤] فهى فارسية.

سمسار:

فى أخبار مصر "وكان شيخا وجوه السماسرة فى القمح"[٥].

وفى البرديات "وقد شلناه إلى دكان السمسار"[٦].

ويقول طوبيا "سمسار آرامى سفسارا معناه المساوم[٧] ولكن الجواليقى يرى أنها "السمسار بالفارسية السمسار[٨]وفى قاموس الفارسية "سمسار: الدلال، الوسيط فى البيع والشراء[٩] ولكن رفائيل يرى أنها سريانية "سمسار، سمسرة: أجر

سمسار . [illegible] semsoro . سمسرة : اجر سمسار . [illegible]

سمسار Saumsare [١٠]والحق أنها آرامية وربما انتقلت إلى الفارسية من

---

(١) المنامات ١٠٢. .

(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٥

(٣) قاموس الفارسية ٣٧٩.

(٤) غرائب اللغة العربية .

(٥) أخبار مصر ١١٦.

(٦) السفر الخامس ٤٣/ بردية ٣٩٨.

(٧) تفسير الألفاظ الدخلية ٣٦. .

(٨) المعرب ٢٣٣

(٩) قاموس الفارسية ٢٨٢.

(١٠) غرائب اللغة العربية ١٨٩.

الآرامية، وفى قاموس فارسى إنجليزى "السمسار وسيط أو مصلح بين الأصدقاء[1] وفى المعجم الفارسى "سمسار دلال معرب"[2].

سندان:

فى أخبار سيبويه: "وضلعه كأنه سندان"[3].

وهى كلمة فارسية "سندان فى الفارسية (سندان) وفى الآرامية سدانا وقد وردت فى الفارسية والآرامية وسندان فى الفارسية (سندان) وفى الآرامية (سدانا)[4] وقد تعرضت هذه الكلمة لتطور فى أصواتها حيث أبدلت النون باللام فأصبحت سندال،وقد أشار لهذا صاحب دفع الإصر بقوله "واعلم أن السنداب هو الصلب، والظاهر أن الذى يقولون عليه سندال هو سنداب[5] وأكد صاحب قاموس الفارسية أنها فارسية (سندان الآلة التى يصنع الحدادون عليها الحديد، ويطرقوا به السندان وتأتى أيضًا بمعنى الرجل القوى الضخم الجسم.[6] ولكن فى غرائب اللغة العربية قيل إنها سريانية "سندان وسدان ܣܕܢܐ sadono [7] هذا يوضح نتائج التأثر والتأثير بين اللغة فهى أصل فى أحدهما وانتقل منها إلى الثانية أو ربما ليست أصلية فى الاثنين بل انتقلت إليهما من لغة أخرى. وقيل "الحديدة التى يضرب بها الطارق الباب"[8].

(١) قاموس فارسى إنجليزى ٦٩٧.
(٢)معجم الفارسى العربى ٢٢٠.
(٣) أخبار سيبويه ٥١.
(٤) تفسير الألفاظ الدخلية ٢٨٥.
(٥) دفع الإصر ١٥.
(٦) قاموس الفارسية ٢٨٥.
(٧) غرائب اللغة العربية ١٩٨.
(٨) قاموس إنجليزى ٧٠١.

حرف الشين

شاش:

ورد فى أخبار مصر "وبين يديه عشارى.. وعلى رأسه شاشية"[1].

والشاش معروف يلف على الرأس وبعد اللف يسمى عمامة وهو مولد منقول من اللغة الهندية واسم بلدة أيضًا[2] هذا فيما يرى الخفاجى، ويرى رأيه صاحب المحكم "شاش وهو النسيج الخفيف الرقيق مأخوذ من اسم بلدة يسمى جاج أو جج أو جاش أو هى طشقند، على حدود بلاد الهند اشتهرت قديمًا بعمل مثل هذا النسيج[3] ويرى طوبيا العنيسى أنها عبرانى شش معناه نسيج رقيق من كتان ثم من قطن[4] وبالرجوع إلى أصول هذه اللغات اتضح لى أنها عبرية فى القاموس العبرى يقول:... الساميت: نسيج قطنى تخالطه خيوط ذهبية وفضية[5] ويقول رفائيل نخلة أنه عبرى **chêch שש : نسيج من قطن**

"شاش": نسيج رقيق من القطن: نسيج من قطن[6] وهذا كله يؤكد أنها عبرية وليست مولدة.

شباك:

فى المنامات "إلا ما يخرج من شبابيك أصابعه"[7].

ويقول الخفاجى "شباك بضم الشين وتشديد الباء كوة مشبكة بالحديد مولدة[8] وفى مختار الصحاح "شبك الخلط والتداخل ومنه تشبيك الأصابع

---

(١) أخبار مصر ٣٠.

(٢) شفاء الغليل ١٦٥.

(٣) المحكم ١١٨.

(٤) تفسير الألفاظ الدخلية ٣٩.

(٥) المعجم الحديث عبرى عربى ٧٦٣.

(٦) غرائب اللغة العربية ١١٢.

(٧) المنامات ٢٠٨.

(٨) شفاء الغليل ١٥٧.

والشباكة واحدة الشبابيك المشبكة من الحديد "وكذلك فى المعجم الوسيط والحق أنها كلمة مولدة وفى معجم الألفاظ العامية "شباك نقول فى دارجتنا: الشباك النافذة ـ وفى القاموس الشباك بضم الشين وتشديد الباء: كوة مشبكة بالحديد[١].

شلق:

فى المنامات: "ولقد رأيتهما يومًا يشالقها وتشالقه"[٢].

فى اللسان "الشلق الضرب وليس بعربىٍ محض وشلقة ضربه بالسوط أو غيره[٣] ويقول رفائيل إنها يونانية ويعطيها معنى جديد "كل سمك ذى جلد غضروفى بلا حرشيف[٤] ويقول الدكتور سيد عبد العال "شلق نقول فى دارجتنا: شلق فلان لفلان: وجه إليه جارح اللفظ مما يثير ويستنفر والأصل فيها شقق وفك أدغام القاف المضعفة وأبدلت الأولى لامًا ـ وفق قاعدة المخالفة، وفى القاموس شقق أخذ فى الكلام وفى الخصومة يمينًا وشمالاً، وأخذ الكلمة من الكلمة[٥] ونحن نوافق هذا الرأى فهى كلمة مولدة.

شونة:

فى تاريخ أبى صلح "وجعلت شونة قصب.. فعملت شونة للقصب"[٦].

وفى دفع الإصر "يقولون شونة قمح مثلاً وهو صحيح قال الشونة المرأة الحمقا ومخزن الغلة مصرية والمركب المعد للجهاد فى البحر والتشون خفة العقل[٧] وقال قليوديوس إنها قبطية Choune erenier de paille شونة.. كما فى

(١) معجم الألفاظ العامية ٣١٦.

(٢) المنامات ١٦٥.

(٣) اللسان مادة شلق ٢٣٢٦.

(٤) غرائب اللغة العربية ٢٦١.

(٥) معجم الألفاظ العامية: أنيس فريحة، دار العلم بيروت لبنان، ص ٣٢٩.

(٦) تاريخ الشيخ أبى صلح ٤٥.

(٧) دفع الإصر ١٧/١١٥.

الكلام العامى شونة التبن انحرقت، معناها حوش أو مخزن التبن[١] وقد وردت فى قاموس اللاتينية Harreun, Abulf Abulf ann[٢].

شنين:

فى المنامات كان قد وصل إلى ثغر الإسكندرية أربعون شنينًا[٣] والشنين هو السفينة الحربية وقيل إنها فارسية يقول الخفاجى "شنان خشب يشد بعضه ببعض ويعبر عليه النهر فارسى معرب عربية الأرمان[٤].

حرف الصاد

صابون:

فى المنامات "وأشتهى الساعة قطعة صابون رقى"[٥].

والصابون لاتينى sepe-anis ذكره بلينيوس وكان خليطًا من مارد وشحم[٦] وذكر رفائيل أنها يونانية "صابون... Sapon [٧] وذكر فى القول المقتضب أنها عربية "يقولون (صابون) هذا النوع وارد فى أغلب كتب اللغة بهذا الاسم فهو صحيح لغوى[٨] ولكنها ليست عربية بل لاتينية وفى القاموس اللاتينى Sape snegma kam صابون[٩].

---

(١) مجموع الألفاظ القبطية ٤١.

(٢) قاموس لاتينى ٢/ ٤٦٧.

(٣) المنامات ١٨٧.

(٤) شفاء الغليل ١٥٩.

(٥) المنامات ٥٩.

(٦) تفسير الألفاظ الدخلية ٤٣.

(٧) غرائب اللغة العربية ٢٦١.

(٨) القول المقتضب ١٥٥.

(٩) قاموس لاتينى ٤٧٤.

صهرج:

فى تاريخ أبى صلح "وفيه صهريج"[١].

وهى كلمة فارسية قال رفائيل إنها فارسية "صهريج الحوض طلاه بالعاروج شاروق. صهريج حوض ماء[٢] ويقول الخفاجى: جمعه صهاريج وبركة مصهرجة معمولة بالصاروج وهو شىء يخلط بالنورة ويطلى به الحياض، ونحوها وهو معرب وتسمى بركة الماء صهريجًا لذلك، وفى كتاب سلوك السنن والصهريج بكسر الصاد مأخوذ من الصاروج وهو الكلس وبركة مصهرجة مبنية به والصواب ما قدمناه وصاروج قد مر[٣].

الصير:

فى أخبار سيبويه "قلوب أهل مصر قلوب الصير"[٤].

يقول الخفاجى "الصير من نوع السمك يعنى صحناه سريانية معربة"[٥] ويقول الجواليقى "وقال أبو بكر والصير الذى يسمى الصحناء أحسبه سريانية معربًا لأن أهل الشام يتكلمون به، قال وقد دخل فى عربية أهل الشام كثير من السريانية كما استعمل عرب العراق أشياء من الفارسية[٦] وقال رفائيل "صير: صير : شق الباب . ܨܐܪܐ serio ."[٧]: والحق أنها سريانية ولكنها تعنى نوعًا من السمك.

(١) تاريخ أبى صلح ١١٣.
(٢) غرائب اللغة العربية ٢٣٧.
(٣) شفاء الغليل ١٧٠.
(٤) أخبار سيبويه ٤٦.
(٥) شفاء الغليل ١٧٠.
(٦) المعرب ٢٦٤.
(٧) غرائب اللغة العربية ١٩٣.

حرف الطاء

طاق:

فى أخبار سيبويه: ويجلس يتكلم من طاق والناس قيام يسمعون كلامه"[١].

الطاق: فارسية "(طاق) معناه قبو وقبة وقوس وقنطرة وصينة ومنه طاقحة الفارسية فتعريت طاقة مرادفها نافذة وجلى[٢] وقال الخفاجى "طاق بناء بشكل قوس تا ـ طاة مولدة نافذة طاقجه مصغر طاق[٣] فهى فارسية.

طباهج:

فى أخبار مصر "يتبع الجدى طباهجتان"[٤]

وهى فارسية "الكباب كما فى تاج الأسماء معرب تباهه والعرب تسميه الضيف وظاهر كلام ابن النحاس فى شرح المعلقات أن الكباب مولد ويشهد له أنا لم نره فى كلام فصيح[٥] والحق أنها فارسية يقول رفائيل "طباهجه: طعام من لحم مقطع وبيض وبصل تباهه: كباب فى لهجة لبنان وسوريا[٦] وهى فى رأيه فارسية وهذا هو الصواب.

الطرش:

فى تاريخ البطارقة "وسماع الطرش"[٧].

وفى المجموع الصفوى "أو أطروش أو ناقص"[٨].

---

(١) أخبار سيبويه ٢٣.
(٢) تفسير الألفاظ الدخلية ٤٥.
(٣) غرائب اللغة العربية ٢٣٨.
(٤) أخبار مصر ١٢٥.
(٥) شفاء الغليل ١٧٦.
(٦) غرائب اللغة العربية ٢٣٨.
(٧) تاريخ البطاركة ١٤٥/١.
(٨) المجموع الصفوى.

والطرش: معرب وليس بعربى قديم ولكنهم صرفوه قيل هو أقل من الصمم وقيل أقدمه وأكثره ويقولون لصاحبه أطروش[1] فى المعرب قال فأما الطرش فليس بعربى محض بل هو من كلام المولدين وهو بمنزلة الصمم عندهم قال أبوحاتم لم يرضوا باللكنة حتى صرفوا له فعلاً، فقالوا طرش يطرش طرشًا، وقال الحربى الطرش أقل من الصمم قال وأظنها فارسية[2] ولم نجدها فى القواميس الفارسية والحق أنها كما قال الدكتور سيد عبد العال "الطرش نقول فى دارجتنا ضرب فلان فلان حتى طرشه: أى ضربه حتى أضعفه وأنهك قواه والأصل فيها طرشحه وللتقارب الشديد بين مخرجى الحاء والهاء تلاشت الحاء واستعيض عنها بتضعيف الراء فصارت طرشه (وهى مماثلة) وفى القاموس طرشحه الاسترخاء وضربه حتى طرشحه[3] وأحسب أن طرَّش غير طرش فالأولى تعنى الضرب الشديد والثانية تعنى الصمم ولهذا فالأولى عربية متطورة والثانية مولدة.

طن:

فى المنامات: " فما هو الا أن يحضر طن القصب أو قفة خيار"[4].

وفى القول المقتضب "يقولون طن قال فى الصحاح: الطن بكسر الطاء العلاوة بين العدلين، وحزمة القصب الواحدة بها[5] ويبدو أن طن هذه غير التى نعرفها فى عصرنا أى التى تساوى ألف كيلو جرام، بل تعنى حزمة القصب، ويؤكد هذا ما قاله الخفاجى "طن بالضم حزمة القصب، ونحوه والعامة تكسره وهو عربى صحيح لا دخيل، قال فى كتاب البيان الطن من كيلو القصب ومن الأغصان الرطبة أعواد وتجمع وتحزم ويسمى الكنشة وأصلها نبطية يقال كنشًا ولا أظن الطن عربيًا[6].

---

(١) شفاء الغليل ١٧٦.

(٢) المعرب ٢٧٢.

(٣) معجم الألفاظ العامية ٣٦٣.

(٤) المنامات ١٩١.

(٥) القول المقتضب ١٥٦.

(٦) شفاء الغليل ١٨٠.

الطوب:

فى تاريخ أبى صلح "مبنية بالطوب الأحمر"[١].

الطوب: مصرية يقول طوبيا "الطوب الآجر لغة مصرية قديمة"[٢] وفى القول المقتضب "يقولون طوب هو صحيح ويطلق أيضًا على المزاح وهو المطايبة وطوب فى القاموس الطوب بالضم الآجر. وفى اللسان "الطوب الآجر بلغة أهل مصر، والطوبة الآجرة، وذكرها الشافعى قال ابن شميل فلان لا آجرة له ولا طوبة قال الآجر الطين وفى لسان العرب: الطوبة الآجرة شامية[٣] والواضح أنها مصرية قديمة وقد ورد فى المعجم اللاتينى فى قوله Later cotus طوب Kam Laterum cector Gelex hist saras: طوب[٤].

حرف الغين

غرارة:

فى أخبار مصر للمسبحى "عشرة آلاف غرارة قمحًا"[٥]

وفى المنامات "فلو أن الشكر يحمل فى الشكاير وغرر الثناء فى الغراير[٦] وكلمة غرارة وردت فى قاموس الفارسية "غرارة جوال[٧] ومع ذلك فقد ذكرها رفائيل على أنها سريانية "غرارة gaurgto غرارة : جُوالـق . [illegible] [٨] وربما راجع هذا للتبادل اللغوى بين اللغتين الفارسية والسريانية ولكن ليس بعربى محض يقول الخفاجى غرارة: جمعه غرائر وهى معروفة، وقال الجوهرى أظنها معربة[٩].

---

(١) تاريخ أبى صلح ١٢١.
(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ٤٧.
(٣) القول المقتضب ١٦.
(٤) قاموس لاتينى ٧٧١٣.
(٥) أخبار مصر ١٧٢.
(٦) المنامات ١٦٤.
(٧) القاموس الفارسى ٤٧٤.
(٨) غرائب اللغة العربية ١٩٧.
(٩) شفاء الغليل ١٩١.

حرف الفاء

فرن:

فى المنامات "مخازن وأفران"[١].

الفرن فى "لاتينى Furnus معناها مأخوذ من Larnix وهو العقد أى بيت معقود سقفه بالمجاورة والقرميد"[٢]، وهذا ما قاله رفائيل نخلة "فرن Furnus" [٣] وفى المعرب الفرن الذى يختبر فيه ومنه اشتقاق اسم الفرينة"[٤] والحق أنها كلمة لاتينية كما ورد بالقاموس اللاتينى " Furnus in que panisة. Coquitur kam أفران Pl فرن"[٥].

فشر:

فى المنامات وإلى هذا الموضوع انتهى فشر الكتاب وهذيان الشعراء[٦].

وهى كلمة سريانية فى شفاء الغليل "فشار للهذيان ليس من كلام العرب كما فى القاموس[٧] وبالمحكم الفشار كغراب الذى تستعمله العامة بمعنى الهذيان التاج أقول إن هذا اللفظ غير موجود بالعربية ولكنه موجود فى السريانية، بمعنى هذى بذى نقص ضرب والفشار: صيغة المبالغة بمعنى كذاب بذاء هذاء وفشرة من هذا المعنى كذبة[٨] وهى سريانية.

فلوس:

فى المنامات "مع الصير بالفلوس ويبخلون على العاشق بالجلوس"[٩].

---

(١) المنامات ٦٤.
(٢) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥١.
(٣) غرائب اللغة العربية ٢٧٩.
(٤) المعرب ٢٩٢.
(٥) قاموس عربى لاتينى ٣/٣٤٣.
(٦) المنامات ٢١.
(٧) شفاء الغليل ١٩٧.
(٨) المحكم فى أصول العامية ١٦٧.
(٩) المنامات ١٤٧.

وهى كلمة يونانية من فلس يونانى oboes وهو نقد نحاسى يونانى كان يساوى سدس الدرهم[1]، فهى يونانى وردت فى اللاتينية Inopia فلس dili nomen a gente a gente thai culti[2].

فوطة:

فى أخبار مصر "وقطعة من الفوطة التى كانت عليه"[3].

وليست بعربية واختلفت الآراء فى أصلها فقيل تركى فوته بمعنى مئزر[4] وقيل الفوطة شىء يجلب من بلاد السند وهى مآزر مخططة فصارت التى على غيرها مجاز[5] وقيل إنها قبطية فوطه أو فودة Fouteh sereiette[6].

حرف القاف

قفة:

فى المنامات "وطلب من بيته خمس قفاف فقام إليه بالخفاف"[7].

قيل قبطية "القطوة أو المقطف ...Kolwai couff أو القفة التى تستعمل فى رى الغيطان بدلاً من الشادوف بوجه بحرى[8]. وقال طوبيا العنيسى إنها يونانية Kokinos معناه زنبيل من خلاف[9] ولكن رفائيل نخلة يقول إنها لاتينية يقول "قفة: زنبيل من الخوص أو نحو Coehinus سلة[10] وقيل سريانية...: صرة/ قفة.

(١) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٢.
(٢) قاموس عربى لاتينى ٣/٣٦٩.
(٣) أخبار مصر ٤٨.
(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٣.
(٥) القول المقتضب ٨٩.
(٦) مجموع الألفاظ القبطية: ٤٢.
(٧) المنامات ٩٣.
(٨) مجموع الألفاظ القبطية ١٨.
(٩) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٧.
(١٠) غرائب اللغة العربية ٢٧٩.

قماش:

فى المنامات "قال فهاتى إذًا شيئًا من قماشك ألقى به".

والقماش كلمة فارسية وهى "فى الفارسية كماش معناه نسيج من قطن خشن ثم نقل قامش إلى فارسية بلفظة قماش[1]. وهى فارسية

قنبيط:

فى المنامات "تكتب هذا البيت بالخرا على ورق القنبيط الأصفر[2].

وهى كلمة نبطية يقول أبو منصور الجواليقى "القنبيط أظنه نبطيًا"[3] وهو نبات معروف أصلها قنَّبيط ثم حدثت مخالفة صوتية بين النون المشددة بعد فك التشديد فصارت (قنَّبيط) ثم ← قننبيط ← ثم (قرنبيط) وذلك بقلب إحدى النونين راءً، فأصبحت هذه الكلمة الشائعة على ألسنة العامة قرنبيط. ورَدت فى القاموس اللاتينى "قبط inاقنبيط Nabath cod_ Vocab Iugd) Vide[4].

قُلَّة:

وفى البرديات "واشترى لى أربعة قلال صغار للجارية تستقى بهم الماء"[5].

وقيل فى أصلها أنها قبطية ".. بكلة قلة فى قولهم أملا القلل أو القلة ـ وبضع سكان الوجه القبلى يقولون بكلة بإضافة أداة التعريف.. معناه وعاء من الفخار للشرب فيه أو أبريق إلخ[6] وقيل إنها فارسية ومعناها "قلة أعلى نقطة فى الشىء قمة الجبل"[7] وقيل إنها سريانية قُلَّة: جرة كبيرة. معدا qotlto.

---

(١) تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٨.

(٢) المنامات ٢٢٧.

(٣) المعرب ٣١٤.

(٤) قاموس عربى لاتينى.

(٥) البرديات العربية.

(٦) مجموع الألفاظ القبطية ٢٨.

(٧) قاموس الفارسية ٥١٩.

"قلة: جرة كبيرة[1] وهذا الاختلاف فى المعنى جمعه صاحب دفع الإصر فى قوله "قللة: يقولون أملأ القلة وله أصل قال بالضم أعلى الرأس السنام والجبل وكل شىء والجب العظيم أو الجرة العظيمة.. أو من الفخار والكوة الصغيرة جمع كصرد"[2] والأرجح أنها سريانية لأن ما فى الفارسية " Ligne قلو N,a: Dicictur قلة Lignun ninus "quod percussit" -[3]. وما ذكر من أن أصلها قبطى (بكُلة) فى مجموع الألفاظ القبطية يشير إلى أنهم لا ينطقون القاف كما فى القبطية، ولهذا فالأصل بالكاف وليس بالقاف، وحولها العرب إلى القاف، ولكن العامة فروا من القاف ليس إلى أصلها الكاف بل إلى الهمزة فيقولون الأُلَّة هربًا من القاف فهى تطورت على النحو الآتى:

كلة (قبطية) ←— قلة (تأثيرعربى) كذا كتب إلى الآن ←— أُلَّة (عامى معاصر)

حرف الكاف

الكفر:

فى البرديات "القبلى مما يلى الغرب من هذا الكفر"[4].

والكفر سريانية وفى المعرب قال وأهل الشام يسمون القرية كفر[5] وليست بعربية وأحسبها سريانية معربة وفى الحديث عن أبى هريرة أنه قال ليخرجنكم الروم منها كفرًا كفرًا ورد عن معاوية أنه قال أهل الكفور هم أهل القبور قال بعضهم يعنى بالكفور القرى النائية عن الأمصار ومجتمع أهل العلم فالجهل

---

(١) غرائب اللغة العربية ٢٠٤.

(٢) دفع الإصر ٨٩ ب ٢٠.

(٣) قاموس لاتينى عربى ٣/ ٤٩٢.

(٤) السفر الأول ١٢٩.

(٥) المعرب ٣٣٤.

عليهم أغلب وهم إلى البدع والأهواء المضلة أسرع[١] ويؤكد أصلها السريانى رفائيل فى قوله: "كفر : ضيعة . ܟܦܪܐ kafro . [٢] فهى سريانية.

الكور:

وفى المنامات "وصاحب الكور والدور"[٣].

كورة كلمة يونانية "كورة فى اليونانية chora معناها بلاد وهى مأخوذة من قرية العبرانية بمعنى بلاد ثم انتقلت إلى السريانية "كورا" وإلى العربية بمعنى قرية[٤] ورغم تنقلها بين تلك اللغات إلا أنها يونانية فى الأصل "كورة ناحية من البلد ... "chora[٥].

الكيموس:

فى المنامات "وتبلد الحس وعمى النظر وانقلاب الكيموس"[٦].

كلمة يونانية "كيموس طعام مهضوم فى المعدة قبل أن يصير دمًا ... وعصير ولاسيما عصير اللحم[٧] وقيل الكيموس الخلط سريانية"[٨] والحق أنها يونانية.

حرف اللام

اللاهوت:

فى تاريخ البطاركة فى لاهوته المرء بناسوته البرى[٩].

---

(١) غرائب اللغة العربية ٢٠٤.
(٢) المرجع السابق ٢٠٤
(٣) المنامات ٩٥.
(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة ٩٥.
(٥) غرائب اللغة العربية ٢٦٨.
(٦) المنامات ٧٨.
(٧) غرائب اللغة العربية ٢٦٨.
(٨) القاموس المحيط ٢/٢٤٤.
(٩) تاريخ البطاركة ١/١٠٨.

واللاهوت والناسوت قال الواحدى لغة عبرانية يقولون لله لاهوت وللإنسان ناسوت وقد تكلمت به العرب قديمًا"[١] وقد ذكر قاموس الفارسية أنهما فارسيتان، لاهوت: الهى ومنها علم لاهوت أى العلم الذى يبحث فى العقائد والألوهية ومعرفة الله[٢] وقيل أنهما

سريانيتان " . [illegible] . [٣] وأعتقد أنها كذلك، فتكون اللغة السريانية هى الأصل ثم صارت إلى باقى اللغات.

اللجام:

فى تاريخ أبى صلح "يعملون اللجم"[٤].

وهى كلمة فارسية واللجام: معرب لكام أو لطام وقيل عربية"[٥] وفى المعرب اللجام معروف وذكر قوم أنه عربى وقال آخرون بل هو معرب ويقال أنه بالفارسية لغام[٦] وفى قاموس الفارسية "لجام ـ اللجام"[٧] ويقول رفائيل: إنها فارسية لكام .Ligam

حرف الميم

مخدة:

وفى أخبار سيبويه "تراموا بالمخاد فأخذ سيبويه مخدتين.. يترامون بحضرته بالمخاد"[٨].

---

(١) شفاء الغليل ٢٣١.

(٢) قاموس الفارسية ٥٨٨.

(٣) غرائب اللغة العربية ٢٠٤.

(٤) تاريخ أبى صلح ١١٦.

(٥) شفاء الغليل ٢٣٢.

(٦) المعرب ٣٣٤.

(٧) قاموس الفارسية ٥٩٠.

(٨) أخبار سيبويه ٣٦.

وفى القاموس المخاد بالتحريك المعونة[١] وفى قاموس الفارسية مخدة وسادة[٢] والحق أنها عربية وهى اسم آلة يوضع عليها الخد وفى لحن العامة للزبيدى وكذلك يقولون مخدة للتى توضع تحت الخد قال محمد والصواب مخدة بالكسر وهى أعظم من المصدغة"[٣]. فهى عربية انتقلت إلى الفارسية.

المحرقة:

وفى أخبار سيبويه "سمعت سيبويه يقول الدنيا مبنية على التمويه والمحرقة"[٤].

والمحركة: اللعب والمزاح مولدة وقال ابن جنى فى سر الصناعة فى وزن مفعل، وقالوا مرحبك الله ومسهلك وقالوا محرق الرحل وضعفها ابن كيسان انتهى، ومنه يعلم أنها صحيحة ضعيفة وبه ورد ما فى القاموس وأصل اشتقاقها من المحراق وهو منديل يلعب به وأطلق على السيف تشبيهًا به وهو تحقيق لطيف[٥]. وفى القاموس الفارسى رجل حسن الهيئة سخى كريم يطلق الكلمة أيضًا على شىء يشبه السوط يربطه الأطفال بقطعة من القماش ويضربون به بعضهم أثناء اللعب[٦]. فهى فارسية.

مـدة:

فى المجموع الصفوى" فإذا كان الجرح عظيمًا وامتلأ مدة فنظفه"[٧].

المدّة: قيل إنها قبطية "مدَّة nonthon موتم موتم.. قيح صديد وبعضهم يلفظها مددة فى قولهم والمودة ضربت فى كل جسمه[٨] وقيل إنها فارسية "مد

(١) القاموس المحيط ١/٣٣٤.

(٢) قاموس الفارسية ٦٣٣.

(٣) لحن العامة: للزبيدى، يحقيق عبد العزيز مطر، دار المعارف القاهرة ١٩٨١م ١٥٨.

(٤) أخبار سيبويه ٣٨.

(٥) شفاء الغليل ٢٣٦.

(٦) قاموس الفارسية ٢٣٤.

(٧) المجموع الصفوى.

(٨) مجموع الألفاظ القبطية المتداولة ٢٢.

التمدد والاسترخاء البسط السبل ارتفاع الماء فى البحر ضد الجزر[١] وأحسبها مولدة من الفعل مد.

مربى:

فى المنامات "وأوقيتين من ورد مربا اللقا"[٢]

مربى كلمة مولدة قال صاحب الإصر "يقولون مربى للزنجبيل وغيره وهو صحيح زنجبيل مربى[٣] وفى المعجم الوسيط (المربى ما يعقد بالسكر أو العسل من الفواكه ونحوها جمع مربيات مولدة[٤] وأحسبها مولدة رغم ما ورد فى قاموس الفارسية" مربى (مربا) شخص ربى تربية صحيحة، المربى مصنوعة من الفواكه[٥] ولكنها عربية انتقلت إلى الفارسية.

أمرد:

فى المنامات "ومنزله مأهولاً بالولدان معموراً بالقحاب والمردان"[٦]

قال ابن فارس "يدل على بدرة الشىء من قشرة أو ما يعلوه من شعر الأمرد: الشاب لم تبد لحيته[٧] وفى دفع الإصر يقولون: مردان الغزل رمح ردينى والصواب فى مردن كسر الميم لا فتحها[٨] وهنا نرى أن أمرد الشاب الذى لم تبدو لحيته. وهى عربية.

---

(١) قاموس الفارسية ٦٣٤.

(٢) المنامات ١٥١.

(٣) دفع الإصر ٩/ هامش.

(٤) المعجم الوسيط ١/٣٢٦.

(٥) قاموس الفارسية ٦٤٠.

(٦) المنامات ١٤٤.

(٧) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٣١٧.

(٨) دفع الإصر ١١٤/ ٦.

مركوب:

فى تاريخ أبى صلح " وبمركوب مليح غاية"[1]

المركوب: كلمة مولدة "وهو كل ما يركب ومنه قيل لنوع من الأحذية مركوب محدثة جمع مراكيب "وقيل فارسية"[2] مركوب كل ما يركبه الإنسان من الحيوان[3] وأحسب أنها انتقلت من العربية إلى الفارسية فأصلها عربى ركب.

مزورة:

فى المنامات "مزورة يقطين"[4].

مزورة قيل مولدة وقيل فارسية "مزورة بوزن المفعول مرقة يطعمها المريض، مولدة،وقال الفقهاء فى الإيمان هى ما يطبخ من الأدهان قال كشاجم:

لو حـــول اللــه فعلـه غنمـــا ما طمع الناس منـه فـى صـوفة

بمعنى أن نسبة مزورة لا أصل لها وهذا من أبيات المعانى"[5] ولكن الحقيقة أنها فارسية "مزورة كذب مزور طعام بدون لحم ودهن"[6] ولا يخلو هذا من التأثير العربى فهى كلمة زور العربية أطلقها الفرس على الطعام الخالى من اللحم أو الدهن، ولكن أصلها فارسى استعارها العرب من اسم هذا الطعام وأطلقوها على كل كذب وطوعوها لقواعد لغتهم ومقاييسها، فأصبحت كالعربية.

مشوش:

فى المنامات "القاضى صدر الدين مشوش الخاطر بما قد فعلتموه فيه"[7].

---

(١) تاريخ أبى صلح ١٢٥.

(٢) المعجم الوسيط ٣٦٨/١.

(٣) قاموس الفارسية: ٦٤٤

(٤) المنامات: ١٥١.

(٥) شفاء الغليل: ٢٤٢.

(٦) قاموس الفارسية: ٦٤٧.

(٧) المنامات: ١٨٩.

مشوش عليه الأمر تشويشًا، خلطه عليه فتشوش، قاله الفارابى وتبعه الجوهرى وقال بعض الحذاق هى كلمة مولدة والفصيح (هوشت) وقال ابن الأنبارى قال أئمة اللغة إنما يقال هوشت وتبعه الأزهرى[1] وفى القاموس المحيط "المشوش والتشويش كلها لحن ووهم الجوهرى والصواب التهويش والمهوش والتهويش"[2] والصحيح أنها عربية مولدة من الفعل شوش "شوشه خلطه وأساء تربيته، ويقال شوش بينهم: فرق وأفسد وعبارة الجوهرى التشويش التخليط، وقيل التشويش من كلام المولدين وأصله التهويش"[3].

مكبة:

فى المنامات "ورجع بعد ساعة فوجد فيه المكابيب لرفخة"[4]

مكبة بفتح الميم والكاف وتشديد الباء الموحدة غطاء معروف ويغطى به أوانى الطعام، وهو متداول بين الناس واستعمله أبو بكر الخوارزمى فى رسائله فى قوله: لو أنصفت الحال لحملت إلى منزله العالم بين طبق ومكبة والفلك بين دنيا وآخرة، ولكنى نزلت على حكم طاقتى وانتهت إلى غاية جودى لو كنت أهدى على قدرى وقدركم لكنت أهدى لك الدنيا وما فيها"[5] فهى عامية مولدة.

الملوخية:

فى أخبار الدول المنقطعة" فتَّال كثير التنقل قتل الناس على أكلهم الملوخية"[6].

الملوخية نوع من البقول يعمل منه طعام معروف بمصر وهى باردة لزجة يضر الإكثار منها بالمرطوبين، وأصحاب البلغم، وفى مطالع البدور وكتاب الأطعمة أنها

---

(١) المصباح المنير: ٣٢٧.

(٢) القاموس المحيط: ٢/ ٣٧٤.

(٣) المعجم الوسيط: ١/ ٥٠٢.

(٤) المنامات: ١٣٤ .

(٥) شفاء الغليل: ٢٤٦

(٦) أخبار الدول المنقطعة:٤٣ .

نوع من الخطمى، ولم تكن معروفة قديمًا وحدثت بعد سنة ثلثمائة وستين من الهجرة، وسببها أن المعز بانى القاهرة لما دخل مصر لم يوافقه هواؤها، وأصابه يبس فى مزاجه فدبر له الأطباء قانونًا من العلاج منه هذا الغذاء؛ فوجد له نفعًا عظيمًا وسموها ملوكية، فحرفها العامة وقالوا ملوخيا"[1] فهى من الكلمات التى ظهرت فى العصر الفاطمى.

مواخير:

فى المنامات "قضب الدساكر مقدم الخرابات رئيس المواخير فخر البدور[2].

المواخير جمع ماخور بيوت الخمارين وهو تعريب ميخور وقال ثعلب قيل له ذلك لتردد الناس من مخرت السفينة الماء فهو عربى محض كذا فى الفائق[3] وفى القاموس الماخور بيت الريبة ومن يلى ذلك البيت ويقود إليه معرب مى خور أو عربية من مخرت السفينة لتردد الناس إليه جمع مواخر مواخير[4].

ميضة:

فى المنامات "وعاقبك بالحريق وجعل الميضة على أبوابه[5].

والميضأة بكسر الميم والقصر وقد تمد، مطهرة كبيرة يتوضأ منها ووزنها مفعلة ومفعالة وميمها زائدة قاله السيوطى وشرح السنن والعامة تقول ميضة"[6] وهى مولدة يقول الزبيدى عنها " يقولون للمطهرة ميضة وبعضهم يقول: ميضأة قال محمد والصواب ميضأة بالهمزة والجمع مواضئ وأصل الياء فى ميضأة واوًا إنما انقلبت لانكسار الميم وهى مفعلة من الوضوء، والوضوء: الطهارة للصلاة وأصله

---

(١) شفاء الغليل: ٢٥٦.

(٢) المنامات ١٤٤.

(٣) شفاء الغليل ٣٥٨.

(٤) القاموس المحيط ٢/ ١٣٠.

(٥) المنامات ٦٩.

(٦) شفاء الغليل ٢٥٧.

من الوضاءة، ويقال الوضوء الماء نفسه والوضوء بالضم فعل متوضئ والعامة يجمعون الميضأة على ميض والصواب ما قدمناه[1].

حرف النون

الناسوت:

فى تاريخ بطاركة الكنيسة "فى لاهوته المرء بناسوته البرى[2].

وذكر الخفاجى أنها عبرية فقال " لاهوت وناسوت قال الواحدى لغة عبرانية يقولون لله لاهوت وللإنسان ناسوت وتكلمت به العرب قديمًا[3] والحق أنها سريانية لا عبرية وقد ذكرها رفائيل نخلة من بين الكلمات السريانية المعربة " ناسوت طبيعة المسيح البشرية . إنّـمه nochoûto . [4] فهى سريانية لا عبرية وقد ذكرت فى القاموس الفارسى الأنجليزى أنها طبيعة النوع البشرى[5].

ناقوس:

المنامات: "يقوم عليها الأجراس والنواقيس"[6].

الناقوس آرامى ناقوشًا معناه مضوب مشتق من نقش أى ضرب وفزع ودق وهو اسم لخشبة ثم حديدة ثم لطاس من نحاس يقرع لأوقات الصلاة فى الكنائس وهى سريانية أى متطورة عن الآرامية، يقول رفائيل نخلة ناقوس قطعة طويلة من خشب أو حديد كانوا يضربونها لدعوة النصارى إلى الكنائس، واستعملت بمعنى جرس صغير ؛ من نقش nqach : [7]. والغريب أن يجعلها صاحب القاموس

(١) لحن العامة: للزبيدى: ١٤٦.

(٢) تاريخ البطاركة ١٠٨/١.

(٣) شفاء الغليل ٢٣١.

(٤) غرائب اللغة العربية ٢٠٧.

(٥) قاموس فارسى إنجليزى ٢١٧٣.

(٦) المنامات ٦٢.

(٧) غرائب اللغة العربية: ٢٠٨.

الفارسى فارسية، فيقول "ناقوس: الجرس الكبير"[١] والحق أنها سريانية انتقلت إلى الفارسية وليس العكس.

ناطور:

فى المنامات: " ناطور ستان"[٢].

فى البرديات: " ومنها ما دفع إلى نواطر القصب[٣].

فى المعرب الناطور حافظ النخل والشجر وقد تكلمت به العرب وقال أبو حاتم الأصمعى هو الناطور والنبط تجعل الظاء طاء ألا تراهم يقولون برطلة وإنما هو ابن الظل وسموا الناظور ناطورًا لأنه ينظر[٤] وهى سريانية ناطور حارس الكرم أو نحوه ܢܳܛܽܘܪܳܐ notoûro حارس "[٥]، وقال صاحب قاموس الفارسية أنه فارسى "ناطور: حارس البستانى"[٦]، وفى قاموس الفارسية الإنجليزية "أنه حارس المزرعة أو الشخص الذى يهتم بالشىء المهم"[٧].

الناموس:

فى تاريخ البطاركة وبدايتهم الناموس القانونى[٨].

ناموس يونانية NAMOS معناه عادة وشريعة وسنة[٩] وبهذا القول قال رفائيل نخلة إنها يونانية "ناموس شريعة" NAMOS[١٠] وقيل إنها فارسية ناموس

---

(١) قاموس الفارسية: ٧٢٢.

(٢) المنامات ١٦٨.

(٣) البرديات العربية ٤٠.

(٤) المعرب ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) غرائب اللغة العربية ٢٠٨.

(٦) قاموس الفارسية: ٧٢٢.

(٧) قاموس فارسى انجليزى: ١٣٧٤.

(٨) تاريخ البطاركة٢/١٧.

(٩) تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٢.

(١٠) غرائب اللغة العربية ٢٧٠.

الشرف العظمة العفة الناموس السر، صاحب السر والخبير المطلع على بواطن الأمور، كمين الصيد، ناموس أكبر جبرائيل عليه السلام[1] والحق أنها يونانية، وقد وردت فى اللاتينية " Culex Domuir iet graec: ناموس"[2].

النكاريش:

فى المنامات: "النكاريش فمن نتف شعره"[3]

النكريش بمعنى ملتحى معرب فيك ريش أى جيد اللحية، مولد قال البديع:

قـال قـوم عشقـته أمـرد الخـد وقـد قيـل أنـه نكـريش

قلت فراخ الطاووس أحسن ما كا (م) ن إذا مـا عـلا علـيه الريـش[4]

فى القاموس الفارسية كتابة بالزيت أو رسم صورة ذهنية مزخرفة[5] وفى معجم الفارسية نكارش كتابة[6].

النواتية:

فى البرديات "يا با حفص لو رأيت الناس فيه عندنا اليوم من التخليط السفرة يؤخذ النواتية وغير النواتية وكل من قدروا عليه[7].

النواتى يونانية قال طوبيا العنيسى"نوتى يونانى NAUTIKOS معناه سفن فيه إلى NONS سقينة مرادفة الملاح والهجرى[8] وفى غرائب اللغة العربية أنها يونانية "نوتى...naftis"[9] فهى كلمة يونانية الأصل.ويقول فى دفع الإصر

---

(١) قاموس الفارسية ٧٢٤.

(٢) قاموس عربى لاتينى: ٤/ ٢٢٧.

(٣) المنامات ١٧٩.

(٤) شفاء الغليل ٢٥٨.

(٥) قاموس فارسى إنجليزى ١٤٢٣.

(٦) معجم فارسى ٤٧٦.

(٧) البرديات السفر الثالث ٢٤.

(٨) تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٤.

(٩) غرائب اللغة العربية: ٢٧١.

"ويقولون النواتية وإنما قال النواتى الملاحون[١] وفى قاموس لاتينى "Nauta Kam,pj نواتى PL نونى"[٢].

حرف الهاء

هميان:

فى المنامات "حتى دخلت السوق بالهميان المسوق"[٣].

الهميان فارسية قال طوبيا العنيسى "هميان ـ فى الفارسية هميان معناه كيس الدراهم وكان الناس قديمًا يتمنطقون به[٤] وفى المعرب "الهميان معرب فارسى وقد سمت العرب هميان وهو هميان بن قحافة السعدى أحد الرجاز[٥] وكذا فى دفع الإصر ص ١٣/١٢ وفى لف القماط ص ٤٧ . وفى القاموس الفارسى "هميان كيس النقود الكيس الطويل الذى يضعون فيه النقود ويربطون فيه النقوط ويربطونه فى الوسط[٦] وفى غرائب اللغة العربية هى فارسية "هميان جزوان يشيد على وسط الجسم هميان[٧] إذًا فهى فارسية.

هندس:

فى تاريخ أبى صلح "الذى هندس صور القاهرة... فحكم فى البنا والهندسة فى وضع العمارة[٨].

وهندس كلمة فارسية قال فى المعرب "المهندس الذى يقدر مجارى القنى حيث يحفر فهو مشتق من الهنداز وهى فارسية فصيرت الزاى سينًا، لأنه ليس فى

(١) دفع الإصر ١٣١/ ٢٠.
(٢) قاموس لاتينى عربى: ٤/ ٢٤٩.
(٣) المنامات ٩٩.
(٤) تفسير الألفاظ الدخيلة.
(٥) المعرب ٣٩٤.
(٦) قاموس الفارسية ٨١٣.
(٧) غرائب اللغة العربية ٢٤٢.
(٨) تاريخ أبى صلح ٦٥، ٦٧.

كلام العرب زاى بعد دال، والاسم الهندسة[1] وقيل "هندس معرب هنداز، وهو مقدر قنى الماء وليس فى كلام العرب زاى بعد دال"[2] وقال طوبيا العنيسى "هنداز فارس أنداز معناه بمعنى مقياس ومنه هندس أى قدر وقاس[3] وفى قاموس الفارسية "هندس القياس، تخطيط الأرض والمزارع والأبنية، العلم الذى يبحث فى الأشكال والأبعاد والقياسات[4] وكذا فى غرائب اللغة العربية ص ٢٤٨ ولف القماط ٤٤ كل هذه المراجع مجمعة على أنها كلمة فارسية وهو الصواب.

حرف الواو

ويبة:

فى البرديات "وتركتنا وأنت تعلم شدة حاجتنا إلى ويبة واحدة قمح[5].

والويبة سدس أردب أو كيلتين: oueipi أو... grains nesurede فى قولهم كل شهر ويبة ولا تكفيش[6] ويرى أنها قبطية.

حرف الياء

اليرقان:

فى المنامات "حتى كدنا نقع فى علة اليرقان"[7].

واليرقان قيل فى أصلها أقوال منها أنها "يونانى Ikteros معناه مرض الصفراء وهو يسبب اصفرار الجلد[8] وقيل سريانية " يرقان مرض معروف يسبب اصفرار الجلد. [illegible] yarqono اصفرار الوجه، المرض المذكور من : yireq [illegible]

(١) المعرب ٤٠٠.
(٢) شفاء الغليل ٢٦٩.
(٣) تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٥.
(٤) قاموس الفارسية ٨١٤.
(٥) السفر الخامس ٤١ بردية ٢٩٧.
(٦) مجموع الألفاظ القبطية المتداولة ٢٦.
(٧) المنامات ١٦٨.
(٨) تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٧.

اصفر وجهه أصيب باليرقان[1] وقيل إنها فارسية "يرقان الصفر، مريض اليرقان الناتج عن مرض يصيب الكبير ويؤدى إلى اختلال عملها وظهور الصفراء فى الدم[2].

ومن هذا نرى أن مفردات اللهجة المصرية فى العصر الفاطمى مكونة من مجموعة من لغات مختلفة هى:

١ ـ اللغة العربية بلهجاتها المختلفة التى شاعت فى هذا المجتمع وتمثل الأغلبية.

٢ ـ ما أبدعته قرائحهم وملكاتهم اللغوية من كلمات مولدة ذات أصول عربية.

٣ ـ كلمات ترجع إلى لغتهم القبطية وهى تمثل كثيرًا من مفرداتهم.

٤ ـ كلمات ترجع إلى لغات مستعمريهم من اليونان والرومان والفرس فى صورة كلمات ذات أصول لاتينية ويونانية وفارسية.

٥ ـ كلمات ترجع إلى نزلائهم من السريان الذين حلوا على مصر هربًا بدينهم أو اليهود الذين حلوا مصر ورحلوا مع موسى وتركوا كثيرًا من الكلمات العبرية.

كل هذا المزيج كوّن لنا مفردات هذا العصر بأصولها المختلفة.

وقد أشار إلى تأثير اللغات الوافدة على عربية مصر فى مفرداتها الدكتور أحمد مختار عمر فى قوله "وجدت عوامل أخرى كان لها تأثير على عربية مصر، وتتمثل فى:

* عامل السهولة والتيسير وتوفير الجهد.

* عامل اللامبالاة.

* عامل الاقتراض من اللغات الأخرى غير القبطية واليونانية، مثل اللاتينية والفارسية والتركية[3].

كل هذه اللغات وغيرها تمثل كم المفردات الدخيلة فى لغة أهل مصر فى ذلك العصر موضوع البحث.

---

(١) غرائب اللغة العربية ٢١٠.

(٢) قاموس الفارسية ٨٣٠.

(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر.

الفصل الثالث

الرسم

ومن الأهمية بمكان أن نتحدث عن الرسم لدى العامة فى العصر الفاطمى وذلك لما للرسم من آثار على اللغة فالرسم سبب من أسباب التصحيف والتحريف فى اللغة. وأيضًا ما لاحظناه من اختلاف فى طريقة الرسم فى هذا العصر بين العامة والمثقفين وأيضًا من كاتب إلى كاتب وهذا الأمر يحتاج منا إلى وقفة بل إلى أن نخصص له جزءًا من بحثنا.

والرسم يمثل حالة الأمة فى النطق باللغة عند وضعها هذا الرسم فإن تغير النطق بقى الرسم كدليل على النطق القديم[1] ويصبح الرسم قاعدة معروفة، ومحفوظة فى أذهان أبناء هذه اللغة يسيرون عليه وإن بعد النطق عنها، يقول فندريس "إننا لا نكتب كما نتكلم، بل نكتب كما يكتب غيرنا، أن نشعر بمجرد وضع أيدينا على القلم بالتزام قواعد واصطلاحات خاصة لها مجالها وأهميتها المتفردة[2].

وهذا الاختلاف راجع كما ذكرنا إلى حركة اللغة المنطوقة وثبات لغة الكتابة، فالرسم لا يساير دائمًا حركة اللغة، إذ تحميه قوة التقاليد التى تسندها المدرسة والآداب واجتماع المثقفين وأن الكتابة بطبيعتها محافظة "فالثبات ضرورة للغة المكتوبة لأنها تعتبر لغة مثالية حددت معالمها نهائيًا، ولا يمكن المساس بها إلا بعد فوات الأوان، فمهما عانينا بجعل هذا الكساء مرنًا مطابقًا لحنايا الجسم، فلن نستطيع مطلقًا أن نخضعه لنزوات الطبيعة وأن نجعله ينمو بنمو الجسم لأنه ميت

---

(١) من محاضرة للدكتور رمضان عبد التواب بآداب عين شمس.

(٢) اللغة ٤٠٥ ـ ٤١٦.

يغطى كائنًا حيًا[1] ولكن الكتابة لها الأهمية الكبرى فى اللغة يقول دى سوسير "فالكتابة مع أنها لا تمت بصلة إلى النظام الداخلى للغة تستخدم كثيرًا لتمثيل اللغة أو التعبير عنها إذن لا يمكن إهمال الكتابة بل يجب أن نلم بفوائدها وعيوبها ومخاطرها[2].

وإذا كان هذا قد حدث فى كل اللغات المكتوبة فإن جهود علماء اللغة العربية كانت العون على حل هذه المشكلة منذ أمد بعيد، فقد "قاوم النحاة العرب مشكلة التصحيف والتحريف التى انعكس تأثيرها على النطق بتغيير معانى الكلمات وصيغها وأحيانًا قليلة إعرابها وسلكوا فى اجتهادهم حول هذه المشكلة طريقًا طويلاً بدأ أولاً بمحاولة ضبط الرسم العربى بالنقط والشكل[3].

وهذه المحاولة فى ضبط الرسم تعددت وكثرت من عصر إلى عصر ومن طبقة لغوية إلى طبقة أخرى منذ محاولة إعجام الحروف بالنقط، ثم ضبطها بالشكل وبابتكار الحركات الجديدة التى تستخدم فى ضبط الشكل ثم تحويل الأصوات الناتجة من الحركات الطويلة التى كانت مهملة فيما قبل فأصبحت الواو تشير إلى الضمة الطويلة، إلى جانب كونها صوت صامت، وكذلك الياء التى تشير إلى الكسرة الطويلة إلى جانب كونها صوت صائت، أما الألف فهى تشير دائما إلى الفتحة الطويلة.

كل هذه الاصطلاحات فى الرسم التى أحدثها علماء اللغة ما هى إلا محاولة لجعل الرسم يواكب حركة تطور النطق الدائم فى اللغة، ولكن رغم هذه الجهود الكبيرة لعلماء اللغة فلم ينجح العلماء فى حل هذه المشكلة تماما.

والكاتب يقع بين مشاكل فى الرسم وهى:

١ ـ عدم مواكبة الرسم لتطور النطق: وذلك لتطور النطق الدائم وثبات الرسم فكل محاولة من علماء اللغة فى ابتكار حل لهذه المشكلة يبتلعها هذا التطور،

---

(١) المظاهر الطارئة على الفصحى ٧٨.

(٢) علم اللغة العام: دى سوسير ترجمة يوائيل يوسف عزيز، بيت الموصل ١٩٨٨م،٤٢.

(٣) المظاهر الطارئة على الفصحى ٧٦.

فيضيع عليهم نشوة النجاح. وقد أشار دى سوسير إلى هذا التطور المستمر للنطق دون الكتابة فى قوله "الأسباب التى تؤدى إلى عدم الانسجام بين الكتابة واللفظ.

أولاً: إن اللغة فى تطور مستمر، أما الكتابة فتجنح نحو الاستقرار، وقد تبلغ هذه العملية مرحلة تبتعد معها الكتابة عن الأصوات التى ينبغى أن تعبر عنها فالحروف التى تمتاز بالدقة فى مرحلة معينة تغدو غير منطقية بعد قرن من ذلك[1] ثم يشير إلى جهود العلماء فى ذلك وكيفية صياغتها بقوله: "وقد يغير الناس رموز الكتابة لتطابق التغيير فى اللفظ ولكنهم يتخلون عن هذه المحاولات بعد فترة من الزمن، وهذا ما حدث فى الفرنسية فى حالة: كما هو مبين فيما يأتى:

القرن	اللفظ	الكتابة
١- القرن الحادى عشر	1- rei , lei	rei,lei
٢ ـ القرن الثالث عشر	2- roi, loi	roi,lei
٣ ـ القرن الرابع عشر	3 - roe, loe	roi,loi
٤ ـ القرن التاسع عشر	4 - rwa, law	roi,loi

لقد سجلت التغيرات حتى الفترة الثانية ونسقت كل خطوة فى تاريخ اللغة مع الخطوة التى تقابلها فى تاريخ الكتابة، ثم بقى الشكل المكتوب للكلمة على حاله بعد القرن الرابع عشر فى حين استمر تطور اللغة، ومنذ ذلك الحين ازدادت الفجوة بين اللغة ونظام الكتابة، وأدى أسلوب الجمع بين العناصر المختلفة إلى ظهور انعكاس له فى نظام الكتابة نفسه وأصبح للرمز المركب قيمة جديدة لا علاقة لها ب o أو i [2]

(١) علم اللغة العام ٤٦.

(٢) علم اللغة العام ٤٦.

٢ ـ المراحل الانتقالية فى الرسم: إن ما يحدثه علماء اللغة من حلول قد يسبب مشكلات فى الرسم ما بين سائر على المنهج القديم فى الرسم، وتارك له عن جهل أو تكبر أو استعلاء، وهذا غالبًا ما يكون فى فترة محدودة تعرف بالمرحلة الانتقالية من الرسم القديم إلى الرسم الجديد، وهذه الفترة لا تنتهى فى عام أو عامين بل قد تمتد إلى أجيال، ومع ذلك فهى تسمى مرحلة انتقالية بالنظر إلى حياة اللغة نفسها، فهى حياة شعب كامل.

٣ ـ قضية الجهل بقواعد اللغة: فعدم الإلمام بقواعد اللغة فى الرسم ويضاف إليها قواعد النحو مما يجعل الكاتب فى الغالب يتغاضى عنها أو عن بعضها خاصة إذا كان من غير المشتغلين بتلك الصناعة التى تحتاج إلى خبرة فى الكتابة والقراءة. فيرسم ما ينطق كما هو بدون مراعاة لقواعد الرسم، أو النحو، وهذا الجانب مع عيبه الشديد إلا أنه سجل لنا ـ بطريقة غير مقصودة ـ اللغة المنطوقة لتلك العصور، التى حجبها عنا الرسم الصحيح للغة، والذى أضاع على علماء اللغة المحدثين فرصة دراسة اللغة المنطوقة فى العصور السابقة بين العامة.

٤ ـ الاقتباس: عند الاحتكاك بين اللغات قد تقتبس لغة من لغة أخرى حرفًا أو حرفين لا يكون هذا الحرف موجودًا فى تلك اللغة المستديرة فتبتكر حرفًا جديدًا تعبر به عن تلك الحروف المستعارة كما فعلت الحبشية إذ ابتكرت حروفا جديدة لتعبر عن أصوات جديدة لا توجد فى لغتها وهما T/Q هما للباء المهموسة (p فى اللاتينية) ويأتيان فى الكلمات الأجنبية فقط[1] وكما كتبت العربية تلك الباء المهموسة بثلاث نقاط أسفلها والفاء بثلاث نقاط فوقها لتقابل (v فى اللاتينية) أو قد تجعل هذا الصوت مركبًا من صوتين فى اللغة الثانية فتعبر عنها بحرفين من أصل اللغة، ويقول دى سوسير فى ذلك "وهناك سبب آخر لعدم الانسجام بين الكتابة واللفظ "أن اقتبست حروف كتابة من لغة أخرى فقد لا تكون هذه الحروف مناسبة للقيام بوظائفها الجديدة لذا ينبغى إيجاد وسيلة للتغلب على هذه الصعوبة (كاستخدام حرفين للدلالة على صوت واحد)[2].

(١) فى قواعد الساميات ٣٠٥.

(٢) علم اللغة العام ٤٦.

والشىء الأخير الذى لاحظناه على رسم هذا العصر فى أقلام العامة الذين كتبوا على البرديات بالقلم العربى والقبطى فى مصر، أنهم قد يزاوجون بين الرسم القديم للكلمة والرسم الجديد على بردية واحدة. وهذا الشىء له عدة تفسيرات أو احتمالات:

١ ـ أن يكون للبردية الواحدة أكثر من كاتب تناوبوا كتابتها.

٢ ـ ومن الممكن أن يكون الكاتب غير متابع لتطور قواعد الرسم فى اللغة أو غير متقن لها فهو يتردد بين الرسم القديم والجديد. ويشير الدكتور عبد العزيز الدالى إلى وجود هذه الاختلافات فى رسم ألبرديات فى العصر الفاطمى، "يختلف رسم بعض الألفاظ التى وردت فى نصوص الأوراق البردية عن الرسم الذى اصطلح على كتابتها به، ومنها ألفاظ رسمت كتابتها كما تنطق فى العامية المصرية المعاصرة[١].

ونذكر الآن أمثلة لما وجدناه من اختلاف فى الرسم فى المصادر العربية عن الرسم الذى اصطلح عليه. ولكن من غير إطالة:

١ ـ إهمال ألف المد فى وسط الكلمة:

وردت فى أخبار الدول المنقطعة "لها نحو مائة وثلثين سنة[٢] أى ثلاثين، وقوله أبو سليمن داوود " أى سليمان.

وفى أخبار سيبويه لابن زولاق ورد قوله "يقول أنا أروى لثلثمائة شاعر مجنون[٣] أى ثلاثمائة.وقوله "حج فى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة جماعة" أى ثلاثمائة.

وفى البرديات" ٤. وأخبرنى أبو عثمن أى عثمان و ١١ ـ وشهد عثمن[٤] أى عثمان.

---

(١) البرديات العربية ٢١٧.

(٢) أخبار الدول المنقطعة ٨، ١١.

(٣) أخبار سيبويه ١٦، ٤٤.

(٤) السفر الخامس ٣/ ٨٨ والسفر الأول ١٢٤/ ٥٢.

٢ ـ مد الألف المقصورة:

كما فى البرديات "كفا بالله شهيدًا[١] أى كفى، و"١٢ ـ المسما معها فيه بأذنها[٢] أى المسمى وغيرها من الأمثلة.

٢ ـ فتح التاء المربوطة:

"مثل ابنت = ابنة أو بنت ٣٨/٣، ١٣/٧ ـ ٥٢/ ٤، ٦.

رحمت الله ـ رحمة الله ٧١٦/ ١٦.

مسمات ـ مسماه ٣٨/ ١٦[٣] ٨-"وقبضت بلهيوا ابنت صمويل[٤] أى ابنة.

٤ ـ رسم بعض أسماء الإشارة فى وسطها ألف ممدودة:

ويقول فى السفر الثانى "من أحد من الناس كلهم فعلى ها ولى الناس المسمين فى هذا الكتاب تسليم جميع الثمن المفوض إليهم بسبب.. ولم يبق لها ولى البائعين المسمين" أى هؤلاء، وقوله "قبض هاولا النفر.. على هولا[٥] أى هؤلاء.

حقا إن أسماء الإشارة تنطق بعد ألف فى وسط الاسم ولكنهم اصطلحوا على عدم رسمها وقد وردت بالألف كما رأينا وهذا خلاف للرسم المقرر.

٥ ـ وضع ألف بعد الواو فى نهاية اللفظ:

قواعد الرسم ألا توضع ألف بعد الواو إلا إذا كانت واو الجماعة فى الفعل الماضى، أو المضارع المجزوم أو المنصوب، ولكن وضعت ألف بعد الواو فى آخر بعض الألفاظ خلافًا لهذه القاعدة وأضرب لذلك مثلاً فى اللفظين الآتيين:

ادفوا = ادفو ٤٥٩ / ١٢.

---

(١) . البرديات السفر الثانى ٨٩ بردية ٩٣ لوحة ١٢.
(٢) البرديات السفر الأول ١٠١ بردية ٤٥ لوحة ٥.
(٣) البرديات العربية ٢٢٠.
(٤) السفر الأول ١٦٧ برية ٦٠ لوحة ١٣.
(٥) السفر الثانى ١٠، ١٧ بردية ٧٤.

أرجوا = أرجو ٢٨٨/ ١٩ ـ ٢٨٩/ ٦ وفى موضوعين آخرين[1].

٦ ـ وصل بعض الألفاظ:

المتعارف عليه أن كل اسم، أو كلمة، أو حرف لابد أن يكتب مستقلاً عن باقى الكلمات ولكننا نجد هنا ربطًا للكلمات مع الحروف أو مع بعضها كما ورد فى البرديات قوله "دنانير ونصف وثلث من[2] أى ثلث ثمن.

وقوله "ونصفث من[3] أى نصف ثمن.

وقوله "هذا الكتاب وكتب بخطة[4] وكتب بخطة. وقوله وكتبفى شوال[5] أى كتب فى شوال.

وقوله "ثلثى ونصف ثمن الرطاب[6] أى ونصف ثمن الرطاب.

وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى جمعناها، واخترنا منها هذه النماذج. التى تؤكد حقيقة لغوية هامة هى قيود الرسم التى لا تواكب تطور النطق مما يجعل الكاتب يخرج عليها ويرسم ما ينطق ولو خالف هذا قواعد الرسم المعروفة، فالكتاب فى هذه المصادر غالبًا ما يكتب كما ينطق لا كما تعلم لقلة علمه وبساطته.

والحقيقة الثانية أن أهل مصر كانوا مقبلين على تعلم العربية وترك القبطية فى ذلك العصر ومازالوا حديثى عهد بعلم الخط العربى، وقواعده، فهم يكتبون بطريقة تلقائية تقوم على تدوين كل ما ينطقون به دون شعور باستقلالية الكلمات أو الحدود الفاصلة بينها، وأين تبدأ الكلمة وأين تنتهى، لأنه يكتب كما يسمع دون أن يجيد القراءة أولا ليعرف حدود الكلمات.

---

(١) البرديات العربية ٢٢٠.

(٢) السفر الثالث ١٧١ بردية ٩٦ لوحة ٢٠، ١٤٦بردية ١٩٠.

(٣) السفر الثالث ١٥٦ بردية ١٩٠.

(٤) السفر الثانى ١٨٢ بردية ١٣١/ ١٣٢، ١٢٢ بردية ١٢٢.

(٥)السفر الثانى ١٨٢ بردية ١٣١/ ١٣٢، ١٢٢ بردية ١٢٢.

(٦) السفر الرابع ١٩٠ بردية ٢٦٥.

الاختصارات الكتابية:

ونعرض الآن مشكلة هامة إذا تعرفنا عليها نستطيع قراءة وثائق البردى وربما تطرقت إلى كثير من كتابات هذا العصر. وهى الاختصارات الكتابية المستعملة فى هذا العصر، فهم كثيرًا ما يستعملون فى البرديات اختصارات تشير إلى كلمات كالرموز الرياضية فلابد من معرفة مقصدها لقراءة الوثائق وفهمها مثل:

واعن: اختصار وأدى عن.

وأب: اختصار: أردب.

ولب: اختصار وطالب

به: اختصار بتاريخه.

ولعل السبب فى وجود هذه الاختصارات هو حاجة المستندات الرسمية من بيع وشراء وإيصالات وحسابات مؤجلة وغيرها إلى اختصار فى الكتابة.

ويشير الدكتور عبد العزيز الدالى إلى اختصارات ورموز منها: د = درهم، ع = عشر، ق = ورق،يسيد = فذلك، أ. ر = أردب، وطا = وطالب، ذ الحجة = ذى الحجة، بعد لك = بعد ذلك[1].

جناية اللغة المكتوبة على اللغة المنطوقة:

ونعرض هنا لقضية مهمة من قضايا الخط العربى و هى جناية الخط على النطق ،ويتضح هذا فى حرف القاف الذى ينطقه العامة فى مصر همزة، ولكن يكتبونه قافًا، فلم نجد فيما بين أيدينا من نصوص اللهجة الفاطمية قافًا كتبت همزة، مما يجعلنا نقول بأنها كانت تنطق قافًا فى هذا العصر، وهذا ليس صحيحا فهذا التحول الصوتى من القاف إلى الهمزة فى نطق أمة كاملة هى مصر بكل مدنها وقراها ما كان ليتم بين عشية وضحاها، بل يحتاج ذلك إلى أجيال وعصور تاريخية طويلة، وقد ذكرت تفسيرًا لهذا فى باب الأصوات فى

(١) البرديات العربية ٢٢٢.

فصل التطور الصوتى التاريخى، ولكن ما أريد الإشارة إليه هنا هو أن ما حدث كان من آثار جناية اللغة المكتوبة على اللغة المنطوقة فى قضية نطق القاف وكتابتها همزة، ونستطيع تتبعها تاريخيًا لهذا السبب.

ومثل هذا ما حدث فى الأصوات اللينة التى تنطق ولا تكتب فى (هذا وإخوتها) و(لكن) و(الرحمن) وغيرها.

الفصل الرابع

التصحيف والتحريف

من الآفات التى منيت بها العربية فى رسمها تلك التى تشوه ما تتناقله الأجيال من آثار علمية فتبدل وتغير وتحرف فيها.

فالتصحيف هو: "تغيير فقط الحروف المماثلة فى الشكل، كالباء والتاء والثاء والنون والياء، والجيم والحاء والخاء والدال والذال، والراء والزاى والشين والسين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف[1].

يؤكد هذا التعريف الخليل الصفدى للتصحيف فيما ذكره صاحب التصحيف والتحريف بقوله "فأما معنى قولهم الصحفى والتصحيف فقد قال الخليل إن الصحفى الذى يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشباه الحروف[2].

فهذا النص يجعل كل تغير فى الكلام ينشأ من تشابه صور الخط تصحيفًا أما التحريف فهو "تغير فى شكل الحروف المتشابهة فى الرسم كالدال والراء والدال واللام والنون والزاى والميم والقاف وما إلى ذلك[3].

ويفرق العسكرى بين التصحيف والتحريف فيقول فى قول ابن أحمر الذى روى على هذا الوجه:

---

(١) مناهج تحقيق التراث: د رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م ص ١٢٤.

(٢) التصحيف والتحريف: لأبى أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكرى، مطبعة القاهرة بالظاهرة ١٩٠٨م ١٣٢٦ هـ . ص ١٣.

(٣) مناهج تحقيق التراث: ١٢٤.

فـلا تصـلى بمطـروق إذا مـا   سـرى بالقـوم أصبح مستكينا.

إنمـا هـو إذا مـا سـرى فى الحى "ثم يـقـول وهـذا من الـتـحـريف لا من التصحيف"[١].

وقد تحدث الدكتور محمد عيد عن العلاقة بين اللفظين فى قوله "والتصحيف والتحريف لفظتان بينهما صلة حميمة وتعود الصلة بينهما - مع التجاوز عما فيهما من جناس لفظى - إلى أن مجال البحث فيهما - كما فهمه المتقدمون من العلماء واحد، هو البحث عن الخطأ الذى يحدث فى نطق الكلمة العربية نتيجة الخطأ الإملائى فى قراءة الحروف المكتوبة، سواء أكان الخطأ فى نقط الحروف أم شكلها أم تبادلها الأمكنة.

"فالتصحيف والتحريف مظهران للخطأ فى قراءة المكتوب، ويترتب على ذلك نطق كلمة جديدة قد تكون صحيحة لغة ومعنى، لكنها غير الكلمة التى قصدها صاحبها حين نطق بكلامه[٢].

ولكن رغم ترابطهما أو أنهما يردان فى موقف واحد هو الخطأ فى القراءة إلا أن كلاً منهما يختلف عن الآخر فى مهمته فى اتجاه القراءة الصحيحة للعربية "وأول من فطن من القدماء إلى التفرقة بين الكلمتين هو: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى (المتوفى سنة ٣٨٢هـ) الذى ألف كتابًا بعنوان "شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف" وأطلق كلمة التصحيف على ما أصابه التغيير بالنقط من الكلمات، مثل قارح وفارح (ص ٦٠) والربيد والرثيد (ص ٦٥) ويتيم ويثيم (ص ٧٢) وجانبها وجابتها (ص ١٤٤) والريلات والرتلات (ص ١٥١) كما أطلق كلمة التحريف على غير ذلك من التغييرات، مثل: سرى بالحى وسرى فى الحى وقال هنا بالحرف الواحد: وهذا من التحريف لا من التصحيف، (ص ٧٧)[٣].

---

(١) شرح ما يقع فى التصحيف والتحريف: لأبى أحمد العسكرى، القاهرة ١٩٦٣م، ٧٧.

(٢) المظاهر الطارئة على الفصحى ٥٠.

(٣) مناهج تحقيق التراث ١٢٤، ١٢٥.

ومن الذين فطنوا إلى الفرق بين التصحيف والتحريف ابن حجر فى شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر قال "إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط فى السياق، فإن ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرف[1].

ولقد أورد لنا أصحاب كتب التصحيف والتحريف كثيراً من الأمثلة لما صحف فيه الشعراء والعلماء قال ابن جنى "كان الأصمعى يعيب الحطيئة ويتعقبه[2] ثم ذكر بعض أمثلة يقول "ومن أغلاطهم ما يتعايبون به فى الألفاظ والمعانى من نحو قول ذى الرُمَّة: والجيد من أدْمَانة عَنُوِة.

وقوله[3]:

حتى إذا دومت فى الأرض راجعَهَ كِبْرٌ ولو شاءَ نَجَّى نَفْسَه الهربُ

الحطيئة:

وغررتَنِى وزعمت أنـ (م) ـكَ لابن فى الصيف تامر

فأنشده:

لاتنى بالصيف تامر أى تامر بإنزاله وإكرامه[4]

وغير ذلك من الأمثلة التى تدل على أن هذه الآفة لم يسلم منها حتى العلماء ولكن ما العلة فى شيوع ظاهرة التصحيف والتحريف؟! يرجع العلماء هذه الظاهرة لعوامل كثيرة. منها:

أولاً: ما وقع من النساخ:

وهو جنسان تعمدى واتفاقى "ومعنى هذا التقسيم واضح، فإن الناسخ ربما

---

(١) شرح نخبة الفكر:لابن حجر الخانجى ١٣٢٧ هـ القاهرة ص ٣٢.

(٢) الخصائص: لابن جنى، تحقيق محمد على النجار ط٣ الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٨م ص ٢٨٣.

(٣) المرجع السابق: ٢٨٤.

(٤) المرجع السابق: ٢٨٥.

يسهو ويغفل، فيكتب غير ما هو موجود، وربما يتقدم إلى الإيضاح، وإلى ما يظنه إصلاحًا، فيكتب لهذا غير ما هو موجود فى الأصل. وربما اشترك جنسان من هذا الخطأ فى موضع واحد، وذلك إذا كان الناسخ الأول قد سها فصار النص غير مفهوم، وجاء ناسخ ثان واجتهد فى إصلاح الخطأ، فإن وفق فلا ضرر، وإن لم يوفق كان ما كتبه أبعد عن الأصل كثيرًا[1].

ويقول الدكتور محمد عيد "ومع ذلك فقد عاون على إشاعة هذه الظاهرة وخطرها النساخ الذين يسمون (بالوراقين) أولئك الذين تنحصر جهودهم فى احتراف الوراقة لنسخ الكتب العلمية وبيعها للناس، ولم يكن النساخ والوراقين غالبًا على علم باللغة حتى يتمكنوا من التمييز بدقة بين كلمة وكلمة يعتمد التمييز بينهما على نقطة أو حركة أو تغيير أحد الحروف، وحينئذ يحدث الخلط بين ذلك فى الكتابة هذا نفسه معنى (التصحيف والتحريف)[2].

ثانيًا: اختلاف الخطوط:

فقد يكون الناسخ غير متمرس بتلك الخطوط "فلو كان الكتاب قد كتب أولاً بالكوفى، ثم نسخ بالخط النسخى، ثم بالمغربى، ثم أعيدت كتابته بالنسخى، ثم كتب بالفارسى أو الرقعة التركى، فلا نهاية لاحتمال وقوع التحريف فى مثل هذا الكتاب، وأكثر من ذلك يحدث عند النقل من خط لخط وعند النسخ من أصل قديم لأن الناسخ فى هذه الحالات لا يعرف خط الأصل معرفة كافية فى كثير من الأحيان[3].

ثالثًا: سوء القراءة:

وقد لا يحسن الشخص قراءة ما بين يديه من مخطوطة فيقع فى آفة التصحيف أو التحريف وينسخ هذا الشىء الذى يقرأه نسخًا خاطئًا كما جاء فى

---

(١) مناهج تحقيق التراث ١٢٦.

(٢) المظاهر الطارئة على الفصحى"٥٦.

(٣) مناهج تحقيق التراث ١٢٧.

سير النبلاء للذهبى فى ترجمة عبد الرازق بن همام، فى حديث روى عنه مصحفًا "النار جبار" قال الذهبى: أظنها تصحفت عليهم فإن النار تكتب النير على الإمالة بياء على هيئة البئر فوقع التصحيف وصواب نص هذا الحديث "البئر جبار" أى هدر إذا سقط إنسان فيها فهلك فدمه هدر، وتمام الحديث "المعدن جبار والبئر جبار والعجماء جبار"[١].

رابعًا: الخطأ فى الفهم:

قد يكون التصحيف ناتجًا عن خطأ فى الفهم أحيانًا، فمن ذلك ما ذكره الجاحظ من قوله "قال محمد بن سلام: قال يونس بن حبيب: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلم ما جاءنا عن رسول الله r فقد جاء فى حواشى نسخة من نسخ "البيان والتبيين عند هذا ما يأتى" هذا مما صحفه الجاحظ وأخطأ فيه لأن يونس إنما قال: عن البتى وهو عثمان البتى فلما لم يذكر عثمان البتى، التبس البتى فصحفه الجاحظ بالنبى، ثم جعل مكان النبى الرسول، وكان البتى من الفصحاء[٢] وكقول السيوطى "كحديث الزهرى عن سفيان الثورى وهو خطأ غريب فإن الزهرى أقدم كثيرًا من الثورى ولم يذكر أحد أنه روى عنه والصواب" كحديث أبى شهاب عن سفيان الثورى[٣].

خامسًا: الخطأ فى السماع:

فقد يكون التصحيف أو التحريف ناتجًا عن الخطأ فى السماع لا عن الخطأ فى القراءة كأن يملى المملى كلمة (ثابت) فيسمعها الكاتب فيكتبها (نابت) واحتجم فيسمعها الكاتب ويكتبها احتجب ومن هذا ما جاء فى قول الراجز:

كأن فى ريقه لما ابتسم   بلقاءةً فى الخيل عن طفل متيم

إنما هى بلقاء تنفى الخيل[٤].

---

(١) تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون الخانجى القاهرة ١٩٧٧م ص٦٧.

(٢) البيان والتبيين ٢/١٨.

(٣) تحقيق النصوص ٦٨.

(٤) تحقيق النصوص ونشرها ٦٧.

سادساً: وهم العلماء:

ويشترك فى هذه المسئولية أيضًا ـ على قلة ـ علماء اللغة أنفسهم فإن أحدهم قد يفهم الكلمة فهمًا خاصًا يسوقه السياق له، أو يسوغه هو لنفسه، ثم يقرؤها ويرويها كما فهم، وإن لم يتفق ذلك الفهم مع أصلها وما قصده منها صاحبها، ويترتب على ذلك أيضا حدوث التصحيف، ومما يؤيد ذلك عناية مؤلفات التصحيف والتحريف بإيراد تصحيفات العلماء فى قسم خاص بهم[1].

سادساً: الرسم:

ويعد الرسم الكتابى أعظم هذه الأسباب مسئولية عن الخطأ فى التحريف والتصحيف كما يقول حمزة الأصفهانى "الذى أبدع صورة حرف كتابة العرب لم يضعها على حكمة ولا احتاط لمن يجىء بعده، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورة واحدة وهى الباء والتاء والثاء والياء والنون" كمال وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرف صورة مباينة للأخرى.حتى يؤمن عليه التبديل"[2].

إن رسم الكتابة لا يتطابق دائما مع النطق، أو بعبارة أخرى أن صورة اللغة المنطوقة لا تتمثل فى الرسم، ويعود ذلك ـ كما يقول دى سوسير ـ إلى أن اللغة تتغير دائمًا باطراد، بينما تميل الكتابة إلى الثبات والمحافظة، فالكتابة اصطلاح عرفى عام لتسجيل النطق بطريقة ثابتة ولا تخضع للتغيير والتطور تبقى الصورة العرفية التى بدأت بها أولاً واقفة عند نقطة البدء، بينما يخضع النطق باللغة للتنويع والتغيير فى الأصوات والصيغ والتراكيب، والأسلوب مما لا يد لأحد على إيقافه[3].

كل هذه العوامل مجتمعة كوّنتْ آفة التصحيف والتحريف وأعرض الآن لنماذج لما وجدت فى العصر الفاطمى من أخطاء ترجع إلى ظاهرة التصحيف أو التحريف.

---

(١) المظاهر الطارئة على الفصحى ٥٦.

(٢) التنبيه على حدوث التصحيف: حمزة بن الحسن الأصفهانى، دمشق ١٩٦٨م ص ٣٦.

(٣) الظاهر الطارئة على الفصحى ٧٦.

أولاً: التصحيف:

وهو ما ذكرت آنفا ـ خاص بالالتباس فى نقط الحروف المتشابهة فى الشكل كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء، والدال والذال والراء والزاى والسين، والشين والصاد والطاء فإن صورة تلك الحروف واحدة، ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة إلا النقط أو مقدارها[1].

ومن هذه النماذج ما ورد فى العصر الفاطمى موضوع البحث الكثير نذكر منها الآتى:

ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة "بأنهم قوم سادجون لا معرفة لهم"[2] أى ساذجون فحذف نقطة الذال، وقوله "لتستاق عقولنا إلى ملكوتك"[3] أى تشتاق" وفى أخبار مصر لابن ميسر ورد قوله "ومات وقد ناهر الثمانين سنة أى ناهز صـ ٣٠ وقوله "رئيس دعاتهم أحمد بن عبد الملك بن عطاس أى ابن عطاش ص ٢٧ وقوله "حتى أناخوها ببابك والرجا من دونك الشمسار والبياع "أى السمسار والبياع ص ٣٠، وقوله فأقم شعبة عشر يومًا " أى سبعة عشر يومًا ص ٣٢.

وقوله "والوزير أبا سجاع محمد بن الأشراف[4] أى أبا شجاع محمد ص ٢٣ وقوله "القضاعى الفقيه السافعى أى الشافعى ص ١٤ وقوله "فأوقع به شادى وقتله أى شاذى ص ١٩ وقوله "فأتبعه طغرلبك بعسكر حاريوه أى حاربوه ص ١١ وقوله فأمر بحمل أموالاً تقالاً إلى المعرة أى ثقالاً ص ٤ وقوله "وفيها مات كنز الدولة محمد فى تامن شعبان أى ثامن ص ٤١. [5]

وفى المجموع الصفوى قوله "ويكونوا شاهرين" أى ساهرين وقوله "وإذا أفرع من استخلافهم" أى فرغ من استخلافهم وقوله "علم الذى يوليه الحكم باجتماع

---

(١) تحقيق النصوص ٦٧.

(٢) تاريخ بطاركة الكنيسة: ١/ ١٨٤.

(٣) المرجع السابق: ١١٩.

(٤) أخبار مصر ٢٣، ١٤، ١٩، ١١، ٤.

(٥) أخبار مصر ٣٠، ٢٧، ٣٠، ٢٣، ١٤، ١٩، ١١، ٤، ٤١ على الترتيب.

هـذه الشروط... قبوله لما يقلده إما باللفظ أو بسرعة فى النظر" أى شروعه وقوله "وتنفيذ الوصايا على شروط الموصى فى إباحة السرع"[1] أى الشرع.

وفى تاريخ الشيخ أبى صلح "ويوجذ فى ذلك المكان سمك"[2] أى يوجد وهناك أمثلة كثيرة لم نرد ذكرها خشية الإطالة.

ثانياً: التحريف:

هو خاص كما ذكرت ـ بتغيير شكل الحروف ورسمها كالدال والراء، والدال واللام، والنون والزاى فى الحروف المتقاربة الصورة، والميم والقاف واللام والعين فى الحروف المتباعدة الصورة[3].

ومن هذا ما ورد فى البرديات "غنيك به عن سؤالهم.

.... فكيف تسمح نفوسهم يسلفو.

... وقد أشرك الغلة لنت.

٣٢ ـ وأن عشب وأخر الله فى الأجل فأنا والله أفيد.

٣٣ ـ لنفسى ولك.

... ٥٩ ـ لثيرة أوصلها الله[4].

وفى هذا النص مجموعة كلمات منها غنيك والصواب أغنيك، وتسمع الصواب تسمح ولنت والصواب كنت، وعشب والصواب عشت، ولثيرة والصواب كثيرة.

وقد ورد فى نفس المخطوطة قوله "فقد أحطيت وخالفت"[5] أى أحصيت. وفى أخبار مصر لابن ميسرة ورد قوله "

(١) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٢) تاريخ الشيخ أبى صلح ٢٢.

(٣) تحقيق النصوص ونشرها ٦٧.

(٤) البرديات العربية مخطوطة برقم ٨ ?دار الكتب ص ٢٠، ٢١.

(٥) المرجع السابق ص ١٣٩.

لـقـد هـاب مـلك المـوت أبـيـاتـه	فـفـاجـأه لـيلاً ولـم طـلـع الـفـجـر
وقـد بـكت الخـنـسـاء صـخـراً وانه	لتبكيه من فرط المصاب به الصخر
وقلدها المستعلى الطهر حسبما	عليه قديما نصر والده الطهر[1]

وقد جاء فى هذه الأبيات مجموعة كلمات محرفةً منها أبياته وصوابها أتيانه ولتبكيه والصواب ليبكيه ونصر والصواب نص.

وفى نفس الكتاب ورد نص آخر هو "صرف عن الحكم عبد الحكم عبد الحاكم أبو القسم ابن وهيب.. وتولى أبو القسم عبد الحاكم بن وهب المليحى... عبدالكريم ابن عبد الحكم سعد[2]. وهذه الكلمات المحرفة هى وهيب والصواب وهب، والمليحى والصواب المليجى وسعد وصوابها سعيد.

وفى أخبار مصر للمسبحى "ونزل عزيز الدولة ومعناها معضاد[3] والصواب "نزل عز الدولة وسناها معضاد وغير هذه الأمثلة التى وردت بتلك المخطوطات ولم نذكرها خشية الإطالة.

ثالثًا: التغيير فى شكل الحروف:

أما تغيير شكل الحروف فيترتب عليه فى النطق أمثلة جديدة، تندرج تحت صيغ صرفية مخالفة لما كانت عليه من قبل وقد تخرج عن صيغ الصرف ومقتضيات اللغة أصلاً، فيحكم عليها بالخطأ والأول من هذين النوعين انحراف فى المعنى، والثانى انحراف لغوى فى بنية الكلمات[4].

قال أبو أحمد العسكرى: ومما يقع فيه التصحيف حتى شكك فى ذلك بعض العلماء، فجعل له تفسيرًا آخرَ ـ روى أن النبى ﷺ أتاه الملكان فشقا بطنه، ثم قال

---

(١) أخبار مصر: ٣٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩.

(٣) المرجع السابق ٢١٣.

(٤) المظاهر الطارئة على الفصحى ٦٢.

أحدهما (اتينى بالسكينة) فرواه بعضهم (اتينى بالسكينة) بكسر السين على أنها مؤنث (سكين) وإنما هى السكينة بفتح السين والكاف غير المشدودة.

قال: وقد فسره ابن الأنبارى على أنه فى (السكين) وأكثر أهل اللغة لا يعرفون إدخال الهاء فيها وهذا ذهاب عن الصواب[١].

وقد ورد هذا فى العصر الفاطمى كما فى أخبار مصر قوله "الناس قيام فقبلوا الأرض.. والناس قَيَّام فعال لهم... [٢] أى قِيَام فجعلها قَيَّام، أيضًا فى موضع آخر قوله "وحضر إلى القصر فجىء بسيف محلى بذهب[٣] أى فجِىء.

وأيضًا ورد قوله "وبالجواهر التى بعضها منظوم كالسبح[٤] بضم السين وهذا تصحف صوابها السبح بكسر السين.

وكذلك قوله "وفيها توفى بألموت الحسن بن صباح[٥] أى بالموت فجعل همزة الوصل همزة قطع.

وقوله "جمع ذلك لابن أبى كدينة[٦] أى لابن أبى كدينة.

وغير ذلك من الأمثلة.

---

(١) تصحيف المحدثين: ١٢٦.
(٢) أخبار مصر ٥٣، ٥٥، ٥٨.
(٣) المرجع السابق ٥٨.
(٤) المرجع السابق ٦٥.
(٥) المرجع السابق ٦٥.
(٦) المرجع السابق ١٥.

الباب الثالث

الدلالة

يناقش هذا الباب الفصول التالية:

مقدمة

- الفصل الأول: دلالة الكلمة.
- الفصل الثانى: دلالة العبارة.
- الفصل الثالث: المجاز وتطوير الدلالة.

مقدمة

الدلالة Semantics

يقول ماريوباى: "إن وظيفة اللغة الأولى هى نقل الأفكار من شخص إلى آخر والعلاقة بين اللغة، وبين معناها علاقة وثيقة لا يمكن فصم عراها، ومع ذلك فهناك جانب لغوى يتعلق بالمعنى لا يصلح للنقل من لغة لأخرى أو بمعنى أصح لا يمكننا أن ننقله للغات متعددة بطريقة دقيقة"[١] وفى موضع آخر إن المعنى هو أساس التفاهم فى المجتمع[٢].

ومن هذا القول لماريوباى يمكن إدراك خطورة المعنى فى اللغة، ووجوب دراسته فهو كما ذكر أساس التفاهم بين أبناء المجتمع فاللغة ليست مجرد ضوضاء موضوعة فى قوالب مهما كانت هذه الضوضاء منظمة، لأنها لا تكون لغة حتى يكون لها معنى وهى تستمد معناها إلى حد كبير من خلال استعمالها فى مواقف الحياة الواقعية، إن اللغة لا توجد فى فراغ إذا ليس لها وجود مستقل عن الذين يستعملونها ومواضع تلك الاستعمالات فنحن نقرأ المعانى المستقرة فى الجمل والكلمات بالنظر إلى كيفية استعمالها. وإن مجموعة متعاقبة من الأصوات تظل بلا معنى حتى نرى كيف يستعملها الناس ومدى صلتها ببعض جوانب تجربتنا فى الحياة.. وعلى ذلك فإن علم الدلالة Semantics يدرس معانى الكلمات حيث يبين

(١) لغات البشر ١٠٣.

(٢) لغات البشر ١٠١.

أولاً كيفية اتصال هذه الكلمات بعضها ببعض[1] وذلك لأن إيصال المعنى واضحًا مفهومًا جزء أساس من عملية الاتصال الذى تتحقق به العلاقات الإنسانية فى صورها المختلفة المعنوية والمادية فى الدين، والسياسة والفكر، والعواطف، والتجارة، والمال، وشئون الأسرة، وغيرها ويتم الاتصال ونقل المعنى بواسطة نظم مختلفة مثل الكلام والكتابة والحركة الجسمية والضوء واللون، بل أحيانًا بالشم واللمس. غير أن هذه النظم جميعًا لابد أن يتوافر فيها شرط الوضوح والبيان[٢]. أى وضوح المعنى المراد إيصاله بتلك الوسائل المختلفة. ولهذا كان من الأهمية بمكان أن يجعل له علماء اللغة فرعًا خاصًا من فروع دراسة اللغة، ألا وهو علم الدلالة "Semantics وهو العلم الذى يدرس المعنى أو ذلك النوع من الشروط الواجب توافرها فى الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى[٣].

ولكن ما هى المجالات التى يقوم بدراستها علم الدلالة أو الوحدات الدلالية التى تؤدى الدلالات المختلفة "يختلف علماء اللغة فى تعريف الوحدة الدلالية، وفى المصطلح العلمى الذى يطلقونه عليها فمنهم من أطلق عليها مصطلح ...Unit Semantic ومنهم من أطلق عليه مصطلح ..semene وتختلف وجهات النظر اللغوية حول تعريف الوحدة الدلالية فمنهم من قال إنها: الوحدة الصغرى للمعنى. ومنهم من قال إنها: تجمع من الملامح التمييزية، ومنهم من قال إنها: أى امتداد من الكلام يعكس تباينًا دلاليًا[٤].

وقد قسم "نيدا" Nida الوحدة الدلالية إلى أربعة أقسام رئيسية هى:

١ ـ الكلمة المفردة.

٢ ـ أكبر من كلمة (تركيب).

---

(١) التعريف بعلم اللغة:دافيد كريستل، ترجمة حلمى خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية ١٩٧٩م، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) العربية والغموض دراسة لغوية فى دلالة المبنى على المعنى: د حلمى خليل،ط١ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م ص١٢.

(٣) علم الدلالة: د أحمد مختار عمر عالم الكتب،ط٢، ١٩٨٨م، القاهرة، ص ١١.

(٤) علم الدلالة ص ٣١.

٣ ـ أصغر من كلمة (مورفيم متصل).

٤ ـ أصغر من مورفيم (صوت مفرد)[١].

ولكن رغم القول بالتقسيم السابق والذى يذكر بأن الوحدة الدلالية ممكن أن تكون أصغر من كلمة وأصغر من مورفيم. فإن هناك قول يذكر أن اللفظة أصغر وحدة دلالية يقول الدكتور عزمى إسلام "هكذا تنتهى إلى القول بأن الألفاظ هى أصغر وحدات لغوية تكون ذات معنى لذا يعرف أبو الحسن بن على اللفظ المفرد بأنه (ما دل بالوضع على معنى لا جزء له) وهذا يفيد (أن اللفظة الواحدة تعنى المعنى الذى استقلت به.. ومن العبث أن نبحث عن دلالة مستقلة لأى من أجزائها، حتى وإن لاح للسامع أو القارئ وكأن بعضها يحمل دلالة مستقلة[٢].

ولكن هذا القول فيما أرى سار على هدى من تعريف القدماء ولم يستلهم ما توصل إليه علم اللغة الحديث فى تفسير مراتب المعنى، وتأثير ذلك على فهم السامع فالإشارة باليد أو الرمز، تعنى معانًى كثيرة متعارف عليها بين أصحاب المجتمع اللغوى الواحد. فإذا كان هذا فى نطاق الرمز غير المنطوق، فما هو الأمر فى اللغة التى تحدثنا عنها آنفًا من أنها وسيلة المجتمع فى قضاء أموره المعيشية وغيرها!.

ويذكر لنا الدكتور أحمد مختار عمر أمثلة على الدلالة الأصغر من الكلمة بقوله "أما الوحدة الدلالية التى تعد أقل من كلمة فتتمثل فى المورفيم المتصل ويشمل ذلك السوابق واللواحق. فالأولى مثل المضارعة ـ السين للدلالة على الاستقبال re فى re astablish remark والثانية مثل الضمائر المتصلة ومثل اللاحقة ly ـ كما فى freindly و ness فى: .darkness

"أما الوحدة الدلالية التى تعد أقل من مورفيم فمثل دلالة الضمة على المتكلم والفتحة على المخاطب والكسرة على المخاطبة فى الضمائر: كتبتُ ـ كتبتَ ـ كتبتِ[٣].

---

(١) علم الدلالة ص ٣٢.

(٢) مفهوم المعنى: د عزمى إسلام، حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ـ الحولية السادسة ١٤٠ هـ ـ ١٩٨٥م، ص ٢٨.

(٣) علم الدلالة ص ٣٤.

وهذا صحيح لا جدال فيه فلو تحدث متكلم عن نفسه فقال: لقد كتبت الدرس يقصد نفسه لكان خاطئًا ولاختلف المعنى تمامًا بين ما يقول، وما يقصد أو يعنى. ولهذا كان من مراتب الدلالة أو الوحدات الدلالية دلالة المورفيم ودلالة أقل من المورفيم وهى الفونيم، بل إن النبر له تأثير فى اختلاف الدلالة بل إنه فى بعض اللغات يشكل جزءًا مهمًا فى فهم دلالة هذه اللغات.

وهذه الوحدات الدلالية الصغرى أعنى الأصغر من الكلمة تكون عرضة للتطور بكثرة وذلك لصغر حجمها فى وسط العبارة مع اتصال الحديث ولا يخفى علينا خطورة ذلك الأمر الذى يؤثر على المعنى وانحرافه مما يجعلنا نقاوم هذا التطور فى مواضع ونخضع له مضطرين فى مواضع أخرى، فقد كثر على ألسنة بعض المتعلمين أو متوسطى الثقافة قولهم كتبتَ قدمتَ وعلمتَ ويقصد بذلك نفسه، مما يؤدى إلى انحراف المعنى أو غموضه لدى أصحاب السليقة السليمة، ولكنه لا تأثير له عند العامة، وهذا النوع من التفصح يجب مقاومته لأنه يوهم السامع بفصاحة المتكلم والعكس صحيح.

أما النوع الثانى والذى خضعنا له وهو استخدام مورفيم مكان آخر مثل المورفيم الذى يدل على جمع الذكور استخدام مكان مورفيم جمع الإناث مثل قولهم "التلميذات قالوا، أو كتبوا، بدلا من قلن أو كتبن".

وهذا الأمر يرجع من حيث التركيب إلى سيادة حالة إعرابية على أخرى حيث سيادة مورفيم جمع الذكور على مورفيم جمع الإناث، ولكنه فى الوقت نفسه قد أدى إلى تغيير دلالة العبارة، وهذا التغيير أصبح مقبولاً لدى الجماعة اللغوية أو المجتمع اللغوى الذى تحدث فيه هذه الظاهرة، بل أصبح مفهومًا لديهم أيضًا،هذا يجعلنا نستسلم لهذه الظاهرة التى فُرضتْ على اللغة، واختارتها رغبات المتكلمين بها.

وذلك لأن سيادة هذه الحالة الإعرابية كان من اختيار اللغة ولا بد لأحد فيها والسبب الأساسى فى ذلك هو ضياع المورفيمات الإعرابية الأمر الذى جعل اللغة تثبت على حالة واحدة وهى حالة التذكير فى الجمع فقد سوت حالة التأنيث

والتذكير فى الجمع لصالح التذكير فقط، فلم يعد لديها غير ضمير جمع المذكر للدلالة على الذكور والإناث فى العامية المصرية.

وقد حدثت هذه الظاهرة فى اللغة منذ القدم، وفى العصر الفاطمى موضوع البحث على ألسنة العامة مما يجعلنا نقول: إن هذه الظاهرة التى نراها الآن فى لغة العامة لها جذور فى الماضى جعلتها راسخة على ألسنتهم وجعلتنا نستسلم لها.

ومن هذا ما ورد فى أخبار مصر للمسبحى قوله "شاهد من سكر النساء وتهتكهم وحملهم فى قفاف الحاملين سكارى واجتماعهم مع الرجال أمر يقبح ذكره[1].

وغير ذلك فى مواضع أخرى تؤكد غلبة مورفيم جمع الذكور على مورفيم جمع الإناث، ولولا أن هذه الظاهرة شاعت على ألسنة هذا المجتمع لأحدث ذلك انحرافًا فى المعنى، والتباسًا على السامع.

ومن هذا كله نعرف خطورة المورفيم فى المعنى وتأثيره على السياق مما يجعلنا نؤمن بأن الوحدة الدلالية ليست هى الكلمة أو العبارة فحسب بل أيضًا المورفيم والفونيم كل هذا يشارك فى تكوين المعنى، وأى خطأ فيه يؤدى إلى التباس المعنى على السامع، إلا إذا كان هذا التحول نتيجة إجماع الجماعة اللغوية عليه، كما رأينا فى سيادة مورفيم الذكور على مورفيم الإناث، ليتمكن المجتمع من التواصل فيما بينه بهذا الشكل الجديد من مورفيم واحد يدل على الجنسين.

ويضيف الدكتور عزمى إسلام بذكر تقسيم لمكونات اللغة "يقوم أساسا على فكرة المعنى وما يتعلق بها مثل:

١ ـ دراسة الكلمات بوصفها دالة على معانى (سيمانتيك Semantemes) أو بوصفها ناقلة للمعنى أو دالة على الروابط بين المعانى (مورفيمات).

٢ ـ دراسة معانى الكلمات أو المفردات أو علم المعنى .Semantics

---

(١) أخبار مصر ص ٤٠.

٣ ـ دراسة معانى السياقات اللغوية أو العبارات المختلفة.

٤ ـ ودراسة القواعد الخاصة بتكوين المفردات وباستخدامها، وكذا بتكوين العبارات والجمل واستخدامها[١].

ثم يؤكد على أهمية التفرقة بين المعانى الخاصة بالمفردات والمعانى الخاصة بالسياقات يقول "إلا أنَّا نلاحظ مما سبق، أن دراسة المعنى فى اللغة، ليست مقصورة على دراسة معانى المفردات وحدها أو السيمانتيك، بل تتعداها إلى دراسة معانى السياقات اللفظية التى تتبدى على شكل جمل أو عبارات. لذا فترجمة كلمة Semantics بعلم المعنى فى اللغة العربية قد يكون فيه توسيع للاستخدام، مع أن المقصود هو معانى المفردات أو الكلمات، وليس المعنى بوجه الإجمال[٢].

بل إنه يفرق بين المعنى والدلالة قائلاً "كثيرًا ما تستخدم كلمتا (معنى) و(دلالة) على أنهما مترادفتان وخاصة حينما يكون المعنى مقصورًا على الألفاظ المفردة. ولذلك عادة ما تترجم كلمة Semantics وهى كما ذكرنا ـ العلم الذى يدرس المعنى الخاص بالمفردات بوجه عام ـ تترجم (علم الدلالة) إلا أن مفهوم "المعنى" كما ذكرنا من قبل أعم وأشمل من مفهوم الدلالة "طالما أن المعنى يمكن أن تكون للعبارة أو للجملة، ولا يكون مقصورًا بالضرورة على الألفاظ وحدها"[٣].

ولهذا فإن من رأيه أن المعنى ينقسم إلى أنواع يقول "يمكن تصنيف أنواع المعنى بناء على ما ذكرناه آنفًا ـ إلى صنفين أساسيين:

١ ـ المعنى الخاص بالألفاظ وينقسم بدوره إلى قسمين:

(أ) المعنى اللفظى: ويتعلق بمعانى الألفاظ المفردة: ما يفهم منها، وما تدل عليه وهكذا فالمعنى اللفظى يمكن أن يكون ـ طبقًا لرأى الجرجانى ـ هو المفهوم أو هو الدلالة.

(١) مفهوم المعنى ص ١٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥.

(ب) المعنى السياقى: ويتعلق بمعانى الألفاظ حين ترد وتنظم فى سياقات هى الجمل والعبارات المختلفة.

٢ ـ والمعنى الخاص بالعبارات بوصفها مركبات أو سياقات ذات معنى[١].

ولكننا نرى أن هذا التقسيم رغم أنه يشمل أكثر أنواع المعنى إلا أنه يتجاهل المعنى الذى يوجده المورفيم والفونيم. وقد دللنا من قبل على أهمية هذا القسم من أقسام المعنى باستخدام لغة العصر موضوع البحث رغم تعريفه للفونيم بأنه هو الصوت الذى يؤدى ـ مع غيره ـ إلى تكوين معنى اللفظ. لكنه هو نفسه لا يكون فى ذاته معنى محدد[٢] وهذا صحيح ولكن عدم وجوده أو استبدال غيره مكانه يؤدى إلى انحراف المعنى، بل إلى إيجاد معنى جديد.

وبعد هذا نرى أن التقسيم المقنع لأنواع المعنى كما ذكره "نيدا" من قبل وهو:

١- الكلمة المفردة.

٢- أكبر من كلمة (تركيب).

٣- أصغر من كلمة (مورفيم متصل).

٤- أصغر من مورفيم (صوت مفرد).

ونحاول فى هذا البحث دراسة المعنى فى لغة العصر الفاطمى فى ضوء تلك الدراسات الحديثة لعلم الدلالة أو علم المعنى.

وقد قسم هذا الباب إلى فصلين هما:

١- دلالة الكلمة.

٢- دلالة العبارة (التركيب ـ الجملة ـ المثل).

ثم أضفت له فصلاً عن المجاز ودوره فى تطور الدلالة.

---

(١) مفهوم المعنى ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧، ٢٨.

الفصل الأول

دلالة الكلمة

تعد الكلمة الوحدة الدلالية المتوسطة بين المورفيم والفونيم وبين العبارة والجملة ولكن قبل أن نخوض فى دراستها نتوقف بعض الشىء عند دراسة "دلالة المورفيم والفونيم".

والمورفيم morpheme هو أصغر وحدة ذات معنى. فبينما النحو التقليدى قد يصف dogs أنها تشمل على أصل هو dog ونهاية تصريفية تفيد الجمع هى (S) يصف علم اللغة التركيبى الحديث S, dog كليهما على أنهما مورفيمان، أو وحدتان ذواتا معنى، تحمل إحداهما المعنى الأساسى للكلمة وتحمل الثانية فكرة الجمعية الإضافية، وعلى كل حال فالتفرقة بين اللفظين ربما تتم عن طريق تسمية الأول باسم المورفيم الحر morpheme free (أى الذى يمكن أن يستعمل بمفرده) والثانى Sباسم المورفيم المتصل bound morpheme أى الذى لا يستعمل مفردًا، وإنما متصلاً بمورفيم آخر)[١].

هذا رأى ماريوباى فى أن المورفيم هو أصغر وحدة ذات معنى، وعرفنا منه ما هو المورفيم، بنوعيه الحر، والمتصل. ولكننا نختلف معه فى أن هناك ما هو أصغر من المورفيم، وله تأثير فى المعنى وهو الفونيم، يقول الدكتور أحمد مختار عمر "أما الوحدة الدلالية التى تعد أقل من كلمة فتتمثل فى المورفيم المتصل، ويشمل ذلك السوابق واللواحق، فالأولى مثل: أحرف المضارعة ـ السين للدلالة على

(١) أسس علم اللغة ص ٥٣-٥٤.

الاستقبال re فى remark و estalish re والثانية مثل الضمائر المتصلة ومثل اللاحقة ly كما فى Friendly و ness فى: darkness .

أما الوحدة الدلالية التى تعد أقل من مورفيم فمثل دلالة الضمة على المتكلم والفتحة على المخاطب والكسرة على المخاطبة فى الضمائر كتبتُ ـ كتبتَ ـ كتبتِ[1] وهو الفونيم، ومن هذا يتضح أن للفونيم الذى تلحق هذه التاء تأثيرًا فى معناه من المتكلم إلى المخاطبة.

فلكل من الفونيم والمورفيم تأثير فى المعنى، بل كل منها يشكل وحدة دلالية مستقلة وفى هذا البحث نحاول دراسة تأثير هذين العنصرين على المعنى "الدلالة" ولكن فيما يخص الفونيم لم نتوصل إلى نماذج لهذه الظاهرة، وذلك لطبيعة هذا البحث الذى يدرس لغة مكتوبة غير منطوقة فلا يمكن ملاحظة الفروق الدقيقة بين المورفيمات خصوصًا الحركات القصيرة، وأيضًا اللغة المكتوبة لهذا العصر، والتى تتعرض للهجة المصرية لم تهتم بكتابة الحركات فوق الحروف كما يحدث فى اللغة الفصحى ولهذا لم نتوصل إلى نماذج لهذا الجزء من البحث.

ولكن فيما يختص بدلالة المورفيم ـ فقد أشرنا إليه آنفًا ـ مثل استخدام مورفيم الجمع الخاص بالذكور للدلالة على جمع الإناث وهناك أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة فى لغة العصر الفاطمى مثل قول ساويرس بن المقفع "واحضروا الثقات عندهم من النسا القوابل وسالوهم[2] والصواب سألوهن

وكذلك ما ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال "وأخير النساء... ويحل شعورهم ويضعوا عنهم حليهم الذهب الذى عليهم والصواب" ويحل شعورهن ويضعوا عنهن حليهن الذهب الذى عليهن "قوله أيضًا" لتؤدب النسا ولترحمهم ولتعنهم[3] والصواب لترحمهن ولتعنهن.

---

(١) علم الدلالة ص ٣٤.

(٢) تاريخ البطاركة ص١/١٢٩.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال.

ولكن ما حدث فى لغة العامة هو ضعف المورفيم المتصل (هن) فى الدلالة على جمع الإناث وغلبة أو سيادة المورفيم (هم) الذى أصبح يدل على الجمع بنوعيه فسوت اللغة حالتى الجمع لصالح المذكر، وهذا ممتد إلى عاميتنا.

وهناك مثال آخر على تأثير المورفيم فى تطور الدلالة مثل ضعف المورفيم الإعرابى فى الدلالة على الرفع أو النصب أو الجر. واختيار اللغة لمورفيم واحد للدلالة على الحالات الثلاثة وهو الرفع والنصب والجر ولكن ما هو المورفيم الذى تختاره اللغة للدلالة على الرفع والجر والنصب؟ لا ندرى لأن اللغة حرة فى اختيار هذا المورفيم، فقد يكون هذا المورفيم هو مورفيم الرفع، أو مورفيم النصب أو الجر.

ومثل هذا أن نجعل مورفيم الرفع فى الأسماء الستة (الواو) مورفيمًا للرفع والنصب والجر، وهذا كثير جدا فى لغة العصر الفاطمى.

كما فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "وكان صدقة أبوه من الكتاب البلغاء"[(١)] أى أبيه. وفى أخبار مصر للمسبحى "ودفع إليهم النصف من واجباتهم إلا أبوالفتوح حسن بن جعفر"[(٢)] والصواب إلا أبا الفتوح. وفى سيرة الآباء البطاركة: وكان ذلك فى بيعة القديس أبو مقار[(٣)] أى أبى مقار.

وغير ذلك من الأمثلة على ضعف المورفيم الإعرابى فى الدلالة على حالات الرفع أو النصب أو الجر.

وهذه الظاهرة من سيادة الواو فى الأسماء الستة موجودة فقط فى العامية المصرية منذ العصر الفاطمى إلى العامية المعاصرة بمصر، فالناس فى الأسواق وفى الطرقات وفى كل مكان فى مصر يقولون: يا أبو محمد، قابلتُ أبو محمد، ومررت على أبو محمد، فكل بيئة لغوية حرة فى اختيار المورفيم الذى تسوده على سائر المورفيمات، بما يعرف عند علماء النحو بلغة القصر، أى قصر حالات الإعراب على حالة واحدة.

---

(١) أخبار مصر ص ٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

(٣) سيرة الآباء البطاركة ٢/ ١٣.

وتعد الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لأنها تشكل أهم مستوى أساسى للوحدات الدلالية حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى"[1] ولكن من وجهة نظر علم اللغة التركيبى تعرف الكلمة word بأنها "وحدة فى جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها"[2]

ولهذا فالكلمة ذات أهمية بالغة فى علم الدلالة (Semanties) فهى فى تطور دائما ما يؤثر على اللغة، وهو تطور له مظاهر كثيرة أو إذا شئت قلت أنواع كثيرة للمعنى. هذا التقسيم المنطقى لأولمان وهو:

١- توسيع المعنى.

٢- تضييق المعنى.

٣- انتقال المعنى[3]

وبعد أن ذكر هذه الأقسام الثلاثة للتقسيم المنطقى يقول "إن أهم مميزات هذه الخطة المنطقية يظهر فى كمالها، فليست هناك إمكانية رابعة التقسيم الذى اشتملت عليه[4] ولكن يضيف فى موضع آخر من كتابه "دور الكلمة فى اللغة" قسمين آخرين وهما انحطاط المعنى ورقى المعنى يقول أولمان "لقد أثار انتباه الدارسين القدامى كثرة ورود ظاهرة الانحطاط فى تاريخ معانى الكلمات. وفسر بعضهم هذا الاتجاه بأنه دليل على وجود "نزعة تشاؤمية فى العقل الإنسانى.. والمجال الإنسانى بوجه خاص الذى تشيع فيه ظاهرة انحطاط المعنى، فالكلمة Knave ومعناها لئيم خسيس" كانت فى الأصل تعنى الخادم أو الغلام، ولا تزال تستعمل بالفعل فى هذا المعنى فى اللغة الألمانية وفى العبارة الإنجليزية

(١) علم الدلالة ص ٣٣.

(٢) أسس علم اللغة ص ١١٢.

(٣) دور الكلمة فى اللغة:استيفن أولمان ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب المنيرة، القاهرة ١٩٧٥م،ص ١٨٠.

(٤) المرجع السابق ص ١٦٣.

The Knave of herts ومما لا شك فيه أن التحامل الطبقى فى المجتمع كان السبب المباشر فى التطور المعنوى لهذه الكلمة كما كان السبب أيضًا فى تطور معنى الكلمة المقابلة لها، وهى Villain سافل / وغد التى كانت فى الأصل تعنى خادم المزرعة(١)

وإلى جانب انحطاط المعنى قد يحدث رقى أيضًا لبعض المعنى "فمن الطبيعى أن يكون تغير المعنى الرقى الآخر عاما وشائعًا، إذ إن المعنى الحيادى للكلمة قد يتطور أحيانًا إلى هذا الاتجاه، أو ذاك... وقد تتردد الكلمة. بين الرقى والانحطاط فى سلم الاستعمال الاجتماعى، بل قد تصعد الكلمة الواحدة إلى القمة وتهبط إلى الحضيض فى وقت واحد

وهذا التقسيم الخماسى لمظاهر التطور الدلالى للكلمة هو ما قال به أيضًا الدكتور إبراهيم أنيس. ولكن الدكتور أحمد مختار عمر يكتفى بثلاثة فقط، وهى توسيع المعنى وانتقال المعنى وتعميم المعنى، ولم يضف قسمًا جديدًا وهو المبالغة نقلاً عن استيفن أولمان وهذا القسم الأخير إضافة جديدة لما سبق ولكنه لا يمثل تغيرًا لمعنى الكلمة بل هو زيادة متعمدة مؤقتة فى دلالة الكلمة لا تستمر طويلاً بل "سرعان ما تفقد حدتها وقوة التعبير فيها، حتى تصبح مبتذلة بالية لتحل محلها تغيرات أخرى"(٢).

وممن قال بالتقسيم الثلاثى للدلالة الدكتور رمضان عبد التواب فى قوله "وأهم مظاهر التطور الدلالى ثلاثة: تخصيص الدلالة وتعميم الدلالة، وتغيير مجال استعمال الكلمة أى أن معنى الكلمة يحدث فيه تضيق أو اتساع أو انتقال(٣) وأتفق مع الرأى الأول القائل بوجود خمسة أقسام أو أنواع لدلالة الكلمة ونعرض نماذج لهذه الأقسام المنطقية لأنواع الدلالة من لغة العصر الفاطمى موضوع البحث.

(١) دور الكلمة فى اللغة:ص ١٨٠.

(٢) علم الدلالة ٢٥٠.

(٣) التطور اللغوى ١١٤.

أولاً: توسيع الدلالة أو تعميم الدلالة:

وهو يعنى "إطلاق اسم نوع خاص من أنواع الجنس كله وهذه هى حال الأطفال الذين يسمون جميع الأنهار باسم النهر الذى يروى البلدة التى يعيشون فيه"[1]. يقول د. إبراهيم أنيس فى تعريفه "التعميم هو إطلاق اسم النوع من أنواع الجنس على الجنس كله"[2]. أو كما يقول الدكتور أحمد مختار عمر (يعنى توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق أو يصبح استعمالها أوسع من قبل)[3].

ثم يشرح د. إبراهيم أنيس الأساس الذى يبنى عليه مبدأ توسيع المعنى "قد يكون ذلك عن طريق الاستعارة أو عن انتقال شعورى. فالذهن قد يضيف اسم أحد أعضاء الجسم عضو آخر يجاوره لسبب ما وقد يلجأ إلى الاستعارة إذا كانت الكلمة تثير عنده فكرة جنسية وذلك بوازع من الحياء"[4].

إذا فتعميم الدلالة يقوم على أساس استعارة كلمة من مكان كلمة أخرى لعلاقة ما بينهما. كالمشابهة أو المحلية أو البعض بالكل أو الجزئية وهذه العلاقات المجازية عشر. ومن أمثلة هذا التطور الدلالى جانب تعميم الدلالة ما ورد فى البرديات السفر الثانى قوله "

٨ .... أو إلى من يقوم مقامه ممن يحضر إليه هذه.

١٠ ـ الحجة بغير مرافعة[5]

وقوله فى موضع آخر ١٦ ـ بما يعهد بهذه الحجة[6].

(١) اللغة ٢٥٨.
(٢) دلالة الألفاظ: د. إبراهيم أنيس، الأنجلو ١٩٨٠م، ط٤ القاهرة، ص ٢٥.
(٣) علم الدلالة ٢٤٣.
(٤) دلالة الألفاظ: ٢٥
(٥) البرديات السفر الثانى ص ١٣٦.
(٦) السفر الثانى ص ١٣٩ بردية رقم ١٢٢.

كلمة حجة كانت تعنى البرهان أو الدليل العقلى على صحة القول أو الفعل أو غير ذلك، ثم حدث توسيع لدلالة هذه الكلمة لتشمل كل شىء يقوى موقف صاحبه ويؤكد صدق قوله، مثل الورقة أو الصك أو السند الذى يدل على صحة ملكية الشخص للأرض أو غير ذلك فأصبح يقال لصك أو سند الملكية حجة، وهذا التوسيع أو التعميم لدلالة هذه الكلمة موجودة حتى الآن فيقال هذه حجة الأرض وغير ذلك مما يؤكد شيوع هذا المعنى فى العصر الحالى وهو الذى قصده صاحب البردية بقوله ممن يحضر إليه هذه الحجة أى حجة أو سند الملكية.

ومما يؤكد أن كلمة حجة تعنى ـ فى الأصل ـ البرهان والدليل ما ورد فى معجم مقاييس اللغة قوله "يقال حاججت فلانًا فحججته أى غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع حجج والمصدر الحجاج"[1] وفى القاموس "وبالضم البرهان والحجاج الجدل"[2] وفى أساس البلاغة "احتج على خصمه بحجة شهباء وبحجج شهب وحاج خصمه فحجه"[3].

وفى المفردات فى غريب القرآن ورد قوله "الحجة الدلالة المبنية ـ أى المقعد المستقيم، والذى يقتضى صحة أحد النقيضين، قال تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4] قال تعالى﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [5] فجعل ما يحتج بها الذين ظلموا مستثنى عن الحجة وإن لم يكن حجة، وذلك كقول الشاعر:

لا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبى الحسن بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون،ط٢، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ١٩٧٢م القاهرة، ج٢ ص٣٠.

(٢) القاموس المحيط ج ص ١٨١.

(٣) أساس البلاغة: للزمخشرى دار الشعب ١٩٦٠م بالقاهرة،ص ١٥٤.

(٤) الأنعام ٦٣/ ١٤٩.

(٥) البقرة: ٢/١٥٠.

ويجوز أنه سمى ما يحتجون به حجة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] فسمى الداحضة حجة، وقوله تعالى: ﴿لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾[2] أى لا احتجاج لظهور البيان"[3].

وأورد لنا المعجم الوسيط المعنى القديم للكلمة والمعنى الجديد حيث قال "الحجة: الدليل والبرهان، وصك البيع والعالم الثبت"[4].

كل هذا يؤكد أن الكلمة كانت تعنى البرهان ثم حدث لها تعميم أو توسيع لدلالتها فأصبحت تشير إلى الحجة أو البرهان العينى وهو صك الملكية.

ومثال آخر ورد فى أخبار سيبويه لابن زولاق قوله "هذا سيبويه فاطوه ولا تكلمه"[5] أى اتركه ولا تكلمه؛ فكلمة اطوه تعنى فى الأصل طوى الكتاب أى غلقه وقد وردت بهذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[6]. أى نطوى السماء كما تطوى الكتب؛ ثم جعلها تعنى ترك الشخص وعدم الاهتمام به وفى القاموس" طوى الصحيفة يطويها فاطوى وانطوى وإنه لحسن الطيّة بالكسر"[7]. وفى المفردات قوله "طويت الشيء طيا ـ وذلك كطى الدرج، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ ومنه طويت الفلاة ويعبر بالطى عن معنى العمر. يقال: طوى الله عمره قال الشاعر: طوتك خطوب دهرك بعد نشر: وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [8] يصح أن يكون من الأول، وأن يكون من الثانى ـ والمعنى مهلكات[9].

---

(١) الشورى ٤٢/ ١٦.

(٢) الشورى ٤٢/ ١٥.

(٣) المفردات فى غريب القرآن: للراغب الأصبهانى، الأنجلو ١٩٧٠م، ص ١٥٥.

(٤) المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٥٧.

(٥) أخبار سيبويه ص ٥٠.

(٦) الأنبياء / ١٠٤.

(٧) القاموس المحيط ٤/ ٣٥١.

(٨) الزمر ٣٩/ ٦٧.

(٩) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٦٤.

وفى اللسان مادة طوى "ويقال طويت الصحيفة أطويها طيا، فالطى المصدر وطويتها طية واحدة أى مرة واحدة"[١].

إذن الطى الغلق والطية: السريرة، ومعنى العمر لكنه وسع من دلالتها لتصبح بمعنى الترك أو إهمال الشخص، وقد تطور هذا المعنى فى عصرنا ليجد له لفظًا آخر يدل على معنى الترك والإهمال للشخص وهو لفظ نفض له، أو احلق له، وكلها تعنى أهمله، أما طوى فعادت إلى المعنى الأصلى وهذا يدل على ثبات المعنى الأصلى، وتغير وموت المعنى الثانوى وعدم تطوره أحيانا وانكماشه.

ومثال آخر على توسيع:

فى المجموع الصفوى لابن العسال ورد قوله "الذى أنتم وسايطه"[٢] أو وسائطه، وفى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ورد قوله "فجعله وسطة بالصلح بينهما"[٣] ص ٩٧.

ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله بعث ثمال يطلب من المستنصر العفو وتوسط أمر هارون بن سهل اليهودى[٤] أى واسطة بين القوم فى صلح أو غير ذلك وهذا الاستعمال شائع الآن بالمعنى نفسه فى العامية المصرية المعاصرة، يقولون فلان وسطة خير، فتشمل كل أفعال الخير من صلح بين الناس، والسعى فى قضاء مصالحهم، كالبيع والشراء وغير ذلك، ولكن ما أصل هذا المعنى؟

فى مقاييس اللغة "وسط الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدل الشىء: أوسطه ووسطه قال الله عز وجل (أمة وسطا،... وهو أوسطهم حسبًا، إذا كان فى واسطة قومه وأرفعهم محلا)[٥].

---

(١) اللسان مادة طوى ص ٢٧٢٩.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٣) تاريخ يحيى بن سيد الإنطاكى ٩٧.

(٤) أخبار مصر ص ٣.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٠٨.

وفى المصباح المنير "وسط الدار وسطه خير من طرفه قالوا والسكون فيه لغة وأما وسط بالسكون فهو بمعنى بين نحو جلست (وسط) القوم أى بينهم"[1]، وقد دلت هذه الكلمة على معنى الوسيط أى الذى يصلح بين الخصوم بعد أن كانت تدل على منتصف الشىء أو وسطه أى قبله وأيضًا كانت تدل على الشىء الجيد الوسط، وهذا التطور الدلالى من باب توسيع المعنى للكلمة من دلالة على الوسط المادى إلى الوسط المعنوى أى المتوسط بين الشخصين المتخاصمين للصلح بينهم، وهو لم يخرج كثيرا عن المعنى الأصلى للكلمة فالوسيط يجلس بين الاثنين أى وسطهم بغرض الصلح بينهما أو السعى لتحقيق صفقة بيع أو شراء فهو نمو للمعنى الأصلى وتوسيع له.

وقد أشار الزمخشرى إلى هذا المعنى المعنوى للكلمة فى قوله "جلس وسط الدار وسطه وأوساطهم وهو أوسط أولاده... وتوسطت الشمس السماء ووسطته بين الخصوم ووستطه"[2] أى أصلح بينهم.

ومثال آخر ورد فى أخبار مصر "ليتفرجوا عليها فيحصل لهم الضرر"[3] وفى موضوع آخر "وفيها أمر بناء دار واسعة ليتفرج الناس فيها عند كسر السد... ليتفرجوا عليها" أى تفرج للمشاهدة وكلمة فرج، تختلف عن معنى النص السابق - ورد فى المعجم الوسيط "فرج الشىء: اتسع، ويقال: انفرج ما بين الشيئين وفرج الغم والكرب وانكشف وفرج فلان من ضيقه: تخلص (انفرج) الشىء أو الغم أو الكرب: اتفرج، ويقال: الرجال بكذا، وعليه:تسلى بمشاهدته بطرح همه (محدثة)"[4] وهذا يعنى أن الفرجة للمشاهدة هى كلمة محدثة أحدثها المولدون بغرض التعبير عن المشاهدة والتفريج عن نفس وهو توسيع لدلالة هذه الكلمة، وهى أيضًا مستخدمة حاليًا بالمعنى نفسه بين الناس فى مصر،فيقولون: فلان بيتفرج على المنزل، فشملت كل أنواع المشاهدة والسرور

---

(١) المصباح المنير ص ٦٥٩.

(٢) أساس البلاغة ص ١١٩.

(٣) أخبار مصر ص ٦٥، ٦٤.

(٤) المعجم الوسيط ٢/ ٦٧٨.

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن فارس بقوله "ويقولون: إن الفرجة: التقصى من هم أو غم والقياس واحد ولكنهم يفرقون بينهما بالفتح"[١] وذكرها الخفاجى من الكلمات المولدة "فرجة": الذهاب للتنزه.

قال الأرجانى: "رياض لعين الناظر المتفرج"[٢].

وأيضًا من توسيع الدلالة ما ورد فى تاريخ أبى صلح من قوله: "وهذه البيعة شرحة متسعة حسنة الوضع[٣] وأيضًا قوله "وهى بيعة كبيرة شرحة جدا"[٤] وكلمة شرحة يقصد بها متسعة، ولكن ما معنى شرحة؟، ورد فى اللسان" وشرح الله صدره لقبول الخير بشرحه شرحًا فانشرح: وسعه لقبول الحق فاتسع: وفى التنزيل "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.." وشرحه فتحه وبينه وكشفه" [٥].

وفى المفردات "أصل الشرح بسط اللحم ونحوه، يقال: شرحت اللحم شرحته، ومنه شرح الصغير: أى بسطه بنور إلهى، وسكينة من جانب الله وروح منه، قال تعالى: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾[٦] ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٧] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾[٨] وشرح الشكل من الكلام: بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه"[٩]. وفى أساس البلاغة "شرح الله تعالى صدره والشرح للإسلام وانشرح صدره[١٠] "وفى المصباح المنير "شرح الله صدره للإسلام شرحًا وسعه لقبول الحق"[١١].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٩٨.

(٢) شفاء الغليل ص ٢٠٥.

(٣) تاريخ الشيخ أبى صلح ٩٣، ٩٥.

(٤) تاريخ الشيخ أبى صلح ٩٣، ٩٥.

(٥) اللسان مادة شرح ص ٢٢٢٨.

(٦) طه ٢٠/ ٢٥.

(٧) الشرح ٩٤/ ١.

(٨) الزمر ٣٩/ ٢٢.

(٩) المفردات فى غريب القرآن:٢٧٨.

(١٠) أساس البلاغة ٤٨٥.

(١١) المصباح المنير ٣٠٨.

وهذا كله يعنى أن شرح يقصد بها اتساع الصدر فقط أو توضيح القصيدة وغيرها. ثم وسع الكاتب من دلالتها لتدل على اتساع البيعة، وغَيَّر صيغة شرح إلى شرحة، وهى مستخدمة إلى الآن بنفس هذا المعنى شَرْحَة أى متسعة للدور والغرق وغيرها، ومعنى شرح للحم الذى ذكره الراغب الأصبهانى موجود أيضًا فى المجتمع المصرى، وتم توسيعه ليدخل إلى أبواب عدة، فهو يعنى الضرب المبرح (شَرَّحْتُه ضربا) ويعنى تقطيع اللحم إلى قطع ثم صنع من الفعل الاسم شرائح اللحم، ثم أطلق على علم من علوم الطب وهو علم التشريح، ثم أطلق على مكان تقطيع أجساد البشر خاصة بحالة الوفاة الجنائية وهو "المشرحة"، ثم جىء بالمصدر وهو انشراح الذى سميت به بعض النساء وحمل معنى جديدًا هو السعادة والانشراح.

ومثال آخر قال يحيى بن سعيد الأنطاكى "واجتمع إليه سائر القبائل المنافرة لأبى عبد الله"[1] وقال أيضًا "وأخذوا ركبًا منهم بسائر رجاله"[2].

وفى أخبار مصر للمسبحى ورد أيضًا قوله "ونزل معضاد وسائر صقالية القصر والقواد"[3] وقوله "سائر رجال الدولة الذين جرت رسومهم بالأكل على السماط"[4].

وكلمة سائر تعنى الباقى، ولكن توسع فى دلالتها لتدل على معنى الجميع بدلاً من الباقى. ورد فى المصباح المنير وسَئِر الشىء سؤرا بالهمزة من باب شرب بقى فهو (سائر) قاله الأزهرى واتفق أهل اللغة أن سائر الشىء باقيه قليلا كان أو كثيرا قال الصغانى (سائر) الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر فى اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام[5] فهو يشير إلى أن سائر بمعنى الجميع من لحن العوام أما سائر بمعنى الباقى فهو الصحيح لغويًا. والآخر تطور أو توسيع دلالى، وهو المعنى المستخدم فى عامية مصر.

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ص ١٠٦، ١٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٢.

(٣) أخبار مصر ص ٢٠٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٥) المصباح المنير ص ٢٩٩.

وفى القاموس المحيط "السؤر بالضم البقية والفضلة وأسأر أبقاه كسأر كمنع والفاعل منها سآر والقياس مسئر ويجوز وفيه سؤرة أى بقية من شباب... والسائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات[1] "وقد أشار الدكتور محمود فهمى حجازى إلى تطورها بقوله" "فكلمة (سائر) عرفت فى النصوص العربية القديمة بمعنى الباقى وهذا ما تدل عليه المقارنات السامية كذلك وبدأت تستخدم فى القرن الرابع الهجرى بمعنى الجميع"[2] ولكننا وجدناها مستخدمة فى العصر الفاطمى بالمعنى نفسه الجديد بكثرة فى مصادره.

ومثال آخر ورد فى البرديات العربية قوله:

٧ ـ ودفع إلى من يدرس للخلى البرسيم لسنه دينر[3].

وفى المجموع الصفوى ورد قوله "ولا يكمم الثور فى الدراس"[4].

ولكن ما أصل درس أو دريس؟

وفى اللسان "درس الشىء والرسم يدرس دريسا: عفا، ودرسته الريح يتعدى ولا يتعدى، ودرسه القوم: عفوا أثره. والدرس أثر الدراس وقال ابن الهيثم درس الأثر يدرس دروسًا، ودرسته الريح تدرسه درسًا أى محته ومن ذلك درس الثوب أدرسه درسا، فهو مدروس ودريس، أى خلقته. ومنه قيل للثوب الخلق: دريس، وكذلك قالوا: درِس البعير إذا جَرِبَ جربًا شديدًا فقطر[5].

فالأصل فى كلمة دريس هى الثوب الخلق، ثم وسعوا فيه فجعلوه للبعير، ودرس للرسم الذى عفا وللقوم الذين ذهبوا. ثم وسعوا فيه أيضًا فجعلوه للحنطة ولهذا قال "درسوا الحنطة دراسًا أى داسوها قال ابن ميادة:

---

(١) القاموس المحيط ٢/ ٤٣.

(٢) مدخل إلى علم اللغة: محمود فهمى حجازى دار الثقافة للنشر والتوزيع.ط٢، ١٩٨٧. م القاهرة، ص ٨٧.

(٣) البرديات العربية السفر؟؟؟

(٤) المجموع الصفوى لابن العسار.

(٥) اللسان مادة درس ص ١٣٥٩.

هــلا اشتــريت حنطــة بالرسـتاق   سمـــراء ممـــا درس ابــن مخــراق[١]

ولهذا عدهـا الـزمـخـشـرى من المجـاز "ربع دارس، ومـدروس، وقـد درس دروسا ودرسته الرياح درسًا: تكررت عليه فعفته، ومن المجاز درس الحنطة دارسا داسها[٢].

ويوضح الأمر ابن فارس بقوله "يقال درس المنزل: عفا، ومن الباب الدريس الثوب الخلق، ومنه درست المرأة: حاضت.. ودرست الحنطة وغيرها فى سنابلها إذا دستها فهذا محمول على أنها جعلت تحت الأقدام كالطريق الذى يدرس ويحش فيه"[٣].

وقد اعتبرها المجمع اللغوى من الكلمات المولدة قال "الدريس المدروس الخلق البالى من الثياب وغيرها والدريس القت، وهو يابس البرسيم مولد[٤]. ومن هذا نرى أن الدريس وهو الثوب الخلق أو الشىء البالى قد وسع فى دلالته ليشمل البرسيم اليابس. بعد أن كان لدرس الحنطة فقط، وهذا اللفظ ومشتقاته مستخدمًا إلى الآن فى العامية المعاصر، نحو دَرَّاسة: آلة الدرس، ويدرس القمح: يحوله من عيدان إلى حبات قمح وتبن، وهى ألفاظ مستخدمة فى ريف مصر بكثرة.

ومن أمثلة توسيع الدلالة ما ورد فى أخبار مصر.

"فقبض على أطواقه وسقطت عمامته"[٥].

ويعنى بذلك أنه قبض على عنقه ولكنه قال على أطواقه فما أصل طوق؟ ورد فى اللسان مادة طوق "الطوق": حلى يجعل فى العنق، وكل شىء استدار فهو طوق، كطوق الرحى الذى يدير القطب ونحو ذلك، والطوق: واحد الأطواق، وقد طوقته

(١) المرجع سابق ص ١٣٦٠.

(٢) أساس البلاغة ص ٢٦٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٦٧.

(٤) المعجم الوسيط ١/ ٢٨٠.

(٥) أخبار مصر لابن ميسر ص ٥٧.

فتطوق: واحد الأطواق، وقد طوقته فتطوق، أى ألبسته الطوق فلبسه وقيل: الطوق ما استدار بالشىء، والجمع أطواق. "والمطوق الحمامة التى فى عنقها طوق، والمطوق من الحمام: ما كان له طوق، وطوقه بالسيف وغيره وطوقه إياه: جعله له طوقًا.

وفى التنزيل "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة"[1] يعنى مانع الزكاة يطوق ما بخل به من حق الفقراء من النار يوم القيامة[2] وفى القاموس المحيط "الطوق، حلى للعنق وكل ما استدار بشىء جمع أطواق وتطوق لبسه[3].

وقد ورد شرح لتطور دلالة هذه الكلمة فى المفردات فى غريب القرآن: قال "طوق أصل الطوق ما يجعل فى العنق - خلقة كطوق الحمام، أو صنعة كطوق الذهب والفضة، ويتوسع فيه فيقال: طوقته كذا. كقولك قلدته. قال تعالى "سيطوقون ما بخلوا به[4] وذلك على التشبيه"[5]

وهذا القول يوضح ما حدث لهذه الكلمة حيث كانت تدل على ما يجعل فى العنق من طوق ذهب أو فضة فيسمى طوق ثم حدث لها توسيع فأصبحت تطلق على العنق فيقول طوقته بالطوق، وأمسكت بأطواقه أى برقبته أو عنقه.

وهى غير مستخدمة فى العامية المعاصرة، واستبدلت بكلمة أخرى وهى رقبة، يقولون: فلان مسكه من رقبته. وهذا يشير إلى دوام تطور اللغة واستبدالها ألفاظًا بألفاظ أخرى، تحمل المعنى السابق ولكن بلفظ جديد.

ومن توسيع الدلالة أيضًا كلمة فدان ورد فى البرديات قوله فدان.

٣ - الأمتى نصف وربع فدان لها أياليج عشر[6].

---

(١) آل عمران ١٨٠.

(٢) اللسان مادة طوق ص ٢٧٢٤.

(٣) القاموس المحيط ص ٣/ ٢٥١.

(٤) آل عمران ١٨٠/

(٥) المفردات ص ٤٦٣.

(٦) البرديات - السفر السادس ص ١٢٩ رقم ٤٠٠ على الظهر.

أى قطعة من الأرض، والفدان فى الأصل كلمة سريانية تعنى المحراث فقد وردت فى نص أحيقار فى قوله "ولو كان بالقوة الشديدة يجر المحراث [illegible] يقول الدكتور رمضان عبدالتواب:

"[illegible] = فدان كلمة مؤنثة فى حالة إطلاق وهى بهذا المعنى فى سوريا ولبنان حتى اليوم، وتطلق فى مصر على مساحة معينة من الأرض وفى الصحاح (فدن) ٦/ ٢١٧٦ "الفدان آلة الثورين للحرث وقال أبو عمرو: هى البقرة[١].

وهذا يعنى أنها كانت تطلق على المحراث ثم وسع فى دلالتها إلى الأشياء المحيطة بالمحراث وهى البقرة؛ ثم وسع أكثر فأصبحت تدل على الأرض. وفى المعاجم. يذكر الخفاجى أصلها قائلاً "نبطى معرب ويخفف ويشدد جمعه فدن وأفدنة، وقال بعضهم المشدد: مقدار معلوم، والمخفف: آلة للزراعة[٢]. وقد كانت هذه الكلمة فى العراق بمعنى البقر الذى يحرث الأرض، ويؤكد هذا ما رواه صفى الدين الحلى فى العاطل الحالى والمرخص الغالى فى قوله:

"وقول الخباز البغدادى فى الصاحب بن الدباهى:

بكم قرى نهر عيسى أصبحت كالمدن ... أى باذلين القرى أى عاقرين البدن

ولو تشاءون بأطراف الرماح اللدن ... صيرتم الأسد تحرث فى مكان الفدن[٣]

أى الفدن وهى البقرة.

وقد ذكر ابن هشام اللخمى الفدان فى قوله "ويقولون للموضع الذى يحرث فدان، وذلك خطأ قال أبو حنيفة: وإنما الفدان الثوران اللذان يحرث بهما ولا يقال لواحد على انفراد فدان، والجمع الفدادين فأما الموضع الذى يحرث فيه، فيقال له الحقل"[٤] لقد تناول ابن هشام الكلمة على أنها لحن للعامة، والحق أنه

---

(١) فى قواعد الساميات ص ٢٥٨.

(٢) شفاء الغليل ١٩٧.

(٣) العاطل الحالى والمرخص الغالى،صفى الدين الحلى، تحقيق د حسين نصار الهيئة العامة المصرية للكتاب،١٩٨١م القاهرة،ص ١٠٦.

(٤) نقلاً عن لحن العامة التطور اللغوى ص ٢٣٥.

تطور دلالى للكلمة كما ذكرنا، وقوله السابق يؤكد ما حدث لها من تطور على ألسنة العامة.

ويقول ابن منظور فى مادة فدن "والفدان بتخفيف الدال: الذى يجمع أداة الثورين فى القران للحرث والجمع أفدنة وفدن والفدان: كالفدان فعال بالتشديد، وقيل الفدان الثور، وقال أبو حنيفة الفدان الثوران اللذان يقرنان فيحرث عليهما"[1] وهذا يؤكد أنها تطورت من معنى الآلة التى تجمع الثورين إلى معنى الثور، ثم إلى معنى الأرض التى تزرع.

ومن الملاحظ أن توسيع الدلالة يقوم على أساس هو أن المعنى الأول ينمو ثم يصل إلى المعنى الثانى الذى توسع فيه من باب واحد، ومن ثم يمكن الموازنة بينهما من حيث مدى التشابه بين كل منهما والترابط الذى يدل على هذا النمو والتطور فهناك علاقة بين الثور والأرض الزراعية فهو يحرثها ولهذا سهل الانتقال والتبادل اللغوى بينهما، وهى تعنى مساحة من الأرض فى العامية المعاصرة فى الريف المصرى خصوصًا.

ومن توسيع الدلالة ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "ولما دخل مصر بعد الشدة كان آخر عكس المستنصر وابتدأ سعادته"[2] يقصد آخر شدة المستنصر فقال آخر عكس المستنصر. وأصل عكس "يدل على مثل ما تقدم ذكره من التجمع والجمع. قال الخليل العكيس من اللبن: الحليب تصب عليه الأهالة،... ومن الباب العكس قال الخليل: هو ردك آخر الشىء على أوله، وهو كالعطف، ويقال تعكس فى مشيته، ويقال العكس: عقل يد البعير والجمع بينهما وبين عنقه، فلا يقدر أن يرفع رأسه، ويقال من دون ذلك الأمر عكاس أى تراد وتراجع"[3] وفى القاموس "العكس كالضرب قلب الكلام ونحوه ورد آخر الشىء إلى أوله"[4]. وفى اللسان "عكس الشىء يعكسه عكسًا فانعكس: رد آخره على أوله... وعكس

(١) اللسان مادة فدن ص ٣٣٦٦.

(٢) أخبار مصر ص ٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/ ١٠٧.

(٤) القاموس المحيط ٢/ ٢٢٩.

البعير بعكسه عكسًا وعاكسًا: شد عنقه إلى إحدى يديه وهو بارك... وتعكس الرجل: مشى مشى الأفعى..."[1]. وغير ذلك من معانى عكس، والأصل هو رد آخر الشىء على أوله، ولكن وسِّع فى دلالتها لتدل على أيام الشدة والشؤم،وقد أكد ذلك بقوله ابتدأ سعادته فهو نهاية الشدة وبداية السعادة، وهذا المعنى موجود فى العامية المعاصرة نحو قولهم فلان رجل عكاس، أى رجل يسبب المشاكل للناس، ولا يأتى منه إلا الشر، ثم توسعته دلالتها أكثر لتشمل كل من أضر بالناس فى الطريق وخصوصًا النساء، فيقولون فلان بيعاكس البنات، أى يسبب لهن الضرر و الضجر والمضايقة فى سيرهن.

ومن توسيع الدلالة ما ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة "وهذا كان له صيت عظيم فى صناعته"[2]. والصيت هو كما فى هذا النص الشهرة،وهو المعنى المعاصر لهذه الكلمة، يقولون: فلان له صيت عظيم أى مشهور معروف.

ولكن فى القاموس "صات صيت بالكسر الذكر الحسن[3] وفى مقاييس اللغة "الصيت الذكر الحسن فى الناس يقال ذهب صيته"[4] وفى أساس البلاغة "وله صوت فى الناس وصيت وذهب صيته فيهم"[5].

والصيت من هذا هو الذكر الحسن، ولكن حدث هنا توسع بالكسر فى دلالتها فأصبحت تدل على الشهرة فى العمل أو الصناعة أو إذا قلنا بنفس اللفظ قلنا هو الذكر الحسن فى العمل كما هو الذكر الحسن فى السلوك أو الأخلاق. وقد وجدنا فى مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية أن أصل كلمة صيت شهرة "صيت" فى قولهم nemamme Sait صويت ـ بـ Cwt صيته مشهور ملأ الأرض معناها شهرة اسم صيت[6]. والحق أن ما ذكرناه هو الصحيح فى أصلها العربى.

---

(١) اللسان مادة عكس ٣٠٥٦.

(٢) تاريخ بطاركة الكنيسة ص ١/٧.

(٣) القاموس المحيط ص ١/ ١٥١.

(٤) المعجم مقاييس اللغة ٣/ ٣١٩.

(٥) أساس البلاغة ص ٥٤٤.

(٦) مجموع الألفاظ القبطية ص ٣٤.

ثانيًا: انتقال الدلالة:

ويقول فندريس فى تحديد المراد بنقل المعنى "يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص كما فى حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب، أو من العلامة الدالة إلى الشىء المدلول عليه... الخ. ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق ينشآن من الانتقال فى أغلب الأحيان، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى، يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية"[١].

والحق أن انتقال المعنى يختلف عن التضييق والتوسيع فى المعنى فى أن المعنى الجديد فى حالة الانتقال والمعنى الأول ليسا من باب واحد، يقول أولمان "ومن الواضح أن المدلولين ليسا من باب واحد، ومن ثم لا يمكن الموازنة بينهما من حيث مدى انتشار كل منهما"[٢].

ومن أمثلة انتقال المعنى ما ورد فى أخبار مصر "... ودفن بالقرافة كما كانوا يجتمعون بالجيزة ولا بالجزيرة ولا بالقرافة"[٣].

وفى المنامات "منها أنى خرجت الجمعة إلى القرافة من درب الصفا"[٤] والقرافة تعنى فى تلك النصوص المقبرة وهى أيضًا مستعملة فى العامية المصرية المعاصرة بالمعنى نفسه. ولكن ما أصل هذا المعنى؟.

يقول الخفاجى "قرافة: بطن من معافر عرفوا باسم أبيهم نزلوا محلة بمصر فعرفت بهم وهى الآن مقبرة قاله ابن هشام فى تذكرته، وفى المعجم القرافة خط بمصر وقرافة بطن من المعافر نزلوها فسميت بهم وهى أيضًا اسم موضع بالإسكندرية"[٥]. وفى المعجم الوسيط "القرافة: المقبرة: وهو اسم قبيلة يمنية

---

(١) اللغة لفندريس ٢٥٦.

(٢) دور الكلمة فى المعنى ١٦٣.

(٣) أخبار مصر ص ٣٩.

(٤) المنامات ص ٨٦.

(٥) شفاء الغليل ص ٢١٥.

جاورت المقابر بمصر فغلب اسمها على كل مقبرة[1]. وفى القاموس "قرافة... بطن من المعافر ومقبرة مصر وبها قبر الشافعى رحمه الله تعالى[2] ويقول الأستاذ أحمد أمين عن هذه الكلمة "القرافة هى مدافن الموتى... ومما ينسب إليها من كبار فقهاء الشافعية المصريين (الشيخ القرافى) صاحب كتاب (المفارقات) فى الفقه، واشتهرت فى القاهرة جملة قرافات منها قرافة (المجاورين) و(العفيفى) الإمام الشافعى) وقرافة (السيدة نفيسة)[3].

ومن هذا كله نرى أن الكلمة كانت تطلق على اسم بطن من قبيلة معافر كانت تسكن هذا المكان فى مصر وبجوارها المقابر ثم حدث انتقال فى الدلالة حيث أطلق اسم القبيلة على اسم المكان فصارت كلمة قرافة تعنى فى عامية المصريين المقبرة ولو لم تكن فى هذا المكان فى القاهرة، بل فى أى مكان وهو نوع من انتقال الدلالة، وهذا المعنى الجديد الموجود فى العامية المعاصرة إلى الآن، كأن المعانى تطورت فى العصر الفاطمى لتستقر فيه وتثبت بعد ذلك.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى المنامات كلمة سبوبات فى قوله "وبذلك أشهرا على أنفسهما المؤجر والمتأخر فى صحة منهما وسلامة، وذلك فى السبوبات بالميدان الأخضر سنة خمس وثمانين وخمسمائة[4].

والسبوبات هى البضائع التى يتاجر فيها، وهو المعنى المستقر فى العامية المعاصرة، وقد تطور ليشمل كل عملية تجارية، أو غير تجارية، يخرج منها الشخص بربح مادى،أو أى منفعة ما، فهم يقولون: هذا الأمر فيه سبوبة، أى منفعة، ولكن ما أصلها؟

يقول المعجم الوسيط... السبب الحبل والسبب يقول تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥)﴾ كل شىء سببا فأتبع سببا[5] والأسبوبة: ما

(١) المعجم الوسيط ص ٢/ ٧٢٩.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ١٧٩.

(٣) قاموس العادات والتقاليد: الأستاذ أحمد أمين،ط٢ مكتبة نهضة مصر ١٩٥٣م القاهرة، ص ٣٢٢.

(٤) المنامات ١٩٩.

(٥) الكهف ١٨/ ٨٤، ٨٥.

يتساب به جمع أسابيب... والسبب فى الشرع ما يوصل إلى الشىء ولا يؤثر فيه[1]. وفى القول المقتضب "سبب ويقولون: سبب قال بعض أئمة اللغة أى باع واشترى فى الشىء[2]. إن أصل كلمة سبب هى الحبل وكل شىء يتوصل به إلى غيره ثم انتقل هذا المعنى إلى معنى جديد وهو الذى ذكره صاحب القول المقتضب من أنه الشىء الذى يباع ويشترى فهو سبب إلى الرزق ولهذا سمى بالسبب وأتى بالمؤنث منه سبوبة وجمع على سبوبات الواردة بالنص السابق "وذلك فى السبوبات بالميدان فقد انتقلت الدلالة من عملية بيع الشىء إلى الشىء نفسه وهو السلعة التى تباع وتشترى.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر ليتفرجوا عليها فيحصل لهم الضرر[3] أى يحدث لهم ولكن حصل فى معجم مقاييس اللغة "هو جمع الشىء ولذلك سميت حوصلة الطائر: لأنه يجمع فيها، ويقال حصلت الشىء تحصيلاً وزعم ناس من أهل اللغة أن أصل التحصيل استخراج الذهب أو الفضة عن الحجر أو من تراب المعدن، ويقال لفاعله المحصل[4].

وفى القاموس المحيط "الحاصل كل شىء ما بقى وثبت وذهب ما سواه.. وتحصل تجمع[5] وحصل فى المفردات "التحصيل: إخراج اللب من القشور. كإخراج الذهب من حجر المعدن، والبر من التبن، قال الله تعالى "وحُصِّلَ ما فى الصدور[6]" أى أظهر ما فيها وجمع كإظهار اللب من القشور[7].

وهذا يعنى أن حصل أى جمع وحصل على الشىء تحصيل أى وصل إليه، ولكن انتقل معناها إلى معنى جديد وهو "حدث" وهذا هو معنى النص حيث قال يحصل لهم الضرر أى يحدث لهم الضرر، وهو المعنى المستخدم فى العامية

---

(١) المعجم الوسيط ١/ ٤١١.

(٢) القول المقتضب ١٥.

(٣) أخبار مصر ٦٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة ص ٢/ ٦٨.

(٥) القاموس المحيط ص ٣/ ٣٤٦.

(٦) العاديات ١٠٠/ ١٠.

(٧) المفردات فى غريب القرآن ١٧٤.

المصرية المعاصرة، فيقولون: ماذا حصل اليوم فى الاجتماع؟ أى ماذا حدث، كأنهم ينظرون إلى النتيجة لا إلى الحدث فماذا حدث؟ هو سؤال عن نتيجة الحدث، الذى أصبح حاصلا ومتحصلا منه، فانتقال معنى اللفظ لمجاوره وهو نتيجته فيحصل لهم الضرر أصبحت تعنى يجتمع لهم الضرر.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى البرديات "ذكره فى الوجه البحرى من هذه المدينة بخط البنادين وجوار مسجد"[1] وقد ورد فى السفر الأول قوله:

٤ ـ والقصر هناك بجميع حدوده وحقوقه كلها الحد القبلى منه ينتهى إلى الزقاق النافذ والحد البحرى إلى منزل عبد المسيح.[2]

من المصطلحات الموجودة فى هذا العصر كلمة قبلى وبحرى. وهذه كلمات عربية هى قبلى مشتقة من القبلة وهى جهة الصلاة "وما لفلان قبلة، أى جهة يتوجه إليها ويقبل عليها... والقبلة سميت قبلة لإقبال الناس عليها فى صلاتهم، وهى مقبلة عليها أيضا[3].

ومن هذه الكلمة وهى قبلة أتى مصطلح قبلى أى المكان الذى جهة القبلة وهو بالفعل مكان الوجه القبلى أسفل الدولة ناحية مكة المكرمة، ومن هنا حدث انتقال لدلالة الكلمة من حيث الدلالة على القبلة إلى الدلالة على المكان الذى يقارب القبلة من الدولة.

وكذلك كلمة بحرى وهو الجهة العليا فى مصر والتى تواجه البحر الأبيض المتوسط ولهذا سميت المنطقة بالوجه البحرى، والثانى بالوجه القبلى وإن كانت كلمة بحرى حدث فيها مجاز حيث أطلق اسم الجزء على الكل وهو الوجه البحرى إلا أنه يدل على انتقال لدلالة الكلمة من الدلالة على البحر إلى الدلالة على الجهة الملاصقة له.

---

(١) البرديات ـ السفر الأول ص ٢٢٨ بردية رقم ٧١.

(٢) السفر الأول ٢٣٣ رقم البردية ٧٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٥٢، ٥٣.

ويقول الدكتور كامل مراد "ونجد العربية فى مصر قد تأثرت بالاصطلاحات المصرية، فالمصريون هم الذين يحددون الجهات بالبحرى والقبلى بدلاً من الشمالى والجنوبى[1] والحق أن المصريين هم الذين يستخدمون هذه المصطلحات فعلاً للدلالة على الشمال والجنوب وهذا كما قلنا انتقال دلالى، ودل على الشمال والجنوب فى كل بيع وشراء من بيت أو أرض زراعية بالبحرى والقبلى، صحيح أن المصريين هم الذين يقولون ذلك لطبيعة أرضهم حيث يحدها من الشمال البحر ومن الجنوب جهة القبلة.

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى تطور دلالة هذه الكلمة قائلاً "هذا المستوى اللغوى شاعت عبارات وألفاظ كثيرة لها أصول عربية واضحة، ولكن ربما تحرج المتحفظون من استعمالها أو ربما لم يكتب لها الشيوع فى البلاد، العربية فظلت لها صفة المحلية أو الإقليمية،مما شجع بعض اللغويين أن يحكموا عليها من أجل ذلك بالابتذال أو غير الفصاحة. ومن أمثلة ذلك:

١ ـ استعمالهم لفظتى (قبلى) و(بحرى) فى مقابل جنوبى وشمالى.

وقد ورد ذلك كثيراً فى وثائق البردى وبخاصة فى وثائق البيع ووصف حدود الأراضى أو المنازل. وقد تنبه المقريزى إلى هذه الخاصية المصرية فقال فى خططه "إلا أن أهل مصر يستعملون فى تحديدهم بدلاً من الجهة الجنوبية لفظة القبلية. ويقولون الحد القبلى ولا يقولون الجنوبى. وكذلك يقولون الحد البحرى ويريدون الشمالى[2].

ومن انتقال الدلالة قوله "وخلوا غلمانهم ضربوهما"[3].

وفى المنامات "والعشرة دنانير التى لك عند ابن النقاش إلى متى تخليها"[4]. وكلمة خلى أى ترك، ولها معان كثيرة ولكن ليس من معانيها جعلوا وهذا معنى

---

(١) حضارة مصر فى العصر القبطى ص ٧١ وبالبرديات العربية رسالة دكتوراة ص ١٥٧.

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٦.

(٣) تاريخ الشيخ أبى صلح ص ٨.

(٤) المنامات ٣٧.

جديد أضيف إلى معناها الأول وهى مستخدمة الآن بالمعنى الجديد نفسه على ألسنة العامة فى مصر فى عصرنا، وهو كقول القائل "خلى الأولاد يعملوا كذا، أو كذا". "أى اجعلهم يعملون" "وخلى فلان ينفعك". وفى أساس البلاغة "خلا المكان خلا وخلا من أهله وعن أهله.. ومن المجاز: خلى فلان مكانه: مات ولا أخلى الله مكانك: دعاء بالبقاء[1].

وفى مقاييس اللغة "الخلى: الخلى من الغم وامرأة خلية كناية عن الطلاق... المكان الخلاء: الذى لا شىء به[2] وفى القاموس المحيط."خلا المكان وخلاء وأخلى واستخلى فرغ ومكان خلاء ما فيه أحد وأخلاه جعله وحده خاليًا[3]. وكل هذا ليس فيه معنى "جعل" من معانى خلى، فهو انتقال دلالى لهذه الكلمة، فكيف حدث هذا الانتقال؟!

الذى يبدو لى أن خلا بمعنى فرغ و أفرغ التى هى فى تلك النصوص العامية تعنى أفرغه من كل شىء حتى عمل الشىء أو يفعله (فخلوا غلمانهم) أى أفرغوهم من أى عمل آخر ليعملوا ما أراد وهو ضربهم لهما، وخلى فلان يفعل كذا أى أفرغه ليعمل كذا، وهو تطور لدلالة الكلمة من الدلالة على الحدث (الإفراغ) إلى المرحلة التالية وهى العمل التالى بعد حدث الإفراغ وهو الضرب وأى شىء، وهو انتقال لدلالة الكلمة،وهى مستخدمة بكثرة فى مصر.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى أخبار مصر قوله "وذلك أن جميعهم هرب من رفق الخادم بعدة الدولة وعمادها متولى السيارات بأسفل الأرض[4] وقوله فى موضع آخر "وقلد جميع سيارات أسفل الأرض التى كانت فى يد عدة الدولة ورفق الخادم الأسود[5] وفى المكافأة ورد قوله "فإنى أؤمنه وأكرمه وأقلده سيارة البلد[6]".

---

(١) أساس البلاغة ٢٤٩.
(٢) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٠٤.
(٣) القاموس المحيط ٤/ ٣١٩.
(٤) أخبار مصر ص ٤/ ١٦٥.
(٥) أخبار مصر ص ٤٠، ١٦٥.
(٦) المكافأة ص ٣٣.

والسيارات القافلة[1] وقوم سيارة وساروا من بلد إلى بلد وأسارهم غيرهم سيرهم[2] وفى القاموس المحيط "السيارة القافلة[3] والسيارة هى الجماعة فى المفردات "والسيارة الجماعة قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾[4][5] ولكن فى هامش كتاب المكافأة لابن الداية نجد هذا التعليق "سيارة مصدر من سار دال بصيغته على الحرفة، ويظهر أن سيارة البلدة كانت وظيفة فى هذا العهد، يقصد بها حسن السيرة بالبلدة، وصيانة الأمن والتنظيم به، وقد استعمل صاحب النجوم الزاهرة هذه بنفس المعنى[6]. والواقع أن هذا التعليق صحيح وهو أيضًا يتفق مع معنى النصوص السابقة حيث فى النص الأول يقول هرب من رفق الخادم متولى السيارات أى هى وظيفة يتولاها شخص وتسمى السيارة وجمعها سيارات وكذا المعنى بالنص الثانى وهو تطور دلالى حيث انتقل معنى سيارة من القافلة إلى معنى متولى الحراسة على الأمن بالبلدة.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى المنامات ولا الحذر من عيارى السواد وحرامية الفرنج ولا تغير الملك[7].

كلمة حرامى ما أصلها؟ يقول صاحب القاموس المحيط "الحرم بالكسر الحرام جمع حرم وقدم عليه بالضم وحراما كسحاب وحرمه الله تحريمًا وحرمت الصلاة على المرأة ككرم حرما"[8]. والتحريم هو المنع والحرام هو الممنوع من قِبَل المشرع، وهناك معان أخرى ومنها الحرم المكى وكما يقول هو "الحرم والمحرم حرم مكة وهو حرم الله ورسوله[9] والنسب إلى الحرم هو "وحرم مكة والمدينة معروف

(١) المصباح المنير ص ٢٩٩.
(٢) أساس البلاغة ص ٤٧٢.
(٣) القاموس المحيط ٢/ ٥٣.
(٤) يوسف ١٢/ ١٩.
(٥) المفردات ص ٣٦٠.
(٦) المكافأة لابن الداية ص ٣٣.
(٧) المنامات ص ٢٣.
(٨) القاموس المحيط ص ٤/ ٩٣.
(٩) القاموس المحيط ص ٣/ ٩٣.

والنسب إليه (حرمى) بكسر الحاء وسكون الراء على غير قياس يقال رجل (حرمى) وامرأة (حرمية) وسهام حرمية. قال الشاعر:

من صوت حرمية قالت وقد ظعنوا هل فى حفيكمو من يشترى ادما[1]

ولكن ما نناقشه هنا كلمة عن حرمى وهى كلمة حرامى والتى تعنى عندهم اللص ولا زالت مستخدمة إلى الآن بنفس هذا المعنى فى عصرنا الحالى.

وقد قال الدكتور أحمد عيسى فى أصلها "والحرامى الحرام نقيض الحلال والحرام ما حرم الله، والنسب إليه حرامى فهو الذى يأتى بما حرم الله من قتل وسلب ونهب وأضرار الخ وهذا اللفظ من أبعد الألفاظ فى القدم فى لغة العامة، ففى ذيل تاريخ مرآة الزمان لبسط ابن الجوزى فى حوليات سنة ٦٧٢، إذ جاء فى ترجمة قاضى القضاة عز الدين محمد بن الصائغ، قال: وإذا بالغفل يقولون: قد طلع علينا حرامية، فأخذت قوس الخ، فهذا الاستعمال المجازى من القرن السابع الهجرى[2] أى أن أصلها من الحرام أى ما حرم ثم وسع فى دلالتها من باب المجاز لتشمل كل ما يُفعل من المحرم ثم أطلق على اللص بأنه حرامى. ولكن يذكر الأستاذ أحمد أمين لها أصلاً آخر حيث يقول "حرامى كان فى كل بلدة تقريبًا فى المدن أو القرى طائفتان: طائفة تنتسب إلى سعد، وطائفة تنتسب إلى حرام، فهذا سعدى أى ينتسب إلى سعد، وهذا حرامى أى ينتسب إلى حرام، ويظهر أن سعدًا انتصر على حرام فتدلى حرام حتى كان من نسبه لصوص، وسمى اللص حراميًا[3] أى نسبة إلى قبيلة حرام، ومن هذا الباب يكون قد حدث أنتقال دلالى من الدلالة على قبيلة إلى الدلالة على حرفة محرمة وهى اللصوصية، وهذا التفسير الأخير هو المقبول لوجود هاتين القبيلتين. فعلا فى مصر.

ولكن بالعودة إلى كتاب الله فى سورة يونس وجدنا قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ قال القرطبى فى تفسيرها

---

(١) المصباح المنير ص ١٣٢.

(٢) المحكم فى أصول العامية.

(٣) قاموس العادات والتقاليد ١٦١.

"فجعلتم منه حرامًا وحلالاً" قال مجاهد: هو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام"[1] فمن هذا القول نفهم أن كلمة حرام أى ما حُرِّم، فأصبح حرامًا مُحرَّمًا، ثم نسب من يفعل فعلاً مُحرمًا إلى هذا الاسم، فظهر هذه الاسم الجديد حرامى، الذى لازال مرتبطا بالمعنى الأصلى له، وهو التحريم وفعل ما هو مُحرمٌ، ولهذا أراه تطورًا لهذا المعنى بعيدًا عما قيل من قبل عن معنى هذه الكلمة.

كما نلاحظ التلازم الذى فى الآية بين كلمتى حلال وحرام، التى انتقلت بتلك الصورة نفسها إلى ألسنة العامة فى كل مكان قديمًا وحديثًا، يقولون: فلا ن لا يحلل حلال ولا يحرم حرام، ولا حلال نافع ولا حرام، وقد ظهر هذا التلازم فى الأحاديث النبوية.

ومن انتقال الدلالة ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر "وفيها أخرج... من دار الخلافة ببغداد محضر وسجل قرى على جميع أرباب الدولة... حتى مات وكتب السجل والمحضر وقرئا[2].

ويقصد بالمحضر أو الكتاب الذى يدون فيه قضية ما، وهو المعنى المستخدم لهذه الكلمة فى العامية المعاصرة، ويرتبط بمحاضر الجلسات فى المؤتمرات والمجالس الحكومية وغيرها ومحاضر أقسام الشرطة، ولكن ما أصلها؟ يقول صاحب اللسان مادة حضر "المحضر: المرجع إلى المياه الأزهرى: المحضر، عند العرب المرجع إلى أعداد المياه والمنتجع المذهب فى طلب الكلا[3].

وفى المعجم الوسيط "المحضر، المنهل والمحضر الذين يردون الماء ويقيمون عليه والمحضر السجل والمحضر الصحيفة تكتب فى واقعة وفى آخرها خطوط الشهور بما تضمنه صورها، كمحضر جلسة مجلس الوزراء أو محضر رجال الشرطة جمع محاضر (مولدة)[4].

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) أخبار مصر ٣٧.

(٣) اللسان مادة حضر ٩٠٧.

(٤) المعجم الوسيط ١/ ١٨١.

لقد كانت كلمة محضر تعنى المنهل أو المرجع إلى المياه ثم حدث انتقال هذه الكلمة إلى دلالة جديدة وهى السجل لعلاقة شبه بينهما فالأول مصدر للمياه والثانى مصدر لحكم القاضى أو رئيس الوزراء أو رجال الشرطة أو هو مصدر للتعرف على مضمون القضية فهو انتقال لدلالة أوجدها المجاز المرسل لعلاقة المشابهة ومحضر بمعنى سجل هى كلمة مولدة كما يرى المجمع اللغوى أيضًا، حيث أوجدها المولدون.

ثالثًا: انحطاط الدلالة:

يقول الدكتور إبراهيم أنيس "كثيرا ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو ضعف فنراها تفقد شيئًا من أثرها فى الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التى تنال من المجتمع الاحترام والتقدير. فهناك ألفاظ تبدأ حياتها بأن تعبر فى قوة عن أمر شنيع أو فظيع، حتى إذا طرقت الآذان فزع المرء لسماعها وأحس أنها أقوى ما يعبر عن تلك الحال، ثم تمر الأيام وتشيع تلك الألفاظ، ويكثر تداولها بين الناس، وهم عادة مشغوفون فى كلامهم بالإسراف والمغالاة. فيستعملونها فى مجال أضعف من مجالها الأول رغبة منهم فى أن يحيطوا معانيهم بحالة من القوة لا مبرر لها فى الحقيقة، وهنا تنهار القوة التى فى الدلالة الأولى، ويصبح اللفظ بعد شيوعه مألوفًا لا تخيف دلالته ولا تفزع لها النفوس... وهناك ألفاظ أخرى تصيبها الخسة بعد الرفعة، وتفقد الاحترام الذى كان لها فى المجتمع وأكثر ما يكون هذا فى الألقاب الدنيوية كلفظ (أفندى) حين تقارن حالها فى أواخر القرن التاسع عشر بحالها فى منتصف القرن العشرين[1].

هذا ما يحدث لدلالة بعض الألفاظ، من الانحطاط، والعامل الأساسى فى انحطاط أو رقى الدلالة هو الاستعمال الاجتماعى فقد تصعد الكلمة إلى القمة، وتهبط إلى الحضيض فى وقت واحد[2] وقد حدث هذا بكثرة فى العصر الفاطمى ولهذا نتعرض لبعض الكلمات التى حدث لها انحطاط فى دلالتها.

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٥٦.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ١٨٦.

من أمثلة ذلك ما ورد فى المنامات فى قوله "ومنزله مأهول بالولدان، مغمورًا بالقحاب والمردان"[1] وقوله "وأطيب من الصفح بخفاف القحاب"[2].

والقحاب جمع قحبة وهى المرأة فاسدة السلوك ورد فى القاموس المحيط "القحب المسن والعجوز قحبة والذى يأخذ السعال وقد قحب كنصر قحبًا وقحابًا بالضم وقحب تقحيبًا وسعال قاحب شديد والقحبة الفاسدة الجوف من داء والفاجرة لأنها تسعل وتنحنح أى ترمز به، أو هى مولدة، وبه قحبة أى سعال، فالأصل فى كلمة قحبة أى سعال ثم حدث لهذه الكلمة انحطاط دلالة فأصبحت تدل على المرأة الفاسدة كما ذكر صاحب القاموس آنفًا، فهى ترمز بالسعال إلى ما تريد.

وهذا القول مشروح لدى الخفاجى فى قوله "قحبة: بمعنى فاجرة قال أبوهلال العسكر فى كتاب الصناعتين صار تسميته البغى المتكسبة بالفجور قحبة حقيقية قال:

وقحبـــــة إذا رأى جمالها العلق سجد

وإنما القحاب السعال وكأنهم إذا أرادوا أن يُكنُّوا عمن زنت وتكسبت بالفجور قالوا قحبت أى سعلت لأنها إذا أرادت أحدًا يراها سعلت له وقيل القحاب فساد فى الجوف[3].

وفى اللسان مادة قحب "رجل قحب"، وامرأة قحبة كثيرة السعال مع الهرم، وقيل هما الكثيرا السعال مع هرم أو غير هرم. وقيل أصل القحاب فى الإبل وهما فيما سوى ذلك مستعار وبالدابة قحبة أى سعال...) الأزهرى: أهل اليمن يسمون المرأة المسنة قحبة.. والقحبة كلمة مولدة قال الأزهرى: قيل للبغى[4] فى دفع الإصر عن كلام أهل مصر ص ١٨/١٨ والقول المقتضب ص ١٧. وقال ابن فارس "قحب... كلمة تدل على سعال الخيل والإبل وربما جعل للناس[5].

---

(١) المنامات ص ١٤٦.

(٢) المنامات ص ١٠٣.

(٣) شفاء الغليل ٢١٤.

(٤) اللسان مادة قحب ٣٥٣٤.

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢.

ومن هذا نرى أن أصل قحبة السعال فى الإبل ثم استعيرت للناس، ثم انحطت دلالتها، فدلت على مهنة وضيعة، وهى موجودة بالمعنى نفسه فى العامية المعاصرة.

وأيضًا ورد فى المنامات وقال "وهو يدور فى الموقف عن اللاطة والقوادين من أمة محمد ﷺ[1] ألذ من مماكسة الخمار، لا والله إلا أحلى من مطابقة الزامر للعواد، وأشهى إلى النفس من مواعيد القواد[2].

والقيادة هى الرئاسة والإمارة على القوم، ثم حدث لها انحطاط دلالى لتدل على من يقود الناس إلى المنكر، يقول ابن فارس: "يسمون الخيل قودا فيقال: مر بنا قود، وفرس قوود سلس منقاد. والقائد من الخيل أنفه والأقود من الناس: الذى إذا أقبل على الشىء بوجهه لم يكد ينصرف[3] وفى القاموس "ورجل قائد من قود وقواد وقادة[4] وفى المصباح "وقاد الأمير الجيش (قيادة) فهو قائد وجمعه قادة وقواد وانقاد انقيادًا فى المطاوعة وتستعمل القيادة وفعلها ورجل (قواد) فى الدياثة وهى استعارة قريبة المأخذ... وقال فى مجمع البحرين ويقال فى ظلمة امرأة من هذيل كانت فاجرة فى شبابها فلما أسنت قادت وضرب بها المثل فقيل (أقود من ظلمة)[5] وفى أساس البلاغة "مر بنا قود من الخيل: جماعة. وقاد على الفاجرة قيادة[6].

ومن هذا كله نرى أن قود، وقاد كانت ذات معنى رفيع ثم حدث لها انحطاط دلالى فأصبحت تدل على مهنة وضيعة يرفضها المجتمع بل هى سُبة فى صاحبها.

---

(١) المنامات ٢٦.

(٢) المرجع السابق ١٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ص ٥/ ٣٩.

(٤) القاموس المحيط ١/ ٣٢٨.

(٥) المصباح المنير ٥١٩.

(٦) أساس البلاغة ٧٩٦.

ومن انحطاط الدلالة قول الوهرانى "وهو يدور فى الموقف على اللاطة والقوادين من أمة محمد ﷺ[1]".

واللاطة: لها معنى آخر فى اللغة قال فى أساس البلاغة "لاط الحوض: مدرة لئلا ينشف الماء، وفى الحديث "الولد ألوط": ألصق بالقلب وقال عبيد بن أيوب العنبرى:

وطال احتضانى السيف حتى كأنما يلاط بكشحى غمده وحمائله

يريد كأنه مخلوق منى وفلان مستلاط: دعى. واستلاط ولدًا ليس منه ادعاه... البهثة: ولد البغى[2].

وفى اللسان مادة لوط "لاط الحوض بالطين لوطًا: طينه والتاطه: لاطه لنفسه خاصة.. ولوط: اسم النبى صلى الله على سيدنا محمد نبينا وعليه السلام، ولاط الرجل لواطًا ولاوط: أى عمل عمل قوم لوط قال الليث: لوط كان نبيًا بعثه الله إلى قومه فكذبوا، وأحدثوا ما أحدثوا فاشتق الناس من اسمه فعلاً لمن فَعَل فِعْل قومه"[3] وهذا شرح كامل لأصل الكلمة وتطورها الدلالى من اسم نبى إلى اسم فعل مشتق فهو انحطاط دلالى. وهذا القول فى القاموس المحيط "لوط بالضم النبى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منصرف من السببين لسكون وسطه ولاط عمل قومه"[4] وهذا اللفظ غير موجود فى العامية المعاصرة.

وفى المنامات "فلان تسأل عما يقاسيه الخادم من جور العلوق... أما العلوق - لعنهم الله - ورد كيدهم فى نحورهم." [5].

وكلمة العلوق. تعنى هنا السيئ السلوك ولكن أصلها كما يقول ابن فارس "علق... يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط بالشىء العالى. ثم يتسع الكلام فيه،

---

(١) المنامات ٣٦.

(٢) أساس البلاغة ٨٧٢.

(٣) اللسان مادة لوط ٤٠٩٩.

(٤) القاموس المحيط ١/ ٣٨١.

(٥) المنامات ص ١٤٦.

والمرجع كله إلى الأصل الذى ذكرناه تقول: علقت الشىء أعلقه تعليقًا، وقد علق به، إذا لزمه والقياس واحد..." [١] وغير هذا من المعانى التى ذكرها ابن فارس. ويقول الزمخشرى "وامرأة علوق: فروك. وناقة علوق ترأم ولدها ولا تدر، يقال: عاملتنا معاملة العلوق." [٢].

ويبدو أن معنى علق وعلوق أتى من معنى امرأة علوق: أى فروك ثم زاد انحطاطها فأصبحت تطلق على سىء السلوك من الرجال والنساء وهذا أيضًا ما ورد فى القاموس المحيط "والعلاق كزنار نبت... وما يعلق بالإنسان والناقة التى تعطف على غير ولدها فلا تَرْأمَهُ، وإنما تشمه بأنفها وتمنع لبنها والمرأة لا تحب غير زوجها وناقة لا تألف الفحل ولا ترأم الوالد والمرأة ترضع ولد غيرها، وعاملنا معاملة العلوق يقال لمن تكلم بكلام لا فعل معه... وعلُق فلان بالضم امرأة أحبها وتعلقها"[٣] وهى موجودة بالمعنى نفسه فى العامية المعاصرة

ومن انحطاط الدلالة ما ورد فى تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى قوله "انعكف على شرب القهوة وسماع الأغانى والخلاعة"[٤].

والخلاعة هى سوء السلوك. يقول ابن فارس "ويقال طلق الرجل امرأته. فإن كان ذلك من قبل المرأة يقول خالعته وقد اختلعت: لأنها تفتدى نفسها منه بشىء تبذله له وفى الحديث "المختلعات من المنافقات" يعنى اللواتى يخالعن ازواجهن من غير أن يضارهن الأزواج... والخليع: الذنب، وقد خَلُعَ أى خلع... ويقال فلان يتخلع فى مشيته، أى يهتز فكأن أعضاءه تريد أن تتخلع. فالخلع هو الترك، ثم أطلق على الذنب ثم انحطت دلالتها لتصبح دليلاً على من يتخلع فى مشيته أى يهتز، وهذا أيضًا موجود فى القاموس المحيط "التخليع مَشْيةُ... والمخلع كمعظم بيته والرجل الضعيف الرخو ومن به شبه مس أو مس وامرأة مختلعة شبقة"[٥]

---

(١) معجم مقاييس اللغة ص ٤/ ١٢٥.

(٢) أساس البلاغة ٦٥١.

(٣) القاموس المحيط ٣/ ٢٦٠.

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ص ١٠٦.

(٥) القاموس المحيط ٣/ ١٨.

وفى القول المقتضب "خلاعة: ويقولون فلان عنده خلاعة قال بعض أئمة اللغة: الخلاعة المباسطة والمطايبة،... والخليع: الصياد، والشاطر، والقول، والذئب، والمقار، والمراهن، والثوب، والحلق... والتخليع: مشية، والرجل الضعيف الرخو ومن به شبه مس، وامرأة متخلعة: شبقة تحب النكاح"[1] وهى موجودة بالمعنى نفسه فى العامية المعاصرة.

رابعا: تخصيص الدلالة:

وهو تحويل الدلالة من المعنى الكلى إلى المعنى الجزئى أو تضييق مجالها، وعرفه بعضهم بأنه تحديد معانى الكلمات وتقليلها.

فتضييق المعنى يحدث عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص. ومن حالات التخصيص الدلالى "تلك الحالة التى يطلق فيها الاسم العام على طائفة خاصة، تمثل نوعها خير تمثيل فى نظر المتكلم، ذلك أن الإنسان إذا وثق من أن محدثه قادر على فهمه، أعطى نفسه من استعمالها اللفظ الدقيق المحدد، واكتفى بالتقريب العام"[2].

ويقول الدكتور مراد كامل "التضييق هو خروج الكلمة من معنى عام إلى معنى خاص بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورًا على أشياء تقل فى عددها عما كانت تدل عليه الكلمة فى الأصل إلى حد ملحوظ.

ومن هذه التعريفات المختلفة لجانب تضييق المعنى يتضح أنه تضييق للمعنى الأول فالكلمة التى كانت تشير إلى عدة أشياء أصبحت تشير إلى شىء واحد أو شيئين.

ومثل هذا ما حدث لكلمة. تربة "والتى كانت تعنى الأرض ثم أصبحت تعنى جزءً محددًا من الأرض وهو المقبرة والغريب أن المعنيين مازالا مستخدمين معًا إلى العصر الحالى فهناك التربة الزراعية، والتربة المقبرة. ورد فى أخبار مصر

---

(١) القول المقتضب ٩٤.

(٢) اللغة لفندريس ٢٥٧.

"ومشى فى جنازته إلى تربته[1] وفى أخبار مصر للمسبحى قوله "وأمر بالصلاة عليها ودفنها فى التربة[2].

ورد فى إللسان مادة ترب قوله "فى الحديث: خلق الله التربة يوم السبت يعنى الأرض[3]. وفى القاموس المحيط "الترباء الأرض وترب كفرح كثر ترابه"[4]. وفى أساس البلاغة "ت رب - أرض طيبة التربة ووطئت كل تربة فى أرض العرب، فوجدت تربة أطيب الترب"[5].

وهذا كله يؤكد أن معنى تربة أى الأرض، ولم ترد بمعنى القبر. ولكن فى المعجم الوسيط ورد قوله "التراب ما نعم من أديم الأرض جمع أتربة وتربان... والترباء التراب والترباء الأرض التربة التراب والتربة طبيعة الأرض تقول: أرض جيدة التربة والتربة القبر"[6] وفى اللسان فى موضع آخر "وتربة الإنسان: رمسه"[7].

وبالنسبة لهذا المعنى الجديد وهو رمس أو قبر الوارد فى اللسان وفى المعجم الوسيط يعد نموًا للمعنى القديم فالأصل هو الأرض ثم حدث تضييق لهذا المعنى ليصبح معنى للقبر أى جزء من الأرض مخصص لدفن الموتى.

---

(١) أخبار مصر ٩٧.
(٢) أخبار مصر ص ١٩٣.
(٣) اللسان مادة ترب ص ٤٢٣.
(٤) القاموس المحيط جـ١ ص ٣٩.
(٥) أساس البلاغة ٧٨.
(٦) المعجم الوسيط ١/ ٨٣.
(٧) اللسان مادة ترب ٤٢٣.

الفصل الثانى

دلالة العبارة

وحيث كان مسلمًا أن النشاط الكلامى ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب، وإنما من أحداث كلامية أو امتدادات نطقية تكون جملاً تتحدد معالمها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك حيث كان ذلك مسلما فإن علم المعنى لا يقف فقط عند معانى الكلمات المفردة لأن الكلمات ما هى إلا وحدات يبنى منها المتكلمون كلامهم، ولا يمكن اعتبار كل منها حدثًا كلاميًا مستقلاً قائمًا بذاته[1].

ولهذا يرى كثير من الفلاسفة أن العبارة Sentence هى أصغر وحدة لغوية ذات معنى "لأن معانى العبارات هى التى تحقق الوظيفة الأساسية الثانية للغة، وهى الاتصال (فضلاً عن وظيفة التعبير) بالآخرين، فمعنى اللفظ لا يحقق اتصالاً مع الآخرين إلا إذا استخدم فى سياق لفظى مع غيره من الألفاظ، أى حين يدخل فى تكوين عبارة من العبارات بشكل صريح أو ضمنى "بشكل صريح على سبيل المثال، فى حالة الإخبار بخبر ما مثل قولى (هذه الوردة حمراء) أو هذا الطالب مجتهد ... أو بشكل ضمنى، إذا استخدم اللفظ مثلاً بمعنى العبارة أو بدلاً منها، مثل قولى (النجدة) بدلاً من القول (إننى أريد من يتقدم لنجدتى)...[2].

ولهذا فالعبارة هى الصيغة اللفظية ذات المعنى، وتكون كذلك حين:

---

(١) علم الدلالة ص ١٢.

(٢) مفهوم المعنى دراسة تحليلية ص ٨٠، ٨١.

(أ) تتكون من مجموعة من الألفاظ، تكون هى بدورها ذات معنى.

(ب) وحين يتم الربط بين هذه الألفاظ فى السياق اللغوى، أو فى العبارة بناء على القواعد صحيحة الصياغة أو البناء اللغوى.

ولقد عبر كارنب Carnab, R, عن هذا المعنى بقوله: إن العبارات (تتكون من مفردات ومن بنية. أى من مجموعة من الألفاظ ذات المعنى، ومن قواعد تتم بناء عليها صياغة العبارات وتكوينها.وهذه القواعد توضح لنا كيف يمكن تشكيل أو صياغة عبارات مختلفة، من أنواع من الكلمات والمفردات المتعددة[١].

فنحن لا نتكلم بالمفردات بل بالجمل ودلالة المفردة المعجمية تتوقف على استعمالها فى تراكيب مختلفة، أى فى علاقات نحوية حتى إن بعض علماء اللغة المحدثين يرى أن معنى كلمة ما لا يمكن تحديده إلا بمعرفة معدل الاستعمالات اللغوية من ناحية ومعدل استعمالات الأفراد والفئات فى مجتمع واحد من ناحية أخرى. ومعدل الاستعمالات اللغوية يعنى حصر التراكيب التى ترد فيها الكلمة أى أنه يريد أن يقول إن الوصول إلى المعنى الحقيقى للكلمة يكاد يكون مستحيلاً، ولذلك تبقى الحاجة إلى البحث فى الدلالة التركيبية أو "المعنى النحوى الدلالى"[٢].

ومن هذا يتضح أن معنى الكلمة مراتب تتضح من صياغة السياق وتركيب الجملة بل "إن الجملة قد تصاغ بصيغة معينة وتحتمل عدة معان مختلفة بعضها بطريق التضمن، وبعضها بطريق الالتزام، وبعضها بطريق الدلالة المباشرة، وبعضها بطريق الإيحاء أو الرمز إلى آخره وتزداد الصعوبة إذا انتقلنا إلى مجال الأدب وبخاصة الشعر فإن دلالة التركيب فيه طبقات بعضها فوق بعض، وكلما كان النص جيدًا ازدادت طبقات المعنى فيه تعددًا، فأى دلالة من هذه الدلالات المتعددة يحدد الدارس[٣]؟

---

(١) المرجع السابق ص ٨٢.

(٢) النحو والدلالة: د عبد اللطيف حماسة، الكويت ١٩٨٢م ص ٩، ١٠.

(٣) المرجع السابق ١٠.

ولكن إذا كان هذا حال الكلمة التى قد يتعدد معناها بتعدد التراكيب التى ترد فيها هذه الكلمة. فإن هناك شيئًا مهمًا يجعل معنى الكلمة يختلف عن معناها المعجمى، أى معناها منفردة، أو داخل سياق بل لمعناها فى داخل سياق محدد، وتركيب مخصص لتكون لنا ما يعرف بالعبارة "وهى التى تتسم بدلالة خاصة لا تكتسبها من معانى مفرداتها بل من ذلك التركيب الخاص الذى يعطيها معناها كعبارة مستقلة ولهذا كان تعريف العبارة دلاليًا هى "تلك التى لا يفهم معناها الكلى بمجرد فهم معانى مفرداتها وضم هذه المعانى بعضها إلى بعض، وفى هذه الحالة يوصف المعنى بأنه تعبيرى Idiematic[1] ويدخل تحت هذه الوحدة الأنواع الثلاثة الآتية: أنواع دلالة العبارة:

(أ) التعبير Idiem .

(ب) التركيب الموحد Unitary Complex .

(ج) المركب أو التعبير المركب Compesite expressien أو Compestie

يقول الدكتور أحمد مختار عمر "فمثال النوع الأول كل التعبيرات المكونة من تجمع من الكلمات يملك معانى حرفية، ومعنى غير حرفى مثل التعبير العربى: ضرب كف بكف الذى يحمل معنى تحير والتعبير الإنجليزى spill the beans الذى يعنى "يوضح" أو يكشف.

أما التركيب الموحد فهو غير الكلمة المركبة Complex word التى يعنى بها الكلمة المكونة من مورفيم حر بالإضافة إلى مورفيم متصل أو أكثر أو المكونة من مورفيمين متصلين أو أكثر. وقد عرف "نيدا" nida التركيب الموحد بأنه ما يتكون من اثنين أو أكثر من الصيغ الحرة، أو ما يتكون من مجموعة كلمات يتصرف تجمعها ككل بطريقة مختلفة من الطبقة الدلالية الرئيسية: HEAD WORD ومثال ذلك: PINE APPLE (أناناس) فهو ليس نوعًا من التفاح، ومثله البيت

---

(١) علم الدلالة ص ٣٣.

الأبيض: House White الذى لا يشير إلى مبنى، ولكن إلى مؤسسة سياسية. وعلى هذا فحين يصنف دلاليًا لا يمكن وضعه مع الكلمات التى تدل على الإقامة مثل فيلا - كوخ - بيت - قصر... ولكن يجب أن توضع ضمن المجال الذى يتعلق بالمؤسسات الحكومية... أما المركبات أو التعبيرات المركبة فتختلف عن التركيبات الموحدة فى أن الكلمة الرئيسية فيها ما تزال تنتمى إلى نفس مجالها الدلالى مثل Field work ومثل: BOAT - HOUSE وأما الجملة فيعتبرها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى، بل يعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها. وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة وإنما معناها فى الجملة التى ترد فيها. فإذا قلت أن كلمة أو عبارة تحمل معنى فهذا يعنى أن هناك جملاً تقع فيها الكلمة أو العبارة، وهذه الجمل تحمل معنى"[١].

وهذه الأقسام الثلاثة لأنواع العبارة وجدنا لها نماذج وأمثلة كثيرة فى لغة العصر الفاطمى، وسوف نتعرض بالبحث والمناقشة لها.

أولاً التعبير: .Idiom

وهو الذى يحتوى على معنى حرفى للعبارة، ومعنى غير حرفى "ومن هذه العبارات عبارة اشتهرت فى ذلك العصر والأمثلة عليها كثيرة وهى لا تزال موجودة فى عصرنا ولها جذور فى العصور القديمة، وهى عبارة "طيب قلبك" فهى قد تطورت فى عصور قديمة ولكنها شاعت فى هذا العصر فقد ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله: "والآن فأنا أطيب قلبك بالأسرار الجليلة"[٢]. وقوله "فقالوا طيب قلوبنا كما تعلم لأجل ميلاده"[٣]. وقوله "حتى ظهر له ملاك الله وطيب قلبه"[٤]. وفى منامات الوهرانى ورد قوله "طيبى قلبك من جهتى[٥] وفى

(١) علم الدلالة ص ٢٣، ٢٤.
(٢) تاريخ بطارقة الكنيسة ص ١/ ١٢٢.
(٣) المرجع السابق ص ١/ ١٢٥.
(٤) المرجع السابق ص ١/ ١٢٧.
(٥) المنامات ص ٢٠٧.

أخبار مصر لابن ميسر "ونفذت المكاتبات إلى أعمال مصر بتطيب قلوب الناس"[1] وقوله "وطابت نفوس أهل البلد بذلك"[2].

وكلمة طيب هذه وردت بمعان كثيرة فى اللغة، فتطيب: تعطر، ووجدت منه رائحة طيب جلساءه. ومن المجاز: طاب لى كذا إذا حل وطاب القتال[3] وقالوا "الطيب معروف والحل كالطيبة والأفضل من كل شيء... وطبت به نفسًا طابت به نفسى[4]. وفى اللسان "زبون طيب أى سهل فى مبايعته"[5] من الأمثال "أطيب من الحياة، وأطيب من الماء على ظمأ، وأطيب فشرًا من الروضة"[6]

كل من هذه المعانى تختلف عن معنى تلك العبارات السابقة فهى تحمل معنى واحد وهو ترضية النفس، أو الناس أو القلب فهى تعنى الترضية، ولم ترد فى القواميس التى بين أيدينا هذه الدلالة لتلك العبارة إلا فى القاموس المحيط فقد قال "طبت به نفسًا أى رضيت به نفسى "ولكن من الملاحظ هنا أن هناك معنى حرفى ومعنى غير حرفى فالمعنى الحرفى هو طيب قلبه أى برئ قلبه من أى علة والمعنى الغير حرفى أى أنه رضى واستراح. فهذا التعبير يحمل المعنيين الحرفى وغير الحرفى.

وهذا المعنى الخاص بهذه العبارة لا زال موجودًا فى العامية المصرية المعاصرة،نحو: طيب خاطر فلان بكلمة حسنة، والجديد فى عصرنا كلمة (خاطر) والمعنى المقصود منهما واحد، وكذلك: طيب الله ثراه، أى رحمه الله، فهى دعاء له.

---

(١) أخبار مصر ٨٥.

(٢) المرجع السابق ١٧٣.

(٣) أساس البلاغة ٦٠١.

(٤) القاموس المحيط ص ١/٩٨.

(٥) اللسان مادة طاب ص ٢٧٣٢.

(٦) معجم الأمثال العربية:رياض عبد الحميد، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٩٨٦م، ص ٨٠/٣.

وهناك دلالة أخرى لهذه العبارة،على النقيض من المعنى السابق، وهو ما ورد فى المنامات قوله "قد عاقونى عن دخول الجنة لأجله فقلت له: طيب والله طيب"[1] وهذه العبارة تعنى التوعد والتهديد، وهذا المعنى وارد فى لغتنا المعاصرة أيضا عندما يريد شخص أن يتوعد أو يهدد شخصًا آخر يقول له طيب والله طيب، أو طيب هاوريك، وتعبر عن شدة الحسرة والندم فهذا من معانى تلك العبارة القديمة والمعاصرة أيضًا فى العامية المصرية، وهو من التطور الغريب للكلمة كيف تحمل المعنى وضده ؟! ولهذا يجب تحليل العبارتين دلاليًا بوضعهما فى مقاربة دلالية والمقابلة بينهما كالآتى:

"أنا أطيب قلبك بالأسرار الجليلة".

"فقالوا طيب قلوبنا ".

"حتى ظهر له ملاك الله وطيب قلبه"

"طيبى قلبك من جهتى "

"ونفذت المكاتبات إلى أعمال مصر بتطيب قلوب الناس"

"وطابت نفوس أهل البلد بذلك "

هذه ست عبارات وضعت فى شكل رأسى لبيان أوجه الشبه بينها، فتبين أن:

١ ـ كل العبارات تتكون من تركيب واحد هو: طَيَّب + قلب أو نفس.

٢ ـ أن العبارة اكتسبت دلالتها من هذا التركيب فقط، وبهذه الصورة المتوارثة.

٣ ـ تركز عمل الفعل (طَيَّبَ) على مفعول واحد معنوى هو القلب أو النفس.

٤ ـ دلالة الفعل طيب فى هذا التركيب واحدة؛ هى ترضية أهم شىء فى داخل الإنسان وهى قلبه أو نفسه.

٥ ـ وقد جاء المعنى هنا فى هذه العبارات من الطيِّب،الذى هو العطر، ولهذا جاءت العبارة: طيب الله ثراه، أى جعل فى قبره الطيب، ومنه كتاب نفح الطيب.

---

(١) المنامات ٢٠٧.

العبارة المضادة هى "قد عاقونى عن دخول الجنة لأجله فقلت له: طيب والله طيب" العبارة هى (طَيِّبْ والله طَيِّبْ) فالأصل الذى أتت منه الكلمة (طَيَّبَ) مختلف عن الأصل الذى أتت من الكلمة (طَيِّبْ) فاشتقاقهما كالآتى:

(أ) (طَيَّبَ): فعل ومصدره الطيِّب الذى هو العطر.

(ب) (طَيِّبْ):هى صفة، اختصار لعبارة محذوفة تأويلها: انتظر واسعد وقتًا طَيِّبًا فى هدوء حتى آتيك فأعاقبك على فعلك، وأقسم بالله على ذلك، فكلمة طَيِّبْ صفة لهذا الوقت الذى يأتى بعده وقت لا يعلم ما سيحدث لك فيه إلا الله، كقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥٥) فقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ هل تعنى المتعة الأبدية؟ وكذلك قوله: فسوف تعلمون، ماذا يقصد بهذا الشىء الذى سيعلمونه؟ فأين التهديد والوعيد فى منطوق العبارة؟ إلا إذا كان هناك محذوف يفهم من العبارة وإن لم ينطق به، وهو سيأتى بعد هذه المتعة عقاب غير معلوم الآن، ولكن ستعلمونه فيما بعد.وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: ٨١) هل فى تحديد موعدهم بالصبح وعيد لهم أو تهديد، إلا إذا كان هناك محذوف يفهم من العبارة؟!!

من العبارات التى تطورت فى هذا العصر ما ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله "فاتفق رأيهم... على رجل مختار خائف من الله"[١] وقوله "وكان رجلاً خايفًا من الله مؤمنا[٢] وقال ابن العسال "ويربى أولاده بخوف الله"[٣] وخوف تدل على الذعر والفزع يقال خفت الشىء خوفًا وخيفة، والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة ويقال خاوفنى فلان فخفته، أى كنت أشد خوفًا منه[٤] فالخوف هو الذعر والرهبة. وقد استخدمت هذه الكلمة فى ذلك التعبير بمعنى التقوى والخشية من الله وحسن الفعل بين الناس وهى عبارة سادت بين الناس إلى العصر الحالى.

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٥٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٧١.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠.

وهى أيضًا تجمع معنيين الخوف من الله ووصف الشخص بالتقوى والصلاح فهو خائف من الله، والمعنى الأساسى لا زال موجودًا فى العبارة إلى جانب المعنى الجديد فهو خائف من الله إلى درجة التقوى الشديدة بسبب هذا الخوف فالعبارة تملك المعنيين معًا.

وهناك تعبير آخر وهو ما ورد فى تاريخ بطاركة الكنيسة قوله: "وقال لهم السيد يسوع المسيح يسهل طريقى"[1] وقوله "... إن الرب سهل طريقى"[2] وقوله "أنت الذى تسهل طريقى" وفى المنامات ورد قوله "أن يحكى حكاية الفقير الذى طلب من الهراس لقمة فقال: يسهل الله لك[3] وفى المجموع الصفوى لابن العسال "... وكن كرجل الله طويل الروح ولا تتسهل"[4]

وكلمة سهل هنا وردت فى هذه العبارات بمعانٍ مختلفة. وقال ابن فارس "سهل... يدل على لين وخلاف خرونة، والسهل خلاف الحزن..." "ويقال أسهل القوم إذا ركبوا السهل"[5] وفى اللسان مادة سهل "سهل سهولة وسهله: صيره سهلاً، وفى الدعاء: سهل الله عليك الأمر ولك أى حمل مؤنته عنك وخفف عليك... والتسهيل: التيسير والتساهل: التسامح واستسهل الشىء عده سهلاً[6] وفى القاموس "والسهل... كل شىء إلى اللين وسهله تسهيلاً"[7].

فكلمة سهل تعنى الوادى، وتعنى الشىء اللين، وتسهل يسرى ودعاء. وبعض هذه المعانى تدل عليها العبارات السابقة، وبعضها جديد. فالعبارة الأولى قوله "وقال لهم السيد يسوع المسيخ يسهل طريقى" هو عبارة دعاء وهو ما ذكره ابن منظور. بأنه للدعاء. وقوله إن الرب سهل طريقى، أنت الذى تسهل طريقى، أى

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٤٢.
(٢) المرجع السابق ١/ ١٤٣.
(٣) المنامات ٢٠١.
(٤) المجموع الصفوى لابن العسال.
(٥) معجم مقاييس اللغة ٣/ ١١١.
(٦) اللسان مادة سهل ص ٢١٣٤.
(٧) القاموس المحيط ص ٣/ ٢٨٦.

أنت الذى تيسر طريقى، وهذا أيضًا متفق مع معناها فى القواميس والدعاء المماثل ما ورد فى المنامات فى رده للسائل يسهل الله لك دعاء. أما ما ورد فى المجموع الصفوى لابن العسال فى قوله... كن كرجل الله طويل الروح ولا تتسهل "وهو المعنى الجديد تتسهل أى تتهاون أى لا تكن سهلاً فى معاملتك للناس إلى درجة التهاون والتساهل معهم فى أمور دينهم فهى تحمل معنيين الأول السهولة فى المعاملة والثانى الحذر والشدة مع المخطئ.

وهذه العبارة بمعانيها المختلفة وردت فى العامية المعاصرة بمصر، ومنها قولهم للشحا ت: الله يسهلك، وفى العامية الفاطمية يقال للفقير: يسهل الله لك.

ومن تلك العبارات أيضًا قول ساويرس ابن المقفع: كما تعلمون من أفعال الناس البطّالة[1]. وقول ابن العسال "أن تهربوا من الكلام الباطل والكلام السوء[2]". وكلمة بَطّال، وباطل التى وصفت بها أفعال الناس أو كلامهم فى تلك العبارة جعلت هذه العبارة تطورًا دلاليًا و جعلها تأخذ شكلاً جديدًا لم ترد فيه من قبل.

يقول صاحب اللسان "بطل الشىء يبطل بطلاً وبطولاً، وبطلانًا: ذهب ضياعًا وخسرًا، فهو باطل وأبطله هو. ويقال: ذهب دمه بطلاً أى هدرًا. وبطل فى حديثه بطالة وأبطال: هزل والاسم البطل، والباطل: نقيض الحق... والتبطل فعل البطالة وهو اتباع اللهو والجهالة"[3].

ومن هذا نرى أن الباطل خلاف الحق وهو الضياع والخسران، وهو أيضًا الهزل، والفعل البطال. وهو اتباع اللهو والجهالة. من هذا المعنى وصف قول الناس، وأفعال جهالتهم وسلوكهم بالبطالة ولكن رغم قدم الكلمة، والمعنى الذى تدل عليه إلا أن هذا التركيب والجمع بين الكلمتين معًا فى تلك العبارات هو ما يعد جديدًا وقد شاعت تلك العبارات فى عصرنا الحالى فيقال "أفعال الناس البطالة أو هذا الكلام باطل وهى تجمع بين معنيين الأول وهو الشىء الباطل

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٦٠.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٣) اللسان مادة بطل ٣٠٢.

الذى هو خلاف الحق والثانى وهو السلوك السيئ وهذا كله فى "أفعال الناس البطالة" فهى تجمع المعنيين الباطل الذى هو ضد الحق والشىء السيئ والفعل المعيب،وفى هذا الجمع بين المعنيين تطور لدلالة الكلمة ولكن من جانب معين وهو جانب صفة الباطل وهى السوء فتخلعها على من يتصف بهذه الصفة، فيصبح كلامه وفعله ضد الحق وهو الباطل والسيئ.

وشبيه بتلك العبارة ما ورد فى المنامات قوله "أن الوهرانى شرير وسخ اللسان"[1] وقوله أيضًا فى موضع آخر "فقال هذه أوساخ الناس"[2]. وهذا القول يحتوى على عبارة أوساخ، أو وسخ. "والوسخ ما يعلو الثوب والجلد من الدرن وقلة التعهد بالماء، وسخ الجلد يوسخ وسخًا وتوسخ واتسخ واستوسخ وكذلك الثوب، وأوسخه، ووسخه ووسخته أنا[3].

ومن هذا يتضح أن الوسخ هو الدرن الذى يعلق بالثياب ثم انتقال هذا الوصف إلى سلوك الناس وأقوالهم وهو الذى كون لنا تلك العبارات، أوساخ الناس، ووسخ اللسان وغيرها. ليدل على سوء السلوك بعد أن كان يعنى الدرن، فتحولت من التعبير عن المعنى المادى إلى المعنى المعنوى، وهو توسيع فى دلالة العبارة؛ لتدخلها فى دائرة جديدة وهو ما شعر به الإنسان تجاه الشخص السيئ من أنه وسخ كوسخ الثياب أو الجسد، وهذه العبارة مستخدمة فى العامية المعاصرة بذات المعنى،بل أصبحت سبة فى كل من يوصف بها،فيقولون: فلان وسخ، فتعد وصف له بقمة السوء فى كل شىء والسب له.

ومن تلك العبارات التى شاعت فى هذا العصر، والتى تدل على معنيين كما فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "والآمر ليس له حل ولا ربط سوى اسم الخلافة"[4] فمعنى حل وربط، أى فك الحبل أو ربطه، ولكن المقصود بالعبارة "ليس هناك حل لهذه المشكلة أو مخرج منها إلا باسم الخلافة "فهى تعنى تعقد

---

(١) المنامات ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ٨٢.

(٣) اللسان مادة وسخ ٤٨٣.

(٤) أخبار مصر ٤٢.

الأمور" فجمعت العبارة بين معنى حل الحبل وربطه وبين إصدار الأوامر والأحكام فى الدولة وسيادته كحاكم للبلاد، وهى مستخدمة فى العامية المعاصرة بهذا النص (فلان لا بيحل ولا بيربط) أى لا يفعل شيئًا من خير أو شر.

ومثلها قول ابن العسال "فليس لهم أن يحلوا ولا يربطوا فى سنن الكنيسة"[1] فهذه العبارة تعنى أيضًا "أنه ليس لهم تقديم أو تأخير فى الأمر، أو القضاء فى الكنيسة".

فمعنى حل وربط أى فك الحبل أو ربطه، ولكن المقصود بالعبارة ليس الحل والربط، بل هو الحكم والتصرف فى الأمور ولم نجد هذا التعبير وبنفس المعنى فى المعاجم العربية، ولا توجد إلا على ألسنة العامة فى ذلك العصر الفاطمى، مما يعنى أنها من إبداعهم فى هذا العصر فهذا التركيب يعد محدثًا فى ذلك العصر، وهو - كما ذكرت آنفًا - شائع فى العامية المصرية المعاصرة.

ثانيًا: التركيب الموحد Unitary Complex

وهو تعبير يحتوى على مورفيم حر ومورفيم متصل، وهما لا يشيران إلى المعنى الأول مطلقًا. ومن هذه العبارات التى تعد من التركيب الموحد تلك التى تحمل معنى واحدًا، لا تعطيه كل كلمة منفردة عن العبارة مثل عبارة "قويت شوكته"، فالمعنى الآتى من هذا التركيب هو زيادة قوة ذلك الشخص، ولا يعنى إطلاق المعنى الحقيقى للفظ فليس له شوكة لتقوى ويسمى الدارسون المحدثون هذا النوع بالتركيب الموحد؛ فهو تركيب ليس له إلا معنى واحد لا يتصل بالمعنى الأصلى للمفردات.

ومن أمثلة ذلك ما ورد فى أخبار مصر لابن ميسر قوله "فيها قويت شوكة الأتراك، وطمعوا فى المستنصر، وقل ناموسه عندهم"[2] وقوله "وفيها ابتدأت الوحشة بين ناصر الدولة وبنى حمدان وبين الأتراك من أجل أنه قويت شوكته"[3]

---

(١) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٢) أخبار مصر ص ١٧.

(٣) المرجع السابق ١٨.

فهذه العبارة لا تحمل غير معنى واحد، وقد نتج من الجمع بين كلمتين قويت وشوكة والمعنى الظاهر غير المقصود، فلا يقصد المتكلم أن هذا الشخص له شوكة فى جسده وقد قويت،بل المعنى المقصود أنه أصبحت له إرادة قوية وقدرة على الأمر والنهى فى الدولة، فهو من الاستعارة عند أصحاب البلاغة، حيث استعار المتكلم الشوكة القوية التى تصيب الشخص وتؤلمه (صورة مادية للألم) ليعبر عن مجال آخر وهو قوة الشخص وقدرته على إصابة الآخرين بالأذى (صورة معنوية للألم)، وهى مستخدمة أيضا فى عاميتنا.

ومثلها أيضًا: قول ابن ميسر "سعى فى قتل ابن حمدان ليتنفس خناقه"[1] فعند قتل ابن حمدان لا يتنفس هذا الشخص الهواء، لأن هذا هو المعنى الظاهر للعبارة، ولا يريده المتكلم، بل يقصد معنى آخر وهو حريته أى يصبح حرًا، ولكن هذا المعنى موجود فى عصرنا ولكن بعبارة أخرى قريبة من هذا المعنى، وهو "يلتقط أنفاسه "و" يشم نفسه " أى يصبح قوى له صيت.

وعبارة (وهو يقول له: "خرب بيتك")[2].

وهى عبارة دعاء لا يقصد بها الدعاء على الشخص، ولكن المقصود التوبيخ وهى عبارة عامية لها نظائر فى العربية الفصحى كما ورد فى الحديث الشريف قوله ﷺ: "ثكلتك أمك يا معاذ" لا يريد الرسول ﷺ أن يدعو على معاذ بالموت ولكنها عبارة توضح عدم رضا الرسول عن قول معاذ. أما عبارة خرب بيتك فقد شاعت فى عامية عصرنا الحالى، وعندما تقال فى مثل هذه المواقف، وتعنى التوبيخ الذى يفهم من العبارة ولا تعنى المعنى الأصلى لها.

وعبارة الوهرانى "فقال تكذب فى جوف لحيتك"[3]

عبارة عامية تعنى أنه متعمق فى الكذب وعلامات الكذب تبدو على وجهه، لأن جوف اللحية ليس بها علامة تدل على الكذب وهذا مماثل للعبارة السائدة فى

(١) المرجع السابق ٢٢.

(٢) المنامات ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق ١٥٤.

عصرنا "كذاب فى أصل وجهك" وهى عبارة عامية أيضًا، وهذه العبارة من التركيب الموحد فليس هناك علامة مادية فى الوجه أو اللحية تدل على الكذب أو الصدق، وهذا هو المعنى الأول غير المطلوب، والمعنى الثانى هو أن ملامح الكذب تبدو على وجه المتحدث به وهى تعد عبارة خاصة بالعصر الفاطمى نصًا بل موجودة كمعنى فى عبارة أخرى.

وكذلك ما ورد فى تاريخ البطاركة "بخلاص نفسه من شباك الموت"[١]. فهو يعنى بهذا التركيب تخليص نفسه من الموت، فجعل للموت شباكًا ثم صارت عبارة مشهورة شائعة، فقد استعار من عملية الصيد كلمة شباك ثم أضافها إلى الموت ليشير إلى خطورة هذا الشىء وهو الموت وهذا التركيب لا يشير إلى المعنى الأول مطلقًا، بل يشير إلى معنى جديد وهو حيل الموت فى الإيقاع بالإنسان كشباك الصيد، وهذه العبارة مستخدمة إلى الآن فى العامية المصرية المعاصرة، بل طوروها ليضعوها فى تراكيب شتى مثل شباك الحب وشباك الهوى وشباك الموت وشباك الغرام، وغيرها.

وهناك عبارة أخرى وردت فى المنامات هى " يقلب عليهم الأرض "[٢]

وهى تعنى شدة البحث عنهم، ولكنها لا تعنى أنه يقلب الأرض فهذا المعنى غير مقصود مطلقًا، وغير مقبول، فهذا من باب المجاز، فهى تعنى البحث عنه فى كل مكان فى الأرض وهى مستخدمة فى العامية المعاصرة أيضًا.

وهذا كله يعنى ترك المعنى الأول والاتجاه إلى معنى جديد لا تعطيه تلك الألفاظ منفردة، وفى ذلك توليد لدلالات جديدة من تلك التراكيب التى يبدعها المتكلم فى كل حين وفى كل زمان ومكان وفى كل لغة لا العربية فحسب.

ثالثًا: التعبير المركب Composite أو Composite Expression

وهى عبارات تحمل معنيين يصح إطلاقها عليهما، أى أنها تعنى المعنيين فى

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٩٩.

(٢) المنامات ٢٥.

وقت واحد. ومن هذا ما ورد فى المنامات "أنا ما أقدر أوقع عينى فى عينيه[1].

فهى تعنى عدم القدرة على مواجهة الشخص الآخر لشدة الخجل منه، فيجوز أنه لا يقدر على النظر فى وجه الشخص الآخر بالفعل لعدم القدرة على النظر مطلقًا، وفى الوقت نفسه تعنى الخجل الشديد من الشخص الآخر - وإن نظر إليه بالفعل أو استطاع ذلك ولهذا فهذه العبارة تحمل معنيين يصح أن يقصدهما المتكلم معًا فى وقت واحد، وهى مستخدمة بالمعنى نفسه فى العامية المصرية المعاصرة.

ومثال آخر لهذه الظاهرة قول الوهرانى "ولم يظهر لها حس ولا خبر"[2] وهذه العبارة تعنى اختفاء هذه المرأة وعدم الوصول إليها وانعدام أخبارها فعبر عن ذلك بقوله لم يظهر لها حس ولا خبر، فعبر بكلمة حس عن اختفاء صوتها، والحس هو "حكاية صوت عند توجع وشبه... والأصل الثانى قولهم حس، وهى كلمة تقال عند التوجع، ويقال حسستُ فأنا أحس إذا رققت له، كأن قلبك ألم شفقة عليه[3]، وقد استخدمت كلمة حس فى العهود الماضية فى التعبير عن الخبر فى قولهم "أين حسست هذا الخبر" أى تخبرته "أى من أين عرفت هذا الخبر ثم كان منها هذه العبارة الجديدة" "حس ولا خبر" أى لم يعرف عنها شىء وهذا مقصد العبارة، وإن كان المعنى الأول يصح إطلاقه عليها وهو اختفاء صوتها، وانعدام خبرها وفى العامية المعاصرة يقال: فلان لم يعد له لا حس ولا خبر، أى اختفى تمامًا.

ورد فى المجموع الصفوى قوله "من ساكن امرأة من النساك" ويقول "ما هذا يهمنى فيفترقا، ويكون كلاهما محرومين"[4].

---

(١) المرجع السابق ٤١.

(٢) المرجع السابق ١٨٧.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٢/ ٩، ١٠.

(٤) المجموع الصفوى لابن العسال.

فعبارة "ما هذا يهمنى" تحتوى على كلمة الهم، وهو "الحزن والهم ما هممت به، وكذلك الهمة، لم تشتق من الهمة الهمام: الملك العظيم الهمة، ومهم الأمر شديده: وأهمنى: أقلقنى[1]. وفى القاموس "الهم الحزن جمع هموم، وما هم به فى نفسه وهمه الأمر همًا ومهمة حزنه كأهمه فاهتم[2].

فالهم يعنى القلق وعند تركيبها مع "ما" أصبحت تعنى عدم القلق أو الحزن ولكن أصبحت أيضًا تعنى معنى جديدا وهو عدم المبالاة، والاستهتار بالشىء وأحيانًا السخرية منه، وهذا التعبير شاع فى عصرنا الحالى بنفس هذا المعنى، وهو أيضًا ما يشير إليه النص السابق وقد ظهر فى العصر موضوع البحث. فقوله ما يهمنى أى لا يعنينى ولا يقلقنى ولا يحزننى ذلك الشىء فهى تحمل المعنيين معًا.

ومن العبارات المركبة ما ورد فى المنامات "فما هو إلا بياض اليوم"[3].

ويعنى بهذه العبارة مضى نهار كامل، وفى نفس الوقت ذهاب بياض اليوم وهو النهار،ومجىء سواد اليوم وهو الليل، فعبر بذلك القول عن معنى انقضاء اليوم، وهى أيضًا مستخدمة فى العامية المعاصرة فى مصر ولكن فى الريف المصرى بعيدًا عن التطور الحضارى فهى على ألسنة العجائز.

ومثلها قول ابن العسال "فى وقت صياح الديك"[4]. وهو يعنى بصياح الديك أى مع الفجر فعبر عن هذا القصد بقوله وقت صياح الديك وهناك علاقة بين الديك ووقت الفجر فهذا الحدث يتم فى أول اليوم، بل هو أول ما يسمعه الإنسان فى الصباح فجعل من هذا الحديث إشارة إلى ميقات محدد هو وقت الفجر، أى الصباح الباكر ويجوز الجمع بين المعنيين، وهى مستخدمة فى العامية المعاصرة، يقولون: نحن نصحو مع صياح الديك أى مع الفجر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٦/ ١٣.

(٢) القاموس المحيط ٤/ ١٨٩.

(٣) المنامات ١٠١.

(٤) المجموع الصفوى لابن العسال.

الأمثال العامية:

وبقى أن نتعرض لظاهرة ضرورية فى مجال الدلالة، وهى العبارة السائرة أو المشهورة، ونعنى بها المثل، وما نهتم به هنا هو المثل العامى، أى الذى شاع بين العامة فى العصر موضوع البحث. واستخدموه بكثرة فالمثل لسان حال الأمة، ويحوى فى داخله أفكار هذا الشعب ومعتقداته وسلوكه فى الحياة، ولهذا كان له جانب من البحث.

ومن هذه الأمثال قول الوهرانى "فلم يترك على عينه الماء"[١] وهو مثل عامى معناه لم يكف عن البكاء، وقد ورد فى المعجم الأمثال العربية مثل مشابه له وهو "عين عرفت فذرفت"[٢] وهذا المثل قد ورد فى مجمع الأمثال للميدانى حيث قال "عين عرفت فذرفت"[٣] يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته. وهو يشبه المثل العامى.

ومثال آخر ورد فى المنامات "فلما رأيت ذلك رجعت إلى ما قيل فى المثل" "إذا كان حولاً بحولا ربة البيت أولى"[٤] ويقصد من هذا المثل كما فى سياق النص الذى بين أيدينا: إن كان فعل بفعل، ومعاملة بمعاملة مثلها فربة البيت أو صاحبته أحق بالإحسان هذا كما يفهم من السياق فالحول هنا بمعنى الفعل أو المعاملة.

ومثل آخر ورد فى المنامات "فقلت: لأن بأسنا من الجنة أكثر من رجائنا، ومتى رأينا أشجارها وفاتنا دخولها تضاعفت علينا الحسرات والأحزان وعظمت المصيبة بالحرمان، وعدم ذلك فى التخيل خير من وجوده فى العيان فإنه يقال فى المثل "عين لا ترى قلب لا يحزن"[٥] فهو يقصد بهذا المثل أن الإنسان الذى لا يرى الخير لا يحزن على ضياعه فالعين التى لا ترى لا تحزن ولا يحزن قلبها كما يفهم من السياق.

---

(١) المنامات ١٩٥.

(٢) معجم الأمثال العربية ٣/ ٢٥٥.

(٣) مجمع الأمثال: لأبى الفضل النيسبورى الميدانى،دار الحياة بيروت ب ت،١/ ٦٢٧.

(٤) المنامات ٥٦.

(٥) المرجع السابق ٢٥.

ومثال آخر ورد فى المنامات قوله أما الأمثال العامة "فإنما تخبا الدموع للشدائد"[1].

أى يحتفظ بالدموع لأوقات الشدة فقط.

وفى المجموع الصفوى ورد قوله "يقول الرب كما يدينون يدانون، وبالكيل الذى تكيلون يكال لكم"[2].

وفى موضع آخر قال ابن العسال "لأنه بالكيل الذى تكيلون يكال لكم[3] أى كما تعامل الناس تعامل، فكما تعامل بالخير تجزى خيرًا، وبالشر شرًا.

وقد ورد فى أمثال العرب مثل هذا أو فى معناه، قال الميدانى "ما تدين تدان" يقول الميدانى فى شرحه "أى كما تجازى تجازى يعنى كما تعمل تجازى إن حسنًا فحسن، وإن سيئًا فسيء، ويعنى إن علمت حسنًا فجزاؤك حسن، وإن عملت عملاً سيئًا فجزاؤك جزاء سيء، وقوله: تدين أراد يصنع فسمى الابتداء جزاء للمطابقة والموافقة، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿اعْتَدُوا عَلَيْه بمثْل مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾[4] ويجوز أن يجرى كلاهما على الجزاء أى كما تجازى أنت الناس على صنيعتهم كذلك تجازى صنيعك[5] وفى قول الميدانى السابق شرح كامل لمعنى ذلك المثل.

من خصائص المثل العامى

١ ـ غياب المورفيمات الإعرابية، وهذا دليل على أنها مما يتحدث به عامة الشعب، كما فى المثل القائل "إذا كان حولا بحولا ربه البيت أولى" لقد نصب الاسم المجرور بحرف الجر الباء.

٢ ـ أنها تصور الحياة اليومية لهؤلاء القوم وعاداتهم وطبائعهم فهو منتزع من الحياة اليومية ومصورًا لها.

(١) المرجع السابق ٨٣.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٣) المرجع السابق.

(٤) البقرة ٢/ ١٩٤.

(٥) مجمع الأمثال للميدانى ١/ ١٣٢.

الفصل الثالث

المجاز وتطور الدلالة

أساس الاستعمال الصحيح للكلمات ما وضعها عليه الواضع الأول للغة، أو ما تعارف عليه المجتمع اللغوى من معان لتلك الألفاظ ولكن "قد ينحرف الناس عادة باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير، وتتزاحم المعانى فى أذهانهم أو التجارب فى حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلمون من كلمات! فهنا قد يلجئون إلى الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها فى التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد... وقد لا تدعو الضرورة إلى مثل ذلك الانحراف بالألفاظ، مع هذا أو رغم هذا يلجأ كثير من الناس فى حياتهم العادية إلى الخروج بالألفاظ عن مألوفها رغبة فى التعبير، وفراراً من الاستعمال الشائع، وما قد يصاحبه من ملل أو سأم رغبة فى زيادة التوضيح والتجلية للدلالة.

ويتم كل هذا فى حياة الناس العادية، ومنه يتكون نوع من المجاز الذى لا ينتمى إلى فرد معين بقدر ما ينتمى إلى بيئة معينة أو وسط معين، وتظل الألسنة والأسماع تتلقفه حتى يذيع ويشيع ويصبح من المألوف أو مما يسمى بالحقيقة[1]، ولهذا فالمجاز بأنواعه، والكتابة فى بعض صورها يعرض لها علم الدلالة Seman-tics على أساس أنها أمثلة لتعدد المعنى وتنوعه أو على أساس أنها صور للتغير الذى يصيب معانى الكلمات، والعبارات[2].

---

(١) دلالة الألفاظ ١٣٠، ١٣١، وعلم الدلالة ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) التعريف بعلم اللغة بالهامش ص ١٤٨.

ويؤكد هذا القول الدكتور أحمد قدور بقوله "فى الدراسات اللغوية الحديثة أخذ النظر يتجه إلى المجاز والاستعارة بوصفهما عنصرين من عناصر التطور الدلالى، وطريق تحول المعانى. فاستعمال الكلمة بالمعنى الجديد يكون فى بادئ الأمر عن طريق المجاز ولكنه بعد كثرة الاستعمال وشيوعه بين الناس تذهب عنه هذه الصفة، وتصبح دلالته على المدلول الجديد دلالة حقيقية لا مجازية[1].

وهذا المجاز هو ما سماه الدكتور إبراهيم أنيس بتغيير مجال الاستعمال وهذا التغير فى مجال الاستعمال من مجال إلى مجال آخر لابد أن يقوم على علاقة معينة تربط بين الأصل والمتجاوز إليه، وهذه العلاقة تقوم على أحد الأساسين، وإما للمشابهة بين المدلولين أى بسبب الاستعارة، أو لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو المجاز المرسل.

وقد لاحظنا كثيرًا من ظواهر التطور الدلالى التى تقوم على أساس تغيير مجال الاستعمال أو المجاز مما ذكرناه فى الفصلين السابقين دلالة الكلمة وفى دلالة العبارة.

أولاً: مجاز الكلمة:

انتقال مجال الدلالة:

(أ) الاستعارة

انتقال مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين. أى بسبب الاستعمال يعد أهم أشكال تغيير المعنى، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: لتنوعه.

ثانيًا: لاشتماله على أنواع المجازات القائمة على التخيلات.

يقول استيفن أولمان "إننا حين نتحدث عن عين الإبرة نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازيًا، أما الذى سوغ لنا ذلك فهو شدة

(١) مجلة عالم الفكر: المجلد السادس عشرالعدد الرابع يناير١٩٨٦م ص ٣٧.

التشابه بين هذا العضو والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله[1] ولهذا فالاستعارة من المجاز اللغوى[2]، وهى تشبيه حذف أحد طرفيه فعلاقتها المشابهة دائما. فالعلاقة بين عين الإبرة وعين الإنسان المشابهة.

ومن هذه الكلمات التى تعرضنا لها فى بحثنا هذا ـ كلمة حجة، التى كانت تدل على البرهان العقلى ثم أصبحت تدل على مستند الملكية لأرض أو بيت أو غيرهما وهذا من باب الاستعارة حيث انتقلت دلالة حجة على البرهان الذى يقوى موقف صاحبه فى الحديث أو البحث أو غيره من الأمور العقلية إلى مجال جديد وهو تقوية موقف صاحب الأرض أو البيت بإثبات ملكيته له. هذه الاستعارة تقوم على أساس المشابهة بين موقف صاحب الحديث الذى يستند إلى حجة عقلية، وصاحب الأرض الذى يستند على حجة مادية.

يقول استيفن أولمان "ومن النماذج الشائعة للاستعارة استخدام الكلمات ذات المعانى المادية للدلالة على المعانى المجردة كما فى نحو جسم المشكلة وعقد المناقشة، ومركز الفكرة"[3]. وهذا شبيه بما حدث فى قول ابن زولاق "هذا سيبويه فاطوه، ولا تكلمه"[4]. حيث استخدم المعنى المادى فى الدلالة على المعنى الحسى، فاستعارة صفة طى الكتاب أو تركه للدلالة على المعنى الثانى وهو عدم الاهتمام بسيبويه وتركه.

ومن المجاز الذى يقوم على أساس الاستعارة أو المشابهة كلمة توسط أى مكان واسطة بين المتخاصمين، حيث. يشبه موقفه بين طرفى النزاع بالجالس فى وسط الشىء. ومثل هذا أيضًا تفرج على الشىء أن نظر فيه فالعلاقة تقوم على التشابه بين الفرجة التى فى الحائط أو غيره وبين فرجة النفس بخروج الكرب والغم ثم الفرجة على الشىء لاستجلاب الفرح وخروج الهم وغير ذلك من أمثلة تطور دلالة الكلمة التى تقوم على أساس الاستعارة أو المشابهة بين الشيئين مما ذكرناه آنفًا.

---

(١) دور الكلمة فى اللغة ١٦٦.

(٢) هناك آراء أخرى فى معنى الاستعارة،انظر كتابى "الاستعارة القرآنية فى ضوء النظرية العرفانية" مكتبة الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى القاهرة٢٠١٤م.

(٣) دور الكلمة فى اللغة ١٦٨.

(٤) أخبار سيبويه ص ٥٠.

(ب) المجاز المرسل

قد يقوم انتقال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين مدلولين، وهو المجاز المرسل والذى يعنى أن كلمة استعملت فى غير معناها الأصلى لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى. وهذه العلاقة، قد تكون السببية، أو المسببية، أو الجزئية، أو الكلية، أو اعتبار ما كان، أو ما يكون، أو المحلية، أو الحالية، أو المجاورة، أو الزمانية، أو الآلية.

ومن هذه العلاقات التى تعرضنا لها فى بحثنا:

١ ـ الآلية: فى كلمة فدان حيث كان يطلق هذا الاسم على آلة الحرث (المحراث) ثم أطلق على البقر، ثم على قطعة محددة من الأرض.

٢ ـ المجاورة: فى كلمة طوق التى تعنى ما يحيط بالشىء من الطوق الذى يحيط بعنق الحمام، ثم أصبح يطلق على العنق لمجاورتها للطوق، وكلمة قرافة التى تعنى قبيلة عربية جاورت المقابر فى مصر فأطلق اسمها على كل المقابر أى قرافة وتجمع قرافات.

٣ ـ المحلية أو المكانية مثل الوجه القبلى أو البحرى الذى يقصد به الجنوب والشمال حيث أتى الأول من ناحية القبلة فأطلق على الجنوب قبلى فأثر المكان أو المحل على اسم الجهة، وكذلك البحرى الذى أتى من جهة البحر فأطلق اسم المكان أو المحل على الجهة الشمالية.

٤ ـ الكلية مثل كلمة تربة والتى كانت تعنى الأرض التربة والتى عرفت عن العرب بهذا المعنى ثم أطلق اسم الكل على الجزء فأصبحت تعنى قطعة من الأرض لدفن الموتى وهى التربة.

٥ ـ السببية مثل كلمة قحبة التى كانت تعنى السعال ثم أصبحت تعنى المرأة الفاجرة وهذا التطور يقوم على علاقة السببية لأن المرأة الفاجرة تستخدم السعال فى الإشارة عن نفسها وجذب مريديها فسميت بالقحبة لهذا.

وغير ذلك من العلاقات التى تعرضنا لها فى بحثنا، والتى تدل على تأثير المجاز فى تطور الدلالة اللفظية.

ثانيًا: مجاز العبارة:

وهو الأكثر شيوعًا من مجاز الكلمة، بل هو عامل هام فى تطور دلالة العبارة، وعليه يقوم ذلك الكم الهائل من العبارات المتطورة، والتى تعطى دلالات مختلفة فى السياقات الواردة فيها. وهذا يجعلنا نعاود النظر فى قضية السياق فله دور كبير فى فهم دلالة العبارة وتحليل مضمونها.

السياق:

تأتى الدلالة من السياق، ولهذا "يقوم التحليل الدلالى على نظرية السياق CONTEXTE وفى المستوى الشعرى خاصة فلهذا لا تحمل الكلمة معها فقط معناها المعجمى، بل هالة من المترادفات، والمتجانسات، فالكلمات لا تكتفى بأن يكون لها معنى فقط، بل تثير معانى كلمات تتصل فيها بالصوت أو بالمعنى أو بالاشتقاق، أو حتى كلمات تعارضها أو تنفيها.

ويمكن أن يقسم السياق إلى نوعين: سياق لغوى، سياق اجتماعى فالسياق اللغوى يشمل العلاقات الركنية فى المحور النظمى SYMTAGMTIQE ويدخل فيه التضام، وكل ما يربط بين كلمتين أو أكثر فى سياق لغوى. أما السياق الاجتماعى فيضم كل ما يتعلق بالمواقف من التنغيم وفى النطق والزمان والمكان، ومكانة المتحدث، ومكانة المخاطب، والعلاقة بينهم وطبيعة الموضوع، وما يحيط بالموقف من عناصر مادية، وأخرى معرفية[(١)].

والسياق الذى تقع فى داخله العبارة هو الذى يعطيها دلالتها الخاصة والتى من الممكن أن تختلف من سياق إلى آخر، ولهذا ظهر لدينا مصطلح جديد وهو المعنى السياقى CONTEXTUAL MEANING[(٢)] ويعرف بأنه "المعنى المرتبط

---

(١) مجلة عالم الفكر ص ٣١.

(٢) مفهوم المعنى دراسة تحليلية ص ٦٦.

بالسياق CONTEXT اللغوى أو اللفظى نفسه، أو الذى يتحدد وفقًا له، إلا أن المعنى، قد يفهم منه أمران:

أولاً: أن معنى اللفظ يتحدد وفقا للسياق اللغوى الذى يرد فيه اللفظ بحيث يكون اللفظ جزءًا من معنى السياق ككل.

ثانيًا: أن للسياق معنى يتحدد بناء على معانى الألفاظ التى ترد فيه والعلاقات التى تربط بينهما فى بناء واحد والأمران وإن كانا مختلفين إلا أنهما متكاملان، فالأول خاص بمعنى اللفظ بوصفه أحد مكونات العبارة، والثانى خاص بمعنى العبارة بوصفه مكونًا من معانى أجزائها أو مكونات والعلاقات التى تربط بينهما... إن معنى العبارة يتكون من جملة معانى الألفاظ الصحيحة التى تتألف منها فضلاً عن كيفية ترابط هذه المعانى فى سياق واحد يعبر عن معنى العبارة كلها، أو بالأحرى كيفية استخدام هذه الألفاظ فى سياق يجعل له معنى وهكذا فالمعنى السياقى للعبارة إنما ينشأ نتيجة لمعانى الألفاظ التى تكونها، وكذلك بناء على صحة بنية العبارة ومدة إقامتها وفقًا لقواعد استخدام الألفاظ وقواعد التركيب.

وقد تعرضنا فى هذا البحث لكثير من العبارات ذات الدلالات المختلفة، تشتق معناها من السياق الذى ترد فيه، إلى جانب العامل البلاغى، متمثلاً فى المجاز بنوعيه (استعارة، مجاز مرسل).

الاستعارة:

ومن صور التطور الدلالى للعبارة عن طريق الاستعارة، قوله "قويت شوكته" وقوله "شباك الموت" وهى استعارات تقوم على أساس المشابهة بين شيئين تجعلنا نطلق صفات الأول على الثانى، فنطلق على الموت أنه كالشباك ونرفض أن تكون هذه صفته الحقيقية، وكذلك ليس للإنسان شوكة وإن تشابهت قوته بقوة الشوكة.

وقولهم "إن الوهرانى شرير وسخ اللسان"[١] أو فقال هذه أوساخ الناس[٢].

وهذا لا يعنى الدرن الذى يعلق بالأشياء كالثياب وغيره، بل يعنى الأفعال أو الأقوال السيئة.

وهنا انتقال من المعنى المادى أو الحسى إلى المعنى الذهنى يقول الدكتور أحمد قدور "والتطور الدلالى يمكن أن يلاحظ فى مجالين.

١ ـ من الحسى إلى الذهنى المجرد.

٢ ـ تطور ضمن المحسوسات عن طريق التعميم، أو التخصيص أو انتقال من مجال إلى آخر، وقد انتهى الباحثون فى علم الدلالة إلى أن أصل الدلالة حسى، ومن هذا الأصل الحسى يتشعب التطور فى المجالين السابقين... واتجاه البحث فى التطور يبدأ من معنى حسى يمكن أن يعد أصلاً لبقية المعانى، ويتدرج البحث ضمن المحسوسات (من الحسى إلى الحسى أو من مجموعة من المحسوسات)[٣] وهذا يجعلنا ننظر إلى العلاقة بين المعنى المادى ـ المعنى الذهنى المجرد على أنه عنصر مهم من عناصر التطور الدلالى وهناك عبارات حدث فيها انتقال إلى المعنى الحسى من المعنى الذهبى، مثل كما تعلمون من أفعال الناس البطالة[٤] وقول ابن العسال أن تهربوا من الكلام الباطل والكلام السوء[٥] ولا يقصد المتحدث فيما سبق الباطل الذى هو نقيض الحق بل يعنى الأفعال السيئة والكلام السيئ.

٣ ـ المجاز المرسل فى العبارة: وهناك عبارات كثيرة تقوم فى تطور دلالتها على المجاز المرسل بأنواعه مثل: السببية: كقول ابن المقفع "رجل مختار خائف من الله"[٦] أى أنه مؤمن فعبر بالخوف من الله عن الإيمان لأن أساس التقوى

(١) المنامات ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ٨٢.

(٣)مجلة عالم الفكر ٣٠، ٣١.

(٤) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٦٠.

(٥) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٦) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٥٠.

والإيمان والخوف من الله فهى سبب لها وعبارة "والآمر ليس له حل ولا ربط سوى اسم الخلافة"[1] وهى تعنى عدم الأحقية فى تصريف أمور الخلافة كعدم القدرة على الحل والربط أى أنه عاجز عن تصريف الأمور، فأشار إلى هذا بعدم "الحل والربط" فهى سبب فى العجز عن عدم القدرة على تصرف الأمور.

(١) أخبار مصر ٤٢.

الباب الرابع

التراكيب

يناقش هذا الباب الفصول التالية:

مقدمة

- الفصل الأول: الجملة.
- الفصل الثانى: الإعراب.
- الفصل الثالث: المطابقة.
- الفصل الرابع: الأساليب.
- الفصل الخامس: أدوات الربط.
- الفصل السادس: حروف الجر.

مقدمة

أعرض الآن نماذج للغة فى العصر الفاطمى من الجانب الأخير، وهو جانب التراكيب، ذلك الجانب الذى سماه علماء اللغة العرب بالنحو وهو يمثل عند المحدثين المستوى الرابع من مستويات التحليل اللغوى يقول ماريوباى "مستوى النحو syntax الذى يختص بتنظيم الكلمات فى جمل أو مجموعات كلامية مثل نظام الجملة[١].

ويعرف عند القدماء بقولهم "علم النحو: ويسمى علم الإعراب أيضًا، على ما فى شرح اللب، وهو علم يعرف به كيفية التركيب العربى صحة وسقامًا وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه، من حيث هو هو أو لا وقوعها فيه[٢].

ورغم شيوع مصطلح (تركيب) عن المحدثين واستخدام القدماء المصطلح نحو فإن كلاً منهما له دلالته الخاصة، فيقول ماريوباى موضحًا الفارق بينهما "(أرى الكلب ـ رأيت الكلب) فالتفسيرات الحادثة هنا داخل الكلمات نفسها تشكل موضوع علم الصرف morphology الذى يختص بدراسة الصيغ وتنظيم الكلمات فى نسق يشكل موضوع علم النحو syntax ، وإن الصرف والنحو ليكونان ما يسمى بعلم القواعد grammar أو التركيب structure[٣] ثم يعرض لأصل المصطلح grammar قائلاً "الكلمة قواعد grammar اصطلاح تقليدى يستعمل

(١) أسس علم اللغة ٤٤.
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ٥٢.
(٣) أسس علم اللغة ٥٣.

ليشمل ما يمكن أن يوصف بأنه قوانين المرور، أو نظام السلوك للغة، ومن الناحية الاشتقاقية ترجع الكلمة grammar إلى أصل يونانى قديم يدل على معنى الكتابة، وحيث إن الكتابة عند اللغوى مظهر ثانوى للغة، والكلام مظهر أساسى يفضل بعض اللغويين المحدثين استعمال كلمة (التراكيب) Structure التى تدل اشتقاقها التاريخى على طريقة بناء الشىء وإقامته[1].

فمصطلح تركيب أعم من مصطلح "نحو" فالأول يشمل النحو والصرف معًا.

فمنهما تتكون قواعد بناء وتركيب اللغة، والذى ينتج فيض المعانى للعبارات المختلفة، ولهذا أميل إلى جعل عنوان هذا الباب هو التراكيب والذى يشمل كما ذكرت النحو والصرف، وإن كنا تعرضنا لجانب الصرف فى موضع آخر من البحث، ولكننا سوف ندرس هذا الجانب من اللغة باعتباره تركيبًا قبل أن يكون قواعد نحوية.

وفى دراستى للتراكيب فى لهجة العصر الفاطمى تعرضت لمجموعة من الموضوعات التى خرج فيها أصحابها من كتاب أو عامة الشعب عن ما اصطلح عليه علماء العربية من قواعد للغتهم.

وهذه الموضوعات جعلتها فى فصول هى:

١ ـ الجملة: وأبحث فيه الجملة بقسميها الفعلية والاسمية، وما يحدث فيها من ظواهر لغوية تركيبية من تقديم، وتأخير، أو حذف لأحد أركانها أو غير ذلك من ظواهر تختص بالجملة.

٢ ـ الإعراب: وأتناول فيه ظاهرة الإعراب ووجودها فى الفصحى والدارجة، وظاهرة سيادة حالة إعرابية على باقى الحالات، وظاهرة الحذلقة، أو التفصح.

٣ ـ المطابقة: وأبحث فيه قضية المطابقة بين المتلازمين، كالفعل، والفاعل، والصفة، والموصوف، والعدد، والمعدود، واسم الإشارة، والمشار إليه، واسم الموصول والعائد عليه وغيرها.

---

(١) أسس علم اللغة ٥٢.

٤ ـ أدوات الربط مثل أدوات التعليل، حروف العطف.

٥ ـ الأساليب، وأهمها أسلوب النفى، وأسلوب الشرط.

٦ ـ حروف الجر حذفها مع بقاء عملها، أو إبدال بعضها مكان بعض.

الفصل الأول

الجملـة

الجملة كما يقول انطوان مييه "هى الحقيقة المحسوسة التى ينصرف إليها جهد الباحث فى علم اللسان[1] فهى الأساس الذى تقيم عليه اللغة معانيها ودلالتها وهدفها الأكبر من وجودها كلغة مستخدمة للتخاطب بين المجتمع اللغوى الخاص بها، ولهذا كان لها الشأن العظيم لدى الدارسين للغة والباحثين فيها قديمًا وحديثًا.

وتنقسم الجملة فى العربية إلى جملة اسمية وجملة فعلية، فهما الركنان الأساسيان فى تراكيب العربية. وأعرض الآن لأهم الظواهر التى تخص الجملة، والتى حدث فيها خروج عن قواعد العربية.

"ظاهرة التقديم والتأخير"

التقديم والتأخير، أو الموقعية، فهو يعنى تلك العلاقة التى تربط بين أجزاء الجملة وموقع كل جزء بالنسبة لباقى الأجزاء، فهو يقوم على الإدراك الواعى لنظام ترتيب المورفيمات ووضعها فى نسق صالح مقبول بحسب قواعد اللغة المعينة، وهنا تراعى حدود الموقعية للمورفيمات، ومناسبتها بعضها لبعض بحيث تغير المعنى، أى بحيث تصبح صحيحة من الناحية النحوية، ففى قولنا: جاء الطالب مبكرًا.

جاء ترتيب المورفيمات وضمها بعضها إلى بعض مطابقًا لقواعد النحو فى اللغة العربية، وعلى العكس من ذلك إذا قلت.

---

(١) النقد المنهجى عند العرب: ٤٤٣.

أل + جاء + مبكرا + طالب

فهذه كلها مورفيمات عربية صالحة لأن تصنع تركيبًا عربيًا، ولكن ضمها جاء بطريقة غير صحيحة فى هذه اللغة، ومن هذا نعرف أهمية الموقعية فى تنظيم بناء الجملة وترتيبها ترتيبًا صحيحًا. ومع هذا فإن نظام الجملة فى العربية قد تمتع بحرية فى ترتيب أجزائها "بسبب وجود الإعراب فى الفصحى والاكتفاء فى كثير من الأحيان للدلالة على وظيفة الكلمة فى الجملة، ومن هنا تعددت أشكال الجملة العربية من ناحية موقع كل جزء فيها[(١)].

وهذا ما قاله هنرى فليش عن نظام الجملة فى العربية يقول "إن نظام الكلمات الذى يميز نموذجًا من نماذج لغة ما غير موجود فى الفصحى فالعربية الفصحى لا تخص موقع الكلمات بشىء ما، لتحديد وظيفة هذا الموقع فى الجملة: فالواقع أنها استطاعت بواسطة المصوتات الإعرابية (والتصريفية) أن تجد وسيلة تحدد بها طريقة متصلة باللفظ موقعه فى الجملة[(٢)].

ثم يعود فيذكر أن هذه الحرية للكلمات ليست مطلقة ولكنها تخضع لقواعد نحوية وأسلوبية تحكم هذه الحرية، وتجعل لها نظامًا لا تحيد عنه يقول "ومع ذلك فإن نظام الكلمات ليس حرًا لأن للعربية نظامًا واجب الاحترام فيما عدا الحالات التى يكون فيها ترتيب الكلمات طبقًا لنظام صارم دقيق (وذلك كالمعروف المتبوع بما يعرفه فى الإضافة النحوية وصفة المدح أو الذم بعد موصوفها) ونظامها العام هو:

فعل + مسند إليه + مفعول به مباشر + مفعول ظرفى.

مسند إليه + خبر (مسند) مفعول ظرفى، فى الجملة الاسمية.

والخروج على هذا النظام ليس نادرًا ولكنه يكون حينئذ ذا طابع نحوى أو أسلوبى (بيانى) أما أسلوب: فكإبراز كلمة فى رأس الجملة، أو يقصد بالجملة وجه خاص من البيان، أو يراد بهذا الخروج تحقيق إيقاع معين وأما نحو: فلان

(١) التطور اللغوى ١٢٥.

(٢) العربية الفصحى ١٨٣.

وضع كلمات معينة فى رأس جملة، أو حتى وضع بعض الأدوات يستتبع مقدمًا الأعضاء الأخرى فى الجملة[١]

ونعرض الآن لتلك الظواهر فى الجملة العربية بنوعيها "الاسمية والفعلية" من خلال لغة العصر الفاطمى.

أولاً: فى الجملة الاسمية

ورد فى أخبار سيبويه قوله "فقال لا والله: الرجل لى صديق"[٢] وفى المنامات قوله "اسم الصدقة عليها مكتوب"[٣] وفى تاريخ أبى صلح قوله "وعمد الرخام فيها قائما ونائم"[٤] وقوله "ودمه عليها سائلا"[٥].

وفى كل هذه الأمثلة نرى تقديم معمول الخبر على الخبر حيث الأصل فى المثال الأول: الرجل صديق لى، والثانى، اسم الصدقة مكتوب عليها، والثالث عمد الرخام قائم ونائم فيها والرابع ودمه سائل عليها وقد نصب الخبر فى المثالين الأخيرين نوع من الحذلقة، وسوف نوضح هذا فى موضعه من البحث.

وعن هذه المسألة يقول المبرد "وتقول: زيد بك مأخوذ، وزيد عليك نازل، وزيد فيك راغب، وزيد بك كفيل، وزيد إليك مائل، وزيد عنك محدث، لا يكون فى جميع ذلك إلا الرفع لأنه لا يكون شىء مما ذكرنا ظرف لزيد لو قلت زيد فيك، أو زيد عنك أو زيد بك لم يصلح لأن (بك) إنما هى ظرف لمأخوذ، (وعليك) ظرف لنازل. فاعتبر ما ورد عليك من هذا وشبهه بما ذكرت لك[٦].

وهنا نقول أن الجار والمجرور لا يصلح أن يكون خبرًا عن المبتدأ لأنه ظرف غير تام كما ذكر المبرد، فلا يصلح للخبرية لعدم الفائدة.

(١) المرجع السابق ١٨٣.
(٢) أخبار سيبويه ٣١.
(٣) المنامات ٣٩.
(٤) تاريخ أبى صلح ١٢٩.
(٥) المرجع السابق ٦٢.
(٦) المقتضب ٤/٣٠٢.

ولكن ماذا لو أفاد هذا الظرف؟!

يقول المبرد "تقول: زيد علينا أمير، وأميرا، لأنك لو قلت زيد علينا وأنت تريد الإمارة كان مستقيمًا[1] أى جائز نصب أمير على أنه حال لزيد ويقول الرضى "وإذا كان الظرف فى الظاهر غير مستقر وقد تقدم أن معنى المستقر أن يكون متعلقًا بمقدر فخبرية الاسم الذى يلى ذلك الظرف واجبة عند البصريين نحو فيك زيد راغب... وأجاز الفراء والكسائى نصب ذلك الاسم[2]. ومن هذا يبدو جواز تقديم معمول الخبر إذا كان ظرفًا أو جارًا ومجرورًا على الخبر.

ثانيًا: فى الجملة الفعلية

وقد ورد فى المجموع الصفوى "لا سيما فى أيام الآحاد والتى فيها يجب أن يفرحوا فرحًا روحانيًا[3] ففى هذا القول قدم الجار والمجرور على الفعل والأصل فى العبارة هو "التى يجب فيها أن يفرحوا" وقد ورد مثل هذا فى لغة العرب كقول المثل العربى فيما ورد فى مجمع الأمثال "قال لنفسه بغى الخير" "أى بغى الخير لنفسه"[4]

قال المبرد "فى بيته يؤتى الحكم" لأنه الظرف حده أن يكون بعد الفاعل[5] فحد الظرف أن يكون بعد الفعل والفاعل، ولكن أجازه النحاة لوروده على ألسنة العرب وفى أمثالهم.

وقد يتقدم الجار والمجرور على المفعول كما ورد فى أخبار سيبويه قوله "ورأى يومًا آخر لى حمارة"[6] وتأتى بعد الفعل بالظرف ثم صفته ثم الجار والمجرور ثم المفعول به أى هكذا التركيب:

فعل + ظرف + صفته + جار ومجرور + المفعول به.

---

(١) المرجع السابق:٣٠٢/٤ .

(٢) شرح الكافية للرضى: المطبعة العامرية ١٢٧٥هـ. بالأستانة، القاهرة ١٩٦٣م ص٨٨/١.

(٣) المجموع الصفوى مخطوطة.

(٤) مجمع الأمثال ٢/ ٢٨ .

(٥) المقتضب ١٠٢/٤.

(٦) أخبار سيبويه ٥٠ .

ولكن حد الجار والمجرور أن يأتى بعد المفعول يقول المبرد "فحد الظرف أن يكون بعد المفعول به ومن ثم جاز لقيت فى الدار زيدًا قال الشاعر:

إن تلــق يومــاً علــى عـلاته هـرماً   تلق السماحة منـه والنــدى خلـقاً

ولو قلت: كان الكائن أخواه قائمين منطلقًا أبواه كان جيدًا[١] وهذا القول يجيز تقديم الظرف على المفعول. هذا يجعلنا نقول بصحة ما ذكره ابن زولاق فى كتابه أخبار سيبويه وراى يومًا آخر لى حمارة فهو جائز.

وتأتى بعد الفعل بالظرف ثم صفته ثم الجار والمجرور ثم المفعول به أى هكذا التركيب: فعل + ظرف + صفته + جار ومجرور + المفعول به

وقد ذكر سيبويه تقديمه على الفعل نفسه فى قوله "ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه فى غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص فمن ذلك قوله:

صـددت فأطـولت الصـدود وقلـما   وصــال علــى طـول الصـدود يـدوم

وإنما الكلام: وقيل ما يدوم وصال[٢]

الاشتغال:

ورد فى المجموع الصفوى "ومثل أعمالهم لا تصنعون"[٣]

تقدم فى هذه العبارة المفعول على الفعل والفاعل إذ الصواب لا تصنعوا مثل أعمالهم وهذا ما يعرف عند النحاة بالاشتغال يقول ابن مالك:

إن مضـمر اسـم سابق فعلا شغل   عنــه بنصـب لفظــه أو المحــل

فالســابق انصـبه بفعــل اضـمرا   حتمــا، موافــق لما قــد اظهــرا

الاشتغال أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل فى ضمير ذلك الاسم أو فى سببه[٤] ويقول السيوطى فى تعريفه "الاشتغال هو أن يتقدم اسم وينصب

---

(١) المقتضب ٤/ ١٠٢.

(٢) الكتاب ١/ ٣١.

(٣) المجموع الصفوى مخطوط.

(٤) شرح ابن عقيل ١٣٩/٢.

ضميره أو ملابسه كالمضاف إلى ضميره وصلته المشتمل نحو زيد ضربته وزيد ضربت أخاه وهند أكرمت الذى يحبها بخلاف ما لو تأخر الاسم بعد الضمير نحو ضربته زيدًا[1]

وقد قسم النحاة هذا الباب خمسة أقسام أحدها ما يجب فيه النصب والثانى ما يجب فيه الرفع والثالث ما يجوز فيه الأمران والنصب أرجح والرابع ما يجوز فيه الأمران والرفع أرجح والخامس ما يجوز فيه الأمران على السواء"[2].

يقول ابن مالك:

واختير نصب قبل فعل ذى طلب   وبعد إيلاؤه الفعل غلب

وهذا هو القسم الثالث وهو ما يختار فيه النصب وذلك إذا وقع بعد الاسم فعل دال على الطلب كالأمر والنهى والدعاء نحو "زيدًا اضربه" وزيدًا لا تضربه وزيدًا رحمه الله، فيجوز رفع زيد ونصبه والمختار النصب"[3].

وهذا يوافق المثال السابق وهو مثل (أعمالهم لا تصنعوا) فقد أتى بعده بفعل يدل على الطلب وهو النهى وهو يجوز رفع مثله على أنه مبتدأ ويجوز نصبه على أنه مفعول للفعل تصنعوا الآتى وهو مختار فى إعرابه.

وهذا القول ذكره سيبويه أيضًا "والأمر والنهى يختار فيهما النصب فى الاسم الذى يبنى عليه الفعل ويبنى على الفعل... والأمر والنهى لا يكونان إلا بفعل وذلك قوله زيدًا أضربه وعمرًا امرر به وخالد اضرب أباه وزيدًا اشتر له ثوبًا... وقد يكون فى الأمر والنهى أن يبنى الفعل على الاسم وذلك قوله عبد الله اضربه، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء ونبهت المخاطب له لتعرفه باسمه ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك فى الخبر[4].

---

(١) همع الهوامع ٢/ ١١١.

(٢) شرح ابن عقيل ٢/١٢٩.

(٣) المرجع السابق ٢/ ١٣٧.

(٤) الكتاب: ١/١٣٨، ١٣٧.

تقديم أخبارها عليها:

ورد فى المجموع الصفوى "قال ربنا مريضًا كنت فزرتمونى"[1] أى قال ربنا كنت مريضًا فزرتمونى فحدث تقديم لخبر كان عليها وعلى اسمها فهل هذا جائز؟ ذكر المبرد قوله فى هذا الأمر" وكان فعل متصرف بتقديم مفعوله ويتأخر ويكون معرفة ونكرة أى ذلك فعلت صلح وذلك قولك كان زيد أخاك وكان أخاك زيد وأخاك كان زيد وكذلك جميع أبوابها فى المعرفة والنكرة"[2] ففى المثال الأخير قوله: أخاك كان زيد أجاز تقديم خبر كان عليها وقال أبو على الفارسى "ويجوز أيضا منطلقًا كان زيد وشاخصًا صار بكر لأن العامل متصرف"[3]

ويقول ابن جنى يجوز تقديم كان وأخواتها على أسمائها وعليها نفسها تقول كان قائمًا زيد أو قائمًا كان زيد وكذلك ليس قائمًا زيد وقائمًا ليس زيد"[4] ويقول ابن يعيش: "ولما كان المفعول يجوز تقديمه على الفاعل وعلى الفعل نفسه جاز تقديم أخبار هذه الأفعال على أسمائها وعليها نفسها ما لم يمنع ذلك مانع فلذلك تقول كان زيد قائمًا قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧) وقال: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ (يونس: ٢) فقوله حقًا خبر كان تقدم على الاسم الذى هو أن أوحينا"[5] وقال فى موضع آخر "فأما قوله تعالى: ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩) فى قراءة من نصب ففيها دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها لأنك قدمت معمول الخبر لأن ما زائدة للتأكيد على حدها فى قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وباطلاً منصوب يعملون وقد قدمه، وتقديم المعمول يؤذن بجواز تقديم العامل لأن مرتبة العامل قبل المعمول فلا يجوز تقديم المعمول حيث لا يجوز تقديم العامل[6].

---

(١) المجموع الصفوى مخطوطه

(٢) المقتضب ٤/ ٨٧.

(٣) المقتصد فى شرح الإيضاح ٤٠٥.

(٤) الخصائص:. . .

(٥) المفصل لابن يعيش ١١٣/٧.

(٦) المرجع السابق: ١١٣/٧.

وهذا كله يؤكد جواز تقديم خبر كان عليها وهذا يجعلنا نقول بصحة العبارة السابقة وهى قوله "قال ربنا مريضًا كنت فزرتمونى".

قضايا خاصة بالجملة الفعلية

كان بمعنى كاد:

ورد فى أخبار الدول المنقطعة "كان كذبهم أن يذهب مع الريح وزورهم أن يرجع كالهباء المنثور" ويقول فى موضع آخر "وقد كان المهدى تنقلب به أموره حتى قعد فى سجن اليسع"[1].

ويقصد كاد كذبهم أن يذهب مع الريح.وقد كاد المهدى أن تنقلب به أموره أجاز النحاة أن تحل كان محل غيرها من الأفعال مثل صار وكفل.

يقول ابن يعيش "قال صاحب الكتاب[2] وقوله عز وجل: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (ق: ٣٧) يتوجه على الأربعة.

وقيل فى قوله:

بتيهـــاء قفـــر والمطـــى كأنهـــا   قطا الحزن قد كانت فراخاً بيوضها.

قال الشارح أما قوله تعالى" لمن كان له قلب" فيجوز أن تكون الناقصة الناصبة للخبر... والوجه الرابع أن تكون بمعنى صار أى لمن صار له قلب وأما قوله بتيهاء البيت فإنه لابن كنزة، والشاهد فيه استعمال كان موقع صار لما بينهما من التقارب فى المعنى" [3]

يقول الجرجانى " وقد تكون كان بمعنى كفل يقال: كان الرجل الصبى، إذا كفله كان ليس مما يدخل على مبتدأ وخبر وإنما هو فعل بمنزلة نصر وضرب هذا ما ذكره اللغويون فى غرائب اللغات[4]

---

(١) أخبار الدول المنقطعة ٥، ٧.

(٢) الكتاب ١/ ١٣٧، ١٣٨.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٧/١٠٢

(٤) العوامل المائة النحوية: للجرجانى تحقيق البدراوى زهران، دار المعارف،ط١ ١٩٨٣م القاهرة ٢٨٢.

وقد تحل كاد محل كان ورد فى قوله ابن الداية:أن كاد ما تريدين فى قدرتى لم أبخل به عليكم[1] أى إن كان ما تريدين فى قدرتى.

ضعف تأثير العامل

قد يدخل على الفعل عامل الجزم أو النصب ولكن لا يتأثر به الفعل مما يشير إلى ضعف تأثير العامل على المعمول كما ورد فى قوله ساويرس ابن المقفع "ولم يخفى قوته فى الزمان الذى صلبوه فيه اليهود الكفرة"[2] أى لم يخف.

يقول المبرد فإن لحق شيئًا من هذه الأفعال الجزم فآية جزمها حذف الحرف الساكن لأن الجزم حذف إذا كان آخر الفعل متحركًا حذفت الحركة وإذا كان ساكنًا حذفت الحرف الساكن تقول: لم يغز ولم يرم كما تفعل بالألف إذا قلت لم يخش[3]

فالواجب كما يقول المبرد هو حذف العلة من الفعل المعتل الآخر بعد دخول أداة الجزم عليها، ولكن السيوطى فى همع الهوامع له رأى آخر "المضارع المعتل هو ما آخره ألف أو واو أو ياء فيحذف آخره جزمًا والحذف بالجازم وقال أبو حيان "التحقيق عنده وتسكين ما قبله ضرورة وكذا بقاؤه وقيل سابع كحذفه دونه وإذا بقى المحذوف الحركات الظاهرة وقيل المقدرة وقيل الباقى إشباع ويسهل ما آخره همزة وإبداله لينًا محضًا ضعيف ولا يجوز حذفه خلافًا لابن عصفور...ويجوز فى الشعر تسكين ما قبل هذه الحروف بعد حذفها تشبيهًا بما لم يحذف منه شىء كقوله (ومن يتق فإن الله معه) ورد إبقاء هذه الحروف مع الجازم كقوله "ولا ترضاها ولا تحلق" لم تهجو أو لم تدع، لم يأتيك والأنباء تنمى، فالجمهور على أنه مختص بالضرورة وقال بعضهم أنه يجوز فى سعة الكلام وإنه لبعض العرب، وخروج عليه قراءة لا تخف دركًا ولا تخشى" "إنه من يتقى ويصبر" ثم اختلف حينئذ ما الذى حذفه الجازم فقيل الضمة الظاهرة لورودها كما سيأتى....

---

(١) المكافاة ٤٦.

(٢) تاريخ بطاركة الكنيسة ٨/٢.

(٣) المقتضب ٢٧٢/١.

وذهب آخـرون إلى أن الجـازم حـذف الحـروف الـتى هى لامـات وأن الحـروف الموجودة ليست لامات الكلمة بل حروف إشباع تولدت عن الحركات التى قبلها[١].

فى هذه اللغة التى يشير إليها السيوطى يجعل الفعل مجزومًا بحذف حرف العلة، ولكن تلك الحروف الموجودة يقول عنها إنها ليست لام الكلمة بل حروف إشباع تولدت من الحركات التى قبلها أما لام الكلمة فقد حذفت بعامل الجزم وهناك تفسير آخر لعدم حذف هذه الحروف يقول الأستاذ عباس حسن هناك لغة تجيز إبقاء حرف العلة فى آخر المضارع المجزوم، فيكون مجزومًا علامة جزمه حذف حركة الإعراب المقدرة على حرف العلة قبل مجىء الجازم[٢].

ولنا وقفة مع الرأى الأخير للسيوطى فهو يشير إلى أنه لا يوجد حروف فى آخر الفعل المعتل، بل هى حركات تكونت من إشباع الحركات التى قبلها وهذا يعنى أنه أدرك ـ أو هؤلاء الآخرون كما يقول ـ أثر الحركة الطويلة التى تكوّن حرفا وإن اختلفت المسميات فالمحدثون من علماء اللغة يقولون حركة طويلة وهو يقول إنها حروف إشباع أى تكونت من إشباع الحركات القصيرة رغم أن كثيرا منهم يقولون إنها حروف مستقلة كما فى الفعل قال وقام فإن هذه الألف أصلها واو مع أن الكلمتين لا تحتويان إلا على حرفين هما القاف واللام، القاف والميم كما تشير إلى ذلك اللغات السامية ففى العبرية (الأجوف هو معتل العين كما فى اللغة العربية وهما نوعان معتل العين بالواو ومعتلها بالياء وأوزان الأول ثلاثة:

١ ـ פָּל مثل קָם = قام לָם، שָׁב = ثاب/ رجع

٢ ـ פֵּל مثل מֵת = مات [٣]

إلى آخر هذا الأمر.

وهكذا يتضح أن قام ومات على وزن فال وفيل أى أن الحروف المكونة للكلمة هما الفاء واللام فقط وبينهما حركة طويلة أو إشباع حركة الفاء كما يقول

(١) همع الهوامع: ٢/ ٥٢.

(٢) النحو الوافى:عباس حسن دار المعارف المصرية ط٥، ١٩٧٨م ١/ ١٨٥.

(٣) فى قواعد الساميات ٦٠

السيوطى وهذا أيضا ما حدث فى السريانية فالأجوف مثل = وضع
واليائى = بات و ذاب الواوى[1]

وغيرها من اللغات السامية والخلاصة أن هذه الحروف التى نسميها حروف علة غير موجودة بل هى إشباع لحركات الحروف التى قبلها وهذا الرأى للسيوطى يعد سبقاً لغويا على معاصريه.

ومن هذه الأفعال الواردة فى العصر الفاطمى بدون حذف حرف العلة مع وجود الجازم قول ابن المقفع "ما أقول لكم ما لم يجرى" أى لم يجر وقوله السابق ولم يخفى... [2] أى لم يخف.

وفى البرديات" ٦ ـ .. ولم يبقا

٧ ـ .. لواحد منهما قبل صاحبه فى جميع ما خلفته والدتهما

٩ ـ .. ولم يبقا بينهما شركة فى جميع ما خلفته والدتهما[3]

وقوله" ١٣ ـ ... ولم يبقا لهذا البايع فى ذلك ملك ولا تملك[4] أى لم يبق وهذه الأمثلة وغيرها تؤكد وجود هذه الظاهرة فى لغة العصر الفاطمى والملاحظ أنها سادت فى كتابة الأقباط والعامة كما يتضح من الأمثلة السابقة، والعلة فى ذلك أن العامة والأقباط الذين عرفوا العربية لا عن سليقة بل عن تعلم لها كان عليهم أن يحذفوا حرف العلة وإبقاء حركة قصيرة من جنس المحذوف دالة على الحرف الذى قبله (كما يقول النحاة) أو هو تقصير الحركة الطويلة فى آخر الفعل المعتل (كما يقول علماء اللغة المحدثون) فقد حدث نتيجة لنطق هذا العامى الذى لا يقصر حركة ولا يحذف حرفًا أن كتب ما نطق فرسم الحركة الطويلة حرفًا كما أحس بها فى نطقه، فهذا هو السبب فى عدم حذف هذا الحرف فى تلك البيئة اللغوية، فهو يشبع الحركة كما يقول السيوطى فينطقها حرفًا ثم يكتب ما نطق.

---

(١) المرجع السابق ٢٢٧

(٢) تاريخ بطاركة الكنيسة ١٢٨/١.

(٣) السفر الثانى ١٩٨/ بردية ١٣٨.

(٤) السفر الأول ٣٢٣/ بردية ٧٠.

ونحن نتفق مع السيوطى فى تفسيره لعدم حذف حرف العلة عند الجزم للفعل المعتل الآخر، أو ما يمكن أن نسميه ضعف تأثير العامل، وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى وجود هذه الظاهرة فى لغة ذلك العصر، ولكنه أرجعها إلى تأثير لهجة عربية فيقول "معاملة الفعل المعتل الآخر معاملة الصحيح فى الإعراب ومن أمثلة ذلك: لم تدرى (بدلاً من لم تدر) رضيوا (بدلا من رضوا) سميوا (بدلاً من سموا)... وثابت لغويا وتاريخيًا أن هذه هى القاعدة فى بعض اللهجات العربية"[1].

وتعليل آخر يضاف إلى ما سبق من أسباب عدم حذف حرف العلة عند الجزم؛ وهو العادة الكلامية لهم التى اكتسبوها من القبائل التى جاورت الأقباط بعد الفتح؛ فهو تأثير لهجى كما قال د. مختار عمر إلى جانب تعودهم عليه حتى أصبحت بالنسبة لهم سليقة خاصة بهم وعادة كلامية، وهو أيضا سيادة لحالة إعرابية، حيث سادت عادة عدم حذف حرف العلة على حالتين حذف الحرف وعدم حذف الحرف، لينطلق المتكلم فى كلامه كله مع حالة واحدة هى الإبقاء على حرف العلة، وما لا يخفى علينا من امتداد النفس فى حالة إشباع الحركة وسهولة ذلك وتفضيل المتكلم له على عملية تقصير النفس بتقصير الحركة الطويلة فى آخر الفعل، فهو ينطق بهذه الحركة الطويلة بانسيابية وتلقائية.

ويحدث أن يقاس عدم حذف حرف العلة فى الفعل المعتل الآخر على الأمثلة الخمسة أو الأفعال الخمسة فعند جزمها لا تحذف النون كما ورد هذا فى أخبار مصر للمسبحى قوله "إلى الحضرة ليحددون فى العساكر[2] أى تحددوا، فالفعل منصوب بعد لام التعليل بحذف النون ولكنه لم يحذفها كان هذا قياسًا على الفعل المعتل الآخر.

وقد ورد عدم الحذف فى الأمثلة الخمسة كثيراً كما فى قول ابن المقفع "ويقول

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٤.

(٢) أخبار مصر.

لا تذكرون نصيب سيمون الذى... [١]" أى لا تذكروا فالفعل مجزوم بعد لا الناهية.

وقد يحدث قياس آخر لهذه الظاهرة، فلا يحذف حرف العلة فى الفعل (يكون) كما فى قوله ابن العسال "لا تكون محبًا للنصيب الأكبر" أى لا تكن محبًا فالفعل مجزوم بعد لا الناهية وما حدث هو عدم تقصير الضمة الطويلة على الكاف حتى يتناسب وجود السكون على النون.

وقد ورد هذا فى البرديات فى قوله" ٧ ـ ... مع فرح البطريق ولم يكون

٨ ـ ... لك معه كتاب[٢]

وفى السفر الخامس قوله "١٢ ـ ... حيث لم يكون عندى أنا شىء[٣].

بل قد يقاس عدم الحذف على الفعل الماضى المسند إلى واو الجماعة وهو معتل الآخر. فالمعروف عند النحاة فى هذه الحالة حذف حرف العلة، ولكن لم يحدث ذلك فى ما ورد عن ساويرس "حتى أن الناس نسيوا ما حل بهم"[٤] أى نسوا وأكثر هذه الأمثلة التى أرجعتها إلى ضعف تأثير العامل هى فى الحقيقة تعود إلى علة صوتية وهما تطويل الحركة التى يجب تقصيرها عند الجزم.

وهذا الإشباع عادة كلامية قديمة عند العامة فى مصر فى ذلك العصر، وهى موجودة حتى الآن فى العامية المصرية المعاصرة بصورة عامة شائعة لا تنفلت منها اللغة ولا متكلموها.

حذف أن المصدرية

حذف أن المصدرية: يقول الوهرانى "ولا يقدر ينطق بكلمة" وفى موضع آخر

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ١٦.

(٢) السفر الخامس ٥٩/ بردية ٣٠٦

(٣) السفر الخامس ١/ بردية ٢٩١

(٤) تاريخ البطاركة ١١/٢.

"وما قدر يخرجها من قضاء الله[1] والأصل فى هذا: ولا يقدر أن ينطق بكلمة، وما قدر أن يخرجها عن قضاء الله.

الذى حدث هو حذف أن المصدرية يقول سيبويه " وتقول: مره يحفرها وقل له يقل ذاك. وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[2] ولو قلت مره يحفرها على الابتداء كان جيدًا وقد جاء رفعه على شىء هو قليل فى الكلام، على مره أن يحفرها

" فإذا لم يذكروا أن جعلوا المعنى بمنزلة فى عسينا نفعل، وهو فى الكلام قليل لا يكادون يتكلمون به، فإذا تكلموا به بالفعل كأنه فى موضوع اسم منصوب كأنه قال: عسى زيد قائلاً، ثم وضع يقول فى موضعه، وقد جاء فى الشعر قول طرفة بن العبد:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

وسألته عن قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر:٦٤)[3] فقال تأمرونى كقولك: هو يقول ذاك بلغنى، فبلغنى لغو فكذلك تأمرنى كأنه قال: فيما تأمرنى كأنه بلغنى وإن شئت كان بمنزلة" ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى"[4]

ويقول المبرد "وبعض النحويين من غير البصريين يجيز النصب على إضمار (أن) والبصريون يأبون ذلك إلا أن يكون منها عوض، نحو:الفاء والواو وما ذكرناه معهما: ونظير هذا الوجه قول طرفة:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى ...... وأن أشهد اللذات هل أنت مُخلدِى

---

(١) المنامات ١٥٢، ١٥٨.

(٢) إبراهيم ٣١/١٤.

(٣)الكتاب ٣/١٠٠، ٩٩.

(٤) المقتضب ١٥٢/ ١٥٨.

ومن رأى النصب هناك رأى نصب (أحضر) فأما قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[1] فتقديره والله واعلم قل أفغير الله أعبد فيما تأمرونى. فغير منصوب بأعبد، وقد يجوز، وهو بعيد على قولك: ألا أيها الزاجرى أحضر الوغى فكأن التقدير أفغير الله تأمرونى أعبد، فتنصب غير بتأمرونى، وقد أجازه سيبويه على هذا[2]

فجواز النصب مع إضمار (أن) مذهب الكوفيين، وعدم جواز ذلك إلا بعوض كالفاء والواو مذهب البصريين، وقد عدَّه ابن مالك شاذًا فقال:

وشذ حذف (أن) ونصب فى سوى ما مر فاقبل منه ما عدل روى

لما فرع من ذكر الأماكن التى تنصب فيها بأن محذوفة - إما وجوبًا وإما جوازًا - ذكر أن حذف أن والنصب بها فى ما ذكر شاذ لا يقاس عليه، ومنه قولهم (مره يحفرها) بنصب يحفر أى: مره أن يحفرها، ومنه قولهم خذ اللص قبل يأخذك، أى قبل أن يأخذك[3].

ولقد سادت تلك اللغة فى العصر الفاطمى، فنجد "أن" محذوفة بكثرة، وقد ورد هذا على لسان الشافعى نفسه فى الرسالة كما فى قوله "كما عليه يتعلم الصلاة والذكر فيها[4] أى عليه أن يتعلم وقوله "ثم تنصرف المحروسة قبل تكمل الصلاة أى قبل أن تكمل الصلاة، وقوله "وأنت محسن متسرع بتقديمه قبل يحل عليك، أى قبل أن يحل عليك.

ونورد هنا بعضًا من هذه الأمثلة لحذف أن المصدرية من مصادر مختلفة لنؤكد شيوع ذلك فى لغة العصر الفاطمى ففى تاريخ البطاركة قوله "لا يقدر يمشى"[5] وقوله " لم يكن أحد يقدر يتظاهر" وفى قوله أبى صلح " إلى صار

(١) الزمر ٣٩/ ٦٤.

(٢) المقتضب ٢/ ٨٢.

(٣) شرح ابن عقيل ٢٤/٤.

(٤) الرسالة: للشافعى،مكتبة دار التراث، ط٢، القاهرة ب. ت. ص٤٩، ٦٥، ٥٨٢.

(٥) تاريخ البطاركة ١/ ١٨٠، ٨١.

بطركًا بما لا صانع به[١] وقوله "ولا يجسر أحد يسلك إليها" وفى المنامات "ما تستحى تتكلم بهذا الكلام فى هذا المقام"[٢] وفى البرديات "وأمرنى أحضر النخل"[٣] وقوله "إن موسى لا يقدر يفرح.

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى وجود هذه الظاهرة فى لغة العصر بقوله "حذف أن المصدرية قبل المضارع ومن ذلك قول الشافعى عليه بتعليم الصلاة - قبل يحل عليك وقول ابن زولاق: لاشتهيت تصفع نفسك وحذف أن لهجة عربية وبعضهم يبقى عملها بعد الحذف وبعضهم يبطله[٤].

دخول أن المصدرية على الماضى

المعروف أن الغالب على أن الناصبة أن تدخل على الفعل المضارع، وقد تدخل على الماضى كما فى قوله ابن ميسر "كان قبل أن مات أراد أخذ البيعة له فتعاهد الأفضل[٥] أى أن يموت وفى المجموع الصفوى قوله "ثم أتفق مع زوجته على أن أخفيا بعض ثمنها[٦] يقول الأستاذ عباس حسن عن ذلك" أن تدخل على الماضى والمضارع باتفاق، وإذا دخلت على الماضى لا تنصبه لفظاً، ولا تقديراً، ولا محلاً - لأن الماضى لا ينصب مطلقًا - ولا تغير زمنه، وإنما تتركه على حاله، نحو: فرضت بأن عاد الحق إلى أهله[٧]

ويذكر المبرد أمثلة كثيرة لدخولها على الماضى فى قوله "وإن وقعت على فعل ماض كانت مصدرًا لما مضى، تقول: سرنى أن قمت وساءنى أن كلمك زيد وأنت غضبان،على أن كلمت زيدًا: أى لهذه العلة وفى موضع آخر يقول "نحو يسرنى أن

(١) تاريخ أبى صلح ٣، ٤.
(٢) المنامات ٣٨، ٣٩.
(٣) السفر الخامس ٧، ٨.
(٤) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٨.
(٥) أخبار مصر٣٥.
(٦) المجموع الصفوى.
(٧) النحو الوافى ٤/ ٢٨٢.

تذهب غداً، ومع الفعل الماضى لما قد فرط، نحو سرنى أن ذهبت، وأن كلمت زيداً، لأن معناه ما مضى وفى موضع ثالث "فإن وقعت على الماضى: نحو: سرنى أن قمت وساءنى أن خرجت - كان جيداً، قال الله عز وجل:﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٠) أى لأن كان هذا فيما مضى[1] ومن هذا يتضح جواز دخولها على الماضى، ولكن الكاتب الغريب فى الأمثلة التى ذكرناها أنها دخلت على أفعال يجب أن تكون مضارعة، ولكن الكاتب استخدم مكانها أفعالاً ماضية.

---

(١) المقضيب ٢/٥.

الفصل الثانى

الإعـراب

الإعراب هو أحد وسائل اللغة فى ضبط تراكيبها، لتوضيح المعنى وتوصيل مقصد المتكلم إلى السامع، فبالإعراب تضبط أواخر الكلمات وتتضح معانى العبارات.

ويقول أنطوان مييه "وجود الإعراب غنى بالحالات، بحيث يكفى للعبارة عما هو ضرورى لبناء الجملة ـ يعفى من الاعتماد على قواعد الترتيب وعلى العكس من ذلك، يجب أن تكون هناك قواعد دقيقة لترتيب الكلمات عندما لا يوجد أى عنصر من عناصر الإعراب كما هو الحال فى اللغة الصينية أو عندما لا يوجد إلا عدد محدود كما هو الحال فى الفرنسية(1).

ولهذا فالإعراب أغنى إلى حد ما عن التزام قواعد الترتيب فى اللغات التى بها الإعراب.والعربية على رأس تلك اللغات التى وجد بها الإعراب، بل حافظت عليها على المدى الطويل مما جعلها تتمتع بحرية كبيرة إلى حد ما فى ترتيب أجزائها،يقول الدكتور رمضان عبد التواب"قد كانت الجملة العربية تظفر بحرية كبيرة إلى حد ما فى ترتيب أجزائها بسبب وجود الإعراب فى الفصحى والاكتفاء به فى كثير من الأحيان، للدلالة على وظيفة الكلمة فى الجملة، ومن هنا تعددت أشكال الجملة العربية من ناحية موقع كل جزء فيها، فجملة مثل (ضرب محمد عليًا) يمكن أن تقال فى العربية، بأوجه أخرى مثل: ضرب عليًا أو عليًا ضرب

---

(1) علم اللسان انطوان ماييه، ضمن كتاب النقد لا المنهجى عند العرب، دار نهضة مصر، ١٩٦٩م، القاهرة، ص ٤٤٧.

محمد تبعًا لاختلاف المقصود من الكلام والجزء الذى يعنى المتحدث إبرازه والاهتمام به أكثر من غيره، وقد ساعد على هذه الحرية فى بناء الجملة وجود الإعراب[1].

حقيقة وجود الإعراب فى العربية الفصحى والعامية قديمًا وحديثًا.

ولهذا فإن الإعراب فى اللغة يعد عنصرًا أساسيًا فى بناء الجملة العربية، ولكن هل كل البيئات أو اللهجات العربية قديمًا وحديثًا كانت تحتفظ بالإعراب؟ يقول الدكتور إبراهيم أنيس "لم تكن لهجات الكلام عند القبائل تلتزم الإعراب على الصورة التى رويت لنا فى كتب النحاة، وإنما التزام الإعراب على تلك الصورة فى اللغة الأدبية التى نزل بها القرآن الكريم ونظم بها الشعر وقد كان الإعراب من الظواهر اللغوية التى عنى بها الخاصة من العرب فى خطبتهم وشعرهم وعد بينهم مما يفخر الأديب ويمهر فى مراعاته، أما فى لهجاتهم ولغة التخاطب بينهم فلا نكاد نعلم شيئًا عن قواعد إعرابهم، وعما التزموه فى تحريك أواخر الكلمات أو إسكانها، فالإعراب كما نعرفه لم يكن إلا مسألة مواضعه بين الخاصة من العرب ثم بين النحاة من بعدهم، ولم يكن مظهراً من مظاهر السليقة اللغوية من عامة العرب ويدل على هذا شعورهم بقواعده وقوانينه منذ العهد الجاهلى فإذا خرج أديب على تلك القواعد عيب عليه هذا، وإلا فكيف نتصور من الناحية الصوتية أن لسانًا يعجز عن نصب خبر ما أو نصب اسم لعل أو جر تمييز كم الخبرية؟! [2]

إن الإعراب هو إحساس لدى العربى الأول بالصفات الصوتية لأواخر الكلمات تكوَّن لديه من سماعه للشعر وحفظه وروايته مما جعله يلتزم بهذه القواعد التى تحولت إلى قوانين نطقية قد اختلفت فى بعض أجزائها لاختلاف البيئات اللغوية المتحدثة بالعربية واتساع الجزيرة وضعف الاتصال بينها ويؤكد علمهم بقواعد النحو العربى فى الجاهلية عن طريق الإحساس بالنغم الصوتى الموجود فى أواخر

---

(١) التطور اللغوى ١٢٥.

(٢) فى اللهجات العربية:٨٤.

الكلمات على الرغم من أنها لم تقنن فى قواعد أو قوانين نحوية كما هو معروف ما روى لنا عن إحساسهم بالإقواء فى الشعر أو الإعراب الخاطئ كما حدث للنابغة فى قوله:

زعم البواح أن رحلتنا غدا   وبذاك خبرنا الغراب الأسود

ويزعم الرواة أن النابغة قال البيت بضم الدال من كلمة الأسود، ولكن المعقول أن يكون كسرها لينسجم الروى وموسيقى الأبيات ويكون بذلك قد أخطأ فى النحو[1].

وهذا راجع إلى ربط الشعر بالموسيقى وبالإيقاع وأوزان الشعر إلى حد كبير إذًا فالإعراب كان موجودًا فى الجاهلية وإن لم يكن شائعاً أو ملزمًا للعامة فى نطقهم كقواعد منضبطة تأخذ شكل العموم والشمول الذى صنعه لها النحاة بعد ذلك، بل فى شكل سليقة حازمة صارمة على أبناء كل بيئة لغوية تسمى لهجة خاصة بتلك البيئة، ملزمة لهم، لا يستطيع المتكلم الفكاك منها، وهى ما تعرف أيضا باللكنة، وهى السمات الصوتية الدقيقة الخاصة بهذه البيئة التى تتكون من مجموعة خصائص صوتية ودلالية خاصة بها تميزها عما جاورها من بيئات لغوية أخرى.

وفى هذا يقول الدكتور أحمد مختار عمر" ولا شك أن إهمال الإعراب جاء نتيجة تأثير بعض اللهجات العربية الوافدة فعلى الرغم مما هو معروف بين علماء اللغات كثيراً من أن الإعراب كان من أهم الظواهر العربية الشديدة اللصوق باللغة فإن كان من الأمثلة اللهجية التى وردت إلينا تكشف عن اتجاه، خطير نحو التخلص منه كما أنه من غير الممكن الزعم بأن الإعراب كان ملتزمًا بين كل القبائل وعلى كل المستويات[2].

إن مشكلة الاعتراف بوجود الإعراب فى اللهجات العربية القديمة ترجع إلى قضية خطيرة لم ينتبه إليها أحد، وهى أنها كانت موجودة بصورة صارمة فى كل

---

(١) فصول فى فقه العربية ٩٢.

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٣.

القبائل ملزمة وملازمة لكل أبناء القبيلة، ولكن بصورة خاصة بهذه القبيلة، وليست عامة تُفرض على كل القبائل الأخرى،فلو نظرنا إلى قاعدة إلزام الأسماء الستة حالة إعرابية واحدة (مثلا) نجد أن هذا الأمر خاص بلهجة معينة، وعلى العكس من ذلك تكون قاعدة إلزام الأسماء الستة بالحالات الثلاث (الرفع بالواو والنصب بالألف والجر بالياء) خاص بقبيلة أخرى، فيبدو أن هناك تضاربًا فى الشكل العام للقاعدة، فعندما يأتى النحاة بالقول بفصاحة هذه اللهجة التى تنطق بما اعتبروه قاعدة، وشذوذ اللهجة الأخرى أو عدم فصاحتها، فتنشأ من هذا القول العداوة بين أبناء العربية بين تلك اللهجة التى قيل بشذوذها، لأنها لا تلتزم بالقواعد التى وضعها النحاة، ولكن هذا الحكم الذى أصدره النحاة على تلك اللهجة بالشذوذ ليس صحيحًا، فكل قاعدة من تلك القواعد التى تتكلم بها هذه اللهجة أو تلك، هى عربية فصيحة، وهى ملزمة لكل أبناء اللهجة بحزم شديد، لا يستطيع أحد الخروج عليها، وإلا سخر منه القوم.

ومن هنا كانت عاميات تلك اللهجات ملتزمة بشكل عام بقواعد اللغة أو الكلام، ولكن القواعد الخاصة بها هى أى بسليقتها التى لا يستطيع أحد من أبناء هذه السليقة الخروج عليها، وهذه القاعدة تعد غريبة أو شاذة بالنسبة لباقى اللهجات (فيما يرى النحاة)، فلا يوجد لغة (عامية أو فصيحة) دون قواعد صارمة تحكمها؛ ليتم من خلالها التواصل بين أبناء الجماعة اللغوية.

وما فعله شعراء سوق عكاظ هو محاولة التقريب بين تلك اللهجات وإذابة تلك الفوارق اللغوية بين تلك اللهجات العربية؛ وذلك بتعميم القاعدة، وفرض لغة أدبية مشتركة بين تلك القبائل، ليتم التفاهم بينهم على المستوى الأعلى عندما يلتقون ويتخاطبون فى الأماكن المختلفة فى الجزيرة مثل الأسواق وفى أيام الحج، وهو ما قاله د. إبراهيم أنيس فى كتابه اللغة العربية المشتركة، وحديثه عن نشأة لغة أدبية مشتركة مهدتْ لنزول القرآن الكريم بتلك اللغة التى تفهمها كل القبائل وتجمع أهم الخصائص اللغوية المشتركة بين تلك اللهجات.

ولكن لو دققنا النظر فى تلك العبارة (اللغة الأدبية المشتركة) لوجدنا أنها لغة خاصة بالأدب أو اللغة الراقية الرسمية التى تستخدم فى مستويات أعلى تستطيع

أن تجمع كل خصائص اللهجات المختلفة، ولكن ما حال لغة عامة الشعب الذين لا يُجيدون الشعر (قولاً أو سماعًا) ولا يميلون إلى الأدب ولا يعملون فى مجال الكتابة، ولا يجيدون إلا لغة الحياة اليومية، ما حال لغة هؤلاء القوم،خاصة بعد الفتح العربى فى بلاد لا تتكلم العربية كلغة أم؟ فتتعلمها.

لقد بقيت هذه اللغة (الخاصة بهذه القبائل) على حالها من المحافظة على خصائصها الدقيقة الصوتية والدلالية والتركيبية، ثم خرجت مع الجيوش الفاتحة إلى الأمصار المختلفة فى شكل جماعى، واستوطنت تلك الأمصار، وحافظت على تلك الخصائص رغم بعدها عن موطنها الأصلى، بل نقلت هذه اللهجة الخاصة بها بكل خصائصها للبلاد التى استوطنوا فيها من الأمصار المفتوحة كلغة حياة يومية لهم، وتعلمها عنهم أبناء تلك البلاد بكل خصائصهم اللهجية؛ ولهذا نجد فى تلك البلاد لهجات شتى، وعند تتبع أصولها نجد أنها عربية، قَدِمَتْ من الجزيرة العربية مع الفتح، ولكن مشكلتها أنها لم يكن لها حظ كبير أو نصيب من القبول لدى النحاة واللغويين،أو شيوع وانتشار، فلم يسجلوها كما فعلوا مع اللهجات المشهورة (كلهجة قريش) فبقيت فى صورة لُهَيْجَة كما كانوا يسمونها، أو لم يذكروها مطلقًا فى بعض الأحيان، ولم ترد فى شعر شاعر مشهور أو قول خطيب معروف، فأصبحت تلك الأمصار ميدانًا لغويًا كبيرًا لتلك اللهجات المجهولة غير المعروفة، فاستمرت فى النمو والتطور وبقيت، مع التأكيد والمحافظة على تلك الأصول التى جاءت معها من الجزيرة يتوارثها جيلاً بعد جيل أبناءُ تلك البيئات المكونة من عنصرين من البشر، هما:

الأول: الأكثر عددًا وأقل تأثيرًا، وهم أبناء البلاد الأصليون، بلغتهم الأصلية.

الثانى: الأقل عددًا والأكثر تأثيرًا على أبناء هذه البلاد الأصليين، وهم أبناء الفاتحين القادمين من الجزيرة حاملين خصائصهم اللهجية الخاصة بهم، وقد تعلموها وورثوها فى بيوتهم، حتى بدت الآن تلك اللهجات العربية الموجودة فى البلاد العربية المعاصرة (الأمصار المفتوحة) غريبة عن بعضها، منفصلة كمجتمعات لغوية مستقلة، لا يكاد فى كثير من الأحيان أن يفهم بعض أبنائها بعضا، فلو استمعنا الآن إلى أبناء المغرب العربى فى لهجاتهم الدارجة فى حياتهم

اليومية وكذلك بعض البلاد العربية الأخرى؛ فسنجد أن لغتهم غير مفهومة تحتاج إلى قاموس لغوى لفهمها، أو التفاهم بيننا وبينهم.

ولكن إذا عدنا إلى الاستعانة باللغة الأدبية المشتركة (الفصحى) كوسيلة تفاهم؛ هنا يفهم بعضنا بعضًا، لماذا؟ لأن هذا هو السلوك اللغوى الذى اتبعه أبناء العربية منذ الجاهلية للتفاهم بينهم كقبائل متباعدة مختلفة فى خصائصها الصوتية والدلالية، بإنشاء مستوى لغوى يحقق لهم هذا التفاهم هو هذه اللغة الأدبية المشتركة الموجودة المحفوظة فى عقول كل أبناء الأمة العربية يلجأ إليها أبناء الوطن العربى للتفاهم بينهم عندما تعوزهم الحاجة إلى ذلك،أى عندما تعجز لهجاتهم المحلية الدارجة عن تحقيق هذا التواصل بينهم، وذلك من خلال العامل الذى يجمع بينهم وهو النص القرآنى الذى يُتلى عليهم، ويتلونه ليلَ نهارَ، ويسمعونه على المنابر ويتعاملون بلغته فى الدواوين الحكومية، والمحافل الرسمية والنشرات الإخبارية فى كل البلاد العربية من المحيط إلى الخليج التى تُبَثُّ بتلك اللغة الأدبية المشتركة والمفهومة للجميع.

ويشير د رمضان عبد التواب إلى المسلك الذى سلكته اللغة العربية عند ضياع العلامة الإعرابية (المورفيم الإعرابى) يقول "فلما فقدت هذا الإعراب كان الواجب أن يلزم بناء الجملة نظامًا واحدًا وهو ما حدث فى اللهجات العربية الحديثة فإن جملة (ضرب محمد عليا) مثلا أصبحت فى اللهجات الحديثة (محمد ضرب على) بتقديم الفاعل والتثنية بالفعل ثم الإتيان بالمفعول به[1] وهذا القول يوافق أيضًا ما قاله هنرى فليش "وليست هذه حال اللهجات فقد فقدت هذه اللهجات المصوتات القصيرة الإعرابية فى آخرها، كما فقدت مصوتات التصريف، ولجأت إلى موقع الكلمات ـ طبقًا لتحديد الوظائف المهمة: المسند إليه والمفعول المباشر، المعرف فى الإضافة النحوية "وهى حالات تنشئها دواع كثيرة[2].

(١) التطور اللغوى ١٢٥.

(٢) العربية الفصحى ١٨٣.

ويشير الدكتور عبد العزيز الدالى إلى زوال الإعراب قائلا "وبانحلال الإعراب اضمحلت أيضًا الفروق التى كانت قائمة فى العربية الفصحى بين أحوال الإعراب الثلاثة وبين ما ينصرف، وما لا ينصرف، ويتجلى ذلك بوضوح فى أن صيغتى المثنى وجمع المذكر السالم فى حالة التعريف قد غلبت على صيغتيها فى حالة الإضافة[١].

لكن هذا الأمر لنا وقفة معه وهو مرحلة نشوء لهجة جديدة فى كل الأمصار العربية المفتوحة مكونة من هذا الخليط السابق (لهجات متعددة+ لغات أصلية) فماذا تفعل اللغة فى هذه المشكلة؟ إنها محاولة اللغة الجديدة فى القضاء على التفريعات المختلفة للقاعدة الواحدة، فتسود (كما ذكر ذلك د. رمضان عبد التواب) حالة إعرابية على باقى الحالات؛ فحالات الإعراب الثلاثة فى الأسماء الستة تصبح حالة واحدة بالواو أو الياء أو الألف، وكذلك تسويد حالة الرفع فى المثنى وجمع المذكر السالم،وغيرها من التفريعات هذا فى جانب التراكيب.

هنا تظهر لغة جديدة بخصائص جديدة مستخلصة من الخصائص اللهجية المختلفة، ولا يمكن اعتبارها حاملة لكل خصائص اللغة الأدبية المشتركة، ولكنها تحمل سماتها الخاصة الآتية من خصائص اللهجات التى أقامت فى هذه البلاد، مع بقايا لغتها الأصلية غير العربية.

وفى دراستى للغة العصر الفاطمى لاحظت أن قضية الإعراب تتلخص فى:

١ ـ الحذلقة.

٢ ـ سيادة الحالة الإعرابية.

٣ ـ ضياع الإعراب تمامًا.

٤ ـ حالات التزام تام بقواعد الإعراب.

فسيادة الحالة الإعرابية هو أن تسود حالة الرفع أو النصب أو الجر على باقى الحالات الإعرابية فتثبت اللغة عند حالة واحدة وتندثر باقى المورفيمات

---

(١) البرديات العربية ١٥٩.

الإعرابية، والحذلقة فى الإعراب هى محاولة المتكلم أو الكاتب التزام قواعد الإعراب مع جهله بها فينصب الفاعل معتقدًا أن هذا هو الأفصح فى إعرابه لرفع المفعول بنفس العلة السابقة. أما ضياع الإعراب تمامًا فهو حالة من عدم التزام من الكاتب برفع أو نصب أو جر أية كلمة فى كلامه أو كتابته.

لقد كانت اللهجة المصرية تحتوى على ثلاثة مستويات من الاستخدام اللغوى كما يقول الدكتور عبد العزيز الدالى "تكونت للغة العربية ثلاثة أنواع أولها الفصحى وثانيها لغة الحديث اليومى، ولغة ثالثة هى عربية ميسرة لا يكمل فصاحتها ولا تتسم بلغة الحديث اليومى إلى حد كبير، وذلك لأن العرب والمستعربين كانوا يجمعون بين لغة العامة، ويقرءون ويكتبون لغة لها قواعدها ولها صيغتها وتراكيبها ونحوها المعين ثم هم يكتبون لغة بين هذه وتلك وحين يكتب العربى أو المستعرب تبدو فى كتابته مدى ثقافته[1]

ومن هذا يتضح أن وجود تلك المستويات للاستخدام اللغوى فى الحديث والكتابة هى التى أوجدت لنا ذلك التباين فى القواعد النحوية بين ملتزم بهذه القواعد وبين تارك لها جملة وبين محاول الالتزام بها مع عدم درايته الكاملة بالصواب والخطأ فى هذه القواعد، فيصيب أحيانًا ويخطئ أحيانًا وأحاول هنا أن أخص بالبحث جانبين من جوانب الإعراب السابقة وهما سيادة الحالة الإعرابية - والحذلقة فى الإعراب وتركت حالات إهمال الإعراب تمامًا وحالات الالتزام الصحيح فى الإعراب فهى لا تحتاج إلى دراسة.

أولا: الحذلقة

والحذلقة أو المبالغة فى التفصح أو التقصير فى الكلام يقول الدكتور رمضان عبد التواب" اصطلاح اتخذ لدى علماء اللغة للصيغ التى تُنْتَج بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية ممن لا يجيدها فهو يحاول أن يرد العامية التى يتحدث لها إلى نمط اللغة الأدبية، وهو فى محاولته هذه لا يفرق بين الظواهر

---

(١) البرديات العربية ١٣٨.

الجديدة والقديمة فى العامية فإذا رد كلمة إلى أصلها القديم أصاب، إما إذا فعل مثل ذلك مع الكلمات التى احتفظت بالأصل القديم، وشابهت مع ذلك الجديد فإنه يكون حينذاك متقعرًا ومتحذلقًا .... ويسمى فندريس هذه الظاهرة (الإسراف فى المدنية) والمبالغة أى المدنية والغلو فى مراعاة الصحة[1].

ويشير الدكتور أحمد مختار عمر إلى وجود هذه الظاهرة فى العربية قائلاً "أهم ظاهرة تلفت نظر الباحث هى إهمال الإعراب أو التخلص منه بالكلية. وأحيانًا نجد بعضهم يحاول المحافظة عليه فيقع فى أخطاء فاحشة[2] أى أن الذى يحاول التزام قواعد الإعراب مع جهله بها يؤدى به الأمر إلى الوقوع فى أخطاء فاحشة وهو ما نتحدث عنه هنا وهو التفصح أو الحذلقة.

١ - رفع المنصوب:

كما فى قول ساويرس" فأمر أن يطلق لكل واحد من النصارى ديناران، أى دينارين لأنه مفعول به وقوله "وانحدر جميعهم هاربون[3] أى هاربين لأنه حال، وقال ابن ظافر "وأخبرنى موسى ابن الوزير المأمون صاحبه أنه وجد فيما ترك صندوقان كبيران فيهما أبر ذهب[4] أى صندوقين كبيرين لأنه مفعول به، وقال ابن العسال "ولما وبخ الفرنسيون لكونهم يتركون أى وبخ الفرنسيين لأنه مفعول به. وقوله "يرفعون أربعون قربانًا[5] أى أربعين مفعول به.

وقال ابن ميسر "خروج الظافر متنكر[6] أى متنكرًا لأنه حال وقال ابن زولاق "أنا كنت أمضى ماشى[7] أى ماشيًا لأنه حال وقال يحيى بن سعيد الأنطاكى

---

(١) التطور اللغوى ص ٧٩.

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/٢، ١٠/١٩٨.

(٤) أخبار الدول المنقطعة ٩٢.

(٥) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٦) أخبار مصر لابن ميسر ٩٢.

(٧) أخبار سيبويه ٥٦.

"فقتل العوام بعد هزيمته عدد متوفرًا[1] أى عددًا متوفرًا لأنه مفعول به رغم أنه نصب الصفة متوفرًا.

وفى البرديات "٥ - ... وكان أحمد بن الحسين الكوفى حاضر[2] أى حاضرًا ورفع المنصوب وهو حال، وقوله "شرا ثابت صحيحًا[3] أى ثابتًا صفة للمصدر المنصوب وقد نصب الصفة الثانية ولم ينصب الأولى.

وقد أوردت هنا نماذج كثيرة من مصادر متنوعة لإثبات وجود ظاهرة التفصح فى كل هذه المستويات وجعلت اهتمامى على المعرب بالحروف، لأنه الذى يظهر فيه الخطأ الإعرابى واضحًا، وأما المعرب بالحركات فاخترت منه الذى يظهر فيه الإعراب وهو المنصوب لوجود التنوين ليتضح أن الخطأ متعمد من الكاتب ولا تصحيف فيه، وهذا النوع من الخطأ النحوى يختلف عما سواه لأن المتكلم كان من الممكن أن يلغى الإعراب تماما من كلامه أو كتابته، فتأتى الكلمات مجردة من كافة العلامات الإعرابية، كما يحدث فى من يتكلم بالعامية الدارجة، ولكن ما حدث غير ذلك؛ فهذا الشخص يحاول أن ينطق ويكتب بالفصحى الصحيحة، ولكن لا تسعفه حصيلته اللغوية ولا علمه بقواعد اللغة، فيقع فى الخطأ وذلك بالجمع بين مستويين العامى الذى يغلب عليه، والفصيح الذى يحاول الوصول إليه، ولكنه يفشل فى ذلك، فيدخل ضمن المتحذلقين.

٢ - نصب المرفوع:

وفى المقابل نذكر حالات نصب المرفوع أى الحالات التى نصب فيها الاسم وحقه الرفع يقول أبو صلح "فيصير فيها من الزيتون كثيراً جداً[4] أى كثيرٌ، وقوله "وهو عظيمًا جدًا"[5] والصواب عظيم جدا لأنه خبر وقوله "فمنها ما هو متباعدًا

---

(١) تاريخ يحى بن سعد الأنطاكى ١١١.

(٢) السفر الخامس ص٢ بردية ٢٨٩ لوحة رقم ٢.

(٣) السفر الأول ١٣٢ بردية ٥٤.

(٤) تاريخ أبى صلح ١٣٦.

(٥) المرجع السابق ١٢١.

عن البحر ومنها ما هو قريبًا[١] أى متباعد وقريب لأنهما خبران، وقوله "حيث هو نازلاً[٢] أى نازل لأنه خبر وقول المسبحى "ولم يرد فى سجله شيئًا عما إليه النظر فيه[٣] أى شىء فنصب الفاعل وقول ابن المقفع "وكان له ولدًا كبير كثير السوء[٤] أى ولد اسم كان مرفوع.

٣ - رفع المجرور:

قد يرفع الاسم المجرور أيضًا كنوع من التفصح، ومثل هذا ما ورد فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى "وتهيأت المسلمون للغزو، والصواب تهيئة المسلمين جُرٌ بالإضافة. ومثله قول ابن المقفع "وخرج بها أكبر المسلمون"[٥] أى أكثر المسلمين وقوله (دفع فضته للحواريون..... فقال هذه المشية للحواريون[٦] أى للحواريين وفى البرديات قوله:

٧ ـ على بن حسن والكيلى ثمن خفتان خزينا بوردى...

١٠ ـ على أبى حفص أعزه الله ثمن خفتان خز" وعلى الظهر

٥ ـ على أبى بكر الشرا ثمن خفتان ماحوزى[٧] أى خفتين

وفى تاريخ أبى صلح "على اسم بطرس رئيس الآبا الحواريون[٨] أى الحواريين.

٤ ـ نصب المجرور:

وحدث هذا بكثرة كما فى قوله ابن ميسر "ويناول كل واحدًا[٩] " أى كل واحد

---

(١) المرجع السابق ١٣٣.
(٢) المرجع السابق ١٣٣.
(٣) أخبار مصر ٤٨.
(٤) تاريخ البطاركة ٢/٨.
(٥) تاريخ الأنطاكى ١١٦.
(٦) تاريخ الأنطاكى ٢/٧، ٢/١٦.
(٧) السفر السادس ٩٥، ٩٦ بردية ٢٩٤.
(٨) تاريخ أبى صلح ١٢٩.
(٩) أخبار مصر٦٤.

بالجر وقوله (فأمر بحمل أمولاً تقالاً إلى المعرة[1]) أى أموال ثقال. وفى تاريخ أبى صلح "فأنك غير يهوديًا ولا نصرانيًا[2] أى يهودى ولا نصرانى. وفى قول ابن العسال" من كان غير طاهرًا فلا يدن[3] أى من كان غير طاهر بالجر لا بالنصب.

٥ ـ تنوين الممنوع من الصرف:

يقول المسبحى" إنه لما قتل وجد أغلفا[4] وفى موضع آخر يقول "ووجد عند قتله أغلفا[5] وهذه الكلمة (أغلف) ممنوعة من الصرف فهى صفة على وزن أفعل يقول ابن مالك:

ووصف أصلىٌ ووزن أفعلا   ممنوع تأنيث بتا: كأشهلا.

أى تمنع الصفة أيضًا بشرط كونها أصلية أى غير عارضة إذا انضم إليها كونها على وزن أفعل ولم تقبل التاء نحو أحمر[6] وهذا يعنى أن المسبحى قد صرف اسمًا ممنوعًا من الصرف مرتين معتقدًا أن هذا هو الفصيح فى استخدامه ولكن هذا الشىء يجوز فى اللغة فقد أجيز صرف الممنوع فى الضرورة يقول ابن مالك:

ولاضطرار، أو تناسب صرف   ذو المنع، والمصروف قد لا ينصرف

يجوز فى الضرورة صرف ما لا ينصرف ذلك كقوله:

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن.

وهو كثير وأجمع عليه البصريون والكوفيون وورد أيضًا صرفه للتناسب كقوله تعالى ﴿سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾ فصرف سلاسل لمناسبة ما بعده[7]

---

(١) تاريخ أبى صلح ٤.
(٢) تاريخ أبى صلح ١٥.
(٣) المجموع الصفوى.
(٤) أخبار مصر ١٨٧.
(٥) المرجع السابق ٢٢٢.
(٦) شرح ابن عقيل ٣/ ٣٢٣.
(٧) المرجع السابق ٣/ ٣٢٨.

ويقول السيوطى "يجوز صرف ما لا ينصرف لتناسب أو ضرورة فالأول نحو ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ﴾، ﴿سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً﴾، ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ والثانى كقوله: تبصر خليلى هل ترى من ظعائن[1]

وقال عبد القادر البغدادى:

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس فى مجمع

على أن الكوفيين وبعض البصريين جوزوا للضرورة ترك صرف المنصرف بشرط العلمية، وأنشده أيضًا هنا فى آخر الكلام على منتهى الجموع على أن الكوفيين يمنعون الصرف بالعلمية وحدها، لأنها سبب قوى فى باب منع الصرف[2]

وقد أرجع الدكتور مختار عمر هذه الظاهرة إلى لهجة عربية فقال "صرف الممنوع من الصرف مثل: ذبحوا ذبائحًا، والخلاف بين النحاة فى جواز صرف الممنوع من الصرف بدون علة تناولته كتب النحو بالتفصيل وفى القرآن الكريم ﴿سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً﴾ وفيه (اهبطوا مصرًا)[3]

ذكر النحاة أسبابًا كثيرة لجواز صرف الممنوع من الصرف فيما نقلوه من كلام فصحاء العرب، ومما ورد فى القرآن الكريم، ولكنهم لم يذكروا من بين هذه الأسباب هذا السبب، وهو التفصح أى محاولة المتكلم النطق بالفصحى، فلم يتكلم أحد من النحاة عن هذه الظاهرة أو هذا السبب، لأنه لم يكن موجودًا مطلقًا بين الذين تنصب عليه دراستهم؛ أىٍّ من هذا النوع من المتكلمين (المتحذلقين) فهؤلاء النحاة يدرسون لغة قوم فصحاء بالسليقة، ولا حاجة لهم للتفصح أو الحذلقة، لأنهم فصحاء بالسليقة، وما نجده فى لغتهم من خروج عن قواعد الفصاحة هى ظواهر تعود إلى خصائص لهجية، أى ترجع إلى لهجة أخرى غير اللهجة القياسية التى يقيسون عليها، فظهر مصطلح قياسى وسماعى.

---

(١) همع الهوامع ١/ ٣٧.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:عبد القادر البغدادى، دار الكاتب العربى، القاهرة ١٩٦٩م، ص ١/ ١٤٧.

(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٥، ١٣٦.

أمّا هذا الكاتب (المسبحى) فهو مؤرخ يفترض فيه العلم بالعربية، ولكن علمه محدود؛ لم يلم فيه بكل قواعد اللغة، ولكنه يحاول أن يفعل ذلك بأن يكتب بلغة يظن أنها فصيحة فيفشل، وهذا ما يعرف بالتفصح أو الحذلقة.

ثانياً: سيادة الحالة الإعرابية:

عند ضياع المورفيم الإعرابى فى لغة تلتزم الإعراب؛ فإنها تستبدل بذلك النظام الإعرابى نظامًا آخر، وهو ترتيب الكلمات داخل الجملة وذلك فى نظام دقيق ملزم لكل المتحدثين باللغة ـ كما أشرت إلى ذلك آنفًا ـ حيث التزمت اللهجات العربية الحديثة (محمد ضرب على) بتقديم الفاعل والتثنية بالفعل ثم الإتيان بالمفعول به[1].

ولكن الأمر لا ينتهى عند هذا الحد، بل إن اللغة التى ضاع فيها المورفيم الإعرابى كالتى تجعل الواو علامة رفع لجمع المذكر السالم والياء علامة نصب وجر له ـ أعنى العربية ـ تَثْبُتُ عند حالة واحدة هى الواو أو الياء أو الألف وتجعلها علامة للرفع والنصب والجر، فتسوى باقى الحالات لصالح حالة واحدة ما هى؟! ولماذا اختارتها دون أختيها؟! هذه التساؤلات لا يستطيع عباقرة اللغة الإجابة عليها، ولكن كل ما يقال هو أن حالة الرفع أو حالة النصب سادت على باقى حالات الإعراب، وتثبت اللغة عند مورفيم معين سوت باقى الحالات لصالح هذا المورفيم، الذى اختارته بحرية مطلقة منها.

وقد قال الدكتور رمضان عبد التواب عن هذه الظاهرة "القضاء على التفريعات الكثيرة والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة فى داخل اللغة، وقد حدث ذلك فى اللهجات العربية الحديثة بالنسبة لعلامات التأنيث فى العربية، فنحن نعرف أن العربية الفصحى، تملك ثلاث علامات هى: التاء، والألف المقصورة والألف الممدودة، كما نلاحظ أن العلامتين الثانية والثالثة، قد ضاعتا فى اللهجات العربية الحديثة، وحلت محلها العلامة الأولى وهى التاء"[2].

---

(١) التطور اللغوى١٢٥.

(٢) التطور اللغوى ٥٥.

وهـذا أيضًا يدخل ضمن تبسيط اللغة لقواعدها العربية فى إطار لغتها الجديدة التى ظهرت على ألسنة المولدين؛ لتصبح بعد ذلك لهجة خاصة بهذه البيئة المصرية، أو المغربية يتوارثها الأجيال حتى نصل إلى العامية المعاصرة.

وفى دراسة اللهجة المصرية فى العصر الفاطمى لوحظ وجود سيادة لكثير من الحالات الإعرابية ويقول الدكتور أحمد مختار عمر عن تلك الظاهرة الإعرابية فى عربية مصر "وقد أدى ذلك إلى محاولة إلزام الكلمات العربية بالحروف وجهًا واحدًا ومن أمثلة ذلك: فى ذو الحجة ـ أبو قير (بدلاً من أبا قير) ـ ذا النون (بدلاً من ذى النون) ـ أبا أيوب (بدلاً من أبى أيوب) ـ بيداه بدلا من بيديه) إن هاتان الخصلتان (بدلاً من هاتين الخصلتين).... الخ[1].

١ ـ سيادة الياء فى جمع المذكر السالم والمثنى:

إن علامة إعراب جمع المذكر السالم هى الواو رفعًا والياء نصبًا وجرًا. ولكن قد سادت فى لغة هذا العصر الياء على باقى حالات الإعراب ولكن لم يكن هذا بغريب فى اللغة، فلقد بدأت هذه الظاهرة من عصور سحيقة فى اللغة العربية، بل فى اللغات السامية بعامة، وهذا ما نحاول إثباته هنا، فقد ذكر ابن مالك أنه قد تسود الياء فى إعراب كلمة سنين حيث يقول:

" وبابه، ومثل حين قد يرد ذا الباب، وهو عند قوم يطرد

وأشار بقوله "ومثل حين قد يرد ذا الباب" إلى أن سنين، ونحوه قد تلزمه الياء، ويجعل الإعراب على النون فتقول هذه سنين، ورأيت سنينًا ومررت بسنين وإن شئت حذفت التنوين، وهو أقل من إثباته، واختلفت فى اطراد هذا والصحيح أنه لا يطرد، وأنه مقصور على السماع، ومنه قوله ﷺ (اللهم اجعلها عليهم سنينًا كسنين يوسف) فى إحدى الروايتين، ومثله قول الشاعر:

دعانى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبًا وشيبننا مردا[2]

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٤.

(٢) شرح ابن عقيل ١/ ٦٤.

فنرى أن حديثه يتركز على كلمة سنين ويقول ابن يعيش "وقد يجعل إعراب ما يجمع بالواو والنون فى النون وأكثر ما يجىء ذلك فى الشعر ويلزم الياء، إذ ذاك قالوا أتت عليه سنين... ويلزم فيه الياء فتقول هذه سنين ورأيت سنينًا ومررت بسنين، وإنما جاز إعراب النون فى هذا الضرب من الجمع لأن النون فيه قامت مقام الحرف الذاهب فجعلوها كلام الكلمة، وإنما ألزموه الياء ليصير نظير غسلين ونحوه من الأسماء المفردة"[1]

ويقول السيوطى "إعراب هذا النوع إعراب الجمع لغة الحجاز وعلياء قيس وأما بعض بنى تميم وبنى عامر فيجعل الإعراب فى النون ويلزم الياء، قال: أرى مر السنين أخذت منى: ثم الأولون يتركونه بلا تنوين والآخرون ينونونه فيقولون فى المنكر أقمت عنده سنينًا بالتنوين..." وقال ابن مالك لو عومل بهذه المعاملة عشرون وأخواته لكان حسنًا لأنها ليست جموعًا فكان لها حق فى الإعراب بالحركات كسنين[2]

ومن هذا النص نرى أنه أجاز أن تلزم هذه الحالة فى الأسماء الملحقة بجمع المذكر السالم كلها.

والحق أن هذا الحكم يجب أن يكون شاملاً لكل الأسماء المجموعة جمع المذكر السالم وذلك لأن هذه الحالة سادت فى جميع اللهجات العربية الحديثة بل إننا نجد هذه السيادة فى اللغات السامية حيث لزم جمع المذكر بها حالة واحدة كما فى العبرية، يقول الدكتور رمضان عبد التواب "أما جمع المذكر، فعلامته فى العبرية ִים:

ִים: מֶלֶךְ = ملك، جمع: מְלָכִים
סֵפֶר = سفر، جمع סְפָרִים، דָּבָר = نوب/ بجاد جمع בְּגָדִים
רְחֹב = رحبه وغير ذلك

---

(١) شرح المفصل ١١/٥.

(٢) همع الهوامع ٤٦/١.

وبما أنه لا إعراب فى العبرية فقد لزم جمع المذكر حالة واحدة هى: الياء والميم، كما هو الحال فى اللهجات العربية الحديثة فى لزوم جمع المذكر فيها حالة واحدة، وهما الياء والنون، والميم فى العبرية فى أواخر الكلمات، تقابل النونَ فى العربية فى كثير من الحالات، مثل أن التى تقابل فى العبرية[1] وهـــذا يعنى أن سيادة حالة الإعراب على باقى الحالات وجدت من قبل فى العربية والساميات. وقد وجدنا أمثلة كثيرة فى لغة العصر الفاطمى يلتزم فيه الكاتب حالة إعراب واحدة وهى التزام الياء رفعًا ونصبًا وجرًا.

أما المثنى فقد سادت حالة الجر والنصب وهى الياء على الرفع والمعروف أن إعراب الاسم المثنى كما يقول المبرد هو "وإذا ثنيت الواحد ألحقته ألفًا ونونًا فى الرفع... فإن كان الاسم مجرورًا، أو منصوبًا فعلامته ياء مكان الألف وذلك قولك جاء الرجلان، ورأيت الرجلين ومررت بالرجلين[2]

ويقول ابن مالك:

وتخلف اليا فى جميعها الألف جرًا ونصبًا بعد فتح قد ألف

ومن العرب من يجعل المثنى والملحق به بالألف: رفعًا ونصبًا وجرًا فيقول (جاء الزيدان كلاهما ورأيت الزيدان كلاهما، ومررت بالزيدان كلاهما)[3] وذكر عبدالقادر البغدادى: "أحب منها الأنف والعينانا"

على أن لزوم الألف المثنى فى الأحوال الثلاثة لغة بنى الحارث بن كعب فإنهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا، يقولون: أخذت الدرهمان، واشتريت ثريان، والسلام علاكم.

"قال ابن جنى (فى سر الصناعة) من العرب من لا يخاف اللبس ويجرى الباب على أصل قياسه، فيدع الألف ثابتة فى الأحوال، فيقول قام الزيدان، وضربت

---

(١) فى قواعد الساميات ص ٢٨.

(٢) المقتضب ١/ ١٤٣.

(٣) شرح ابن عقيل ١/٥٨، ٥٩.

الزيدان، ومررت بالزيدان، وهم بنو الحارث وبطن من ربيعة... وعلى هذا يتوجه عندنا قراءة من قرأ (إن هذان لساحران)[1].

ويقول ابن يعيش وأنشدوا

إن لسلمى عندنا ديوانا أخزى فلانا وابنه فلانا

أعرف منها الأنف والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

يريد العينين ثم جاء بمنخرين على القياس.... وهى لغة فاشية[2] وهذا القول يوضح أن فى لغة بنى الحارث سادت الألف على الياء كعلامة لإعراب المثنى مطلقًا. وهنا يطرح سؤال نفسه وهو لماذا لم تسد الياء كما حدث فى لهجات أخرى على الألف؟

الإجابة أن اللغة حرة فى ذلك الشأن فلا يستطيع أحد من علماء اللغة القول لماذا اختارت اللهجة المصرية الياء واختارت لغة بنى الحارث الألف ولهذا فليس من الغريب أن نجد سيادة الياء على الألف فى اللهجة المصرية فى العصر الفاطمى موضوع البحث، وهو ما نجده فى المصرية المعاصرة كامتداد لهذه الظاهرة إلى العامية المعاصرة فى مصر.

ومن أمثلة إعراب المثنى وجمع المذكر السالم فى لغة العصر الفاطمى والتى سادت فيها الياء على الواو والألف ما يأتى:

أولاً: فى جمع المذكر السالم:

فابن العسال يقول "إذا اشتكا المؤمنين الثقافة الواجب" و "وله بنون مؤمنين" أى مؤمنون، وقوله "الكتب التى يتخذها المؤمنين فى الكنيسة" أى المؤمنون وقوله" فالكل واقفين صامتين"[3] أى واقفون صامتون. ويقول الشيخ أبو صلح "وخرج

---

(١) خزانة الأدب ٧/ ٤٥٢.

(٢) المفصل ٣/ ١٢٨.

(٣) المجموع الصفوى لابن العسال.

ليخرجهم المسلمين واليهود... فتقدموا جماعة السادة المسلمين وصلوا... [١] أى المسلمون وقوله "وحج إليها كثيرين من الناس وقوله ولما لم يمكنوه المعترضين من إعادة البيعة[٢] أى المعترضون وقوله "وهم مسلمين"[٣] أى وهم مسلمون. وقوله وكانت للرهبان سكنها المسلمين" أى المسلمون وقوله" وصار أصحابه المعترفين عليه يسمونه أبونا"[٤] أى المعترفون.

ويقول يحى بن سعيد الأنطاكى" وثار المسلمين بعسقلان على كنيسة كبيرة بها... وعاضد المسلمين اليهود فى هدمها"[٥] أى المسلمون وقد أكد الدكتور أحمد مختار عمر هذه الظاهرة فى عربية مصر فى هذا العصر ـ موضوع البحث فقال "إلزام جمع المذكر السالم الياء فى جميع حالته الإعرابية "وقد لوحظت هذه الظاهرة حتى فى الوثائق المبكرة المنسوبة إلى قرة بن شريك وهذه لهجة عربية أشارت إليها كتب النحو"[٦].

ثانيًا: فى المثنى:

قال الشيخ أبو صلح" فيه بئرين ساقية"[٧] أى بئران وقال المسبحى "وكان له زوجة له منها ولدين أى ولدان، وقال أيضا "وفيه توفى الأخوين الخيرين" أى الأخوان الخيران. قال أيضا "انتقلا الحاضنتين جميعا"[٨] أى الحاضنتان. إلى جانب أمثلة أخرى لم نرد ذكرها خشية الإطالة..

---

(١) تاريخ الشيخ أبى صلح ٤٥، ١٣٩.
(٢) المرجع السابق ٤٦.
(٣) المرجع السابق ٥١، ٨.
(٤) المرجع السابق ١٣٥٨، ١٣.
(٥) تاريخ يحى بن سعيد الانطاكى ٩٦.
(٦) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٢٧.
(٧) تاريخ الشيخ أبى صلح ٣٩.
(٨) أخبار مصر ٢٠٠، ٢٣١، ٢٣٤.

٢ ـ سيادة الواو فى الأسماء الستة:

المعروف عن هذه الأسماء أنها ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء وهناك لغة أخرى يقول ابن مالك:

أب، أخ، حم ـ كــذلك وهــن　　　والنقص فى هذا الأخير حسن

وفـــى أب و تليــيه ينـــدر　　　وقصـرها مـن نقصهن اشهـر

وأشار المصنف بقوله: "وفى أب وتلييه يندر ـ إلى آخر البيت، إلى اللغتين الباقيتين فى أب وتلييه ـ وهما (أخ ـ وحم) فإحدى اللغتين النقص وهو حذف الواو والألف والياء والإعراب بالحركات الظاهرة على الباء والخاء والميم نحو هذا أبه وأخه وحمها ورأيت أبه وأخه وحمها ومررت بأبه وأخه وحمها وعليه قوله:

بأبــه اقْتَدى عـدى فـى الكرم　　　ومــن يشـابه أبــه فمــا ظلــم

وهذه اللغة نادرة فى (أب) وتلييه... "واللغة الأخرى فى أب وتلييه أن يكون بالألف: رفعًا ونصبًا وجرًا نحو هذا أباه وأخاه وحماه، ورأيت أباه وأخاه وحماها، ومررت بأباه وأخاه وحمها" وعليه قول الشاعر:

إن اباهـــا وابـــا أبــاهـــا　　　قــد بلغــا فــى المجــد غايتاها

فعلامة الرفع والنصب والجر حركة مقدرة على الألف كما تقدر فى المقصور، وهذه لغة أشهر من النقص[1].

وفى لغة العصر الفاطمى سادت الواو على باقى حالات إعراب الأسماء الستة يقول المسبحى "ودفع إليها النصف من واجباتها إلا أبو الفتوح حسن"[2] أى إلا أبا الفتوح. ويقول ساويرس بن المقفع" وكان ذلك فى بيعة القديس أبو مقار"[3] أى أبى مقار.

---

(١) شرح ابن عقيل ١/٥٠، ٥١.

(٢) أخبار مصر ٢٠٧.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ١٢.

ويقول ابن ميسر "وكان صدقة أبوه من الكتاب البلغاء"[1] أى أبيه فى البرديات" ٢- أقر بول الشمس بن أبو البدر المقيم"[2] أى ابن أبى بدر. وقوله "٦-... للمسكنى ٧- بأبو العلا بن يرقوق[3] أى بأبى العلا ويقول ابن العسال"... فى بيت أبوها"[4] أى أبيها ونلاحظ هنا سيادة الواو على كل حالات الإعراب الأخرى (الألف ـ الياء) كما هو فى العامية المصرية المعاصرة.

لماذا سادت الواو على الياء والألف فى الأسماء الستة قديمًا وحديثًا فى مصر؟ ولماذا سادت الياء على الواو والألف فى جمع المذكر السالم والمثنى؟

إنها أسئلة يجب أن يجيب عنها الباحثون، و ما نستطيع أن نقدمه لهم هو عدد من الاحتمالات وعليهم التثبت من مدى صحتها، وهى:

١ ـ قد يكون المصريون يميلون إلى تفضيل الضمة الطويلة على الفتحة والكسرة فى كلامهم (كما فى الأسماء الستة).

٢ ـ قد تكون القبائل العربية التى نزلت بمصر ونقل عنها المصريون لغتهم تقصر إعراب هذه الأسماء الستة على الواو، على الرغم من أن المروى فى ذلك بالألف فى لغة القصر.

٣ ـ قد يرجع هذا الميل للضم إلى تأثير اللغات السابقة فى مصر على عربية مصر.

٤ ـ قد يكون المصريون أميل فى لكنتهم إلى إنهاء كلماتهم القصيرة بالضمة الطويلة، وإنهاء كلماتهم الطويلة بالكسرة الطويلة، فتصبح كلماتهم كالآتى:

كلمات قصيرة (أب.أخ. حم.ذو.فم.هن) واو+ ألف +ياء﴿تختصر ⟵ واو.

كلمات طويلة (جمع الذكور. المثنى) واو + ياء.ألف + ياء﴿تختصر ⟵ ياء.

---

(١) أخبار مصر٢.

(٢) السفر الثانى ١٢٢ بردية ١٠٥.

(٣) السفر الثانى ١٢٥ بردية ١١١.

(٤) المجموع الصفوى

نتائج القضاء على التفريعات وعدد الحالات التى تم توفيرها بالاختصار:

لو قمنا بعملية إحصاء حسابية لحالات الإعراب التى ستختصرها أو توفرها اللغة من عملية القضاء على التفريعات المختلفة يكون الناتج كالآتى:

١ ـ فى الأسماء الستة ثلاث حالات تختصر إلى ← حالة واحدة.

٢ ـ فى المذكر السالم حالتان و المثنى حالتان تختصر إلى ← حالة واحدة لهما.

٣ ـ فى علامة التأنيث: ثلاث حالات تختصر إلى ← حالة واحدة هى التاء.

سيادة الجزم والنصب على الرفع

تسود حالة الجزم والنصب على الرفع فى الأمثلة الخمسة، وهى اختصار أيضًا للتفريعات حيث تختصر حالات الإعراب فيها إلى حالة واحدة تشمل الرفع والنصب والجزم وهى سيادة حالة الحذف فى جميع حالات الإعراب، يقول المبرد" فإذا أردت جزمه حذفت هذه النون والنصب دخل هنا على الجزم، كما دخل فى تثنية الاسم على الجر، لأن الجزم فى الفعل نظير الجر فى الاسم... وذلك قولك: هما يضربان، وفى الجزم: لم يضربا، والنصب: لن يضربا وكذلك قولك فى الرفع: هم يضربون وفى الجزم: لم يضربوا، وفى النصب: لن يضربوا فإن جمعت المؤنث ألحقت بعلامة الجزم نونًا فقلت: أنتن تفعلن، وهن يفعلن[١]

وهو كقول ابن مالك وهو أيضا سابق لابن مالك فى قوله:

وأجعل لنحو (يفعلان) النونا رفعا وتدعين، وتسألونا

وحذفها للجزم والنصب سمة كلم تكونى لترومى مظلمة[٢]

وقد تحذف هذه النون فى غير الجزم فتسود حالة الجزم على الرفع يقول السيوطى "وورد حذف هذه النون حالة الرفع فى النثر والنظم قرئ ساحران

---

(١) المقتضب ٤/٨٣، ٨٢.

(٢) شرح بن عقيل ١/ ٧٩.

تظاهرا"[1] وفى الصحيح لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وقال الشاعر:

أبيــت أســـرى وتبيــتى تدلكـــى وجهــك بالعنبـر والمسـك الزكـى

ولا يقاس على شىء من ذلك فى الاختيار والأصل فى هذه النون السكون[2] وهذه الظاهرة وردت على لسان الشافعى فى قوله "ويتفرقوا فى بعض ما أخذوا به منهم"[3].

وأرجعها الدكتور مختار عمر إلى لهجة عربية فقال "حذف النون فى الأفعال الخمسة بدون ناصب ولا جازم وقد تردد هذا فى كلام الإمام الشافعى كقوله فلا يحلوا المطلقة حتى تغتسل... كما ورد فى كلام ابن زولاق مثل: وجاءت سنانير يصيحوا ومن كلام ابن الداية: تغيظينى بقولك أقرضينى. وهذه أيضًا لهجة عربية صحيحة وجاء عليها الحديث النبوى الشريف:كما تكونوا يولى عليكم[4].

وقد سادت هذه الحالة فى العصر الفاطمى. يقول الشيخ أبو صلح "بل مباح للناس يتصرفون فيه ويستعينوا به[5] أى يستعينون وقوله "ليلا يطلعوا البلد... ولا يطلبوا قليوب سوى[6] أى يطلقون ولا يطلبون، وقوله "أن أهل ذلك المكان يأخذوا[7] أى يأخذون وقوله "ويتفرقوا ويتصرفوا عائدين"[8] أى لا يتفرقون ويتصرفون. ويقول ابن العسال "وكل ما تسألونه فى الصلاة بإيمان تنالوه" أى تنالونه وقوله "الليل تشكروا أنه دفع لكم" أى تشكرون أنه. وقوله والشمامسة يطالعوا أسقفهم. أى يطالعون أسقفهم. وقوله "أن الذين تربطونهم على الأرض

---

(1) القصص ٤٨/٢٨.

(2) همع الهوامع ١/ ٥١.

(3) الرسالة: ص ٥٩٧.

(4) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٢٨.

(5) تاريخ الشيخ أبى صلح ٨٨.

(6) المرجع السابق ١٧.

(7) المرجع السابق ٢٢.

(8) المرجع السابق ١٣٧.

يكونوا مربوطين فى السماء... ويأكلون ويصومون الجمعة[1] أى يكونون، ويأكلون ويصومون.

وفى البرديات (٩- يقوموا له بذلك فى صفر)[2] أى يقومون ويقول ابن زولاق "قال يأخذوا ما مع الإنسان ويفسقوا به... بنى هلال يقطعوا على الناس"[3] أى يأخذون ويفسقون، ويقطعون ويقول المسبحى "وكانوا يتداعوا فى نزولهم[4] أى يتداعون.

تغليب الجمع المذكر على المؤنث:

قد يغلب ضمير المذكر على المؤنث قال سيبويه "قال الخليل:. قولك هذا شاة بمنزلة قوله تعالى: ﴿هذا رحمة من ربى﴾[5] وقال فى موضع آخر "زعم الخليل رحمه الله أن السماء منفطر به "كقولك "مفصل للقطاة"، وكقولك مرضع للتى بها رضاع"[6].

فجائز أن يشار للمؤنث بضمير المذكر ثم ذكر أنه قد يخبر بالمذكر عن المؤنث ثم يذكر فى موضع آخر أنه قد يتبادل لكل من المذكر والمؤنث فى موضع الصفة "قال قد يكون الشىء المذكر يوصف بالمؤنث ويكون الشىء المذكر له الاسم المؤنث نحو نفس وأنت تعنى الرجل به ويكون الشىء المؤنث يوصف بالمذكر، وقد يكون الشىء المؤنث له الاسم المذكر فمن ذلك هذا الرجل ربعة وغلام يفعة فهذه صفات"[7]

وهذا النص يؤكد أنهم أجازوا وصف المذكر بالمؤنث والعكس وهذه هى المرحلة الأولى لتغليب المذكر على المؤنث وهى أن يتساوى المذكر والمؤنث فى الدلالة على

---

(١) المجموع الصفوى.
(٢) البرديات السفر الثانى ١٣٨ بردية رقم ١٢٢.
(٣) أخبار سيبويه ٥٦.
(٤) أخبار مصر ٢٠٩.
(٥) الكتاب ٣/ ٥٦٢.
(٦) الكتاب ٢/ ٤٧.
(٧) الكتاب ٢/ ١٢١.

النوع ثم تأتى مرحلة التغليب، وهى فى البداية كانت بصحة الإشارة بالمذكر على المؤنث، ثم حدث تغليب للمذكر فى الجمع، حيث أصبحنا نشير إلى الجمع المؤنث بضمير جمع المذكر فى العامية المصرية المعاصرة.

وهذه الظاهرة وجدت بكثرة فى العصر الفاطمى، خصوصًا فى لغة العامة وفى كتب الأقباط وذلك نتيجة تأثير اللغة القبطية على العربية فهى لا تفرق بين الجمع المذكر وجمع المؤنث فهم يغلبون المذكر دائمًا، وتوجد فى لغتهم علامة خاصة بجمع الذكور وعلامة خاصة بجمع الإناث بل علامة واحدة لهما، فابن المقفع ساويرس يقول"واحضروا الثقات عندهم من النساء القوابل وسالوهم[1].

أى سألوهن وفى كتاب ابن العسال يتغلب دائمًا ضمير جمع الذكور على الإناث وله فى ذلك حديث طويل يقول "الحبالة لا يمنع من التعميد" أى يمنعهن، وقوله" ولتؤدب النساء ولترحمهم ولتعنهم" أى ترحمهن ولتعنهن، وقوله "فليذكره الأسقف... ويحل شعورهم ويضعوا حليهم الذهب الذى عليهم" أى ويحل شعورهن، ويضعون حليهن الذهب الذى عليهن. وقوله "وأما الأرامل الذين أندروا لأن لا يتزوجوا نكثوا" أى اللائى ندرن أن لا يتزوجن. وقوله "الشماسات النسا يدفع لكل واحد منهم جز واحد"[2] أى كل واحدة منهن.

وفى أخبار مصر للمسبحى "شاهد من سكر النساء وتهتكهم وحملهم فى قفاف الحمالين سكارى واجتماعهم مع الرجال أمر يقبح ذكره"[3] أى تهتكهن وحملهن واجتماعهن.

فهذه الأمثلة توضح تغليب ضمير جمع المذكر على جمع المؤنث وهو سيادة لهذا الضمير على غيره من الضمائر. وقد حدث هذا التغليب فى العبرية أيضًا حيث أصبح ضمير الجمع المسند إلى الفعل فى المذكر هو نفسه المسند إلى الفعل فى جمع الإناث الغائبات فالفعل قتل المسند إلى

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١/ ١٢٩.

(٢) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٣) اخبار مصر ٤٠.

الغائبين فى العبرية هو ، קָטְלָה والضمير مسند ، קָטְלָה.
إلى الفعل قتل وهو للغائبات هو نفس السابق حيث يقال

ويسمى الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهرة بالتغليب حيث يقول: (يلاحظ أن صيغة الغائبات متفقة مع صيغة الغائبين، بعد أن تغلبت واو الجماعة على نون النسوة، وأصبح الفعل بصورة واحدة للغائبين والغائبات)[1].

إن هذه الحالات التى ذكرتها فى الأمثلة السابقة تشير إلى محاولة اللغة اختصار التفريعات الكثيرة التى بها ليسهل على غير العربى الحديث بها فى طلاقة، وبالرجوع إلى كتب اللغة والنحو ظهر لنا أن هذه العملية ليست غريبة على العربية فى أرضها التى أتت منها، بل هو سلوك لغوى عام بدأ من هناك فى الجزيرة العربية، وانتشر واتسع على ألسنة المولدين من أبناء العربية والمستعربة، بل إن الأمر أكبر من ذلك فهو متأصل فى السامية وله جذور فيها. إنه سلوك المتكلم نحو لغته من الميل إلى التخلص من التفريعات فقد ذكرنا أن هذا المسلك له أصول فى اللغة القبطية كما فى العربية وأخواتها السامية، إنه سلوك إنسانى لغوى، فهو يحتاج إلى دراسة مستقلة لبيان ذلك بكل أبواب النحو.

---

(١) فى قواعد الساميات ٤٠.

الفصل الثالث

المطابقة

المطابقة هى التطابق الحادث بين الاسم أو الفعل وتابعهما فى كل أبواب النحو المختلفة كالتطابق الحادث بين الفعل وفاعله. وبين العدد والمعدود، وبين اسم الإشارة والمشار إليه وبين الاسم الموصول والضمير العائد عليه. وبين النعت والمنعوت فى نوعه وعدده وتعريفه وتنكيره وغير ذلك من أبواب النحو.

وهذا الجانب من النحو على درجة كبيرة من الأهمية؛ حيث تتضح فيه عمليات عقلية كبرى، وهى عملية استدعاء إلى الذهن الشىء وملازمه، فعندما تقول: قالت... فإن الذهن يستدعى ما يطابقها وهو فاعل مؤنث حقيقى أو مجازى، فتقول: قالت هند أو الوزارة أو غيرها[1]، وكذلك يحدث مثل هذا فى كل عملية عقلية تصنع جملة نحوية صحيحة وما فيها من عمليات مطابقة، ليس هذا خضوعًا لما نعرفه فى النحو وقواعده فحسب، ولكن من خلال ما وضع فى البنية العقلية التصورية لكل متكلم وإن كان لا يجيد القراءة أو الكتابة من مطابقة بين كل متلازمين، فهو مما صنعته الملكة اللغوية الموجودة داخل ذهن كل متكلم؛فهى التى تعمل على المطابقة بين كل متلازمين، فلا عجب أن نجد هذا لدينا، وأن هذا يتم بجدارة ودرجة عالية من النجاح فى داخل الذهن البشرى كله، الذى يفكر فى المعنى القادم إليه من البنية التصورية ثم يلبسه ثوب الألفاظ المناسبة له، ويضعها فى قوالبها النحوية الصحيحة.

---

(١) وقد أشار للعملية العقلية المصاحبة لعملية الاختيار أو المطابقة هذه تشومسكى فى المرحلة الأولى من نظريته، حيث يشير إلى أن اختيار الوحدة الأولى فى الجملة يترتب عليه اختيار الوحدات التالية لها لتطابقها، راجع كتابى "تشومسكى وعلوم اللغوية الحديثة" مكتبة الأصمعى، الدمام السعودية، ٢٠٠٧م.

أولا: المطابقة بين الفعل والفاعل:

١ ـ المؤنث المجازى

إذا أسند الفعل الماضى إلى المؤنث لحقته تاء ساكنة تدل على كون الفاعل مؤنثًا، ولا فرق بين الحقيقى والمجازى نحو (قامت هند) وطلعت الشمس. ولكن قد يحدث أن يسند الفعل الماضى إلى المؤنث ولا تلحقه تاء ساكنة وقد وجدنا فى لغة العصر الفاطمى كثيراً من هذه الأمثلة. ونعرض الآن لآراء النحاة فى ذلك، إن هذا التأنيث له حالتان: حالة لزوم وحالة جواز، قال ابن مالك:

وإنمـا تلـزم فعـل مضمـر متصـل، أو مفهـم ذات حـر

تلزم تاء التأنيث الساكنة الفعل فى موضعين:

- أحدهما: أن يسند الفعل إلى ضمير مؤنث متصل، ولا فرق فى ذلك بين المؤنث الحقيقى والمجازى فتقول "هند قامت، والشمس طلعت" ولا تقول (قام) ولا طلع فإن كان الضمير منفصلاً لم يؤت بالتاء نحو "هند ما قام إلا هى)

الثانى: أن يكون الفاعل ظاهرًا حقيقى التأنيث، (قامت هند)[1] أما فى الفصل فيقول عنه ابن مالك:

وقد يبيح الفصل ترك التاء فى نحو أتى القاضى بنت الواقف

إذا فصل بين الفعل وفاعله المؤنث الحقيقى بغير إلا جاز إثبات التاء وحذفها والأجود الإثبات، فتقول أتى القاضى بنت الواقف والأجود أتت وتقول قام اليوم هند، والأجود قامت[2].

وعلى هذا فإن المؤنث الحقيقى واجب التأنيث إذا كان اسمًا ظاهرًا لا فاصل بينه وبين الفاعل أما غير الحقيقى وهو المجازى إذا أسند إلى الفعل الماضى بدون فاصل = فلا تلزم التاء فيه.

---

(١) شرح ابن عقيل ٢/٨٨.

(٢) شرح ابن عقيل ٢/٨٩.

ومثل هذا ما قال الشيخ أبو صلح "وكان عادة الزوار"[١] والأفضل وكانت عادة فهناك الفاعل (اسم كان) مؤنث مجازى ولهذا جاز أن يكون بدون تأنيث والأفصح أو الأفضل التأنيث.

ويقول فى موضع آخر" ولهم الثياب الصوف والأكسية المرعن السمالوسيات وليس هى فى الدنيا إلا بمصر"[٢] والأفضل وليست هى ولكن أجاز النحاة حذف التاء لأنه مؤنث مجازى ويقول ابن يعيش "التأنيث على ضربين كتأنيث المرأة والناقة ونحوهما مما بإزائه ذكر فى الحيوان وغير الحقيقى كتأنيث الظلمة والفعل ونحوهما مما يتعلق بالوضع والاصطلاح والحقيقى أقوى ولذلك امتنع فى حال السعة جاء هند وجاز طلع الشمس، وإن كان المختار طلعت فإن وقع فصل استجيز نحو قولهم حضر القاضى امرأة، وقول جرير: لقد ولد الأخطل أم سوء.وليس بالواسع، وقد رده المبرد، واستحسن نحو قوله تعالى (فمن جاءه موعظة) (ولو كان بهم خصاصة) فكان التأنيث المعنوى أقوى لما ذكرناه ويلزم فعله علامة التأنيث فى نحو قامت المرأة، وذهبت الجارية فتلحق التاء الفعل"[٣].

جمع التكسير:

يقول ابن ميسر "فاجتمع عليه طائفة من العبيد"[٤].

أى اجتمعت عليه طائفة، والفعل هنا مسند إلى جمع تكسير وفى هذا جاز حذف التاء، يقول ابن مالك:

والتاء مع جمع . سوى السالم من مذكر . كالتاء مع إحدى اللبن

وإن لم يكن جمع سلامة لمذكر - بأن كان جمع تكسير لمذكر كالرجال، أو المؤنث كالهنود، أو جمع سلامة لمؤنث كالهندات جاز إثبات التاء، وحذفها فنقول (قام

---

(١) تاريخ الشيخ أبى صلح ٦٨

(٢) المرجع السابق ٢٦

(٣) المفصل: ٥/ ٩١

(٤) أخبار مصر: ١٢.

الرجال، وقامت الرجال، وقام الهنود، وقامت الهنود، وقام الهندات، وقامت الهندات، فإثبات التاء لتأويله بالجماعة وحذفها لتأوله بالجمع"[1].

ولهذا جازت العبارة السابقة على تقدير فاجتمع عليه جمع طائفة من العبيد.

ونحو ما قاله المسبحى "وفيه انتقل طائفة من التجار"[2] أى انتقل جمع طائفة، وقوله أيضا "وانتقل جماعة ساحلى الصعيد"[3] أى انتقل جمع جماعة، وقوله "وورد الخبر أن الجوالة من العبيد نهب بلدا"[4] أى نهبت.

كما قال ابن العسال "إن عظام الأحيا فى الله ليس مزولة ولا نجسة"[5] أى ليست.

تأنيث المذكر:

كما ورد فى قول المسبحى"وتعذرت عليهم الطريق التى كانوا يسلكونها من مكة إلى بغداد"[6] والصواب تعذر عليهم الطريق.وهذا يرجع إلى أنه اعتبر كلمة طريق مؤنث مجازى وهو يرجع إلى منطق اللغة التى تجعل الشمس مؤنثة والقمر مذكرًا، على الرغم من أنه فى لغات أخرى يحدث العكس حيث تعتبر الشمس مذكرًا والقمر مؤنثا، ولهذا كثيرًا ما يقع المولدون ممن لم يتربوا على المنطق الصحيح الخاص بالعربية، فيجعلون ما هو مذكر فى العربية مؤنثًا أو العكس.

وقد حدث مثل هذا أيضًا على لسان مولد مستعرب من النصارى وهو ابن العسال فى قوله "اختارت الرهبان هذه الفضلة"[7] أى اختار الرهبان، وهذا جائز لدى النحاة على تقدير اختارت جماعة الرهبان.

---

(١) شرح ابن عقيل:٢/٩٥.

(٢) أخبار مصر: ١٩٩.

(٣) أخبار مصر: ٢٠٠.

(٤) المرجع السابق: ٢٠٣.

(٥) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٦) أخبار مصر: ١١.

(٧) المجموع الصفوى لابن العسال.

لغة أكلونى البراغيث

ورد فى أخبار مصر لابن ميسر " فذكرُوا التجار أنهم..." [١]

وقد ذكر الكاتب ضمير الجمع (الواو) مع الاسم العائد عليه (التجار) ولكن هل هذا جائز فى اللغة الجمع بين الضمير وصاحبه معًا كما فى هذه العبارة؟

يقول ابن مالك:

وجـــرد الفعـــل إذا مـــا أسنـــدا لاثنـين أو جمـع كـ (فــاز الشهدا)

وقـد يقـال: سَعِـــدَا وسَعِـــدُوا والفعــل للظــاهر ـ بعد ـ مسنــد

مذهب جمهور العرب أنه إذا أسند الفعل إلى ظاهر مثنى أو مجموع وجب تجريده من علامة تدل على التثنية أو الجمع فيكون كحالة إذا أسند إلى مفرد، فتقول (قام الزيدون، وقام الزيدان، وقامت الهندات) كما تقول (قام زيد) ولا تقول على مذهب هؤلاء (قاما الزيدان) ولا (قاموا الزيدون) ولا قمن الهندات. فتأتى بعلامة فى الفعل الرافع للظاهر على أنه يكون ما بعد الفعل مرفوعًا به"[٢].

هذا هو مذهب جمهور العرب كما يقول ابن عقيل ولكن هذا القول السابق يمكن أن يحمل على لغة طائفة أخرى كما يقول هو أيضًا "ومذهب طائفة من العرب وهم بنو الحارث، كما نقل الصفار فى شرح الكتاب ـ أن الفعل إذا أسند إلى ظاهر- مثنى أو مجموع ـ أتى فيه بعلامة تدل على التثنية أو الجمع، فتقول قاما الزيدان، وقاموا الزيدون، وقمن الهندات، فتكون الألف، والواو والنون حروفًا تدل على التثنية والجمع، كما كانت التاء فى قامت هند، حرفًا تدل على التأنيث عند جميع العرب والاسم الذى بعد المذكور مرفوع به، كما ارتفعت "هند بقامت"[٣].

وهو يرى أن هذا يحتمل على أن يكون الواو والألف والنون حروفًا تدل على التثنية والجمع كتاء التأنيث، ويذكر احتمالاً آخر وهو أن يكون ما بعد الفعل

(١) أخبار مصر: ٢٢.
(٢) شرح ابن عقيل: ٢/ ٧٩.
(٣) المرجع السابق ٢/ ٨٠.

مرفوعًا به وما اتصل بالفعل من الألف والواو والنون - "حروف تدل على تثنية الفاعل أو جمعه، بل على أن يكون الاسم الظاهر مبتدأ مؤخرًا، والفعل المتقدم وما اتصل به اسمًا في موضع رفع به، والجملة في موضع رفع خبرًا عن الاسم المتأخر"[1]

ويذكر احتمالاً ثالثًا وهو "ويحتمل وجهًا آخر، وهو أن يكون ما اتصل بالفعل مرفوعًا به كما تقدم، وما بعده بدل مما اتصل بالفعل من الأسماء المضمرة - أعنى الألف والواو والنون[2].

وهذه الاحتمالات مجال للمناقشة فالأشمونى يرفض الأخذ بالرأيين الآخرين فيقول "ولا يجوز حمل جميع ما جاء من ذلك على الإبدال أو التقديم أو التأخير لأن الأئمة المأخوذ عنهم هذا الشأن اتفقوا على أن قومًا من العرب يجعلون هذه الأحرف علامات للتثنية والجمع وذلك بنو منهم أن من العرب من يلتزم مع تأخير الاسم الظاهر الألف فى فعل الاثنين والواو فى جمع المذكر والنون فى فعل جمع المؤنث فوجب أن تكون عند هؤلاء حروفًا، وقد لزمت للدلالة على التأنيث لأنها لو كانت اسمًا لزم إما وجوب الإبدال أو التقديم أو التأخير، وإما إسناد الفعل مرتين اللازم باطل اتفاقًا[3].

فهو يرفض القول بالإبدال، أو التقديم والتأخير. وبعامة فقد ذكر فى تفسير هذه المسألة النحوية ما يقرب من خمسة أقوال منها الثلاثة السابقة التى اشتملت على آراء المفسرين والنحاة واللغويين العرب.

ولكن الدكتور أحمد كشك له رأى آخر فى ذلك يقول "أعود لأقول مرة أخرى أما هذه ليست باللغة الشاذة نطقًا واستعمالاً إن سلم لها تنغيم خاص، ولذا فنحن لا نحس أن علامات التثنية والجمع هنا مجرد دلائل صرفية كما رأى هؤلاء

---

(1) شرح ابن عقيل ٢/ ٨٠.

(2) شرح ابن عقيل: ٢/ ٨٠.

(3) شرح الأشمونى على الألفية بهامش حاشية الصبان: طبعة دار إحياء الكتب ١٣٥٠هـ، القاهرة، ص ٢/ ٤٨.

النحاة وإلا لكان من الواجب إطلاق هذا الحكم على ألف الاثنين وواو الجماعة فى كل مكان وردتا فيه.

"إن معظم هذه النماذج التى دلت على هذه اللغة قرينة أسلوب خاص وهو الشعر، وهذا يقف بنا وقفة متأنية نحس فيها بالتصور الإنشادى الذى توجبه وتدل عليه السكتة فى نماذج هذه اللغة.

"إن تفسير النحاة لهذه الظاهرة يثبت أن هناك اتصالاً نطقيًا بين الفعل المطابق فى العدد وبين فاعله الظاهر، على حين أن الواقع المنطقى الاستعمالى فى رأى يوحى بوجود سكتة بينهما توحى هذه السكتة بسؤال مفهوم المقام والمقام فحين نقول على سبيل المثال: أكلونى البراغيث أو ظلمونى الناس فإن هناك سكتة واردة بعد الفعلين: أكلونى وظلمونى توحى بسؤال مؤداه. من أكلك؟ من ظلمك؟ وهنا يكون الجواب استئنافا تمامه مع التقدير: أكلنى البراغيث - ظلمنى الناس[1].

ويضيف إلى ذلك تفسيرًا آخر قائلاً "وليس هذا مفهوم النغمة وحدها لأنه يوجد تصور آخر من خلال اعتبارها، فالسكتة توحى بالقطع فى موقف انفعالى لإنسان أحس إحساسًا بالغًا بالظلم فلم يعد باستطاعته أن يرتب جملة دفعة واحدة بل قسمها لا شعوريًا التقسيم الذى يوحى بتردده وانقسامه هو.ولعل الورود الكثير لهذه الظاهرة فى أسلوب الشعر المعتمد على التوتر النفسى الانفعالى للشاعر يؤكد ما قلناه به، ناهيك عن أن التنغيم والضغط على الأفعال مع ضمائرها يعطى إيحاء بالتكثير فى بابه أيًا كان تكثيفًا لظلم أو شمولاً لنصرة أو رؤية"[2].

ولكننى أحب أن أوضح بعض الأمور إلى جانب ما قاله العالم الكبير أستاذنا د. أحمد كشك؛ فصحيح أن هذه ليست باللغة الشاذة بل هى شائعة ومنتشرة وعندى ما يؤكد قول الدكتور أحمد كشك وسوف أورده فى موضعه، ولكنه قد عول الأمر فى انتشاره على النغم الشعرى وحده، مستدلاً على ذلك بورود هذه

---

(١) من وظائف الصوت اللغوى ٩٨.

(٢) المرجع السابق ٩٩.

الظاهرة بكثرة فى الشعر، وقد جعله هذا يتجه بنا ناحية تفسير واحد للظاهرة، وهو الخيال الشعرى ومعطيات الشعر وأدواته كالانفعال والغضب والإيحاء والشمول والعموم وغيره. مما أخرج الأمر من باب علم اللغة والنحو إلى باب الشعر والعروض؛ كسبب لحدوث هذه الظاهرة.

فوجود السكتة التى يتحدث عنها بعد الفعل ظلمونى أو أكلونى غير ملحوظة بالدرجة التى تجعلنا نبنى عليها تفسيرًا لظاهرة لغوية أو أقل من الظاهرة. فأين هذه السكتة بين ظلمونى وبين الناس فى قولك ظلمونى الناس؟!

أما قضية الانفعال فى هذه الأمثلة، أو مجرد الإشارة إلى الإحساس بالظلم أو الغضب أو غير ذلك فمن المُحال أن تكون تعليلاً لهذه الظاهرة، فماذا يقول فى قول ساويرس ابن المقفع حتى صاروا النصارى يأخذوا عيدان"[1] أو قوله "وعادوا النصارى الذى كانوا بعدوا عن مصر"[2] أين الانفعال فى هذه العبارة الخبرية التى يخبر فيها الكاتب عن سير النصارى أو عودتهم، أين الانفعال أو الغضب أو حتى الفرح فى هذه العبارات ؟! لا يوجد شىء من هذا.

أما ورود هذه اللغة فى الشعر دون غيره من ألوان الحديث أو مجرد الإشارة إلى الكثرة التى ذكرها فى الشعر دون النثر فمردود عليه، فقد وردت هذه اللغة فى الشعر بكثرة لأن الشعر هو الذى سُجِّل وحفظ بدقة وبكثرة بالغة لدى الرواة، واهتم به علماء العربية فى دراستهم دون غيره من فنون القول.

وأيضًا عدم اطلاع القدماء على كتب النثر العامى التى لا تلتزم بقواعد اللغة الدقيقة أو إدخالها ضمن دائرة اهتمامهم وبحوثهم اللغوية، لأنها ملحونة لا تستحق القراءة، أو أنها غابت عن أعينهم، وكذلك كُتب الآباء البطاركة ونحوها لأنها كُتِبتْ فى ملل وديانات أخرى غير الإسلام، هذا كما سنرى بعد قليل، فلو تناول القدماء هذه المصادر بالدراسة؛ لوجدوا أن هذه الظاهرة كثرت فى النثر أكثر بكثير من الشعر.

---

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٥.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٢٤.

لقد أقام الدكتور أحمد كشك رأيه على أساس ربط هذه الظاهرة بالتنغيم وتفسيره بالموسيقى الشعرية دون تأصيل هذه الظاهرة بالرجوع إلى اللغات السامية وقواعدها فى بناء الجملة التى هى أم العربية، ويقول الدكتور رمضان عبد التواب عن هذه الظاهرة "تلك هى آراء المفسرين والنحاة واللغويين العرب، فى هذه الظاهرة وهم فيها مقلبون لكل الأوجه الممكنة فى العربية، من التخريج والتأويل غير أن مقارنة اللغات السامية أخوات العربية تؤدى إلى معرفة أن الأصل فى تلك اللغات، أن يلحق الفعل علامة التثنية والجمع للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثًا سواء بسواء. وفى اللغة العبرية مثلاً:

wayyāmōtū gam šnēhem mahl ōn w- kilyōn

وترجمته الحرفية: "فماتا كلاهما محلون وكليون. مثل ذلك أيضًا فيها:

lōyākō mū ršāīm bammišpāt

وترجمته الحرفية: "لا يقومون الأشرار بالعدل" ومثل ذلك فى الآرامية فى

wahōrū 'ahzāb

وترجمته الحرفية: "لئلا يزنوا الآخرون بأمراتك" وكذل الحال فى الحبشية فى نحو:

wabazhū welūdōmū

وترجمته الحرفية: "فعادوا الشعوب "ومثل ذلك أيضًا فيها:

wabazhū welūdōmū

وترجمته الحرفية" وكثروا أطفالهم"(١)

(١) بحوث ومقالات فى اللغة ٦٩.

هذا هو رأى الدكتور رمضان عبد التواب فى تفسير هذه الظاهرة، وأضيف إلى ذلك أن اللغة البدائية أو اللغة فى بَدْئها تحتاج إلى التفريق بين أنواع المسميات وأعدادها بكل الوسائل التى تؤكد الفارق بينها، ولهذا فهى تفرق بين المؤنث والمذكر بجعل اسم للمذكر يختلف تمامًا عن اسم المؤنث، فهناك حمار وفى المقابل أتان وهناك بعير وفى المقابل ناقة، وهناك أسد وفى المقابل اللبؤة وهناك رجل وفى المقابل امرأة، وهكذا . ثم فرقوا بين الفعل الذى فاعله مفرد، والفعل الذى فاعله مثنى أو جمع، بوسيلتين تأكيدًا للفارق بينهما بذكر علامة الجمع أو التثنية + الفاعل الظاهر.

واللغة فى تطورها قضت على تلك التفريعات ففرقت بين المذكر والمؤنث بالتاء مطلقًا، ولهذا أصبح لدينا كلمة واحدة للإشارة للمذكر والمؤنث لا يختلف المؤنث عن المذكر إلا بوجود تاء التأنيث مع المؤنث وحذفها مع المذكر مثل تلميذ وتلميذة وفلاح وفلاحة، ولهذا ماتت كثير من الكلمات التى تشير إلى المؤنث واكتفى الناس فى ذلك بالتاء للتفريق بين المذكر والمؤنث. وبقى من ذلك الركام اللغوى الذى يشير إلى تطور الظاهرة،

وهذا ما حدث أيضًا فى تطور الفصحى التى اكتفت بذكر الاسم الظاهر دون الضمير، فصارت العبارة " عندها جاء المؤمنون" بدلا من جاءوا المؤمنون.

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب عن تطور هذه الظاهرة فى الفصحى "وقد تخلصت العربية الفصحى من هذه الظاهرة رويدًا رويدًا غير أن بقاياها ظلت حية عند بعض القبائل العربية القديمة، كما بقيت بعض أمثلتها فى الفصحى وهو ما نسميه هنا بالركام اللغوى، وتعرف هذه الظاهرة عند النحاة العرب بلغة (أكلونى البراغيث) وقد عرفت بهذا الاسم لأن سيبويه هو أول من مثل لها فى كتابه واختار هذا المثال فقال "فى قوله من قال أكلونى البراغيث"... وقد حكيت هذه اللغة عن قبيلة (بنى الحارث بن كعب) كما حكاها أهل البصرة عن قبيلة طيئ، وبعض النحاة يحكيها عن قبيلة (أزد شنوءة) وقد بقيت هذه الظاهرة شائعة فى كثير من اللهجات العربية الحديثة، كقولنا مثلاً فى لغة الخطاب فى مصر

(ظلمونى الناس) و(زارونا الجيران) وغير ذلك كما بقيت فى القرآن الكريم والحديث الشريف[1].

وأشار إلي كثير من الأبيات الشعرية التى وردت فيها هذه الظاهرة. لهذا فإن الأمر أكبر من مجرد إعادته إلى قبيلة بعينها أو ظاهرة نفسية انفعالية أو غير ذلك، بل هو أصل لغوى عام فى كل اللغات السامية تطور إلى ما هو عليه الآن، ولكن العامة استمسكوا بهذا الأصل ولم يذهب ذلك النطق من على ألسنتهم، بدءًا من العصر الفاطمى إلى العامية المصرية المعاصرة، فيغلب على كلامهم اليومى عبارة " ضربونى الناس،وكلمونى الرجال أو الشباب، ولا يمكن أن نقول عنها أنها ركام لغوى فقط، بل هى عادة كلامية عند الناس وسلوك لغوى لا زال الناس يحافظون على وجوده إلى الآن فى العامية المصرية المعاصرة.

وقد وردت هذه الظاهرة بكثرة فى لغة العصر الفاطمى مثل ما ذكره سعيد ابن بطريق فى قوله "وكانوا المسلمين محاصرين دمشق"[2]. وقوله "الذين صاروا إلى دمشق من الروم خافوا أن يحاصرهم المسلمين. وقول يحيى بن سعيد الإنطاكى "وعادوا الخراسانيون إلى الروم"[3] وقوله "وكثروا القاصدين إليه" "وقوله تكاثروا الداخلون فى طاعته" وقال ساويرس بن المقفع "كانوا المتولين لاستخراج الخراج يلزموه بخراج الأوس". وقوله "وكانوا اليهود مستمرين... فاجتمعوا الكهنة"[4] وقوله: "ولم يخفى قوته فى الزمان الذى صلبوه فيه اليهود الكفرة[5]. ويقول الشيخ أبو صلح "يتمكنوا النصارى القبط من التصرف فى هذه الكنيسة"[6] وقوله "وكانوا المسلمين ينكرون ذلك عليه[7] وقوله "ويسمى البرزخ

(١) المدخل إلى علم اللغة ٢٩٩.
(٢) كتاب التاريخ المجموع على تحقيق التصديق ١٣، ١٤.
(٣) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى ١٣٠، ١٠٥، ١٠٤.
(٤) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ١٠١/ ١٢٣.
(٥) المرجع السابق ٢/ ٨.
(٦) تاريخ الشيخ أبى صلح: ٨.
(٧) المرجع السابق: ١٠٤.

الذى فيه يلتقيان البحرين وبينهما حاجزان وهما بحر الروم والصين"[1] وقوله عندما يريدوا الشعب الانصراف[2].

كل هذه الأمثلة وغيرها مما لم نذكرها كلها تدل على شيوع هذه الظاهرة على ألسنة هؤلاء القوم بل إن الدكتور أحمد كشك يرى أنها لغة البيوت فى العصر القديم يقول "رأينا فى هذه اللغة أنها ليست باللغة الشاذة نطقًا واستعمالاً وكيف يحكمها شذوذ وبعض دلائلها خاضع لنماذج من النثر ناصعة كالحديث الشريف وخاضع للغة الفن الشعرى، ولعل مظهر استعمالها يرينا أنها لغة البيوت فإذا ما انسلخ عنها أصحابها إلى مجتمع مشترك نطقوا بمراد القاعدة الفصحى وهى إفراد العامل[3].

وشيوع هذه الظاهرة فى البيئة المصرية فى العصر الفاطمى كما رأينا على ألسنة الأقباط وفى كتبهم خاصة يرجع لأسباب هى:

١ ـ أنها لغة البيوت فى المجتمع العربى كما رأينا من قبل وهى لغة الفاتح العربى بكل أطيافه القبلية واللهجية فشاعت على ألسنة العامة فى مصر من الأقباط الذين نقلوها عنهم، وقول أستاذنا الجليل د/ أحمد كشك أنها لغة البيوت فى ذلك العصر تحمل دلالة هامة جدًا وهى مدى شيوع تلك الظاهرة بين الناس فهى لغتهم التى يتكلمون بها فى أحاديثهم اليومية وتعاملاتهم معًا وتفاعلهم فيما بينهم، بل هى لغة السمر والأحاديث الخاصة، واللغة التى يميل إليها الناس فى بيوتهم، فهى كثيرة وشائعة ومفضلة لديهم.

٢ ـ وأنها الأصل فى كل اللغات السامية وقد تأثرت لغة الأقباط باللغات السامية خصوصًا أن اللغة السريانية والأدب السريانى ـ كما قلنا ـ كانا موجودين فى مصر قبل الفتح. بل هى اللغة الدينية عند المسيحيين الآتين من الشام إلى مصر، وهى لغة كثير من النصوص التى تؤكد وجود اللغة السريانية فى مصر قبل

(١) المرجع السابق: ٢٦.

(٢) المرجع السابق: ١٣٨.

(٣) من وظائف اللغة ٧٨.

الفتح، وقد وجد نص باللغة السريانية لاحيقار الحكيم فى مصر بجزيرة الفيلة[1]. وهذا دليل على تأثر اللغة المصرية بالسريانية وتأثيرها فى عربية المصريين، بل إن بعض الدراسات الحديثة تذكر أن القبطية لغة سامية[2].

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى وجود هذه اللغة فى اللهجة المصرية وأرجعها إلى لهجة عربية فقال "إلحاق علامة التثنية أو الجمع بالفعل إذا أسند إليه مثنى أو جمع كقول ابن الداية: اشتهوا علىَّ صبيانى حلوى فى العيد. وتلك لهجة مشهورة معروفة فى كتب النحو ولها شواهد كثيرة[3].

أسماء الإشارة:

يقول ابن مالك:

بـــذا لمفرد مذكر أشر (بذى)(وذه)(تى)(تا) على الأنثى اقتصر.

يشار إلى المفرد المذكر ذا، ومذهب البصريين أن الألف من نفس الكلمة وذهب الكوفيون إلى أنها زائدة.

ويشار إلى المؤنثة بـ (ذى) و(ذه) بسكون الهاء، و(تى)، و(تا) و(ذه) بكسر الهاء باختلاس، وإشباع و(ته) بسكون الهاء وبكسرها باختلاس وإشباع وذات[4].

ولكن فى لغة العصر الفاطمى بعض التناقضات حيث يشار بالاسم المخصص للمذكر إلى المؤنث أو العكس، كما ورد فى أخبار الدول المنقطعة (هذا أحوال سراة الناس ورؤسائهم)[5] أى هذه أحوال سراة الناس. ومن الممكن أن يكون على تقدير جمع أى هذا جمع أحوال سراة الناس ورؤسائهم لأن هذا الاسم أحوال جمع تكسير، فيمكن أن يقاس على " قال الجماعة وجاء الرجال.

---

(١) راجع كتاب فى قواعد الساميات د. رمضان عبد التواب، ص٢٢٣.

(٢) انظر كتاب "المصرية القديمة لغة عروبية" ص ١٢.

(٣) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٩.

(٤) شرح ابن عقيل ١/ ١٣٠.

(٥) أخبار الدول المنقطعة ٤.

ويشير إلى هذا الأستاذ محيى الدين عبد الحميد بقوله (إن ذا إشارة للمفرد وهذا المفرد إما أن يكون مفردًا حقيقة أو حكمًا فالمفرد الحقيقى نحو هذا زيد وهذا خالد وهذا الكتاب، المفرد حكمًا نحو هذا الرهط وهذا الفريق ومنه قول الله تعالى (عوان بين ذلك) أى بين المذكور من الفارض والبكر وربما استعمل ذا فى الإشارة إلى الجمع كما فى قول لبيد بن ربيعة العامرى:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال الناس كيف لبيد؟[1]

فهو يثبت جواز أن يشار إلى الجمع باسم إشارة المذكر فصح أن تقول هذا أطول سراة الناس وقد حدث الإشارة للمؤنث المفرد باسم الإشارة للمذكر ويقول الوهرانى " ويقول:إيش الحاجة إلى ذكر هذا الساعة[2] أى هذه الساعة

ويقول أبو صلح "أمر المطران أن يردهم عن هذه الطريق"[3] أى هذا الطريق وفى البرديات[4] وعشرين سهمًا من هذا الدار بثمانية الدنانير من هذا الدار الشرقى"[5] وأيضًا ورد بالبرديات "٢٩ ـ وعلى هذا المشترية سمرة هذا النصف أى هذه المشترية.

وقد حدث هنا خلط بين اسم الإشارة والمشار إليه فإن الأصل فى اسم الإشارة ذا أن يشار به إلى المذكر حقيقة وقد يشار به إلى المؤنث إذا نزل منزلة المذكر كما فى قول الله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ (الأنعام: ٧٨) أشار إلى الشمس وهى مؤنثة بدليل قوله بازغة بقوله هذا ربى لأنه نزَّلها منزلة المذكر ويقال بل لأنه أخبر عنها بمذكر،ويقال بل لأن إبراهيم عليه السلام الذى ذكر هذا الكلام على لسانه لا يفرق بين المذكر والمؤنث[6]

(١) شرح ابن عقيل:١/١٣٠.
(٢) المنامات ١٦٨.
(٣) تاريخ أبى صلح ١٣٤.
(٤) السفر الثانى ٤ بردية ٧٣.
(٥) السفر الأول ٢٢٥ بردية ٧٠.
(٦) شرح ابن عقيل ١/ ١٣١.

فجائز إذا قوله هذا الساعة أى هذه الساعة وهذه الطريق أى هذا الطريق وهذا الدار أى هذه الدار، وهذه الظاهرة وهى معاملة المؤنث المجازى معاملة المذكر فى كل شىء أشار إليها الدكتور مختار عمر، وأرجعها إلى خصائص لهجية، حيث قال" معاملة المؤنث المجازى معاملة المذكر فى كل شىء بإعادة الضمير عليه مذكرًا ووصفه بمذكر والإشارة إليه باسم الإشارة المذكر مثل هذا الدار ـ عينه الأيمن... وقد كانت هذه عادة بعض العرب وكان المبرد من أوائل من تبنوها ونادوا بها إذا قال فيما نقله عنه أبو جعفر النحاس فى (إعراب القرآن) ما لم يكن فيه علامة التأنيث، كان غير حقيقى التأنيث فلك تذكيره نحو: هذا نار "وقد وردت شواهد عربية قديمة مصدقة لرأى المبرد مثل قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾
وقوله الشاعر: والعين بالأثمد الحارى مكحول

وقول الآخر: فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها[1]

ثالثًا: الأسماء الموصولة:

قد يستخدم اسم الموصول الخاص بالمذكر مكان المؤنث فمن المعروف أن الموصول الاسمى (الذى) للمفرد المذكر و(التى) للمفردة المؤنثة[2] وقد حدث هذا الخلط بكثرة فى لغة الأقباط وفى أحاديثهم قال أبو صلح "إن الآباء والأنبياء كانوا محشورين فى الجحيم لذنوبهم الذى لم يقدروا يخلصوا أنفسهم"[3] أى التى وقوله "من المقابر الذى للنصارى"[4] أى التى للنصارى. وقوله "أن يتوصى بالمسلمين التى تحت رعايته"[5] أى الذين تحت رعايته، وقال ساويرس ابن المقفع "ومثل الصخور الذى تشققت..." [6] أى التى تشققت.

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٣٥.
(٢) شرح ابن عقيل ١/ ١٤١.
(٣) تاريخ أبى صلح ٢١، ٥٦.
(٤) المرجع السابق: ٥٦.
(٥) المرجع السابق ١٣٤.
(٦) تاريخ بطاركة الكنيسة ٢/ ٩.

ويقول ابن العسال "والذى تزوجت رجلا واحدا"[1] أى التى تزوجت، وقوله "وينقض العهود الذى عاهدها أمام هيكل الله" أى التى عاهدها. وقوله "أفعال الكنيسة الذى لا تصنع إلا فيها" أى التى لا تصنع إلا فيها. وهذه الأمثلة وغيرها تؤكد شيوع هذا الخلط بين المذكر والمؤنث عند هؤلاء القوم فيشار إلى المذكر باسم الإشارة المخصص للمؤنث أو يستخدم اسم الموصول الخاص بالذكور مكان الاسم المخصص للإناث أو العكس أو يلحق الفعل بتاء تأنيث وفاعله مذكر، أو يخلو من تاء التأنيث وفاعله مؤنث.

ومرجع هذا الانتشار عند الأقباط خصوصًا فى الأسماء المؤنثة مجازيًا هو ما قاله السمنودى فى مقدمة السلم" قد يكون فى القبطى شيئًا مذكرًا ويكون فى لسان العربى مؤنثًا... كقولك الشمس فهى فى القبطى مذكر وفى العربى مؤنث كقولك طلعت الشمس وغابت ولا طلع الشمس وغاب وكذلك السلم... فهى فى القبطى مؤنث وفى العربى مذكر كما يقال هات السلم ولا يقال هات السلمة"[2]. وهذا راجع فى الأصل إلى اختلاف منطق كلا اللغتين (العربية والقبطية) فقد يكون الاسم مذكرًا فى العربية و مؤنثًا فى القبطية، أو العكس، ثم كان لهذا الاختلاف بين منطق اللغتين (العربية والقبطية) آثاره فى التراكيب اللغوية المستخدمة على ألسنة الناس فى ذلك العصر فالذى تعلم قواعد اللغة من الأقباط، ولم يعرف منطق اللغة، يقع بسبب اختلاف المنطق فى أخطاء كثيرة فى التراكيب حيث يؤنث الفعل المسند إلى فاعل مذكر وذلك لأنه فى لغته مؤنث، أو يشير إلى اسم مذكر باسم الإشارة المؤنث لأنه فى لغته مؤنث، وكذلك مع الأسماء الموصولة وقد يشيع هذا الأمر ولا يجد من يقومه من اللغويين المعاصرين وذلك للاستهانة بالظاهرة وبهذا الخطأ لأنه يرد على ألسنة العامة فحسب، فلا يهتم بذلك. ثم يستقر هذا الأمر ويصبح ثابتًا فى اللغة ومن منطقها، وهذا مجال من مجالات تطور منطق اللغة. وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى أن هذه

---

(١) المجموع الصفوى.

(٢) مقدمة السلم للسمنودى.

الظاهرة تعود إلى أصل غير عربى بل تأثيرات أخرى على العربية قال "وضع الذى مكان التى مثل: الأموال الذى شرحتها ـ ثيابه الذى"[1].

وقد ورد أيضًا عدم المطابقة فى الاسم الموصول المفرد وصاحبه مثنى كما فى السفر الخامس قوله:

"١ ـ... طلبت أن

٢ ـ يدفع إلى الدينارين التى للجامع عن

٣ ـ حلش العريشة للكرم[2]

رابعا: التطابق فى العدد:

"الأعداد المضافة":

من المعروف أن الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تأخذ قاعدة واحدة وهى كما يقول ابن مالك .

ثلاثة بالتاء قل للعشر فى عد ما آحاده مذكرة

فى الضد جَرِّد، والمميز اجرر جمعا بلفظ قلة فى الأكثر

تثبت التاء فى ثلاثة، وأربعة، وما بعدهما إلى عشرة، إن كان المعدود بهما مذكرًا وتسقط إن كان مؤنثًا، ويضاف إلى جمع نحو "عندى ثلاثة رجال، وأربع نساء" وهكذا إلى عشرة[3] أى الأعداد من ثلاثة إلى عشرة تكون مذكرة إذا كان المعدود مؤنثًا والعكس.

وقد حدث خلط كثير فى لغة ذلك العصر الفاطمى بين العدد، والمعدود فلا نجد هذا التطابق المشار إليه فى قول ابن مالك وهذا يبدو واضحًا فى لغة البرديات بكثرة فهم لا يحسنون تطبيق قواعد اللغة فى التطابق بين العدد والمعدود.

---

(١) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٤٤.

(٢) السفر الخامس بردية ٣٣٠، ٣٣١.

(٣) شرح ابن عقيل ٤/ ٦٧.

ورد فى السفر الأول قوله: "٦ ـ واشترى ذلك منه بأربع الدنانير"[1] أى بأربعة الدنانير.

وبموضع آخر "٨-... وأخرت الثلاثة دنانير ، ٩ ـ للباقى إلى انقضى خمسة ليلى متواليات"[2] أى خمس ليالى.

وقوله أيضا "٨-... دينرين مؤخرين إلى خمسة سنين"[3]. أى خمس سنين.

وفى السفر السادس "٣ ـ علامة عبيدة أربع الدنانير وتسع قراريط. ٤ ـ علامة مقبل سبع الدنانير وقيراط الأحبه[4] أى أربعة الدنانير وتسع قراريط، وسبعة الدنانير.

وفى موضع آخر" ٢٢- عبد العزيز الطلاع شعير خمسة ويبات وسبع أقداح الكيل خمسة... ٢٤-... بن المكيره شعير خمسة ويبات"[5].

وفى السفر الثانى ورد قوله "٣ .... وكرمه على خمسة ساعات بقيت"[6] أى خمس ساعات. وفى تاريخ أبى صلح قوله: "ومعه ثلاث قسوس"[7] أى ثلاثة قسوس.

الأعداد المركبة:

هى الأعداد التى تتركب من عشرة مع ما دونها إلى واحد يقول ابن مالك:

واحداً اذكر، وصلته بعشر	مركبًا قاصداً معدود ذكر
وقل لدى التأنيث إحدى عشرة	والشين فيها عن تميم كسره
ومع غير أحد، وإحدى	ما معهما فعلت فافعل قصدا
ولثلاثة وتسعة	وما بينهما أن ركبا ما قدما

(١) السفر الأول ١٦٣ بردية ٥٩.
(٢) المرجع السابق ١٠٠ بردية ٤٥.
(٣) المرجع السابق ٧٣ بردية ٣٨.
(٤) السفر السادس ١٢٢ بردية ٣٩٧.
(٥) المرجع السابق ١٢٠ بردية ٣٩٦.
(٦) السفر الثانى ١٩١ بردية ١٣٧.
(٧) تاريخ أبى صلح ٧.

فيقال أحد عشر، واثنا عشر، وثلاثة عشر، وأربعة عشر ـ إلى تسعة عشر إذا للمذكر وتقول فى المؤنث (إحدى عشرة، واثنتا عشرة، وثلاث عشرة، وأربع عشرة ـ على تسع عشرة) فللمذكر أحد واثنان وللمؤنث إحدى واثنتان. وأما (ثلاثة وما بعدها إلى تسعة فحكمها بعد التركيب كحكمها قبله، وفتثبت التاء فيها إن كان المعدود مذكرًا، وتسقط إن كان مؤنثًا، وأما عشرة ـ وهو الجزء الأخير ـ فتسقط التاء منه إن كان المعدود مذكرًا وتثبت إن كان مؤنثًا، على عكس من (ثلاثة) فما بعدها، فتقول: "عندى ثلاثة عشر رجلاً، وثلاث عشرة امرأة" وكذلك حكم (عشرة) مع أحد وإحدى، واثنين اثنتين، فتقول (أحد عشر رجلاً، واثنا عشر رجلا "بإسقاط التاء"، وتقول إحدى عشرة امرأة، واثنتا عشرة امرأة بإثبات التاء[1]

ويحدث خلط كثير فى هذه الأعداد المركبة بين العدد والمعدود فى البرديات وفى كتب الآباء البطاركة، وكتب المؤرخين:

ففى البرديات ورد قوله فى السفر الثانى "٣-... وسبع عشر قيراطا"[2] أى سبعة عشر قيراطًا. وفى السفر الخامس (٩ ـ فانظر أعزك الله... مائة جرة .وسبعة عشرة جرة)[3] أى سبع عشرة جرة. وفى السفر السادس (٢ ـ يوم الخميس لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان)[4] أى لاثنتى عشرة ليلة

وقوله (٣ ـ يوم الثلثا لاحدى عشر خلون منه...

٦ ـ ... الجمعة ورثه متوس لأربع عشر خلون منه

٧ ـ السبت لخمس عشر خلون منه

٨ ـ محمد السلمونى فى يوم الأحد لست عشر خلون منه حد عشرة أبلوجة)[5]

وصواب هذا "يوم الثلاثاء لأحد عشر خلون منه

---

(١) شرح ابن عقيل ٤/ ٧٠، ٧١.

(٢) السفر الثانى ١٨٤ بردية رقم ٣٣.

(٣) السفر الخامس ١٣٦ بردية ٣٢٩.

(٤) السفر السادس ١٩٣ بردية ٤٢٨.

(٥) السفر السادس ١٢٧ بردية ٣٩٩.

٦ ـ الجمعة ورثه متوس لأربعة عشر خلون منه

٧ ـ السبت لخمسة عشر خلون منه...

٨ ـ محمد السلمونى يوم الأحد لستة عشر خلون منه أحد عشرة أبلوجه، وأيضا فى السفر السادس (٩ ـ .. وهو أول يوم من توت

١٠ ـ سنة سبعة عشرة وثلثمائة[١] أى سبع عشرة

وفى موضع آخر: "٣- مائتى حزمة إلا اثنا عشر حزمة الثانية"[٢] أى اثنتا عشرة حزمة. وفى موضع ثالث (٨- اثنا عشرة رطل إلا ربع[٣] أى اثنا عشر رطلاً. هذا بعض من كثير فى تلك البرديات، أما فى تاريخ أبى صلح فقد ورد قوله "مدة تنيف عن خمسة عشر سنة"[٤] أى خمس عشرة سنة. وفى أخبار مصر، قوله "نحو الخمسة عشر ناقة[٥] أى خمس عشرة ناقة وقوله "وشد فى مكان النحر خمسة عشر ناقة[٦] أى خمس عشرة ناقة. وقوله "ونزل فى موكب عظيم وبين يديه اثنا عشر جنينه[٧] أى اثنتا عشرة جنينة.

وفى أحد، واثنان يذكر المؤنث ويؤنث المذكر مع أن القاعدة تقول بعكس ذلك كقوله فى السفر الأول "٤- واشتروا منها بصفقة واحد وعقد واحد"[٨] أى بصفقة واحدة. وفى السفر نفسه قوله "٣ ـ... فاشترى منه سفقه

٤ ـ واحداً وعقداً واحداً[٩] أى واحدة وعقد واحد.

---

(١) السفر السادس ٧ بردية ٣٦٤.
(٢) المرجع السابق ١٦ بردية ٣٦٧.
(٣) المرجع السابق ١١٥.
(٤) تاريخ أبى صلح ٢٠.
(٥) أخبار مصر ٤٥.
(٦) المرجع السابق ٢٠٣.
(٧) المرجع السابق ٣٣.
(٨) السفر الأول ١٦٧ بردية ٦٠.
(٩) السفر الأول ١٣٣ بردية ٥٤.

وقد يغلب لفظ أحد على لفظ واحد فيأتى فى مكانه كما فى قول أبى صلح "ثم يضعوه فى تلك اليد الطاهرة فيقبل كل أحد من الشعب[1] أى كل واحد.

الأعداد المعطوفة:

يقول ابن مالك:

وميز العشرين للتسعينا   بواحد كأربعين حينا

... العدد المفرد وهو من عشرين إلى تسعين يكون بلفظ واحد للمذكر والمؤنث ولا يكون مميزه إلا مفردًا منصوبًا ... ويذكر قبله النيف ويعطف هو عليه، فيقال أحد وعشرون، واثنان وعشرون،وثلاثة وعشرون "بالتاء فى ثلاثة وكذا ما بعد الثلاثة إلى التسعة للمذكر ويقال للمؤنث إحدى وعشرون،واثنتان وعشرون، وثلاث وعشرون بلا تاء فى (ثلاث) وكذا ما بعد الثلاث إلى التسع"[2].

وقد وردت نصوص بعكس ذلك كقول المسبحى "وقطعوا من معامل السلطان خمسة وعشرون قطعة "والصواب خمس وعشرون قطعة"[3] وقد يعطفون الأعداد المركبة والتى حقها التركيب كما فى السفر السادس"

٢ ـ الطماوى شعير أربعة وعشرة أقداح[4] أى أربعة عشر قدح ـ فعطف العدد المركب.

وقد يشبه هذا ما يحدث فى الحبشية فهى "تختلف فى العقد الثانى من الأعداد "١١-١٩" عن أخواتها الساميات إذ يعطف فى الحبشية الآحاد على العشرات بالواو، بعكس العربية والعبرية مثلاً"[5] واعتقد أن هذا لا يرجع إلى علم الكاتب بالحبشية أو تأثره بها ولكن هذا راجع إلى خطأ عن جهل من الكاتب ليس غير. ولهذا لا يمكن أن يكون أثر سامى، بل هو مجرد تشابه غير مقصود بينهما.

(١) تاريخ أبى صلح ١٤١

(٢) السفر السادس ١١٨ بردية ٢٩٩.

(٣) أخبار مصر ١٧٥.

(٤) السفر السادس ١١٨ بردية ٢٩٩.

(٥) فى قواعد الساميات ٢٤٨.

"تعريف العدد":

وقد يعرفون العدد بطريقة خاطئة كما فى السفر الأول قوله:

٨ ـ ... وأخرت الثلاثة دنانير[١] والصواب أخرت ثلاثة الدنانير.

وقد أشار الدكتور أحمد مختار عمر إلى هذه الظاهرة وأرجعها إلى لهجة عربية فقال "إدخال أل فى العدد المضاف لقول أبى جعفر النحاس الثلاثة الأصناف ـ الثلاثة الأحرف بدلاً من ثلاثة الأصناف وثلاثة الأحرف، وقول ابن ولاد: والثلاثة الأنجم"[٢]

الخلاصة: ومن هذه الأمثلة، وذلك العرض للغة العصر الفاطمى فى تناول الأعداد يمكننا القول بأن لهجة العامة فى ذلك العصر اختلط عليها الأمر فى قضية المطابقة بين العدد والمعدود، وذلك لما فى العربية من غرابة فى تركيبها للعدد، حيث إن العلاقة بين العدد والمعدود يجب أن تتم فى مطابقة فى النوع بين العدد والمعدود ـ هذا منطق كل لغة غير العربية بل السامية كما يقول هنرى فليش:"فليس عن العربية السامية من ٣ إلى ١٠ وتبدو الأصالة الكبرى فى العربية "وفى السامية" فى مزاوجة الأنواع ومعارضتها بعضها ببعض: فمع الاسم المذكر تلتحق بالعدد لاحقة "التاء ـ at" التى للمؤنث، ومع الاسم المؤنث يلتزم العدد صيغة المذكر "دون لاحقة التاء"[٣].

لكن ما حدث فى العربية جعل الأمر يختلط على هؤلاء القوم حديثى العهد بالعربية فكيف يكون العدد ثلاثة أو أربعة مذكرًا ويكون معدوده مؤنثًا، أو يكون هو مؤنثًا ويكون معدوده مذكرًا هذا ما جعلهم يقعون فى ذلك الخلط، بل فى الأعداد المركبة أيضًا والتى تمثل مشكلة كبيرة عند هؤلاء القوم إذ كيف يكون العدد مكونًا من قسمين الأول يجب أن يختلف فى النوع عن القسم الثانى فإن قلنا خمس

---

(١) السفر الأول.

(٢) تاريخ اللغة العربية فى مصر ١٢٩.

(٣) العربية الفصحى ١٢٢.

فلابد أن نقول عشرة وتجعل المعدود مؤنثًا. كل هذا يعد سهلاً يسيرًا على أبناء العربية ممن تعلموها بالسليقة.

فمن السهل أن ينطق ويكتب من غير أن يمعن التفكير فى صحة التركيب من حيث النوع أو الإعراب. أما هذا المولد أو المتعلم العربية حديثًا لابد أن يفكر فى ذلك إن كان مثقفًا من حيث صحة التركيب وموافقة العدد المعدود فى النوع ولكن العامى أو بسيط الثقافة لا يهتم بذلك ولكن يكفيه أن يوضح مقصود عبارته دون الحاجة إلى دقة لغوية ومن هنا حدث ذلك الخلط فى لغة العامة فى نوع العدد والمعدود ونعود فنؤكد أن هذا راجع إلى اختلاف منطق اللغة وقواعدها وأصولها عن غيرها من اللغات فكل لغة لها منطقها الخاص الذى يجعلها تختلف عن غيرها من اللغات.

فماذا يفعل المتكلم الذى لا يعرف العربية وقواعدها فى مسألة العدد؟!

إنه ببساطة شديدة يتكلم كيفما تيسر له، فهو يُذَكِّر المؤنث ويؤنث المذكر، ويجمع ويفرد ويُثَنِّى، ويتكلم وفق ما تمليه عليه قريحته فى هذه اللحظة،لأن منطق هذه اللغة العربية غير مستقر فى بنيته التصورية، إذًا ما البديل الذى يجعله يتواصل مع مستمعه ؟

إنه المعنى، فهو يسعى فقط كمتكلم إلى توصيل المعنى الذى فى رأسه إلى مستمعه، الذى لا يختلف كثيرًا عنه، فهو من المولدين إخوانه الذى يتكلمون العربية المولدة بكل أخطائها ولحنها وخصائصها اللغوية، ولهذا يتم التفاهم بينهم (المتكلم والسامع) حتى لو وجد بينهما متكلم بالعربية الفصحى كسليقة له، فإنه يحاول أن يتواصل معهما، بل إنه يفهمهما بسهولة أيضًا من طول معايشته لهما؛ فهما معه فى كل مكان من سوق ومسجد وطريق ومكان عمل وفى أى شكل من أشكال حياتهما اليومية، وليس من الغريب أن تتسرب كثير من خصائص تلك اللغة المولدة إلى ألسنة المفسرين والمؤرخين وبعض الفقهاء وغيرهم من المستخدمين للعربية كوسيلة تعبير فى عملهم، نتيجة هذه المعايشة فأغلب نماذجنا التى ذكرناها هنا أخذناها من كتب المؤرخين وبعض الفقهاء.

خامساً: النعت والمنعوت:

التطبيق بينهما فى التعريف والتنكير

قول ابن مالك:

يعط فى التعريف والتنكير ما لما تلا ك (أمرر بقوم كرما)

النعت يجب فيه أن يتبع ما قبله فى إعرابه وتعريفه أو تنكيره نحو مررت بقوم كرماء ومررت بزيد الكريم فلا تنعت المعرفة بالنكرة فلا تقول مررت بزيد كريم ولا تنعت النكرة بالمعرفة فلا تقول مررت برجل الكريم[1].

ولهذا طرح صاحب شرح عيون الإعراب هذا السؤال "لم تنعت النكرة بالمعرفة والمعرفة بالنكرة ثم أجاب عليه قائلاً "والجواب أن النكرة عامة يدل واحدها على أكثر منه والمعرفة خاصة لا تدل إلا على نفسها فلو نعت المعرفة بالنكرة والنكرة بالمعرفة لكنت قد نعت القليل بالكثير والكثير بالقليل وهذا لا يجوز لأن النعت متمم لبيان الاسم فلا ينبغى أن يخالفه فى تعريفه وتنكيره لأن النكرة مجهولة فلا يصح أن تبين المعروف، والمعرفة ثابتة العين فلا يصح أن تتبع ما لم يثبت له عين وهو النكرة[2]

ولكن وجدنا بعض الأمثلة مخالفة لهذه القاعدة يقول ابن المقفع "وسالوه التلاميذ بعد كبره سوالاً الكثيرا"[3] أى سؤالاً كثيرا

يقول المسبحى" أن يعفيه من العبور به على سوق الكبير"[4] أى السوق الكبير وقد جوز الأخفش أن تصف النكرة بالمعرفة إذا خصصت قبل ذلك بالوصف وجعل منه قوله تعالى: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾

---

(١) شرح ابن عقيل ٣/ ١٩٢.

(٢) شرح عيون الإعراب: الإمام المجاشعى، تحقيق عبد الفتاح سليم،دار المعارف،ط١ القاهر ١٩٨٨م ص ٢١٨.

(٣) تاريخ البطاركة ١/ ١٧٣.

(٤) أخبار مصر ٥٢.

(المائدة: ١٠٧) قال الأوليان صفة لآخران لأنه لما وصف تخصص وجوز قوم عكسه أى وصف المعرفة بالنكرة مطلقًا ومثل بقوله: وللمعنى رسول الزور قواد، قال قواد صفة المعنى وجوز أبو الحسين ابن الطراوة وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصًا بالموصوف لا يوصف به غيره كقوله فى أنيابها السم ناقع، قال ناقع صفة للسم وأجيب بالمنع فى الجمع بإعرابها بدلاً"[١].

سادسًا: تعريف المضاف

قال ابن العسال "إن كل البكور الزيت"[٢] أى بكور الزيت وقول ابن المقفع الذى حمل الجرة الماء"[٣] أى جرة الماء، يقول ابن مالك:

ووصل "أل" بذا المضاف مفتقر   إن وصلت بالثانى (كالجعد الشعر)

أو بالذى له أضيف الثانى   كزيد الضارب رأس الجانى

لا يجوز دخول الألف واللام على المضاف الذى إضافته محضة فلا تقول هذا الغلام رجل لأن الإضافة منافية للألف واللام فلا يجمع بينهما.. ولكن لما كانت الإضافة فيه على نية الانفصال اغتفر ذلك بشرط أن تدخل الألف واللام على المضاف إليه (كالجعد الشعر، الضارب الرجل) أو على ما أضيف إليه كزيد الضارب رأس الجانى"[٤]

على هذا فإدخال الألف واللام فى العبارتين السابقتين جائز وذلك لأن الإضافة غير محضة، وكذلك فإن التعريف داخل على المضاف. المضاف إليه فى الجرة الماء والبكور الزيت، كما فى زيد الضارب رأس الجانى، والضارب الرجل، والجعد الشعر.

---

(١) همع الهوامع ٢/ ١١٦، ١١٧.

(٢) المجموع الصفوى.

(٣) المائدة ١٠٧.

(٤) شرح ابن عقيل: ٣/ ٤٦.

تعريف الحال:

قال الشيخ أبو صلح "فلما وصل إليها المتوجهين لقلع الحجر خرج أهلها لهم"[1] أى فلما وصل إليها متوجهين لقلع الحجر خرج أهلها لهم.

هل يجوز تعريف الحال؟ يقول المبرد "واعلم أن الحال إذا كان العامل فيها صحيحًا جاز فيه كل ما يجوز فى المفعول به من التقديم والتأخير إلا أنها لا تكون إلا نكرة[2] وقال ومن ذلك قوله تعالى "هذا عارض ممطرنا"[3] "وثانى عطفه لأنه ناصب على الحال ولا يكون الحال إلا نكرة"[4].

وقال سيبويه "فإذا كان الاسم حالاً يكون فيه الأمر لم تدخله الألف واللام ولم يضف لو قلت: ضربته القائم؛تريد قائمًا كان قبيحًا ولو قلت ضربتهم قائمهم تريد: قائمين كان قبيحًا[5] ويقول ابن مالك:"

والحال إن عـرف لفظا فاعتقـد   تنكيـره معنى كوحدك اجتهـد.

مذهب جمهور العلماء النحويين أن الحال لا يكون إلا نكرة، وأن ما ورد فيها معرفًا لفظًا فهو منكر معنى، كقولهم: جاء الجماء الغفير... والتقدير جاءوا جميعا[6].

---

(١) تاريخ أبى صلح.
(٢) المقتضب ٤/ ١٦٨.
(٣) الاحقاف ٤٦/ ٢٤.
(٤) المقتضب ١/ ١٥٠.
(٥) الكتاب ١/ ٣٧٧.
(٦) شرح ابن عقيل ٢/ ٢٤٨.

الفصل الرابع

الأساليب

(أسلوب النفى)

أولا: بناء أسلوب النفى السائد فى العامية الفاطمية:

يغلب على أسلوب النفى فى هذا العصر تلك التراكيب:

لم + يرجع + يفعل

لم + يعد + يفعل

وهذه الصورة المكونة من أداة النفى ما والفعل يرجع أو يعود ثم الفعل المنفى، تعد صورة عامة لأسلوب النفى فى العامية المصرية فى العصر الفاطمى وفى العامية المعاصرة، وهى توجد على تلك الصورة "لم يعد"، ولم يرجع جنبًا إلى جنب مع أسلوب النفى الموجودة فى العامية الحالية المشهور "ما + عدش + يفعل، أى لم + يعد + يفعل" ومن هذه الجمل ما ورد فى تاريخ الشيخ أبى صلح "يستحلفه عليه وعلى إنجيل يوحنا بأنه لا يعود يفعل شيئًا مما كان يفعله[1] أى لا يفعل، هذا التركيب المنفى مكون من:

لا + يعود + يفعل

ويقول الوهرانى "وحسبك ما أرجع أخطابك[2]

(١) تاريخ الشيخ أبى صلح ١٤.

(٢) منامات الوهرانى ٢٩.

وهو مكون من: ما + أرجع + أخاطبك. ويقول فى موضع آخر "فما ترجع تراه أبدا[1]".

وهو مكون من: ما + ترجع + تراه.

ويقول أيضا "فهو يتوب إلى الله تعالى من ذلك ما يرجع يغلبك أبدا"[2]

أى ما + يرجع + يغلبك.

وفى قول الشيخ أبى صلح "ولم يرجع يأمر بقطعها[3]

وهو مكون: لم + يرجع + يأمر

وقوله " ولم يرجع يعود ولا عرف إلى أين توجه"[4]

أى لم + يرجع + يعود.

وهذه العبارات توضح صورة ذلك الأسلوب أو التركيب الشائع فى النفى فى هذا العصر والعصور التى تليه وأحسب أن هذا يعود إلى تأثير اللغات الأجنبية على العربية فى استخدام الفعل المساعد كما فى الإنجليزية و اللغات التى أتت منها كاللغات الهندأوربية، فالفعلان يرجع ويعود يقابلان فعل الكينونة فى هذه اللغات.

ثانيًا: إحلال أداة النفى مكان أداة أخرى:

١ ـ ليس

كما فى قول ابن المقفع "وليس يعرفون صنعة البحر"[5]

وكما فى قول ابن العسال" وليس يكون عمره دون خمسين سنة[6]

---

(١) المرجع السابق ٣٧.
(٢) المرجع السابق ٨٣.
(٣) تاريخ أبى صلح ٩٧.
(٤) المرجع السابق ٦٦.
(٥) تاريخ البطاركة ٢/ ١٠.
(٦) المجموع الصفوى لابن العسال.

فى هذه الأمثلة استخدم الكاتب ليس لنفى مكان "ما" فالصواب ما يعرفون صنعة البحر، وما يكون عمره دون خمسين سنة، ويقول ابن هشام عن ليس: "الموضع الثانى أن تدخل على الجملة الفعلية أو على المبتدأ والخبر مرفوعين"[1] هذا صحيح أنها قد تدخل على الجملة الفعلية ولكن الأصح والأفصح فيها أن تدخل على الجملة الاسمية فكما يقول برجشتراسر "فأصل محل ليس القديم نفى الخبر ثم نقلت إلى غير ذلك"[2] فهذا هو الأصل. ولهذا نقول: إن ليس حلت محل ما فى الجملة السابقة وقد أشار سيبويه إلى أن ما قد تحل محل ليس وهذا نادر فى رأىٍّ، يقول سيبويه " وقد زعم بعضهم أن ليس تجعل كما وذلك قليل لا يكاد يعرف فهذا يجوز أن يكون منه ليس خلق الله أشعر منه وليس قالها زيد، قال حميد الأرقط:

فأصبحوا والنـوى عالى معرسـهم وليـس كـل النـوى يلقى المساكين.

قال هشام أخو ذى الرمة:

هى الشفاء لدائى لو ظفـرت بهـا وليس منها شفـاء الـداء مـبذول

هذا كله سمع عن العرب والوجه والحد أن تحمله على أن فى ليس إضماراً وهذا مبتدأ كقوله: إنه أمة الله ذاهبة إلا أنهم زعموا أن بعضهم قال ليس الطيب إلا المسك[3] وقد أكد هذا المبرد بأنه يقبل ذلك على إضمار اسم ليس فيها يقول " فما جاء من الضمير فى هذا الباب قوله:

فأصبحوا والنـوى عالى معرسـهم وليـس كـل النـوى يلقى المساكين.

أضمر فى ليس وقال الآخر:

هى الشفاء لدائى لو ظفرت بـــها وليس مـنها شفـاء الداء مـبذول[4]

(١) مغنى اللبيب:ابن هشام،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ١/ ٢٢٨.

(٢) التطور النحوى ١٧٤.

(٣) الكتاب ١/ ١٤٧.

(٤) المقتضب ٤/ ١٠٠، ١٠١.

وهذا يعنى جواز إضمار اسم ليس فيها وجواز دخول ليس على الفعل فتحل محل ما، وإن كان نادرًا كما يقول سيبويه.

وهذا الأسلوب مكون من: ليس + يفعل.

٢ ـ ما

وقد تحل ما محل لا، كما فى قول الشيخ أبى صلح "فحنت هذه العذرى ركبها وأبرزت عنقها وهم ما يعلموا ما فى قلبها[١] وعلى ذلك أمثلة كثيرة.

ولكن قبل عرضها نعرف الأصل فى "ما"، يقول برجشتراسر" ولأن (ما) أحدث من (لا) خصصت بنفى أحدث أبنية الفعل، وهو الفعل الماضى، فيبقى الماضى القديم هو (لم يفعل)، والحديث ما فعل، ومع ذلك فـ (ما) كثيرة فى نفى الخبر[٢].

فهو يرى أن (ما) تنفى الفعل الماضى فى الأصل. ولكن النحاة أعملوها فى الفعل المضارع بشرط قصد الحال. ورد عليهم ابن مالك وأجيب على رده، يقول ابن هشام "ما .. أن تكون نافية فإن دخلت على الجملة الاسمية أعملها الحجازيون والتهاميون والنجديون عمل ليس بشروط معروفة... وأن دخلت على الفعلية لم تعمل نحو: وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله... وإذا نفت المضارع تخلص عند الجمهور للحال ورد عليهم ابن مالك بنحو ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ وأجيب بأن شرط كونه للحال ابتغاء قرينة خلافه[٣].

وهو قول سيبويه فى وجوب كونها للحال عند دخولها على المضارع وأما (ما) فهى نفى لقوله: هو يفعل إذا كان فى حال الفعل، فتقول ما يفعل، وتكون بمنزلة ليس فى المعنى، فتقول: عبد الله منطلق، فتقول ما عبد الله منطلق أو منطلقًا، فتنفى بها اللفظ، كما تقول ليس عبد الله منطلقًا[٤].

---

(١) تاريخ أبى صلح ١٠٨.

(٢) التطور النحوى ١٧٣.

(٣) معنى اللبيب ٢/ ٦.

(٤) الكتاب ٤/٢٢١

فهذا يعنى أنها لابد أن تعنى الحال حتى يجوز دخولها على المضارع وهو يؤكد أن أصلها الدخول على الماضى كما يقول برجشتراسر وقد وردت فى مواضع كثيرة داخلة على الفعل المضارع كما فى قول الوهرانى "على أن شهادتى ما تنفعكم عنده[1] أى لا تنفعكم.

وقول الشيخ أبى صلح... ولا أدع أحد من أصحابى يتمكن منها فأنتم موافقتى على هذا فقالوا كلهم نحن ما نخالفك[2] أى لا نخالفك.

وقول ابن المقفع "ما أقول لكم ما لم يجرى"[3] أى لا أقول لكم ما لم يجر.

ويؤكد قولنا بأن ما لنفى غير المضارع وهو الماضى أن (لا) التى صح وقوعها فى الجمل السابقة محل (ما) تكون لكل حالات النفى إلا الماضى فما حدث هنا هو تبادل (ما) محل (لا) يقول برحشتراسر" ونرى (لا) مستعملة فى كل الحالات إلا الماضى[4].

فهى تستعمل فى كل الحالات فتنفى الجملة الفعلية الحالية والجملة الاسمية، ولكن لا تنفى الجملة الفعلية الماضوية كما يقول برحشتراسر، ولكن ما يصلح للماضى كما يرى هو (ما).

(أسلوب الشرط)

أولا: تقديم جواب الشرط

ورد فى قول ابن ميسر "فأرسل إليه يأمره بالخروج ويهدده إن لم يخرج[5] وفى حكم قراقوش "فالويل لكم إن عدمتمونى[6].

---

(١) المنامات ٥١.

(٢) تاريخ أبى الصلح ص ١٠٨.

(٣) تاريخ بطاركة الكنيسة ١٢٨/١.

(٤) التطور النحوى: ١٧٣.

(٥) أخبار مصر ١٨.

(٦) حكم قراقوش ٥٠.

وفى هذين المثالين نجد تقديم جواب الشرط على فعل الشرط وأداة الشرط، فالأصل فى المثال الأول فأرسل إليه يأمره بالخروج وإن لم يخرج يهدده. وفى المثال الثانى إن عدمتمونى فالويل لكم. فهل يجوز تقديم جواب الجزاء عليه ؟ يقول المبرد" هذا باب ما يجوز من تقديم جواب الجزاء عليه، وما لا يجوز إلا فى الشعر اضطرارًا، أما ما يجوز فى الكلام فنحو: آتيك إذا آتيتنى، وأزورك إن زرتنى، ويقول القائل، أتعطينى درهمًا فأقول: إن جاء زيد، وتقول أنت ظالم إن فعلت[1] وهذا يعنى جواز تقديم الجزاء إن كان له أهمية على الفعل أو أريد إظهاره.

وفى الشعر ورد ما يؤكد هذا، يقول المبرد" قال:

لا تَجْـزَعِى إن منفسا أهْلَكْتُه وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى

.....لا تجزعى إن منفس أهلكته" على أن يكون المضمر هلك" وكذلك هذه الآيات كلها، وهى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: ١) ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير: ١) وإنما المعنى والله أعلم إذا كورت الشمس، وإذا انشقت السماء.

والجواب فى جميع هذا موجود، لأن هذه لا تكون إلا بأجوبة فالجواب فى قوله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١)﴾﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير: ١٤) والجواب فى قوله ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ الانفطار: ١) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار: ٥)[2]. فهذا يوضح جواز تقديم جواب الشرط عليه.

ولكن السيوطى يذكر رأى البصريين فى ذلك قائلاً "البصريون قالوا لأداة الشرط الصدارة" أى صدر الكلام فلا يسبقها معمول معمولها. أى لا يجوز تقديم شىء من معمولات فعل الشرط ولا فعل الجواب عليها لأنها عندهم كأداة الاستفهام، وما النافية، ونحوهما محلها الصدر ولا يعمل ما قبلها فيما بعدها، وإنما تقع مستأنفة أو مبنية على ذى خبر ونحوه وجوز الكسائى تقديم معمول فعل الشرط أو الجواب على الأداة، نحو خيراً إن تفعل يثبك الله وخيراً إن تفعل

(١) المقتضب ٦٦/٢.

(٢) المقتضب: ٧٤/٢، ٧٥.

أتيتنى تُصبْ، قال أبو حيان وتحتاج إجازة هذا التركيب إلى سماع من العرب (غير معمول) فعل الجواب المرفوع فإنه يجوز تقديمه، نحو: خير إن أتيتنى نصب، وسوغ ذلك أنه ليس فعل جواب، حقيقة بل هو فى نية التقديم الجواب محذوف والتقديم تصيب خيراً إنْ أتيتنى (قال أكثرهم) أى البصريون (ولا الجواب) أيضاً لا يجوز تقديمه على الأداة"(١).

ثانيا: حذف جواب الشرط

يقول الشيخ أبى صلح "ولما رأى هذا القس هذه الآية العظيمة كان يخدم كاتباً فى استيفا(٢).

حذف هنا جواب الشرط وقد أجاز النحاة ذلك بشرط أن يدل عليها دليل يقول ابن مالك:

والشرط يُغْنِى عن جواب قد عُلِمْ   والعكس قد يأتى إن المعنى فُهِمْ

يجوز حذف جواب الشرط والاستغناء بفعل الشرط عنه وذلك عندما يدل دليل على حذفه نحو "أنت ظالم إذ فعلتَ" فحذفت جواب الشرط لدلالة أنت ظالم عليه، والتقدير (أنت ظالم، إن فعلت فأنت ظالم) وهذا كثير فى لسانهم"(٣).

ويقول السيوطى" يحذف الجواب لدليل كقوله تعالى ﴿أئنْ ذُكِّرْتُم﴾ (يس: ١٩) أى تطيرتم، "﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ (الأنعام: ٣٥). أى فافعل الحذف لتقدم شبهه على الأداة كما مر(٤).

والحق أن الحذف فى المثال الذى روى عن أبى صلح لم يدل عليه دليل، ولكن يمكن أن يفهم من العبارة فحسب، أى لما رأى هذه الآية العظيمة تعجب لذلك أو نحو اندهش للذى يراه.

---

(١) همع الهوامع ٢/ ٦١.

(٢) تاريخ أبى صلح ١٤١.

(٣) شرح ابن عقيل ٤/ ٤١، ٤٢.

(٤) همع الهوامع ٢/ ٦٢.

ثالثا: كان زائدة على الشرط:

وردت أمثلة كثيرة على أسلوب الشرط، وقد أقحم الكاتب فى أولها كان زائدة كما فى قول ابن ظافر "وكان لما جهز الجيوش كانت الواقعة أولا . وملك هذه المدينة"[1] أى "لما جهز الجيوش كانت الواقعة" فأقحم كان زائدة على هذا الأسلوب.

وقال ابن ميسر "وكان لما ولى الوزارة سعى فى اعتقال أبى الحسن على"[2] أى لما ولى الوزارة سعى فى اعتقال أبى الحسن على.

يقول ابن يعيش "قال صاحب الكتاب" وزائدة فى قولهم: إن من أفضلهم كان زيداً، وقال:

جيـاد بنـى أبى بكـر تسـامى　　　علـى كـان المسـومة العـراب

ومن كلام العرب: (ولدت فاطمة بنت الخرشب الكملة من بنى عبس لم يوجد كان مثلهم) والتى فيها ضمير الشأن.

قال الشارح "الوجه الثالث من وجوه كان أن تكون زائدة، دخولها كخروجها لا عمل لها فى اسم ولا خبر وذهب السيرافى إلى أن معنى قولنا زائدة أن لا يكون لها اسم ولا خبر ولا هى لوقوع شىء مذكور، ولكنها دالة على الزمان وفاعلها مصدرها[3].

هذا القول ذكره المبرد فى قوله "تقول إن زيداً كان منطلقاً" نصبت (زيداً) بإن وجعلت ضميره فى (كان)، و (كان) وما عملت فيه فى موضع خبر (إن) وإن شئت رفعت منطلقاً فيكون رفعه على وجهين: أحدهما: أن تجعل كان زائدة مؤكدة للكلام نحو قول العرب فولدت فاطمة ابنة الخرشب الكملة من بنى عبس لم يوجد كان مثلهم، على إلغاء (كان). ومثله قول الفرزدق:

---

(١) أخبار الدول المتقطعة ٦٨.

(٢) أخبار مصر ٤١.

(٣) شرح الفصل لابن يعيش ٧/ ٩٨.

فكيف إذا رأيت ديار قوم   وجيران لنا كانوا كرام

والقوافى مجرورة: وتأويل هذا سقوط (كان) على (وجيران لنا كرام) فى قول النحويين أجمعين. وهو عندى على خلاف ما قالوا من إلغاء (كان) وذلك أن خبر (كان) (لنا) فتقديره: وجيران كرام كانوا لنا[1].

وهذا القول يوضح جواز أن تكون (كان) زائدة، بشرطين الأول أن يكون كان بلفظ الماضى والثانى: أن يقع كان بين شيئين إما: بين مسند إليه ومسند نحو ما كان أحسن زيد.... وإما: بين صفة وموصوف. فكيف إذا مررت بدار قوم... وجيران كانوا لنا كرام، فكرام صفه لجيران ـ تقديره جيران كانوا كرام لنا.... وقد تكون زائدة بين اسم إن وخبرها إذا كان الخبر ظرفاً ـ أو جاراً ومجروراً نحو إن عندى كان زيداً[2].

ومن هذا نرى أن ما ذكرناه من أمثلة تنطبق عليها الشرط الأول وهو كان بلفظ الماضى كما فى قول ابن ظافر" كان لما جهز...، وقول ابن ميسر" كان لما ولى..... ولكن الشرط الثانى وهو إقحامها بين الشيئين لم يتحقق بل حدث أن أدخلها على أسلوب الشرط فى أوله لا بين فعل الشرط وجواب الشرط، ولكن الذى يؤكد زيادتها رغم عدم إقحامها داخل أسلوب الشرط هو عدم إعمالها فيما دخلت عليه فلم تغير شيئاً فى الأسلوب بل ظل فعله وجوابه مجزومين وفى صورتهما الطبيعية مما هو معروف فى تركيب أسلوب الشرط. ولهذا فهى زائدة فى هذا الموضع وهذا يوافق ما قاله ابن مالك فى هذا:

وقد تزاد كان فى حشو: كما   كان أصح علم من تقدما

وقد ذكر ابن عصفور أنها تزاد بين الشيئين المتلازمين كالمبتدأ وخبره، نحو زيد كان قائم والفعل مرفوعه. نحو لم يوجد كان مثلك والصلة والموصول نحو (جاء الذى كان أكرمته) والصفة والموصوف نحو مررت برجل كان قائم....[3].

---

(1) المقتضب ٤/ ١١٦، ١١٧.

(2) العوامل المائة النحوية: ٢٨٠، ٢٨١.

(3) شرح ابن عقيل ١/ ٢٨٨.

الفصل الخامس

أدوات الربط

لقد تأثرت أدوات الربط بين الجمل نتيجة لتطور اللغة فى هذا العصر مما أثر فى التراكيب اللغوية لاختلاف السليقة فأبناء هذا العصر مزيج مشترك من أبناء الطوائف العربية والقبائل الوافدة ومن أبناء البيئة المصرية الأقباط؛ فهم بين مستمسك بلغته القبطية وبين متعلم للعربية بغرض الحصول على الوظيفة أو أنه أسلم لله تعالى فتعلم لغة القرآن وبين متأثر باللغة العربية نتيجة لضرورة التعامل اليومى بين العرب الفاتحين والمصريين.

فمن هذا المزيج المشترك ومن هَذه الجماعات اللغوية المختلفة أُنْتِجَتْ لنا عربية مولدة تستمسك فى إطارها العام بالفصحى غير أنه بقيت بها شوائب دليلاً على تلك الآثار الدخيلة على العربية، فمن هذه الآثار فى التراكيب ما نحن بصدده من اختفاء أدوات الربط أو تغير بعضها وإحلال غيرها محلها،فهى دليل على أن كثيرًا ممن تحدثوا باللغة العربية لم يكن لهم دراية بقواعدها ووسائل الربط بين جملها وتراكيبها فقد أهملوا أدوات الربط المألوفة فى الفصحى بين الجمل المتعاقبة. كأدوات العطف أو الاستقبال أو اللام المصدرية وأن المصدرية وأعرض الآن لهذه الأدوات:

أولا: أدوات العطف

حذف الواو:

قال ابن العسال .... لئلا يدخل المحال إلى قلوبنا الأفكار الرديئة الخبيثة

وهموم هذا العالم[1] أى لئلا يدخل المحال إلى قلوبنا والأفكار الرديئة وقال أبوصلح" هذا الجسد الطاهر ويُقدّ عليه المصابيح فى الليل النهار[2] أى فى الليل والنهار فحذف الواو العاطفة هنا أيضًا.

ويقول ابن هشام عن هذا: حذف حرف العطف بابه الشعر كقول الحطيئة:

إن امــرأ رهطــه بالشــام منــزلــه   برمــل يبرين جا رشــد ما اغــتربا

أى منزله برمل يبرين، كذا قالوا ولك أن تقول الجملة الثانية صفة ثانية لا معطوفة، وحكى أبو زيد أكلت خبزاً لحماً تمراً، فقيل على حذف الواو وقيل بدل الإضراب، وحكى أبو الحسن أعطه درهماً درهمين ثلاثة وخرج على إضمار أو ويحتمل البدل المذكور وقد خرج على ذلك آيات (إحداها) (وجوه يومئذ ناعمة) أى ووجوه عطف على وجوه يومئذ خاشعة (والثانية) (إن الدين عند الله الإسلام) فيمن فتح الهمزة، أى وأن الدين عطف على أنه لا إله إلا هو ويبعده أن فيه فصلاً بين المتعاطفين المرفوعين بالمنصوب بين المنصوبين بالمرفوع.... [3].

وعلى هذا يجوز حذف واو العطف، ولكنه جعل ذلك فى الشعر فقط وها هو يرد فى النثر أيضاً بل ظهر لدى المجتمع اللغوى ـ موضوع البحث ـ ما يمكن أن نسميه "بلغة الحسابات" وهو ما ورد فى البرديات قوله"

٤ ـ الطلاع شعير خمسة ويبات الكيل خمسة الثمن دينار"[4]

٥ ـ أخو قلول شعير خمسة إلا قدحين الكيل خمسة ويبات الثمن دينار ونصف قيراط"[5] "أى قوله السابق الطلاع شعير خمسة ويبات الصواب أن يقول والكيل خمسة والثمن دينار ولكنه سار فى ذلك على لغة قوائم الحسابات التى شاعت فيما بعد بأن يشير إلى النوع ثم الكيل ثم الثمن بدون عطف.

---

(١) المجموع الصفوى لابن العسال.

(٢) تاريخ الشيخ أبى صلح ١٢٨.

(٣) مغنى اللبيب ٢/ ١٧٠.

(٤) السفر السادس ١١٩ بردية ٢٩٦، ٢٩٧.

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

وهذه اللغة التى سادت فيما بعد قد تأثر فيها العرب بما هو موجود لدى القبط من أسواق كبيرة تعرض فيه سلع تباع بالجملة، وتقيد فى قوائم حسابات البيع والشراء ولهذا تغلب عليها روح الاختصار والحذف لعدم الحاجة إلى الإطالة وذلك من طبيعة قوائم الحسابات التى تحتوى على الصنف أو النوع أو الكمية ولهذا وجب الاختصار وقد وجدت كثيراً من هذه القوائم التى كتبت بالقبطية والعربية والأرقام الحسابية بالقبطية كل هذا أسلوب قبطى انتقال للعربية.

وقد أشار المبرد إلى هذه اللغة، وسماها باب التسعير فى قوله "هذا باب من التسعير: تقول أخذت هذا بدرهم فصاعداً وأخذته بدرهمين فزائداً لم ترد: أنك أخذته بدرهم وبصاعد فجعلتها ثمناً ولكن التقدير أنك أخذته بدرهم ثم زدت صاعداً فمن ثم دخلت الفاء..... ومن ذلك قولك: بعت الشاة شاة ودرهمًا، إنما تأويله على الحقيقة: بعت الشاة مسعراً شاة بدرهم وقاس ذلك على زيد فى الدار فقال "وتقدير قولك الشاة شاة ودرهماً: وجب لك الشاة مسعراً شاة بدرهم كما أنه إذا قال زيد فى الدار قائماً فمعناه: استقر زيد فى الدار قائمًا[1].

وهذا يعنى أنهم استخدموا هذه اللغة ولكن مع وجود أدوات الربط" أداة العطف" فى قوله أخذت هذا بدرهم فصاعداً والفاء عاطفة ولكن هذا المثال الذى معناه لا يطابق مثال البرديات وإن شابهه وهذا المثال الذى ذكره المبرد موجود بعينه لدى سيبويه حيث يقول فى باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره. وذلك قولك أخذته بدرهم فصاعداً، وأخذته بدرهم فزائدًا[2].

وفى الخصائص ج ٢ ص ٢٨٣ وفى أمالى الشجرى ج٢/ص٢٨٣ وشرح ابن يعيش ج٢/ ص٢٨٣، وهذه العبارة المشار إليها فى الكتب السابقة تقوم على اختصار الفعل لكثرة استعمالهم إياه، ولكن ما نحن بصدده جمل تامة، ولكنها غير مترابطة، نحو: الطلاع شعير خمسة وبيات" جملة تامة وقوله الكيل خمسة جملة تامة، وقوله الثمن دينار أيضاً جملة تامة وهذا أساس الاختلاف بينهما، ولكنه

(١) المقتضب ٣/ ٢٥٥، ٢٥٧.

(٢) الكتاب ٢٥٧/١.

يرجع إلى طبيعة هذا التعامل الذى يستخدم اللغة بصورة خاصة عرفت بلغة الحسابات أو التسعير.

"حذف الفاء"

قال ابن ميسر " وقبل الأرض وعاد جلس موضعه[1] أى فجلس فى موضعه وفى البرديات: ٨ ـ فأحب أن تتفضل تنتظر

٩ ـ الذى يبقا " [2] أى فأحب أن تتفضل فتنتظر.

وقول أبى صلح "ورجع طلع إلى الأب البطرك"[3] أى رجع فطلع إلى الأب.

وقول ابن العسال "وكان من يلعن مجانًا لنفسه يلعن[4] أى فلنفسه يلعن. وفى المثال الأخير حذف الفاء الواقعة فى جواب الشرط وهذا الحذف أجازه ابن هشام ولكن خصه بالشعر فقال: "فاء الجواب هو مختص بالضرورة كقوله: من يفعل الحسنات الله يشكرها. وقد مر أن أبا الحسن خرج عليه إن ترك خير الوصية للوالدين[5] أى على تقدير إن ترك خير الوصية فللوالدين. وهذا جائز كما يرى فى الشعر،وقد ورد لدينا فى النثر أيضًا.

ونذكر الآن بعض الأمور الجائزة فى اللغة مما يخص أدوات الربط بين الجمل:

أدوات التعليل:

يغلب على لغة هذا العصر استبدال لام التعليل فى مثل جئت لكذا بصيغتى "بسبب أو لأجل" المساويتين لصيغة التعليل العامية "علشان" فى المصرية المعاصرة. ولكن تلك الظاهرة ليست مما يختص بهذا العصر الفاطمى ولكنها شاعت فيه ولهذا أشرت إليها.

---

(١) اخبار مصر ٦١.

(٢) السفر الخامس ١١١ بردية ٣٠٢.

(٣) تاريخ أبى صلح ١٨.

(٤) المجموع الصفوى.

(٥) مغنى اللبيب ٢/١٧٠.

كما فى قول ابن ميسر" فيها ابتدأت الوحشة بين ناصر الدولة ابن حمدان وبين الأتراك من أجل أنه قويت شوكته. فى موضع آخر" ويسير إلى حلب لقتال من بها لأجل قطع خطبة المنتصر فيها " أى لقطع خطبة المنتصر فيها وهنا جمع بين اللام + أجل، ويقول المسبحى" ما عراك لأجل ذلك من ضعف المنة بعد قوتها" أى لذلك وكما فى قوله" وصرف أبو القاسم المرتجى وأبو محمد بن النحاس عنه لأجل أن ابن الموفق ضمن أن يظهر على أبى القاسم" أى لأن ابن الموفق وقوله "وضرب دواس جماعة من الخبازين وشهّر بهم بسبب ترافعهم فى السعر" أى لترافعهم فى السعر، وقوله" وورثة الشرافى الشاعر بسبب أنه زوج أحد أولاده"[١] أى لأنه زوج أحد أولاده.

ومثل هذا الكثير فى لغة العصر الفاطمى وإن كانت ذات أصل قديم فى العربية، ومثل حذف أن المصدرية، وقد أشرت إليه سابقًا، ومثل هذا حذف " قد" من خبر كان وهو أمر جائز فى اللغة ولكنه شاع أيضًا فى مثل هذا العصر.

حذف قد من خبر كان:

قال الوهرانى" التى كان عملها فى الخليفة"[٢] والتقدير التى كان قد عملها والأصل فى هذه المسألة هو هل يصح دخول كان على الفعل الماضى بدون رابط أم لا؟ يقول الأستاذ عباس حسن" وأن أخبارها لا تكون جملة فعلية ماضوية ما عدا كان، فإنها تمتاز بصحة الأخبار عنها بالجملة الماضوية" وبالهامش يقول فى نفس المرجع" أما فى غير تلك الأفعال فالصحيح جوازه مطلقاً، وعليه البصريون لكثرة وروده فى القرآن، والكلام الفصيح كثرة القياس عليه ـ وقد عرض الهمع أمثلة متعددة من هذا الوارد ـ أما الكوفيون فيشترطون لصحته وجود قد قبله[٣].

ما ورد فى الهمع هو قول السيوطى واختلف فى جواز دخول بقية أفعال الباب على ما خبره ماض فالصحيح جوازه مطلقاً عليه البصريون لكثرته فى كلامهم

(١) أخبار مصر١٨، ٥٥، ٣٢، ٣٥، ٢٣٢.

(٢) المنامات.

(٣) النحو الوافى ١/ ٥٤٧.

نظمًا ونثرًا كثرة توجب القياس قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾، ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ﴾ وشرط الكوفيون فى ذلك اقترانه بقد ظاهرة، أو مقدرة وحجتهم أن كان وأخواتها إنما دخلت على الجمل لتدل على الزمان فإذا كان الخبر يعطى الزمان لم يحتج إليها ألا ترى أن المفهوم من زيد قام ومن كان زيد قائماً شىء واحد واشتراط قد لأنها تقرب الماضى من الحال[1].

لقد اختلف النحاة فى تقدير "قد" هل تصح الجملة بدون تقدير قد لا، فابن مالك لا يقدر قد ولكن المبرد ضمر قد. والبصريون يلزمون الفعل الماضى من قد ظاهرة أو مضمرة أما الكوفيون فاشترطوا[2] ذلك فى الماضى الواقع خبراً لكان. ومن هذا الاختلاف نرى أن المثال السابق الذى ذكره الوهرانى جائز عند بعضهم وإن خالفه الآخرون، فحذف الرابط هنا جائز على إضماره، أو على عدم تقديره، فيصح التى كان عملها، ويصح التى كان قد عملها.

وقد شاعت هذه الظاهرة فى العصر الفاطمى ولهذا ذكرتها رغم جوازها عند النحاة كما فى قول ابن ظافر "وهو الذى كان ندب من جهة الحاكم لصلبه[3] أى كان قد ندب وغير ذلك من الأمثلة.

---

(١) همع الهوامع ١/١١٢.

(٢) مغنى اللبيب ٢/١٧٠.

(٣) أخبار الدول المنقطعة: ٤٦.

الفصل السادس

حــروف الجــر

فى البحث فى تراكيب اللهجة الفاطمية فى مصر لاحظت ظاهـرتين فى حروف الجر، وهما حذف الجار وبقاء العمل، والثانية إبدال حروف الجر محل بعضها.

أولاً: حذف الجار وبقاء العمل:

ورد فى قول ساويرس ابن المقفع" ومن أنتجته المجاهدين القاهرين شهواتهم وقوله "ثم حملوه سرعة إلى الإسكندرية" أى أنتجته من المجاهدين، وحملوه بسرعة وقوله أيضًا" لأنهم كانوا يطلبوه أنه بمصر ولم يعلموا بمسيره أى كانوا يطلبوه على أنه بمصر وقوله أيضًا" وهو الذى أخذوا رأسه لاعترافه المسيح فلما طعن...."[1] أى بالمسيح

وقول ابن زولاق.... قد دعوت عليه فى كل مسجد الجامع ومسجد الأقدار وسائر مساجد القرافة"[2] أى فى كل من مسجد الجامع ومسجد الأقدار. لكن هل يجوز حذف الجار وإبقاء العمل؟ ومع أى من الحروف يصح ذلك؟

يقول المبرد:

كم نالنى منهم فضلاً على عدم ... إذ لا أكاد من الإقتار أحتمل

(١) تاريخ بطاركة الكنيسة ١١٥/٢، ١١٨/١، ١٤/٢، ١٨٧/١.

(٢) أخبار سيبويه ٥٦.

وقد زعم قوم أنها على حال منونة، وأن ما انخفض بعدها ينخفض على إضمار (من) وهذا بعيد، لأن الخافض لا يضمر، إذا كان وما بعده منزلة شيء واحد"[1]. وهنا نرى أن المبرد يرفض إضمار الخافض.

ويجيز ابن مالك ذلك ولكن مع رب فيقول:

وحـــذفت رب فجـرت بعـــد (بـــل) والفـــا وبعـــد الواو شـاع ذا العمل

لا يجوز حذف حرف الجر وإبقاء عمله، إلا فى رب بعد الواو، وفيما سنذكره، وقد ورد حذفها بعد الفاء، وبل قليلاً.... والشائع من ذلك حذفها بعد الواو.

وقــد يجـر بســـوى رب لـــدى حـــذف، وبعضــه يـــرى مطــرود

الجر بغير رب محذوفاً على قسمين مطرد، وغير مطرد، فغير المطرد كقوله رؤبة لما قال له كيف أصبحت: خير والحمد لله" والتقدير على خير... والمطرد كقولك بكم درهم اشتريت هذا؟ فدرهم مجرور بمن محذوفة عند سيبويه والخليل والإضافة عند الزجاج[2].

فالجر بغير رب لا يطرد فى رأى ابن مالك، ويذكر ابن هشام أنه يجوز حذف الجار وبقاء عمله،بعد أن، وأن مع غير رب، يقول "حذف الجار يكثر ويطرد مع أنْ وأنَّ نحو " يمنون عليك أن أسلموا. أى بأن أسلموا، وأن المساجد لله أى لأن المساجد لله، أيعدكم أنكم إذا متم أى بأنكم، وجاء فى غيرهما نحو قدرناه منازل أى قدرنا له، ويبغونها عوجًا أى يبغون لها... وقد يحذف مع بقاء الجار كقول رؤبة، وقد قيل له كيف أصبحت خيرٍ عافاك الله، وقولهم بكم درهم اشتريت[3].

وهذا القول لابن هشام يوضح جواز حذف حروف الجار وإبقاء عملها مع غير رب فى الاختيار، ولكن السيوطى يذكر أن هذا غير صحيح؛ والصحيح عنده هو

---

(١) المقتضب ٣/٦٠، ، ٦١.

(٢) شرح ابن عقيل ٣/٣٥.

(٣) مغنى اللبيب ٢/١٧٢.

أن يكون ذلك فى الضرورة، يقول "لا يحذف الجار، ويبقى عمله اختيار، وإن وقع فضرورة كقوله:

إذا قيل أى الناس شر قبيلة أشارت كليب بالأكف الأصابع

وقوله:

كريمة من آل قيس الفته حتى تبدخ فارقتى الأعلام

أى إلى كليب، وفى الأعلام أو بادر لا يقاس عليه كحديث البخارى: صلاة الرجل فى جماعة مضعف على صلاته فى بيته وسوقه خمس وعشرين ضعفًا أى بخمس[1].

وهكذا يعنى أن ما ذكر فى الأمثلة السابقة جائز فى اللغة على تقدير حرف الجر، فيصبح قول ابن زولاق على تقدير فى كل من مسجد الجامع، وقول ساويرس بن المقفع على تقدير "ومن أنتجته من المجاهدين شهواتهم". وقوله الثانى "لاعترافه بالمسيح فلما طعن"...

ويقول الشيخ أبى صلح "ليلاً يطلعوا البلد فى خفيه فيصل لأهل البلد نكد[2] أى ليلا يطلعوا إلى البلد فى خفيه ويقول يحيى ابن سعيد الأنطاكى "فجهد البطريرك فى استصلاحهما وأن يرجعا عما هما عليه. فلم يتفقا ذلك[3] أى لم يتفقا على ذلك.

ثانيًا: إبدال حروف الجر:

قد يحدث أن يبدل المتكلم حرف جر مكان آخر، وليس هذا بالغريب فى اللغة، فعندنا ما يبرره وقد ورد هذا فى قول ابن العسال "والكاهن المؤمن من التمرد أن لم يكف بقطع من درجته[4]. وهنا إبدال من مكان عن أى الكاهن المؤمن عن التمرد.

---

(١) همع الهوامع ٣٦/٢.

(٢) تاريخ أبى صلح ١٧.

(٣) تاريخ يحيى الأنطاكى ٩٤.

(٤) المجموع الصفوى.

يقول المبرد "فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أى بأمر الله، وقال ولأصلبنكم فى جذوع النخل، أى على، وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أى يستمعون عليه، وقول الشاعر:

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطشت شيبان إلا بأجدعا

أى عن، وقال الآخر:

غدت من عليه تنفض الطل بعدما رأت صاحب الشمس استوى فترفعا[1]

فقد أشار المبرد إلى إبدال بعض حروف الجر مكان بعضها.

١ ـ أما إبدال من مكان عن غير ما ذكره المبرد، ما ذكره أيضًا الجرجانى فى قوله:"من... وبمعنى عن والتجريد: أى والثانى عشر أن من للتجريد نحو: لقيت من زيداً أسداً أى لقيت من لقائه أسدًا، على حذف مضاف كأنه جرد على جميع الصفات إلا على صفة الأسد، وإنما سمى تجريدًا لأنه بمعنى لقيت زيداً هو أسد على التجريد عن من[2].

وأمثلة إحلال من مكان عن قول الوهرانى "فقالوا ما أنت غريب من ذا الرجل، ولا أنت جاهل به[3] أى غريب عن هذا الرجل وقول الشيخ أبى صلح "بناها عوضاً من الكنيسة التى كانت[4] أى عوضاً عن الكنيسة وقول المسبحى "عوضاً من أبى طالب الموقع... وعوضاً من عبيد الله[5] أى عوضًا من عبيد الله "٥" أى عوضاً عن أبى طالب وعوضاً عن عبيد الله.

٣ ـ وقد تبدل عن مكان بعد:

يقول ابن ظافر "فقالوا نحن نقتله عن أذنك[6] أى بعد أذنك. وقد أشار

---

(١) المقتضب ٢/٢١٨.

(٢) العوامل المائة النحوية ١٧٠.

(٣) المنامات ٣٩.

(٤) تاريخ أبى صلح ٤.

(٥) أخبار مصر ٥٦.

(٦) أخبار الدول المنقطعة ٩٦.

الجرجانى إلى ذلك بقوله "والخامس تجىء عن بمعنى بعد، نحو: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[1] أى بعد طبق.

٣ ـ وقد تبدل على مكان عن:

يقول المسبحى "وأعرض على الذين يتوصلون إلى الخدم بالتسويق والسعاية[2] أى وأعرض عن الذين يتوصلون ويقول السيوطى "على للاستعلاء.. وبمعنى عن أى المجاوزة نحو إذا رضيت على بنو قشير[3].

٤ ـ وقد تبدل على مكان فى:

وقال ابن ظافر "وصار الناس على غاية الاضطراب[4] أى صار الناس فى غاية الاضطراب قال السيوطى "على للاستعلاء.. وبمعنى فى أى الظرفية نحو ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أى فى ملكه، ودخل المدينة على حين غفلة "أى فى حين[5].

وقال الجرجانى "والرابع: تكون بمعنى فى" نحو" ودخل المدينة على حين غفلة[6] أى دخل المدينة فى حين غفلة[7].

فكما هو واضح جواز إبدال بعض حروف الجر محل بعضها، وتؤدى نفس المعنى فما وجد فى لغة العصر الفاطمى لا يبدو غريبًا لهذا السبب.

---

(١) العوامل المائة النحوية ١٨٣.

(٢) أخبار مصر ٤١.

(٣) همع الهوامع ٢/٢٨.

(٤) أخبار الدول المنقطعة ٥٦.

(٥) همع الهوامع ٢/٢٨.

(٦) البقرة ٢٠١.

(٧) العوامل المائة النحوية ١٨٤.

الخاتمـة

وبعد، نتناول فى هذا الجزء من البحث نتائج هذا العمل ولنعرف إلى أى كانت العلاقة بين العامية المصرية الفاطمية والعربية الفصحى. لقد حاولت جاهدًا فى هذا البحث أن أقدم صورة كاملة للهجة المصرية فى العصر الفاطمى على جميع مستوياتها الدلالية، والتركيبية والصوتية والمعجمية مستعيناً فى ذلك بوسائل علم اللغة الحديث وأدواته مستخدمًا منها ما يتناسب وطبيعة ذلك البحث اللغوى. ولقد كان هدفى هو الوصول إلى أغوار العامية المصرية فى ذلك العصر ودراستها على طبيعتها دون تغير. أى كما كان يتكلمها الناس فى تلك الآونة قدر استطاعتى مراعيًا أن دراستها كاملة شىء مستحيل لأنها لغة غير مسموعة والمنطوقة الآن، بل نتعرف عليها من خلال تلك الآثار المكتوبة التى وصلت إلينا عن هذا العصر، ولهذا كان من مشكلات البحث هى مصادر البحث، وكما ذكرت فى التمهيد استخدمت فى ذلك مصادر غفلت عنها عيون علماء اللغة وحماتها مثل البرديات العربية فى ذلك العصر وكتب المؤرخين وبعض كتب الأدب العامى وكتب الآباء البطاركة.

والحقيقة التى توصلت إليها من هذا البحث أن اللغة العربية فى ذلك العصر التى تحدث بها عامة الناس هى عربية الجزيرة فى أغلب قواعدها وأصولها يضاف إلى ذلك بعض الآثار الأجنبية إلا أنها كما قيل عنها "إن عامية مصر هى أقرب العاميات العربية إلى الفصحى" فعلى المستويات اللغوية المختلفة كانت تبدو لى آثارًا أجنبية وظواهر متطورة فى العربية نفسها كما فى:

أولاً: الأصوات:

فكانت الأصوات تبدو بها آثار تطورات لغوية مثل التطور التاريخى للأصوات كما فى الأصوات الأسنانية والأصوات اللثوية وإحلال بعضها مكان بعض، كإبدال الطاء مكان الدال أو الضاد مكان الظاء أو السين مكان الصاد أو العكس. وكما فى الأصوات الحلقية كإبدال الهاء مكان الحاء أو العين مكان الحاء وغير ذلك من التبادل بين الأصوات فى إطار التغيرات التاريخية للأصوات.

وفى التطور التركيبى للأصوات:

فى هذا المجال ظهرت ظواهر كثيرة مثل المماثلة الصوتية بين الأصوات بأنواعها المختلفة مقبل ومدبر كلى وجزئى مما يجعل التاء تصبح صاداً أو الطاء وكذلك السين تصبح صاداً بتأثير الراء قبلها وغير ذلك من ظواهر المماثلة ثم المخالفة وهى نقيض المماثلة.

ثم قانون السهولة والتيسير وعمله فى الأصوات اللغوية كتأثيره على الأصوات الأسنانية فتتحول إلى أصوات خلف الأسنان، وانكماش الأصوات المركبة وظاهرة التخلص من الهمزة بطرق مختلفة.

ثم أصوات اللين وتطورها من أصوات لين طويلة إلى أصوات لين قصيرة أو من أصوات لين قصيرة إلى أصوات طويلة، أو تبادلها مكان بعضها بعض وظاهرة الإمالة فى العربية.

ثم قضية المقطع الصوتى فى العربية بخصائصه وتطوره من تقصير المقطع أو تطويله أو حسبما تقتضى طبيعة الجهاز النطقى لدى المتكلم وأثر هذا على مقاطع لغة ذلك العصر. ثم قضية النبر وكيفية تحديد موضعه ثم انتقال النبر وآثاره من زيادة الحركة وتقصير الحركة.

ثم التطور المرحلى لكثير من الكلمات التى مرت بمراحل من التطور الصوتى فالكلمة الواحدة تحتوى على عدد من القوانين الصوتية التى حولتها من مرحلة إلى مرحلة حتى وصلت إلينا فى صورتها التى هى عليها. كل هذه التطورات كانت على المستوى الصوتى للغة هذا العصر.

ثانياً: المفردات:

لقد تعرضنا فى هذا الباب لقضايا الصرف فى العربية. وأهم قضايا الصرف قضية القياس وأثره على الصيغ الصرفية كما فى صيغة فعَّال التى تدل على المبالغة، وأصبحت تدل على أصحاب الحرف مثل نجَّار وحدَّاد وغيرها والقياس الخاطئ وتأثيره على صيغة النسب كما فى جسدانى وفوقانى وروحانى ثم أثره على الفعل المعتل وإبداله قياساً على فعل معتل آخر مثل يدعو ?يدعى قياسياً على يرمى قياساً خاطئاً، والجموع الخاطئة مثل رهبان التى تصبح رهبانات والقول بأصالة الميم فى بعض الأسماء مثل تمندل وتمشعر وتمكتب.

والتذكير والتأنيث فى لغة العصر "مثل تذكير المؤنث وتأنيث المذكر".

وقضية الأبنية الجديدة، وقضية فعلت وأفعلت مثل "باع وأباع"، ثم تطور معانى بعض الصيغ، والإلحاق المطرد ثم التأثير الصوتى على الصيغ وعلى بعض الجموع ثم تطور صيغة انفعل لتدل على البناء للمجهول بعد أن كانت تدل على المطاوعة.

وفى الفصل الثانى درست الدخيل "المعرب ـ المولد" وفى هذا الفصل تعرضت بالدراسة لأصول هذه الكلمات من مولد ومعرب وكل الكلمات الأجنبية تحققت من أصولها فى اللغات الأخرى كالفارسية والسريانية والعبرية والآرامية والقبطية واليونانية واللاتينية وفسرت ذلك التنوع فى مصادر المفردات الأجنبية بكثرة الوافدين على مصر من المحتلين والمستعمرين والقادمين بغرض اللجوء السياسى أو الدينى فى بعض العصور.

ثم ناقشت فى فصل آخر الرسم العامى فى مصر ثم التصحيف والتحريف وما صحف فيه كُتَّاب هذا العصر وذلك على مختلف مستويات الكتابة.

وفى الباب الخاص بالدلالة:

فتعرضت فيه لدلالة الكلمة وما يحدث لها من انتقال دلالى، وتوسيع أو تضييق فى دلالتها، وكل هذا يدل على حركة اللغة وتطورها الدائم.

وتطور دلالة العبارة وأقسامها من التعبير والتركيب الموحد والمركب أو التعبير المركب وغيرها من التطورات الدلالية فى العبارة والأمثال العامية فى هذا العصر وفى فصل آخر تعرضت لتأثير المجاز فى تطور الدلالة من تطور دلالة الكلمة وتطور دلالة العبارة وغيرها.

وفى باب التراكيب:

وتناولت فى فصل مستقل "الجملة" وما يطرأ عليها من تغيير من تقديم وتأخير وغير ذلك على قسميها الاسمية والفعلية.

ثم ظاهرة الإعراب فى فصل خاص تناولت فيه قضية سيادة الحالة الإعرابية وقضية الحذلقة والتفصح وشيوعها فى هذا العصر.

ثم الفصل الخاص بالمطابقة. وتعرضت فيه للمطابقة بين الفعل والفاعل وبين الصفة والموصوف وبين اسم الإشارة والمشار إليه واسم الموصول والعائد عليه والعدد والمعدود وفصل عن الأساليب وما تمتاز به من صفات وخصصت الحديث عن أسلوبين هما أسلوب النفى ولاحظت أنه يتكون من ذلك التركيب: "لا - يرجع - يفعل" ومن "ما - يعود - يفعل"

وتناولت تبادل أدوات النفى مكان بعضها ثم أسلوب الشرط وما به من تقديم أو تأخير أو حذف وإقحام كان زائدة على أسلوب الشرط وفصلا عن أدوات الربط بين الجمل وخصائص تلك الأدوات الرابطة فى هذه اللغة مثل أدوات التعليل وأدوات العطف وحذف الواو أو الفاء العاطفة.

ثم فصلاً عن حروف الجر: إبدال بعضها محل بعض وحذفها مع بقاء عملها.

بهذا نكون قد أعطينا تصورًا عن لهجة العصر الفاطمى بكل خصائصها على جميع مستوياتها اللغوية المختلفة من أصوات إلى دلالة إلى تراكيب.

ونرجو من الله أن نكون قد وفقنا إلى الصواب فى هذا العمل.

فهرس المراجع

١ ـ أخبار الدول المنقطعة: تأليف جمال على بن ظافر مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، المجلد الثانى عشر "١٩٧٢".

٢ ـ أخبار سيبويه المصرى: الحسن بن إبراهيم بن زولاق، مكتبة الآداب "١٣٥٢ ـ ١٩٣٣م".

٣ ـ أخبار مصر: لابن ميسر محمد بن على، القاهرة مطبعة المعهد العلمى الفرنسى الخاص بالعادات الشرقية ١٩١٩م تحقيق HMASSI.

٤ ـ أخبار مصر: محمد بن عبيد الله المسبحى، تحقيق وليم ج ـ ميلورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

٥ ـ أدب الكتاب: لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية ١٩٥٨م.

٦ ـ أساس البلاغة: للزمخشرى، دار الشعب "١٩٦٠م" بالقاهرة.

٧ ـ الأساس المتين فى ضبط لغة المصريين: القس عبد المسيح المسعودى، ١٦٠٤ للشهداء بمطبعة عين شمس ببطريك خانة الأقباط بالقاهرة سنة ١٦٠٤ للشهداء.

٨ ـ أسس علم اللغة: ماريوباى ترجمة الدكتور أحمد مختار عمر ـ عالم الكتب، الطبعة الثانية "١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م" بالقاهرة.

٩ ـ الأشباه والنظائر فى النحو: جلال الدين السيوطى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة "١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م".

١٠ ـ الاشتقاق والتعريب: الشيخ عبد القادر المغربى طبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٤٧م بالقاهرة.

١١ ـ إصلاح المنطق: ابن السكيت، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٦م.

١٢ ـ الأصوات اللغوية الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة الأنجلو ١٩٨١م بالقاهرة.

١٣ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: الدكتور نايف خرما، مجلة عالم المعرفة ١٩٧٨م الكويت.

١٤ ـ أضواء على لغتنا السمحة: الأستاذ. محمد خليفة التونسى كتاب العربى الكتاب التاسع ١٥ أكتوبر ١٩٨٥م بالكويت.

١٥ ـ الاستعارة القرآنية فى ضوء النظرية العرفانية: د.عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، ط١، القاهرة ٢٠١٤م.

١٦ ـ بحوث ومقالات فى اللغة: الدكتور. رمضان عبد التواب الخفاجى "١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م" بالقاهرة، الطبعة الأولى.

١٧ ـ البرديات العربية:

* السفر الأول، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م نقله للعربية الدكتور حسن إبراهيم حسن راجعه الأستاذ عبد الحميد حسن.

* السفر الثانى مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن راجعه الأستاذ عبد الحميد حسن.

* السفر الثالث مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن راجعه الأستاذ عبد الحميد حسن.

* السفر الرابع مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٧م ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن راجعة الأستاذ عبد الحميد حسن.

* السفر الخامس مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٨م ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن راجعه الدكتور محمد مهدى علام.

* السفر السادس مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٧٤م ترجمة الدكتور عبدالعزيز الدالى جمع البرديات جروهمان.

١٨ ـ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٥م.

١٩ ـ تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية: ساويرس بن المقفع، مطبوعات جمعية الآثار القبطية بدون تاريخ.

٢٠ ـ تاريخ الشيخ أبى صلح لأبى صلح الأرمنى: طبع فى المطبعة المدرسية فى أوكسفرد سنة ١٨٩٤م المسيحية.

٢١ ـ تاريخ اللغة العربية فى مصر: الدكتور أحمد مختار عمر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر "١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م".

٢٢ ـ تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى: طبع فى بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٩م.

٢٣ ـ تثقيف اللسان ولحن الجنان: ابن مكى الصلقى تحقيق د. عبد العزيز مطر ـ القاهرة "١٣٩٧هـ ـ ١٩٦٦م" المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر.

٢٤ ـ تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، القاهرة "١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م".

٢٥ ـ التصحيف والتحريف: لأبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى، مطبعة القاهرة بالظاهر "١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م".

٢٦ ـ التطور اللغوى مظاهرة وعلله وقوانينه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، الطبعة الأولى "١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م".

٢٧ ـ التطور النحوى للغة العربية: برجشتراسر، الخانجى "١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م".

٢٨ ـ التعريف بعلم اللغة: دافيد كريستل، ترجمة الدكتور حلمى خليل الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.

٢٩ ـ تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية: طوبيا العنيسى، دار العرب، القاهرة "١٩٦٤م".

٣٠ ـ تقريب النشر فى القراءات العشر: ابن الجزرى، مصطفى البابى الحلبى الطبعة الأولى (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) بالقاهرة.

٣١ ـ تقويم اللسان: لابن الجوزى، دار المعارف الطبعة الثانية تحقيق الدكتور عبدالعزيز مطر، بالقاهرة سنة ١٩٧٧م.

٣٢ ـ التنبيه على حدوث التصحيف: حمزة بن الحسن الأصفهانى، دمشق "١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م".

٣٣ ـ التهذيب فى أصول التعريب: الدكتور أحمد بك عيسى، مطبعة مصر "١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م".

٣٤ ـ حضارة مصر فى العصر القبطى: الدكتور مراد كامل، طبعة دار العلم العربى.

٣٥ ـ حكم قراقوش: الدكتور عبد اللطيف حمزة، مطبعة مصطفى البابى الحلبى "١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م". بالقاهرة.

٣٦ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادى، تحقيق عبد السلام هارون،دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة "١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م".

٣٧ ـ الخصائص: لابن جنى تحقيق محمد على النجار، الطبعة الثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب "١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م".

٣٨ ـ دارسة الصوت اللغوى: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب الطبعة الثانية ١٩٨١م القاهرة.

٣٩ ـ دراسات فى علم اللغة الوصفى والتاريخى: الدكتور صلاح الدين صالح حسنين، دار العلوم "١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م" الرياض المملكة العربية السعودية.

٤٠ ـ دراسات فى فقه اللغة: الدكتور صبحى الصالح دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.

٤١ ـ دفع الإصر عن أهل مصر: الشيخ يوسف المغربى، مسكو ١٩٦٨م دار العلم ـ إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية.

٤٢ ـ دلالة الألفاظ: الدكتور إبراهيم أنيس الأنجلو، ١٩٨٠م، الطبعة الرابعة القاهرة.

٤٣ ـ دور الكلمة فى اللغة: استيفن أولمان ترجمة د. كمال بشر الناشر، مكتبة الشباب المنيرة القاهرة، ١٩٧٥م.

٤٤ ـ ديوان الأدب: لأبى إبراهيم إسحاق إبراهيم الفارابى تحقيق د. أحمد مختار عمر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية "١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م" القاهرة.

٤٥ ـ الرسالة: الإمام الشافعى، مكتبة دار التراث، ط ٢، القاهرة ب. ت.

٤٦ ـ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الألوسى البغدادى، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ب. ت.

٤٧ ـ سر صناعة الإعراب: ابن جنى تحقيق مصطفى سقا مطبعة محمد أسد "١٢٩٨هـ ـ القاهرة.

٤٨ ـ شذا العرف فى فن الصرف: الشيخ أحمد الحملاوى الطبعة العشرون "١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م" مصطفى البابى الحلبى القاهرة.

٤٩ ـ شرح ابن عقيل: ابن عقيل، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة ١٦ "١٩٧٤م ـ ١٣٩٤هـ، القاهرة.

٥٠ ـ شرح أدب الكتاب: الجواليقى، تحقيق مصطفى صادق الرافعى مكتبة القديس ١٣٥٠هـ بالقاهرة.

٥١ ـ شرح الأشمونى على الألفية بهامش حاشية الصبان: طبعة دار أحياء الكتب العربية عيسى الحلبى وشركاه، بالقاهرة ١٣٩٣هـ.

٥٢ ـ شرح ديوان الحماسة: لأبى على أحمد بن محمد الحسين المرزوقى، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر "١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م" القاهرة.

٥٣ ـ شرح السمنودى على متن الدرة المتممة للقراءات العشر: لابن الجزرى مطبعة محمد على صبيح ميدان الأزهرى القاهرة بدون تاريخ.

٥٤ ـ شرح الشافية: للأستراباذى، تحقيق محمد الزفزاف، القاهرة ١٣٥٦هـ.

٥٥ ـ شرح عيون الإعراب:الإمام أبى الحسن على بن فضال المجاشعى، تحقيق عبد الفتاح سليم، دار المعارف المطبعة الأولى "١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م" القاهرة.

٥٦ ـ شرح الكفاية: للرضى المطبعة العامرية ١٢٧٥هـ بالآستانة القاهرة ١٩٦٣م.

٥٧ ـ شرح ما يقع فى التصحيف والتحريف: لأبى أحمد العسكرى تحقيق عبد العزيز أحمد القاهرة ١٩٦٣م.

٥٨ ـ شرح المفصل: لابن يعيش عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبه المتنبى ـ نسخة مصورة عن القاهرة.

٥٩ ـ شرح نخبة الفكر: لابن حجر العسقلانى، مكتبة الخانجى، ١٣٢٧هـ، القاهرة.

٦٠ ـ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل: شهاب الدين أحمد الخفاجى تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة القاهرة المطبعة المنيرة بالأزهر، الطبعة الأولى "١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م".

٦١ ـ العاطل الحالى والمرخص الغالى: صفى الدين الحلى، تحقيق د. حسين نصار ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١م، القاهرة.

٦٢ ـ العربية: يوهان فك، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة "١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠".

٦٣ ـ العربية والغموض دراسة لغوية فى دلالة المبنى على المعنى: الدكتور حلمى خليل الطبعة الأولى دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م.

٦٤ ـ العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد :هنرى فليش ترجمة د. عبد الصبور شاهين ـ الطبعة الثانية دار المشرق بيروت لبنان، ١٩٨٣م.

٦٥ ـ علم الأصوات: برتيل مالبرج ترجمة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب ١٩٨٦م.

٦٦ ـ علم الدلالة: الدكتور أحمد مختار عمر عالم الكتب الطبعة الثانية ١٩٨٨م، القاهرة.

٦٧ ـ علم الصرف دراسة وصفية: الدكتور أبو الفتوح شريف دار المعارف ١٩٨٦م، القاهرة.

٦٨ ـ علم اللسان أنطوان ـ ماييه النقد المنهجى عند العرب: دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٩م.

٦٩ ـ علم اللغة العام (الأصوات): الدكتور كمال محمد بشر دار المعارف، ١٩٨٠م.

٧٠ ـ علم اللغة العام: الدكتور توفيق شاهين، مكتبة وهبة ٢٤ ش الجمهورية ١٩٨٠م القاهرة.

٧١ ـ علم اللغة العام: دى سوسبر ترجمة الدكتور يوائيل يوسف عزيز ـ بيت الموصل ١٩٨٨م.

٧٢ ـ العوامل المائة النحوية: للجرجانى ـ تحقيق د. البدراوى زهران دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، القاهرة.

٧٣ ـ غرائب اللغة العربية: الأب رفائيل نخلة اليسوعى، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية بيروت. بدون تاريخ.

٧٤ ـ فصيح ثعلب تحقيق: د. عاطف مدكور دار المعارف ١٩٨٣م.

٧٥ ـ فصول فى فقه العربية: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، الطبعة الثانية ١٩٨٠م القاهرة.

٧٦ ـ فعلت وأفعلت دراسة دلالية صرفية: د. عطية سليمان أحمد، مكتبة المتنبى، الدمام السعودية، ٢٠٠٥م.

٧٧ ـ فقه اللغة:الدكتور على عبد الواحد وافى دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الثامنة.

٧٨ ـ فى الأدب المصرى الإسلامى: الدكتور. محمد كامل حسين دار الكتب المصرية، القاهرة.

٧٩ ـ فى علم الصرف: الدكتور أمين على السيد مطبعة قاصد خير "١٩٧٠ ـ ١٩٧١" القاهرة.

٨٠ ـ فى قواعد الساميات:الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى الطبعة الثانية "١٩٨٣م".

٨١ ـ فى اللهجات العربية: الدكتور إبراهيم أنيس الطبعة الرابعة مكتبة الأنجلو ١٩٧٣م.

٨٢ ـ قاموس العادات والتقاليد: الأستاذ أحمد أمين الطبعة الثانية، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣م.

٨٣ ـ القاموس المحيط: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى/ الهيئة المصرية للكتاب "١٣٩٧هـ ـ١٩٧٧م" القاهرة نسخة مصورة.

٨٤ ـ القول المقتضب فيما وافق أهل مصر من لغات العرب: محمد بن أبى السرور، تحقيق السيد إبراهيم سالم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ.

٨٥ ـ الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٨٦ ـ كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق: سعيد بن بطريق، بيروت ١٩٠٥م.

٨٧ ـ كتاب فعلت وأفعلت: أبى إسحق الزجاج تحقيق ماجد حسن الذهبى الشركة المتحدة للتوزيع دمشق سوريا.

٨٨ ـ كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجانى، تحقيق دكتور كاظم بحر المرجان منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراق، سلسلة كتب التراث ١٩٨٢م.

٨٩ ـ كشاف اصطلاحات الفنون: محمد على الفاروقى التهانى تحقيق دكتور لطفى عبد البديع. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة "١٣٨٢هـ ١٩٦٣م" القاهرة.

٩٠ ـ لحن العامة:لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى، تحقيق دكتور عبد العزيز مطر دار المعارف "١٩٨١م".

٩١ ـ لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة: الدكتور عبد العزيز مطر دار المعارف الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ ـ١٩٨١م" القاهرة.

٩٢ ـ لحن العامة والتطور اللغوى: الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة،١٩٦٧م.

٩٣ ـ لسان العرب: ابن منظور، مكتبة دار المعارف المصرية، ١٩٧٨م

٩٤ ـ اللغة: فندريس ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربى ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص القاهرة ١٩٥٠م.

٩٥ ـ اللغة العربية معناها ومبناها: الدكتور تمام حسان الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، الطبعة الثانية.

٩٦ ـ اللغة والتطور: الدكتور عبد الرحمن أيوب معهد البحوث الدراسات العربية ١٩٦٩م.

٩٧ ـ اللغة والمجتمع: الدكتور على عبد الواحد وافى مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧م.

٩٧ ـ لغات البشر: ماريوباى ترجمة صلاح الدين العربى، مطبعة العالم العربى. بدون تاريخ.

٩٩ ـ لسان العرب: لابن منظور تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى، دار المعارف ١٩٧٩م القاهرة.

١٠٠ ـ لف القماط: لأبى الصديق بن حسن بن على القنوصى الحسينى ـ مطبوع فى المطبعة الصديقى الواقع فى بهويال فى شوال ١٣٩٦هـ.

١٠١ ـ اللمع فى العربية: لأبى الفتح عثمان بن جنى تحقيق دكتور حسين شرف، الطبعة الأولى "١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م" عالم الكتب القاهرة.

١٠٢ ـ اللهجة العامية وجذورها المصرية: سامح مقار، مكتبة مدبولى، القاهرة ٢٠٠٦م.

١٠٣ ـ مجالس ثعلب: لأبى العباس أحمد بن يحى ثعلب تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف ١٩٧٦م القاهرة.

١٠٤ ـ المجالس المستنصرية: للداعى ثقة الإمام علم الإسلام تحقيق الدكتور محمد كامل حسين (دار الفكر العربى) الطبعة الأولى، بدون تاريخ، القاهرة.

١٠٥ ـ مجمع الأمثال: لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسبورى الميدانى (دار مكتبة الحياة بيروت لبنان) بدون تاريخ.

١٠٦ ـ المحكم فى أصول الكلمات العامية: الدكتور أحمد بك عيسى، مكتبة مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٩م.

١٠٧ ـ مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية: اقليوديويس.ى. لبيب الرسالة، طبع المطبعة، عين شمس ببطريكخانة الأقباط القاهرة بدون تاريخ.

١٠٨ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، القاهرة.

١٠٩ ـ المدخل إلى علم اللغة: الدكتور رمضان عبد التواب ـ الخانجى الطبعة الأولى "١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م" القاهرة.

١١٠ ـ مدخل إلى علم اللغة: الدكتور محمود فهمى حجازى دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٧م القاهرة.

١١١ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل وعلى محمد البجاوى، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة ١٣٢٦ ?.

١١٢ ـ المصباح المنير: لأحمد بن على المقرى الفيومى دار المعارف ١٩٧٧م، القاهرة.

١١٣ ـ المصرية القديمة لغة عروبية: أرون إمْبر، ترجمة على فهمى خشيم، مجمع اللغة العربية، طرابلس لبيا، ط١ القاهرة ٢٠١٠م.

١١٤ ـ المظاهر الطارئة على الفصحى: د.محمد عيد، مكتبة علم الكتب القاهرة، ١٩٨٠م.

١١٥ ـ معجم الألفاظ العامية: الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجى، الطبعة الثانية بدون تاريخ القاهرة.

١١٦ ـ معجم الألفاظ العامية: أنيس فريحة دار العلم، بيروت لبنان.

١١٧ ـ معجم الأمثال العربية: رياض عبد الحميد مراد، مطبعة جامعة الإمام محمدين سعود الإسلامية بالرياض "١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م".

١١٨ ـ معجم مقاييس اللغة:لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبدالسلام هارون الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى البابى الحلبى "١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م" القاهرة.

١١٩ ـ المعجم الكبير: مجمع اللغة العربية مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م القاهرة.

١٢٠ ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية دار المعارف "١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م" الطبعة الثانية.

١٢١ ـ المعرب من كلام الأعجمى: أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر الجواليقى، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار الكتب، "١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م" القاهرة.

١٢٢ ـ مغنى اللبيب: لجمال الدين بن هشام، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى.

١٢٣ ـ المفردات فى غريب القرآن: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهانى تحقيق دكتور أحمد خلف الله، الانجلو، ١٩٧٠م.

١٢٤ ـ مفهوم المعنى: الدكتور عزمى إسلام حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت "١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م" الحولية السادسة.

١٢٥ ـ المقتضب: لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٩٩هـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٢٦ ـ المكافأة: أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٤١م، الطبعة الأولى تحقيق أحمد أمين وعلى الجارم.

١٢٧ ـ من أسرار اللغة: الدكتور إبراهيم أنيس الطبعة السادسة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م.

١٢٨ ـ منامات الوهراني: للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني دار الكتاب العربي للطباعة والنشر "١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م" القاهرة.

١٢٩ ـ مناهج البحث فى اللغة: الدكتور تمام حسان الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م.

١٣٠ ـ مناهج تحقيق التراث: الدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الأولى١٩٨٦م.

١٣١ ـ المنجد فى اللغة والأدب والعلوم: لويس معلوف الطبعة التاسعة عشر المطبعة الكاثوليكية (بيروت ـ لبنان).

١٣٢ ـ من وظائف الصوت اللغوى: الدكتور أحمد كشك الطبعة الأولى، مطبعة المدينة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م. القاهرة.

١٣٣ ـ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية: الدكتور أحمد شلبى ـ مكتبة النهضة المصرية الطبعة السادسة، ١٩٧٣م الجزء الخامس.

١٣٤ ـ المورد، منير البعلبكى، بيروت لبنان،١٩٨٠م

١٣٥ ـ مولد اللغة: الشيخ أحمد رضا العاملى منشورات دار مكتبة الحيان ١٩٥٦م.

١٣٦ ـ النحو الوافى: عباس حسن دار المعارف المصرية الطبعة الخامسة، ١٩٧٨م.

١٣٧ ـ النحو والدلالة: الدكتور محمد عبد اللطيف حماسة الكويت، ١٩٨٢م.

١٣٨ ـ النمو اللغوى عند الطفل: د.عطية سليمان أحمد، مكتبة أكاديمية الكتاب الجامعى، ط ٢، القاهرة ٢٠١٤م.

١٣٩ ـ همع الهوامع: جلال الدين السيوطى، مطبعة السعادة بجوار محافظ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٧هـ.

المخطوطات

١ ـ البرديات العربية Arabic Papyri محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٦١٦، ٦١٧.

٢ ـ البرديات العربية فى مصر دراسة لغوية: رسالة دكتوراه، الدكتور عبدالعزيز الدالى، جامعة القاهرة، كلية الآداب.

٣ ـ دور بشار بن برد فى تطور اللغة: رسالة ماجستير، عطية سليمان أحمد، جامعة الزقازيق كلية الآداب.

٤ ـ الكافية: للوجيه القليوبى محفوظة بمعهد الدراسات القبطية بالقاهرة بدون رقم.

٥ ـ مقدمة السلم الكنائسى: للأنبا يوحنا السنمودى معهد الدراسات القبطية، القاهرة، بدون رقم.

٦ ـ المولد فى لغة العرب: الدكتور حلمى خليل، رسالة دكتوراه المكتبة المركزية جامعة عين شمس.

الدوريات

١ ـ مجلة عالم الفكر، المجلد السادس عشر العدد الرابع/ يناير فبراير مارس ١٩٨٦م.

٢ ـ مجلة اللغة العربية الملكى الجزء الأول (أكتوبر ١٩٣٤م).

٣ ـ مجموع القرارات العلمية للمجمع اللغوى المطبعة الأميرية ١٩٣٥م.

المراجع الأجنبية

- English Dictionary by F Stein Gass, PH D Persian_ London 68- 74 Lane, EC4.
- Latinum Prasertim EX Djeuharii lexicon arabico
  ET Aliorum arabum firuzabadiique
  Mdcccxxxiii
  Halis saxonum

١ ـ المعجم الفارسى الجامع/ حسين المصرى الأنجلو المصرية ١٩٨٤م.

٢ ـ المعجم الحديث عبرى عربى/ الدكتور يحيى كمال دار العلم للملايين ببيروت.

٣ ـ قاموس الفارسية، فارسى عربى الدكتور عبد المنعم محمد حسنين دار الكتب الإسلامية القاهرة ـ بيروت.

المؤلف فى سطور

المؤلف: د. عطية سليمان،

* من مواليد محافظة الشرقية ـ جمهورية مصر العربية.

* تخرج فى كلية الآداب جامعة الزقازيق عام ١٩٨٢ ويعمل وكيلا لكلية الآداب جامعة السويس.

من مؤلفاته:

١ ـ النمو اللغوى عند الطفل، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠١٤م.

٢ ـ الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة فى كتاب الفاخر لابن أبى سلمة فى ضوء نظرية الحقول الدلالية، دار زهراء الشرق ١٩٩٤.

٣ ـ الجاحظ والدرس اللغوى الحديث، دار زهراء الشرق، القاهرة ١٩٩٥.

٤ ـ النظرية الأسلوبية دراسة تركيبية، شعر المثقب العبدى نموذجا، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠١٥.

٥ ـ اللغة الانفعالية بين المنطوق والمكتوب، دار الكتب العلمية، القاهرة. ١٩٩٦.

٦ ـ نمو الدلالة وتكوين المفاهيم دراسة ميدانية لاكتساب الدلالة لدى الأطفال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠١٣.

٧ ـ الإبداع والمزاوجة فى ضوء الدرس اللغوى، دار الكتب العلمية القاهرة، ٢٠٠٥.

٨ ـ فعلت وأفعلت، دراسة دلالية صرفية، مكتبة المتنبى، الدمام، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨.

٩ ـ اللغة والسلوك الاجتماعى، مجلة الدراسات الشرقية والعربية، القاهرة ٢٠٠٨.

١٠ ـ العلاقة بين الدلالة والتركيب فى بعض آيات النفس فى القرآن الكريم، مجلة آداب المنوفية، القاهرة، ٢٠٠٧.

١١ ـ لفظة نفس فى القرآن، دراسة دلالية ومعجمية، مجلة آداب المنوفية، القاهرة ٢٠٠٦.

١٢ ـ الفونيمات فوق التركيبية فى القرآن الكريم ، سورة الواقعة نموذجا (المقطع ـ النبر) الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠١٥،

١٣ ـ التوليد الدلالى فى المثنيات، مجلة كلية الآداب جامعة المنوفية، القاهرة ٢٠٠٩.

١٤ ـ تشومسكى والعلوم اللغوية الحديثة، مكتبة الأصمعى، الدمام، المملكة العربية السعودية ٢٠٠٨.

١٥ ـ العلاقة الدلالية بين المتضايقين بين التوليد والتأويل، مجلة كلية الآداب، جامعة المنوفية ٢٠١٠.

١٦ ـ الاستعارات القرآنية فى ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى، القاهرة ٢٠١٣م.

١٧ ـ الإشهار القرآنى والمعنى العرفانى فى ضوء النظرية (العرفانية والتداولية والمزج المفهومى) الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠١٥.

الفهـرس

المقدمة ٧

تمهيد ٩

● الباب الأول: الأصوات ٢٣

الفصل الأول: التغيرات التاريخية ٣٣

الفصل الثانى: التطور التركيبى للأصوات ٥٥

الفصل الثالث: السهولة والتيسير ٧٣

الفصل الرابع: الأصوات اللينة ٩٣

الفصل الخامس: المقطع الصوتى ١٠٧

الفصل السادس: النبر ١١٥

الفصل السابع: التطور المرحلى ١٢٥

الفصل الثامن: الخصائص الصوتية للهجة المصرية ١٣١

● الباب الثانى: المفردات ١٤٣

الفصل الأول: الصرف ١٤٧

الفصل الثانى: الدخيل (المعرب ـ المولد) ١٩١

الفصل الثالث: الرسم ٢٤٩

الفصل الرابع: التصحيف والتحريف ٢٥٩

● الباب الثالث: الدلالة	٢٦٩
الفصل الأول: دلالة الكلمة	٢٧٩
الفصل الثانى: دلالة العبارة	٣١٣
الفصل الثالث: المجاز وتطور الدلالة	٣٣١
● الباب الرابع: التراكيب	٣٣٩
الفصل الأول: الجملة	٣٤٥
الفصل الثانى: الإعراب	٣٦٣
الفصل الثالث: المطابقة	٣٨٩
الفصل الرابع: الأساليب	٤١٥
الفصل الخامس: أدوات الربط	٤٢٥
الفصل السادس: حروف الجر	٤٣١
الخاتمة	٤٣٧
فهرس المراجع	٤٤١
المؤلف فى سطور	٤٥٥

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٢٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

مكتبـــات ووكـــلاء

البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة-
بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع
الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت -
بناية سنتر ماريا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -
سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -
المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦
- الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر-
٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض
(ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع
طريق الملك فهد مع طريق العروبة -
هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات
والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -
شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة :
٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ -
٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -
الرياض - المملكة العربية السعودية -
ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:
٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن
السديرى الخيرية - الجوف -
المملكة العربية السعودية - دار الجوف
للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:
٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب